المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جهود الشيخ العلامة بكر أبو زيد في الدعوة إلى الله تعالى

(دراسة تحليلية وصفية)

رسالة علميّة مقدّمة لنيل شهادة الدرجة العالِمية (الماجستير)

إعداد الطالب:

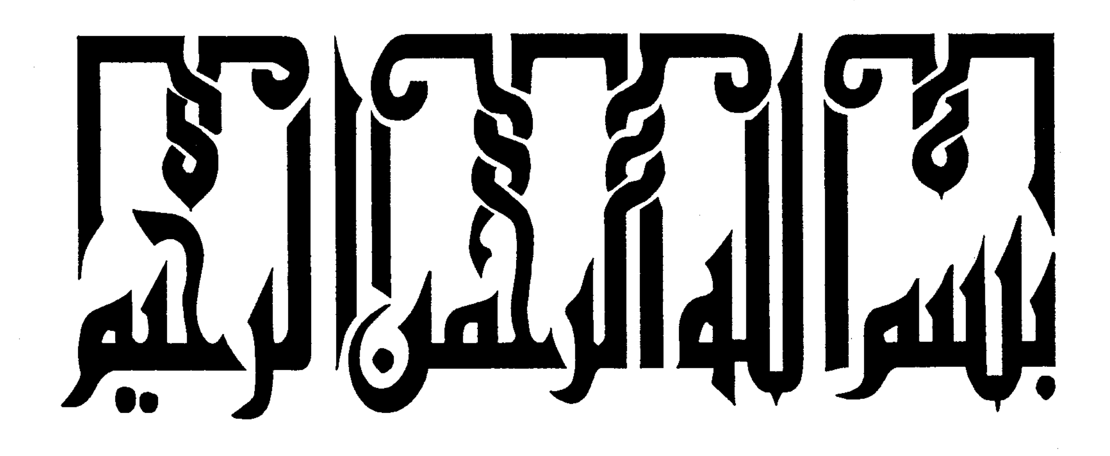
عمر بن عامر بن عمر الخرماني

إشراف:

أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي

العام الجامعي: ١٤٣٠ هـ / ١٤٣١ هـ

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ
هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الحج: ٦٧ - ٦٩


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رافع العلماء درجات، ومفضلهم في الحياة وبعد الممات، والصلاة والسلام على خير من علم وهدى، وعلى آله وأصحابه ومن استنّ بسنّته وبهديه اهتدى، أما بعد:

فإنّ الله تعالى خلق الإنسان، وعلمه البيان، ودعاه إلى الأخذ من المعارف، فالعلم يوسع المدارك، وينير العقول، وهو ميراث النبوة، وهو النور الذي يبدد ظلام الجهل، والسلاح القوي في مواجهة الأفكار المنحرفة، والآراء الفاسدة.

وإنّ العلم يزكو ويبارك الله فيه إذا اقترن بالعمل الصالح والدعوة إلى الله على بصيرة وهدى، وإن المنهج الحق في الدعوة هو المستمد من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وفق منهج سلف هذه الأمة، وقد سار على هذا المنهج أفضل الخلق بعد رسول الله وهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان، والأئمة الفضلاء، والعلماء النبلاء، جيلاً بعد جيل، يبيّنون للأمة المنهج القويم، والطريق المستقيم، ويحذرون من المناهج الضالة، والطرق المنحرفة.

ولقد كان من دعاة المنهج السلفي القويم والآخذين به والداعين إليه؛ في هذا العصر: **فضيلة الشيخ العلامة الدكتور "بكر بن عبد الله أبو زيد" - رحمه الله** - رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي سابقاً، وعضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء السابق. والشيخ بكر - رحمه الله -كان علماً من أعلام الأمة الإسلامية، كرّس حياته وجهده في خدمة الإسلام: قاضياً وباحثاً وداعياً، وكان ذا إنتاج علمي وفقهي غزير. فقد كان - رحمه الله - كالبحر الواسع يحيّر من يقف على شواطئه غير ملم بما في جوفه من كنوز، منافحاً عن السنة وعن منهج أهل السنة والجماعة.

وقد رأى الباحث أن تكون أطروحته لنيل درجة العالِمية (الماجستير) حول جهود هذا العَلَم الشامخ في الدعوة إلى الله لإيضاح منهجه في الدعوة، وأساليبه ووسائله وتأثيره على الأمة الإسلامية.

فكان عنوان الرسالة:

(جهود الشيخ العلامة بكر أبو زيد في الدعوة إلى الله تعالى، دراسة تحليلية وصفية)

موضوع البحث :

يتحدّد موضوع البحث في دراسة منهج الشيخ بكر أبو زيد في الدعوة، وتوضيح جهوده المباركة في خدمة دينه وأمته، من خلال مؤلفاته ومواعظه ودروسه وإفتائه وقضائه، كما تتناول الدراسة وسائل الشيخ وأساليبه المثالية في الدعوة إلى الله، وتكشف الدراسة عن آثار جهوده ودعوته المباركة.

أهمية البحث وبواعث الدراسة :

إنّ الحديث عن العلماء العاملين والدعاة المخلصين، بياناً لسيرهم وتعريفاً بحياتهم ونشراً لفضائلهم وإذاعة لمناقبهم وتوضيحاً لمنهجهم؛ فيه نفع كبير للأمة، لأنه يربط الحاضر بالماضي، ويحث على الاقتداء بسجايا الخير التي تحلّو بها، وفيه تعريف طلبة العلم بحال علمائهم وسيرهم وفقههم وعلمهم وتقواهم وصلاحهم، لينهجوا نهجهم، ويقتفوا أثرهم.

كما تنبع أهمية البحث من التأصيل العلمي للمنهج القويم في الدعوة إلى الله، متمثلة في منهج الشيخ بكر أبو زيد، الذي أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، كما تبرز أهمية البحث في بيان وتوضيح منهج أهل السنة والجماعة، والتحذير من البدع في الدين، والوقوف ضد الأفكار الوافدة والدعوات المضللة التي لا تستند إلى دليل صريح أو فهم صحيح.

ومن هنا اشتدت عزيمة الباحث وقرر اختيار علم من أعلام الإسلام المشهود له بالرسوخ في العلم، وثبات القدم في التأليف والتحقيق، فبذل خدمة فائقة في مجال الفقه الإسلامي، والدعوة إلى الله تعالى طول حياته، حتى توفاه الله صابراً محتسباً؛ ألا وهو الشيخ العلامة بكر أبو زيد، فجزاه الله عنّا وعن المسلمين خير الجزاء، ورحمه الله رحمة واسعة.

أهداف البحث:

يهدف الباحث من خلال دراسة وبحث هذا الموضوع إلى ما يلي:

١. الإسهام في إيضاح المنهج القويم للدعوة المعتمد على الوحيين، وفق فهم السلف الصالح.

٢. إبراز جهود الشيخ بكر أبو زيد ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى.

٣. إيضاح الوسائل والأساليب الدعوية التي استخدمها الشيخ في دعوته.

٤. بيان آثار دعوته على الأمة الإسلامية، والدروس المستفادة مما يتميّز به من علم وعمل.

٥. بيان الوسطية، والشمولية في الدعوة الإسلامية، التي تتخذ من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أنموذجاً وقدوة.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفع الباحث لدراسة هذا الموضوع، عدة أسباب منها، ما يلي:

أولاً: كثرة مؤلفات الشيخ العلمية في مختلف العلوم، التي تجاوزت الثمانين مؤلفاً، بالإضافة إلى تحقيقه العديد من الكتب والمخطوطات، وإشرافه على عدد من الرسائل العلمية.

ثانياً: وفرة الجوانب الدعوية في مؤلفاته وتأصيله لها من الكتاب والسنة.

ثالثاً: حاجة الدعاة إلى معرفة حال علمائهم، والاطلاع على سيرهم، ومعرفة ما كانوا عليه من فقه، وعلم، وتقوى، وصلاح، فينهلوا مما نهل منه أولئك العلماء.

رابعاً: إنه استفاد من علمه خلق كثير، وجاءت كتبه وكلماته بنفع عظيم، وكتب الله لها القبول بين الناس.

خامساً: من الأمور التي حفزتني للبحث في هذا الموضوع، أنه لم تتم دراسة شخصيته وجهوده دراسة دعوية منهجية، فأرجو أن يكون لي في ذلك نصيب، ولعلي أكون بذلك أضفت إضافة علمية للمكتبة الإسلامية، خصوصاً في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

حدود البحث :

للباحث حدود يلتزم بها في بحثه، دون إسهاب ممل، أو اختصار مخل ــ قدر الإمكان ــ ومن أهم ملامح هذه الحدود البحثية:

- تتناول الدراسة جهود الشيخ بكر أبو زيد من خلال مؤلفاته ودروسه وفتاواه وقضائه.
- تنحصر الدراسة في منهج الشيخ وجهوده الموفّقة في مجال الدعوة دون غيرها من المجالات.
- الدراسة اقتصرت على عصر الشيخ وحياته المباركة، التي أمضاها في خدمة الإسلام والمسلمين، حتى توفاه الله.

تساؤلات البحث :

يحاول الباحث من خلال هذه البحث الإجابة على التساؤلات التالية:

- من هو الشيخ بكر أبو زيد، وكيف كانت نشأته، وطلبه للعلم؟
- ما جهوده العلمية والعملية؟
- ما جهوده ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى؟
- ما الأساليب والوسائل التي استخدمها الشيخ في دعوته؟
- ما الآثار والدروس المستفادة من جهود الشيخ في الدعوة؟

الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث دراسات سابقة تحدثت عن هذا الموضوع بالرغم من أهميته والحاجة ماسة إلى طرقه والبحث فيه. فقد كاتب الباحث مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، واتصل بمكتبة الملك فهد الوطنية، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والجامعة الإسلامية، وجامعة أم القرى. وعَلِمَ الباحثُ أثناء إعداد هذا البحث أن هناك رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بعنوان:

جهود الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها، للطالب: صالح بن عبد الله اليافعي.

وقد استفاد الباحث مما كتب عن سيرة الشيخ بكر رحمه الله، مثل: ((ترجمة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد))، في مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أعدها عبد الله بن بكر أبو زيد؛ وهي ترجمة موجزة، ومقالة بعنوان: ((العلامة بكر أبو زيد بين القضاء والإمامة والعلم))، نشرت في مجلة المستقبل الإسلامي عام ١٤٢٢هـ، بقلم هشام عطية، وهي مقالة مختصرة، ثم ما كتب عن الشيخ بكر من مقالات وإشادات بجهوده المباركة ومؤلفاته القيّمة في بعض المجلات والصحف السعودية الصادرة عقب وفاته رحمه الله تعالى[1].

---

(١) من ذلك: مقالة بعنوان:" رحيل الشيخ بكر أبو زيد وثلمة فقد العلماء"، د. نهار بن عبد الرحمن العتيبي، ومقالة بعنوان: " العالم المحقق فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله " محمد بن أحمد سيد أحمد، نشرتا في مجلة الدعوة، العدد (٢١٣٠)، في ١٤٢٩/٢/٧ هـ، ص٧٢، ومقالة بعنوان: " وإنا على فراق الشيخ بكر لمحزونون " إبراهيم بن عبد العزيز الشثري، ومقاله بعنوان " عالم عاش هموم عصره ونوازله "، الشيخ متعب بن سليمان الطيار، نشرتا في مجلة الدعوة، العدد (٢١٣١)، في ١٤٢٩/٢/١٤ هـ ، ص ٦٤، ص٦٦، ومقالة بعنوان: "اللهم اغفر لبكر وارفع درجته في المهديين " د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، نشرت في مجلة البيان، العدد (٢٤٧) في ربيع الأول ، ١٤٢٩ هـ، ص٩٤، ومقالة بعنوان: " العلامة المفكر: أبو عبد الله بكر بن عبد الله أبو زيد" ، د. يحيى بن عبد الله الشمالي، نشرت في صحيفة المدينة العدد (١٦٤٠٣) في ١٤٢٩/٣/١٣ هـ ، ملحق الرسالة الأسبوعي، ص٦ ، ومقالة بعنوان: "بكر أبو زيد رحمه الله " صالح بن عبد الرحمن العشماوي، ومقاله بعنوان " العلامة بكر أبو زيد العالم الفطين الناصح"، عمر بن عبد الله المشاري، نشرت المقالتان في صحيفة الجزيرة، العدد (١٢٩٥٥) في ١٤٢٩/٣/١٠هـ ص٦، ص٤٢.

ومقالة بعنوان: "الشيخ بكر أبو زيد"، د. محمد القويز، ومقالة بعنوان " فقيد الأمة "، للشيخ متعب الطيار، تم نشرهما في صحيفة الرياض، العدد (١٤٤٧٦) في ١٤٢٩/٢/٤ هـ، ص٤، ص٣٧، ومقالة بعنوان: "حراسه حق، وفقه نوازل، وجهاد قلم" د. صالح بن عبد الله بن حميد، نشرت في صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١٠٦٧٦) في ١٤٢٩/٢/١٣هـ، ص١٦، ومقالة بعنوان: " عزاؤنا في أبي زيد ما ورّث من علم "، د. حسن بن فهد الهويمل، نشرت في صحيفة الجزيرة في ١٤٢٩/٢/٥ هـ ، ومقاله بعنوان: "بكر أبو زيد العالم الخفي " د. يوسف بن احمد القاسم، ص١٣، نشرت في صحيفة الجزيرة، العدد (١٢٩٢١) بتاريخ١٤٢٩/٢/٦ هـ، ومقالة

وكذلك ما كتب عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) عن حياة الشيخ بكر وما فيها من عظات وعبر وفوائد[١]. واستفاد الباحث أيضاً من شروح بعض كتبه والمحاضرات التي ألقيت بعد وفاة الشيخ غفر الله له تضمنت نبذة عن حياة الشيخ، وشيئاً من أخلاقه، وحسن تعامله، وإيضاحاً لمؤلفاته وجهوده العلمية [٢].

مصادر البحث:

اعتمد الباحث على عدة مصادر: أصيلة وثانوية، ومن أهمها ما يلي:

١- كتب الشيخ بكر ومؤلفاته ورسائله وردوده.

٢- ما كتب عن الشيخ في الوسائل المختلفة، من مقالات ورسائل وتعقيبات.

٣- كل مصدر يستفيد منه الباحث سواءً عن طريق أبنائه أو طلابه أو أصدقائه، وكل من له صلة به.

بعنوان: " ومات حارس الفضيلة "، د. سليمان بن عبد الله العمير، ص١٦، نشرت في صحيفة المدينة العدد (١٦٣٨٧) في ١٤٢٩/٢/٢٧ هـ، ومقالة بعنوان: "بكر أبو زيد عالم أمة، وواسع علم، تأنّ تحت وطأة يده الأقلام"، د. محمد بن عبد الرحمن العريفي ص٤، ومقالة بعنوان: "من أجل هذا الكتاب تصدى ابن عثيمين له بالشرح والتفصيل"، صالح بن عواد المغامسي، نشرت في صحيفة المدينة، العدد (١٦٣٨٢) في ١٤٢٩/٢/٢٢هـ، ملحق الرسالة الأسبوعي، ص٤، ومقالة بعنوان:"في وداع الشيخ بكر أبو زيد"، محمد بن أحمد سيد أحمد نشرت في صحيفة عكاظ العدد (١٥١٣٨) في يوم الأربعاء ٢٨ محرم ١٤٢٩ هـ ، ص٣٨. ومقالة أخرى نشرت في نفس الصحيفة العدد (١٥١٣٩) في ٢٩ محرم ١٤٢٩ هـ، عنوانها: " حراسة الفضيلة: رسالة أبو زيد لعفاف المرأة المسلمة"، كتبها: طالب بن محفوظ، ص٢٩.

(١) انظر: www.ahlalhdeeth.com موقع ملتقى أهل الحديث: منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين.

(٢)من ذلك: دروس في شرح حلية طالب العلم، محمد بن صالح بن عثيمين. مادة مسجلة. لدى الباحث نسخة منها. ومحاضرة بعنوان: دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، د. عبد العزيز بن محمد السدحان. مادة مسجلة. لدى الباحث نسخة منها. ومحاضرة بعنوان: رحيل الشيخ بكر، د. محمد بن عبد الرحمن العريفي، مادة مسجلة. لدى الباحث نسخة منها.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد واجهت الباحث أثناء إعداد هذا البحث بعض الصعوبات التي يسر الله تعالى بفضله ومنّه التغلب عليها والتكيّف معها، ومنها:

١- عدم صدور دراسات وبحوث - فيما أعلم - كتبت عن حياة الشيخ بكر وجهوده المباركة، وهذا مما يزيد من الصعوبات على الباحث لعدم وجود المراجع الكافية.

٢- تشتت مصادر البحث، وتفرقها في أماكن عديدة، وبعيدة عن الباحث، مما يتطلب السفر الدائم، والتنقل المستمر، للبحث عن مؤلفاته، ومقابلة أبنائه ومعارفه.

٣- ضخامة موضوع الدعوة في حياة الشيخ بكر، وسعة جوانبه، وتعدد جزئياته.

خطة البحث:

اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس. على النحو الآتي:

فأما **المقدمة** فقد ذكرت فيها :

- موضوع البحث.
- أهمية البحث.
- أهداف البحث.
- أسباب اختيار الموضوع.
- حدود البحث.
- تساؤلات البحث.
- الدراسات السابقة .
- مصادر البحث .
- صعوبات البحث.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- الشكر والثناء.

وأما التمهيد، فيتضمن تعريفاً بالشيخ بكر أبو زيد، رحمه الله تعالى .

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته.

المبحث الثاني: مولده، ووفاته.

المبحث الثالث: نشأته العلمية، ورحلاته.

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الخامس: دروسه وفتاواه وقضاؤه.

المبحث السادس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: مؤلفاته، وإشرافه العلمي.

الفصل الأول: جهود الشيخ بكر أبو زيد في مجال الدعوة الإسلامية:

ويتضمن أربعة مباحث، على النحو الآتي:

المبحث الأول: جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وبيان منهج السلف الصالح، والتحذير من أخطار التيّارات الفكرية المعاصرة.

وفيه سبعة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: جهود الشيخ في إيضاح مسائل العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: دعوة الشيخ إلى التمسك بالكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، وبيان خطر الابتداع في الدين.

المطلب الثالث: بيان الشيخ للمنهج القويم في مسائل التكفير والحكم على الآخرين.

المطلب الرابع: دعوة الشيخ إلى الوسطية، والبعد عن الغلو في الدين.

المطلب الخامس: جهود الشيخ في التصدي للتيّارات الفكرية المعاصرة، وبيان خطرها على الأمة.

المطلب السادس: دعوة الشيخ إلى الاجتماع والتحذير من الاختلاف.

المطلب السابع: منهج الشيخ في دعوة الحكّام، وبيان حقوق الراعي والرعية.

المبحث الثاني: جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى شرائع الإسلام، وتحكيم الشريعة الإسلامية.

وفيه ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: جهود الشيخ في الدعوة إلى أركان الإسلام، وبيان حاجة الناس إلى تطبيقها .

المطلب الثاني: جهود الشيخ في الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وبيانه لخطر تحكيم القوانين الوضعية.

المطلب الثالث: جهود الشيخ في الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، والآداب المرعية، والأذكار الشرعية .

المبحث الثالث: جهود الشيخ بكر في دعوة الأسرة المسلمة، وإلى صيانة المرأة وتحذيره لها من التبرج والسفور.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جهود الشيخ في دعوة الأسرة المسلمة.

المطلب الثاني: دعوة الشيخ إلى صيانة المرأة، وتحذيره لها من التبرج والسفور.

المبحث الرابع: جهود الشيخ بكر ومنهجه في توجيه الدعاة، وطلبة العلم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جهود الشيخ في الذبّ عن العلماء، والتحذير من النيل منهم، أو انتقاصهم، أو تحريف كلامهم.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في توجيه الدعاة من العلماء، وطلبة العلم .

الفصل الثاني: وسائل وأساليب الدعوة في منهج الشيخ بكر أبو زيد .

وفيه مدخل ومبحثان:

المدخل: يتضمن بيان أهمية استخدام الوسائل المناسبة، والأساليب المثلى في الدعوة.

المبحث الأول: الوسائل الدعوية في منهج الشيخ بكر،

وفيه سبعة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: وسيلة طلب العلم.

المطلب الثاني: وسيلة الكتابة، والتأليف، وإحياء التراث الإسلامي.

المطلب الثالث: وسيلة الإفتاء.

المطلب الرابع: وسيلة الإمامة والخطابة.

المطلب الخامس: وسيلة التدريس.

المطلب السادس: وسيلة القضاء.

المطلب السابع: وسيلة الانتساب للمؤسسات والمنظمات الدعوية الرسمية.

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية في منهج الشيخ بكر.

وفيه ستة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة.

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة.

المطلب الثالث: أسلوب القدوة الحسنة، والأخلاق العالية.

المطلب الرابع: أسلوب الجدال والحوار.

المطلب الخامس: أسلوب ضرب الأمثال والقصص.

المطلب السادس: أسلوب البلاغة.

الفصل الثالث: الآثار الدعوية والدروس المستفادة من منهج الشيخ بكر أبو زيد في مجال الدعوة الإسلامية.

وفيه مبحثان، على النحو الآتي:

المبحث الأول: الآثار الدعوية والمنهجية للشيخ بكر على طلابه ومجتمعه وأمته.

وفيه ثلاثة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: آثار دعوة الشيخ على طلابه.

المطلب الثاني: أثار دعوة الشيخ على مجتمعه.

المطلب الثالث: آثار دعوة الشيخ على الأمة.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من جهود الشيخ بكر ومنهجه في الدعوة.

وفيه ستة مطالب، على النحو التالي:

المطلب الأول: فوائد علمية منهجية.

المطلب الثاني: فوائد عملية سلوكية.

المطلب الثالث: فوائد دعوية.

المطلب الرابع: فوائد تربوية.

المطلب الخامس: فوائد اجتماعية.

المطلب السادس: فوائد اقتصادية.

وأما **الخاتمة**: فتضمنت الآتي:

أولاً: خلاصة البحث.

ثانياً: نتائج البحث.

ثالثاً: التوصيات الاقتراحات.

وأما **الفهارس** الفنية فاشتملت على ما يلي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الآثار والأقوال.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصطلحات، والكلمات الغريبة.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث :

استخدم الباحث المنهج التاريخي عند الحديث عن سيرة الشيخ ومراحل طلبه للعلم وشيوخه ومناصبه، والمنهج الوصفي في عرض جهوده ومؤلفاته، وكذا المنهج التحليلي في إيضاح بعض المسائل وتحريرها وترجيح الأقوال عند الاختلاف إن وجد.

مع الالتزام بالخطوات التالية:

١- عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، فقد اكتفيت بالعزو إلى ذلك، وإلا خرجته مع نقل حكم العلماء عليه. وقد اعتمدت في ترقيم الأحاديث النبوية على (موسوعة الحديث الشريف)، إصدار شركة (حرف)،رقم الإصدار (٢,١)، واخترت ترقيم (العالمية) عند العزو لجميع الأحاديث المروية في الكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند أحمد، وسنن الدارمي. أما ما عدا ذلك فإني التزم بالترقيم الموجود في الطبعات كما هو مبين في الحاشية وفهرس المصادر والمراجع.

٣- عزو النقول إلى مصادرها التي استفدت منها بدقة، حسب الطريقة المتبعة في البحث العلمي.

٤- ترجمة الأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في ثنايا البحث، ترجمة موجزة.

٥- بيان معنى الغريب من الألفاظ والكلمات الواردة في البحث.

٦- التعريف بالأماكن والمواقع غير المشهورة حيثما وردت في البحث.

٧- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٨- تذييل البحث بفهارس فنية، تسهّل العودة إلى مواده والاستفادة منه، كما هو مبين في الخطة.

الثّناء والشكر:

في الختام أحمد الله عز وجل، وأشكره على ما أنعم به عليّ ووفقني إليه، وأسأله سبحانه التوفيق والسداد في هذا البحث، وفي غيره، وفي شأني كله.

ثم إنه من الاعتراف بالجميل أرى من الواجب عليّ بعد شكر الله جل شأنه، ثم والديّ الكريمين ــ حفظهما الله ــ أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى القائمين على الجامعة الإسلامية وعلى رأسهم مديرها الفاضل معالي الأستاذ الدكتور/ محمد بن علي العقلا وفقه الله ورعاه. وأخص بالشكر والثناء القائمين على كليّة الدعوة وأصول الدين، وعمادة الدراسات العليا، وكليّة خدمة المجتمع، على ما قدموه لي ولأبناء المسلمين من عناية ورعاية. فجزاهم الله عنا وعن الإسلام وأهله خير الجزاء، ووفقهم إلى ما فيه رفعة الإسلام وعز المسلمين.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى شيخي وأستاذي: الأستاذ الدكتور/ عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الذي شجعني عند اختيار الموضوع، وتفضل بالإشراف على هذا البحث، وبذل لي من جهده ووقته الشيء الكثير، ولم يبخل عليّ بنصح أو توجيه. فأسأل الله عز وجل أن يبارك له في علمه وعمره وذريته، ويجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

كما أتقدم بعظيم الشكر للأستاذين الكريمين والعالمين الفاضلين:

فضيلة الأستاذ الدكتور/ حمود بن أحمد الرحيلي سلمه الله.

وفضيلة الدكتور/ عبيد بن عبد الله السحيمي سلمه الله.

الذين تكرما مشكورين بقبول مناقشة هذا البحث، وإبداء ملاحظاتهما، والتي ستكون بمشيئة الله في عين الاعتبار من قِبَل الباحث، والاستفادة منها حاضراً ومستقبلاً. ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أذكر أساتذتي في قسم الدعوة بجميل الثناء وحسن العهد بما استفدته - ولا زلت أستفيد - منهم، فأسأله سبحانه أن يبارك في جهودهم، ويسدد خطاهم، ويجعل ما قدموه في موازين أعمالهم.

كما أشكر كل من ساعدني وقدم لي يد العون أثناء إعداد هذا البحث، بإبداء رأي، أو ملاحظة، أو زوّدني بمعلومة، أو تكرّم علي بإعارة كتاب، أو غير ذلك.

وبعد: فقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي، وذكرت فيه مبلغ علمي، فإن أصبت في شيء منه فهو من محض فضل الله عليّ وإحسانه إليّ، وأما الخطأ فهو واقع لا محالة، ولا يستغرب وقوعه من مثلي، فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يغفر لي خطئي وعمدي وكل ذلك عندي، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني لخدمة كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،،،،

* * * *

تَمْهِيدٌ

التمهيد: يتضمن تعريفاً بالشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى -

وفيه سبعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته.

المبحث الثاني: مولده، ووفاته.

المبحث الثالث: نشأته العلمية، ورحلاته.

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الخامس: دروسه، وفتاواه، وقضاؤه.

المبحث السادس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث السابع: مؤلفاته، وإشرافه العلمي.

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:

أولاً: اسم الشيخ ونسبه:

هو العالم الرباني، والمصنِّف الأثري الإسلامي، صاحب التصانيف الشهيرة، والرسائل العلمية الدقيقة، وصاحب الردود المفحمة الرصينة، معالي الشيخ الدكتور العلاّمة: بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحي بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم[(١)]، وعالية نجد[(٢)].

وهو من بيت عرف بالصلاح والعفاف والكرم[(٣)].

ثانياً: كنيته:

الشيخ بكر رحمه الله يكنّى بأبي عبد الله، نسبة إلى ابنه الأكبر عبد الله حفظه الله ورعاه، وبقية إخوته.

* * * *

(١) الوشم، بفتح الواو وإسكان الشين: إقليم من أقاليم (اليمامة) الكبيرة، ويقع غربيها شماليها، وقاعدته مدينة (شقراء). والوشم تابع إدارياً لمنطقة الرياض. انظر: المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية (معجم اليمامة)، عبد الله بن محمد بن خميس، (ج٢/ ص٤٤١،٤٤٢)، وموسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، إصدار دارة الملك عبد العزيز بالتعاون مع هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، (ج٥/ ص٥٤٥).

(٢) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ترجمة الشيخ بكر أبو زيد، أعد الترجمة الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد، (ج١/ ص١٥).

(٣) دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، عبد العزيز بن محمد السدحان، مادة مسجلة.

المبحث الثاني: مولده، ووفاته:

أولاً: مولد الشيخ بكر:

ولد عام خمسة وستين وثلاث مئة وألف من الهجرة، في حاضرة الوشم في نجد، وتربى فيها[١] ، ونشأ نشأة كريمة في بيت صلاح وثراء وعراقة نسب.

متزوج وله من الأولاد عشرة: خمسة ذكور وخمس إناث[٢]

ثانياً: وفاة الشيخ بكر:

كانت وفاة الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - إثر مرض عانى منه طويلاً، في يوم الثلاثاء ٢٧ /٠١ /١٤٢٩هـ [حسب تقويم أم القرى]، الموافق ٢٠٠٨/٠٢/٠٥م، بمدينة الرياض، عن عمر ناهز الـ٦٣ عاماً، مخلفاً وراءه إرثاً علمياً، وسيرة عطرة، قلّما توجد في هذا العصر.

وأدّيت الصلاة عليه بعد صلاة العشاء، بمسجده الذي بناه بجوار مسكنه بحي العقيق، بمدينة الرياض. وفقاً لوصية الشيخ رحمه الله.

وشيّعه أكثر من عشرين ألف مصل امتدوا على الطرقات المؤدية للمسجد.

يتقدمهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ[٣]، وبحضور أصحاب السمو الأمراء وأصحاب المعالي ومحبي الشيخ وطلاب العلم، حيث اكتظّت بهم الشوارع المحيطة بالمسجد والمقبرة.

---

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،(ج١/ ص١٥).

(٢) ذكر ذلك الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد حفظه الله خلال مقابلة الباحث له في مكتبه بالرياض بتاريخ ١٤٢٩/١٠/٢٦هـ. (الباحث).

(٣) هو سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإمام وخطيب جامع الإمام تركي بن عبد الله بالرياض، وتولى الخطابة في مسجد نمرة يوم عرفة منذ عام ١٤٠٢هـ حتى الآن، ويشارك في الفتوى وإلقاء المحاضرات والندوات، ولد في الرياض عام ١٣٦٢هـ، انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١/ ص١٣، ١٤).

وقد وُوري جثمان الشيخ بكر الثرى بعد صلاة العشاء رحمه الله رحمة واسعة في مقبرة الدرعية [(١)].

فمنذ أن ترامت الأنباء إلى مسامع الناس بموت الشيخ بكر رحمه الله، فبيته لا يوصل إليه بسهولة وبخاصة أنّ كثيراً من الناس لا يعرفونه، والمسجد بعيد نسبياً عن بيته، ومع هذا كله، فقد تكاثرت الجموع حتى سُمِع بعدما انتهت صلاة الجنازة عليه قول بعضهم: الذين ما صلوا أكثر من الذين صلوا [(٢)].

إنّ جنازة هذا العالم الرباني لم تكن صامتة كسمته وكثرة صمته، بل ذكرتنا بمقالة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله: ((موعدكم يوم الجنائز))[(٣)]. والتي تجلّت في جنازة الشيخ بكر بن عبد الله بأعدادها وكثرة أتباعها، رغم سرعة تجهيزه والصلاة عليه خلال ساعات قلائل من وفاته، فقد مات عصر الثلاثاء، الساعة الرابعة، وصلي عليه بعد صلاة العشاء في نفس اليوم. إلا أنّ الجموع الغفيرة، والأعداد الهائلة الكثيرة، تدفقت كالسيول الجارفة، وأسرعت سرعة الطيور المهاجرة، للصلاة عليه في مسجده الذي بناه على نفقته رحمه الله لترد جميله وتؤدي حقه، من علماء ودعاة وأساتذة وقضاة وشيب وشباب [(٤)].

وقد أديت صلاة الغائب على فضيلته عقب وفاته في عدة بلدان إسلامية، وغير إسلامية، مثل: مصر وسوريا واليمن والهند وأمريكا [(٥)].

---

(١) انظر: صحيفة الرياض، العدد (١٤٤٧١)، بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٢٩هـ، ص٣٣، وصحيفة الجزيرة، العدد (١٢٩١٤)، بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٩هـ [حسب رؤية الهلال] ص٧، وصحيفة عكاظ، العدد (١٥١٣٨)، بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٢٩ هـ ص٣٨.

(٢) دروس وعبر من حياة الشيخ بكر ، مادة مسجلة.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، (ج١١/ ص٣٤٠).

(٤) انظر: مجلة الدعوة، العدد (٢١٣١)، بتاريخ ١٤ صفر ١٤٢٩هـ مقالة للشيخ متعب بن سليمان الطيار بعنوان: "عالم عاش هموم عصره ونوازله"، ص٦٦ .

(٥) ذكر ذلك الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد حفظه الله خلال مقابلة الباحث له في منزله بالرياض بتاريخ ١٦/٥/١٤٣٠هـ. (الباحث).

وما أنْ تنامى خبر وفاة شيخ المحققين الشيخ العلامة: بكر بن عبد الله أبو زيد - رحمه الله وغفر له ورفع درجته ونفعنا بعلومه ومؤلفاته في الدارين، آمين - حتى جادت قرائح المحبين والمتابعين لجهوده بأفضل القصائد وأجود الأبيات الشعرية في رثائه، وقد آلمهم فراقه، وحزنوا على وفاته، ولكن العزاء في ما ترك من تراث قلّ له نظير، وعزّ أن يُماثل.

فمن المراثي التي رثي بها الشيخ رحمه لله رحمة واسعة:

القصيدة الأولى[1]:

يا صاحِ قف ألهبتَ قلبيَ بالخبر ... وسقيتني جامَ المصيبةِ في الأثر

وأسلتَ ماءَ العين حتى خلته ... مزن الفراق بمائه المرِّ انهمر

أو تَدرِي من ترثي إذِ انسلخَ الضحى ... أو تَدرِي من قد مات إذ قلتَ الخبر

الشيخُ بكرٌ ذو الوقار وذو التقى ... علمُ الهدى شيخُ الشريعة والأثر

آمنتُ بالرحمن جلَّ قضاؤه ... لله شأن في القضاء وفي القدر

لكنني أبكي العلومَ شريفةً ... أبكي يمينَ الصدق واراها الحجر

أبكي رسائلَ كنَّ أمناً وارفاً ... ريانةً بالعلم حَفلى بالدرر

أصَّلتَها فصَّلتَها حصَّلتَها ... لله درُّك كالمحيط إذا زخر

كنتَ المحدِّثَ والرسائلُ ثرةٌ ... تأصيلُ تخريج ونسخٌ مشتهر

كنتَ الفقيهَ ملكتَه بزمامِه ... شَهِدَتْ مسائلك الحسانُ بما خطر

في حليةِ العلماء كنتَ موفقاً ... سِفرُ التعالم كان دفعا للغرر

وبمدخلٍ أصَّلتَ مذهبَ أحمد ... والبُلغةُ الحسناءُ كانت كالقمر

وبمعجم الألفاظ كنتَ مسدداً ... في النهي عن ما شذَّ معنىً واشتهر

وحراسةُ الفضل النبيل فضيلةٌ ... قد حزتَها في درةٍ لا كالدرر

هَدَمَت صروحاً هشةً لمنافقٍ ... عادت بنا الذكرى لدرتهِ عمر

---

(١) كتبها الأخ / بلال بن إبراهيم الفارس، راجع: www.ahlalhdeeth.com: موقع ملتقى أهل الحديث.

والاختيـــاراتُ الحـــسانُ صـــقلتَها شمخت فكانت ماتعـــاتٍ للنظـــر
كنتَ ابنَ تيميـــةٍ وكنـــتَ جليـــسَهُ لله دَرُّكَ راحـــلاً تـــركَ الأثـــر
رباه هـــذا شـــيخُنا ضـــيفٌ أتـــى أكـــرم منازلَـــه وبَوِّئْـــهُ الحُجَـــر
واجمعه في الفردوس مع خير الـــورى وأَفِض عليه العفو شيخاً قـــد غـــبر
ربـــاه واجـــبر كـــسرَنا في راحـــلٍ كان الإمامَ الصادقَ الشهمَ الأغـــر

القصيدة الثانية[1]:

لقد ضجت الأقلام تبكي مع الحـــبر وأمست دموع العلم في خده تجري
وأعلنت الكتـــب الحـــداد لفقـــده وزلزل أهل العلم والفقه والـــذكر
وأكباد طـــلاب العلـــوم تقرحـــت وليس لمن يدري ولم يبكِ من عذر
لقد مات حـــبر مـــن أئمـــة ديننـــا وذالك ثلـــم لا يـــسد إلى الحـــشر
لقد مات بكر مـــا أشـــد مـــصابنا بفقد إمام مـــن أئمـــة ذا العـــصر
وليس بترع العلـــم يحـــصل قبـــضه ولكن بموت العـــالمين أولي الـــذكر
لقد غاب بدر ساطع عـــن سمائنـــا وفي الليلة الظلماء يحتـــاج للبـــدر
لقد كان كالنجم المـــضيء هدايـــة ورجما شـــياطين الرذيلـــة والعهـــر
فلو كان في ملكي لأهديت راضـــيا بغبطة المكتوب في الغيب من عمري
أيـــارب فاجعلـــه بخلـــد مخلـــدا مع الرسل أهل العزم في جنة البَـــرِّ
لئن مات ما ماتت جـــواهر علمـــه فتصنيفه في العلم باق مدى الـــدهر
وقد فاق تـــصنيف الإمـــام بحـــسنه فكان كياقوت وعقد مـــن الـــدر
فقد أبدع الـــشيخ الجليـــل نظـــائرا وضمنها من رائع العلـــم والفكـــر
وزيـــن طـــلاب العلـــوم بحليـــة وصحح للداعين ما كان من نكـــر
وأتحـــف فقـــه الحنبلـــي بمـــدخل بتفصيله قد صار من أعظم الـــذخر

(١) كتبها الأخ / عامر بن بهجت، راجع: www.ahlalhdeeth.com: موقع ملتقى أهل الحديث.

وقرب علماً قد قصى عن مريده ... بتقريبه علم ابن قيم الحبر

وحرر فقهاً للنوازل ساطعاً ... وبين ما حق المؤلف في السِّفر

وأظهر تغريباً بألفاظ عصرنا ... وأردى بأرباب التعالم للقبر

وكان على حصن الفضيلة حارساً ... فلوحت الرايات بالفوز والنصر

وفر دعاة العهر يبكون خيبة ... يجرون أذيال الهزيمة والخسر

ومعجمه في النهي عن كل لفظة ... مذممة من قولة السوء والهُجر

وحذر تصنيف العباد جهالة ... وأبطل خلط الحق مع ملل الكفر

وفي مسجد المختار كم أمّ أمة ... ودرس نصف العلم في حلق الذكر

فرحماك ربي عد أحرف كتبه ... وعد رمال الأرض مع عدد القطر

ومهما أقُل في بكرنا في رثائه ... فإنّ مصاب الناس يربو على الشِّعر

وعذرا فَحِبْرِي في حداد ولوعة ... وسطرت بالدمع الرثاء مع الحِبْرِ

القصيدة الثالثة[1]:

لَحَا اللهُ دنيا لا يدومُ لها عهدُ ... وفي أمْنها غدرٌ وفي قُربها بُعْدُ

وفي حلوها مُرٌّ وفي سعدها أسى ... وشانئها حُرٌّ وعاشقها عبدُ

إذا جدّدت أبلتْ وإن بشّرتْ نعتْ ... وإن أضحكتْ أبكتْ وفي وصلها فقدُ

وأيامُها جَهدٌ وكربٌ وغصّةٌ ... وأولُها ضعفٌ وآخرُها لحدُ

وإن رفعت أوهت وإنْ تمَّ عِقدُها ... ففي غمضة الأجفانِ ينفرطُ العقدُ

وللموتِ من بين المقاديرِ وثبةٌ ... تضجُّ بها الشكوى ويشتعلُ الوجدُ

أبا زيد يا بكر المكارمِ والندى ... رحلتَ وفي أكفانكَ العلمُ والمجدُ

وقد كنتَ للأيامِ قُرّةَ عينها ... فيا ضيعة السلوى وقد عظُمَ الفقدُ

(١) كتبها الأخ / صالح بن علي العمري، راجع: www.ahlalhdeeth.com: موقع ملتقى أهل الحديث.

وقفتَ على صرح الفضيلة حارسـا ... وفي كفّك القرآنُ والعقلُ والرُّشـدُ

وحليّت طُلابَ العلـوم بحليـة ... قلائدُها الآيـاتُ والسُّنـة العِقدُ

وكنتَ على الإفسـادِ سيـفا مُهنداً ... تجرّدَ في الرحمن لـيس لـه غمـدُ

ودبّجت في فقـه النوازل باقـةً ... فما هي إلا النورُ والمسكُ والـشهدُ

وجاءت سيولُ الغربِ تقتحمُ المـدى ... فكنت لها سدّا ألا بورك الـسـدُّ

وكم بدعةٍ غارت وكم سنّةٍ فـشت ... وما أنت إلا الحقُّ والبـذلُ والجـدُّ

وفيٌّ خفيٌّ مـا احتفيـتَ بـشُهرةٍ ... وأنت شعارُ الزهدِ ما ذُكرَ الزهـدُ

وفي لفظكَ المسبوكِ يعشوشب الفـلا ... وتُستنبتُ التقوى ويـضّوّعُ النـدُّ

وعندك فصلُ القولِ إن ماجتْ الحجا ... وأنت سِقاءُ العلمِ إن قُصدت نجـدُ

وفي وعظكَ الرقراقِ لـينٌ وحكمـة ... وسيرتُكَ الأخلاقُ والعدلُ والقصدُ

مرضتَ وفي الأسقامِ طُهْـرٌ ورفعـةٌ ... وأنفاسكُ الأذكارُ والشكرُ والحمدُ

نغالطُ فيكَ السمـعَ حُبَّـا وخشيةً ... على أنَّ وِرْدَ الموتِ ليسَ لـه بُـدُّ

فلمّا تناهى الخطب في كلِّ بقعـة ... وطابت - بإذن الله- في رِفدكَ الخُلدُ

تأسّى حبيبٌ واسـتراح منـافقٌ ... فلا عاش من أزرى بوجدانه الحقـدُ

أيا شيخُ تبكيكَ الدموعُ توجّـدا ... ويحملكُ الوجدانُ والأعينُ الـسُّهْدُ

عليكَ سلام الله ما أومضَ الـسّنـا ... وما أمطرتْ سُحْبٌ وما أعبق الوَرْدُ

وأسقى ثراك اليُمْنُ والطِيبُ والثنـا ... وظللكَ الرضوانُ والـبرُّ والـسعدُ

رحم الله الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمة واسعة، ورفع درجته في المهديين، وأخلفه في عقبه في الغابرين، وسلام عليه يوم يموت، وسلام عليه يوم يبعث حياً.

* * * *

المبحث الثالث: نشأته العلمية، ورحلاته:

أولاً: نشأة الشيخ بكر العلمية[1]:

درس الشيخ بكر رحمه الله في الكُتّاب حتى السنة الثانية الابتدائية، في بلده الوشم، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ، وفيها واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرّج عام ٨٧ هـ/ ٨٨ هـ في كلية الشريعة بالرياض منتسبًا، وكان ترتيبه الأول.

وهذا يدل على ذكائه وفطنته في مقتبل عمره.

وكان الشيخ بجانب دراسته النظامية يلازم حلق عدد من المشايخ في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

ففي الرياض أخذ علم الميقات من الشيخ القاضي "صالح بن مطلق"[2]، وقرأ عليه خمسًا وعشرين مقامة من مقامات الحريري [3]، وكان- رحمه الله- يحفظها، وفي الفقه: زاد المستقنع للحجاوي [4]، كتاب البيوع فقط.

---

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،(ج١/ ص١٥-١٧). ودروس وعبر من حياة الشيخ بكر، مادة مسجلة.

(٢) صالح بن مطلق بن ليفان، ولد في حوطة بني تميم عام ١٣٠٧هـ، عين قاضياً في هجرة الرين من هجر قحطان، ثم قاضياً في حفر الباطن، ثم طلب إعفاءه من القضاء، وتفرغ للعبادة وطلب العلم، توفي عام ١٣٨٥هـ . انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، (ج٢/ ص٥٤٨).

(٣) القاسم بن علي الحريري، صاحب المقامات الشهيرة، كان أحد أئمة عصره، ولد سنة ٤٤٦هـ، وتوفي سنة ٥١٥هـ وقيل: ٥١٦هـ، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن خلكان، (ج٤/ ص٦٣، ٦٧).

(٤) هو موسى بن أحمد الحجاوي المقدسي، فقيه حنبلي، من أهل دمشق، كان مفتي الحنابلة وشيخ الإسلام فيها، ولد عام ٨٩٥هـ وتوفي عام ٩٦٨هـ . انظر: الأعلام للزركلي، (ج٧/ ص٣٢٠)، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله بن حميد، ص٤٧٢.

وفي مكة قرأ على سماحة شيخه الشيخ "عبد العزيز بن عبد الله بن باز [١] " كتاب الحج، من (المنتقى) للمجد ابن تيمية [٢]، في حج عام ١٣٨٥ هـ بالمسجد الحرام.

واستجاز المدرس بالمسجد الحرام الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان [٣]، فأجازه إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة، وفي المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في (فتح الباري) و (بلوغ المرام) وعدد من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته، إذ لازمه نحو سنتين وأجازه.

ولازم سماحة شيخه الشيخ "محمد الأمين الشنقيطي [٤] " نحو عشر سنين، منذ انتقل إلى المدينة المنورة، حتى توفي الشيخ محمد الأمين في حج عام ١٣٩٣هـ- رحمه الله تعالى- فقرأ عليه في تفسيره: (أضواء البيان)، ورسالته: (آداب البحث والمناظرة)، وانفرد

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز، ولد في الرياض عام ١٣٣٠هـ، تولى رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة، ثم عين رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ثم عين مفتياً عاماً للمملكة ورئيساً لهيئة كبار العلماء ورئيساً للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، حتى توفي عام ١٤١٩هـ، له عدة مؤلفات قيمة ونافعة. انظر: مقدمة مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، محمد الشويعر، ص٩- ١١.

(٢) مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية الحراني، فقيه العصر وشيخ الحنابلة، ولد بحران سنة ٥٩٠هـ، وتوفي بها سنة ٦٥٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (ج١٤/ ص٢٧١، ٢٧٢)، والبداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، (ج١٣/ ص١٨٥).

(٣) سليمان بن عبد الرحمن بن محمد آل حمدان، ولد في مدينة المجمعة عام ١٣٢٢هـ، عين قاضياً في محكمة الطائف، وإمام وخطيب مسجد ابن عباس، ثم نقل إلى قضاء المدينة وصار إماماً وخطيباً في المسجد النبوي ومدرساً فيه، ثم نقل إلى مكة المكرمة وأصبح عضواً في رئاسة القضاء، توفي بالطائف عام ١٣٩٧هـ. انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، (ج٢/ ص٢٩٥-٣٠٠).

(٤) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد عام ١٣٢٥هـ بالقطر المسمى (شنقيط)، في دولة موريتانيا الإسلامية، من كبار العلماء وأشهر المفسرين، توفي عام ١٣٩٣هـ، من أشهر كتبه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ومذكرة أصول الفقه، وآداب البحث والمناظرة. انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، ص٩، ١٠، ٧٥وما بعدها، ١٧٨.

بأخذ علم النسب عنه، فقرأ عليه كتاب: (القصد والأمم) لابن عبد البر [(١)]، وبعض كتاب: (الإنباه) لابن عبد البر أيضًا، وقرأ عليه بعض الرسائل، وله معه مباحثات واستفادات، ولديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها، وقد جمعها في ثبت مستقل. ولم تطبع بعد.

والشيخ بكر رحمه الله عرف عنه حرصه الشديد على طلب العلم، وحضور الدروس العلمية، وخاصة دروس شيخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي، فقد كان يحضر حلقة الشيخ الأمين في التفسير في رمضان لم يتخلف يوماً واحداً[(٢)].

وفي عام ١٣٩٩هـ / ١٤٠٠هـ، درس في المعهد العالي للقضاء منتسبًا، فنال شهادة العالمية (الماجستير)، وكانت رسالته بعنوان: (الحدود والتعزيرات عند ابن قيم الجوزية)، وفي عام ١٤٠٣هـ تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه)، وعنوان رسالته: (أحكام الجناية على النفس وما دونها عند ابن القيم الجوزية)، وكان أحد المناقشين له العلامة الفقيه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[(٣)] حفظه الله تعالى[(٤)].

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة ٣٦٨هـ، ومات سنة ٤٦٣هـ . انظر: سير أعلام النبلاء، (ج١٤/ ص٤٥٢، ٤٥٥).

(٢) انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، جمع وتصنيف عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، ص٢١٥.

(٣) هو الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ـ حفظه الله ـ، ولد عام ١٣٥٤هـ بالقصيم، انتقل إلى الرياض ودرس في كلية الشريعة وتخرج منها ونال درجة الماجستير ثم الدكتوراه في الفقه، مدير المعهد العالي للقضاء سابقاً، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بالرياض، له مؤلفات نافعة. انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١/ ص٧- ١١).

(٤) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،(ج١/ ص١٥ـ ١٧). ودروس وعبر من حياة الشيخ بكر.

ثانياً: رحلاته:

رحل الشيخ بكر - رحمه الله - لطلب العلم داخل المملكة العربية السعودية، فقد قصد مدينة الرياض، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، وأخذ العلم عن مشائخ فضلاء، وعلماء أجلاء، كما مر ذكره.

يقول الشيخ بكر غفر الله له في الحث على الرحلة في طلب العلم وبيان أهميتها: "من لم يرحل في طلب العلم؛ للبحث عن الشيوخ، والسياحة في الأخذ عنهم فيبعد تأهله لِيُرْحَلَ إليه، لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم، وتعليمهم والتلقي عنهم لديهم من التحريرات والضبط والنكات العلمية والتجارب ما يعز الوقوف عليه أو على نظائره في بطون الأسفار"(١).

أما الرحلات الخارجية، والسفر إلى الدول الأخرى، فقد سافر الشيخ بكر غفر الله له إلى عدة دول؛ لنشر العلم، وخدمة الإسلام والمسلمين، وأول دولة حط الشيخ رحاله فيها هي جمهورية مصر العربية، وبالتحديد مدينة القاهرة؛ كان ذلك في شبابه (٢) ، ثم قصر رحلاته إلى الدول التي عقد فيها مجمع الفقه الإسلامي الدولي جلساته، بصفته رئيساً للمجمع، وهي كالآتي(٣):

- دولة الأردن، مدينة عمان، في عام ١٤٠٧هـ
- دولة الكويت، مدينة الكويت، في عام ١٤٠٩هـ
- دولة بروناي، مدينة دار السلام، في عام ١٤١٤هـ
- دولة الإمارات، مدينة أبو ظبي، في عام ١٤١٥هـ

---

(١) حلية طالب العلم، بكر أبو زيد، ص٥١.

(٢) مقالة للأخ: عبد الله بن عبد العزيز الهدلق، راجع: www.ahlalhdeeth.com: موقع ملتقى أهل الحديث. وأفادني الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد حفظه الله بأن والده سافر إلى القاهرة في مقتبل شبابه لطلب العلم. (الباحث).

(٣) انظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الأعداد: ١١/ عام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ١٣/ عام ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ١٤/ عام ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ١٦/ عام ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، وموقع المجمع: www.fighacademy.org.ca .

-دولة البحرين، مدينة المنامة، في عام ١٤١٩هـ

-دولة الكويت، مدينة الكويت، في عام ١٤٢٢هـ

-دولة قطر، مدينة الدوحة، في عام ١٤٢٣هـ

-دولة عُمَان، مدينة مسقط، في عام ١٤٢٥هـ

وهذه آخر دولة يسافر إليها الشيخ بكر لتغلّب المرض عليه، والحيلولة دون إكمال رحلاته العلمية في سبيل خدمة دينه ثم أمته ووطنه.

ومع ذلك فقد كان إلى آخر يوم في حياته المباركة حريصاً كل الحرص على نفع الإسلام والمسلمين وتحقيق ما تصبو إليه الأمة من تقدم ورفعة وسؤدد.

* * * *

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه:

أولاً: شيوخ الشيخ بكر:

أبرز الشيوخ والعلماء الذين أخذ عنهم واستفاد منهم الشيخ بكر، هم: الشيخ القاضي صالح بن مطلق رحمه الله، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله، وسماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله[١].

وأما الشيخ حماد الأنصاري [٢] رحمه الله فقد كان يتردد عليه الشيخ بكر رحمة الله عليه كثيراً ويستفيد من مكتبته الكبيرة القيّمة، وقد قال عنه الشيخ حماد عليه رحمة الله تعالى: "إن الشيخ بكر أبو زيد حريص و مجتهد، رأيت منه حرصاً ما رأيته في أحد، وكان تلميذي الخاص، لا يغادر مكتبتي، و كنت أُعرِّفه بالمراجع" [٣] .

وكان الشيخ بكر باراً بجميع مشايخه، فلا يذكرهم إلا بالثناء والدعاء. وهذا من إنصافه رحمه الله تعالى وعدله، وكل ما كان التلميذ باراً بشيخه حياً وميتاً فاعلم أن ذلك ممن نفعه الله بالعلم [٤] .

ثانياً: تلاميذه:

دَرَّس الشيخ بكر رحمه الله في المسجد النبوي الشريف، ودرَّس في المعهد العالي للقضاء، ودرَّس في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وكل من دَرَسَ

---

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١/ ص١٥ــ ١٧).

(٢) حماد بن محمد الأنصاري الخزرجي، ولد عام ١٣٤٤هــ بمنطقة (تاد مكة) إحدى مدن مالي بأفريقيا، درَّس في معهد إمام الدعوة بالرياض، ثم في الجامعة الإسلامية في المدينة، توفي عام ١٤١٨هــ بالمدينة المنورة، خلَّف وراءه تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الفروع والأصول. انظر: المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري، وجمع وترتيب: عبد الأول بن حماد الأنصاري، (ج١/ ص٧، ٦١، ٦٩، ٩٥).

(٣) المصدر السابق، (ج٢ / ص٦٧٦) .

(٤) دروس وعبر من حياة الشيخ بكر. مادة مسجلة.

عنده فهو من تلاميذه، وأوسع من ذلك وأعظم كل من استفاد من كتبه يعد من تلاميذه حكماً [١] .

وأفادني ـــ الشيخ عبد الله بن الشيخ بكر ـــ حفظه الله ـــ بأنّ والده لم يعقد درساً ولا أقام محاضرة منذ قدومه للرياض، حتى توفي رحمه الله، فلم يكن له طلاب بالمعنى المتعارف عليه، ولكن له محبون وقارئون ومتابعون لمؤلفاته. ولم يعثر الباحث على من دَرَسَ على يد الشيخ بكر رحمه الله سواءً التدريس النظامي، أو ممن درس عليه في المسجد النبوي الشريف، في تلك الأيام.

* * * *

(١)المصدر السابق.

المبحث الخامس: دروسه، وفتاواه، وقضاؤه:

أولاً: دروس الشيخ بكر:

زاول الشيخ بكر رحمه الله التدريس في المسجد النبوي الشريف عام ١٣٩٠هـ فاستمر في التدريس حتى عام ١٤٠٠هـ. [١]

وكان يُدرِّس الفرائض والحديث وغيرها من الكتب. [٢]

يقول الشيخ بكر أثابه الله عن تدريسه بالمسجد النبوي:

"درَّست بالمسجد النبوي عشر سنين، وقد كنت أدرس سنن ابن ماجه فلم يستفد مني غير طالب واحد أفريقي الجنسية"[٣]

وزاول التدريس أيضاً في المعهد العالي للقضاء، ودرّس في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

والشيخ بكر بعد انتقاله من المدينة إلى الرياض لم يكن له محاضرات ولم يكن له دروس، لكنّه على ثغر عظيم.

وقد طلب منه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله مع بعض المشايخ أن يلقي محاضرات، أو تكون له دروس فرفض الشيخ بكر، فقال الشيخ عبد العزيز رحمة الله عليه يكفينا قلمه، يكفينا قلمه.[٤]

وبعض الناس قد يفتح الله عليه من خلال قلمه ما لا يفتح عليه وهو على منبره، وبعض الناس يفتح الله عليه في وعظه ما لا يفتح على غيره.[٥]

---

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١/ ص١٥ـ ١٧).

(٢) راجع: دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، مادة مسجلة.

(٣) انظر: صحيفة المدينة، عدد (١٦٤٠٣)، تاريخ ١٤٢٩/٣/١٣هـ ملحق الرسالة، ص٦، مقالة بعنوان: "العلامة المفكر: أبو عبد الله بكر بن عبد الله أبو زيد"، د. يحي بن عبد الله الثمالي إمام المسجد المجاور لبيت الشيخ بكر بالطائف، وقد سمعها من الشيخ، كما بيّن ذلك في مقالته.

(٤) راجع: دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، مادة مسجلة.

(٥) المصدر السابق.

ثانياً: فتاواه:

في عام ١٤١٢هـ صدر أمر ملكي بتعيين الشيخ بكر عضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء، وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية.

ومنذ ذلك التاريخ والشيخ بكر يشارك مع بقية أعضاء اللجنة الدائمة، وأعضاء هيئة كبار العلماء؛ في نفع الأمة، وخدمة الدين، وإصدار الفتاوى العلمية المتقنة. حتى توفي رحمة الله عليه.

و تنوعت فتاواه في اللجنة، فقد شارك في إفتاء الناس ودعوتهم: في العقيدة، والصلاة وبقية أركان الإسلام، والأخلاق والأدعية والأذكار، والبر والصلة، واللباس والزينة، وحجاب المرأة وسفورها، والطب والعلاج، والبيوع، والنكاح، والطلاق والعدة، والأيمان والنذور، والجهاد والعلم، والدعوة والحسبة، وغيرها من المواضيع والعلوم التي تهم الأمة الإسلامية وتنفعها.[1]

ثالثاً: قضاؤه:

في عام ١٣٨٨هـ لما تخرج الشيخ بكر من كلية الشريعة تم تعيينه قاضياً في المحكمة العامة بالمدينة المنورة، فاستمر في قضائها حتى عام ١٤٠٠هـ، عندما اختير وكيلاً لوزارة العدل بالرياض.[2]

جاء ذكْر الشيخ بكر رحمه الله تعالى في كتاب قضاة المدينة المنورة ووصَفَه مؤلفُه بأنه "متواضع، يتصف بصفة العلماء، يحتفظ بقيمته وكرامته، نشيط في التأليف...الخ"[3].

---

(١) للإستزادة، انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١٢/ ص٩٠، ٢٤٤، ٣٨٥)، (ج١٤/ ص١٣٩،١٠، ٤١٧)، (ج١٧/ ص٢٠، ١٦٣، ٣٦١)، (ج١٨/ ص٦، ١٦٣، ٣١٨، ٣٢٧)، (ج٢٠/ ص٤٧٦، ٤٧٨)، (ج ٢٣/ ص٦، ٣٥٢، ٥٥٣)، (ج٢٤/ ص١٠، ١١، ١٩، ٤٢)، (ج٢٥/ ص٢٤٢، ٣٠٠).

(٢) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١/ ص١٥ـ ١٧).

(٣) قضاة المدينة المنورة، عبد الله بن محمد الزاحم، (ج١/ ص٦٠، ٦١).

وتعدّدت القضايا التي نظرها الشيخ بكر أيام تربعه على كرسي القضاء مدة اثني عشر عاماً، فقد أحيلت إليه عدة قضايا: جنائية، وحقوقية، وإنهائية.

اجتهد وحكم فيها بشرع الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفق الأنظمة المرعية، والمصالح الشرعية.

وكان كثير من القضايا تنتهي بالصلح والتراضي بين الخصوم، وكان جهد الشيخ بكر واضحاً في تقريب وجهات النظر، وتضييق هوّة الخلاف، وتذكيرهم بالله عز وجل، وما أعده الله للظالم من أليم عقاب، وسوء حساب(١).

وقد وعد الله تبارك وتعالى العافين عن الناس بالأجر الجزيل، وأثنى على عقد الصلح في غير ما موضع.(٢)

واتّصف الشيخ بكر رحمه الله في قضائه بالحزم والانضباط إلى أبعد حد، كما يلاحظ عليه السرعة في الإنجاز وإنهاء القضايا في وقت قياسي.(٣)

ومن القصص العجيبة في قضاء الشيخ بكر ـــ التي تنمُّ عن قوة شخصية الشيخ في الحق، وإنصافه وعدله بين الخصوم بما يرضي الله تبارك وتعالى ـــ القصتان التاليتان.

فهناك قصتان رواهما لي الشيخ عبد الله بن بكر، يقول حفظه الله (٤):

---

(١) اطّلع الباحث على نماذج من أحكام الشيخ بكر وأقضيته من واقع سجلات المحكمة الكبرى في المدينة المنورة من سجلات عام ١٣٩٣هـ إلى عام ١٣٩٩هـ. بموافقة فضيلة رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المكلف الشيخ فهد بن إبراهيم الحميميد سلمه الله، وإشراف مباشر من فضيلة القاضي راشد بن محمد الرشود وفقه الله، وذلك في يوم الأربعاء، الموافق ١٤٣٠/٦/١٧هـ. (الباحث).

(٢) انظر: قوله تعالى: {وأن تعفوا أقرب للتقوى ...الآية} من سورة البقرة، آية (٢٣٧)، وقوله سبحانه: {فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير..الآية} من سورة النساء، آية (١٢٨). وغيرها من الآيات.

(٣) قال ذلك رئيس قسم السجلات بالمحكمة الكبرى بالمدينة، الأستاذ/ محمد بن سليمان الرفاعي، الذي عمل مع الشيخ بكر مدة ثلاث سنوات عام ١٣٩٦هـ، ١٣٩٧هـ، ١٣٩٨هـ، في مقابلة للباحث معه في مكتبه يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٦/١٧هـ. (الباحث).

(٤) في مقابلة للباحث مع الشيخ عبد الله في منزله بالرياض يوم الأربعاء، بتاريخ ١٤٣٠/٥/١٦هـ. (الباحث).

اختصمت امرأة موريتانية مع خصم لها في مجلس الحكم الشرعي بمكتب الشيخ بكر بالمحكمة الكبرى في المدينة المنورة، وكانت المرأة فقيهة، وأخذت تجادل الشيخ بكر وتناقشه في الحكم لأنه حكم ضدها، واعترضت على حكم الشيخ، ورفع الحكم إلى هيئة التمييز، فجاء بتأييد حكم الشيخ رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وقصة أخرى: هي أنّ رجلاً كان بينه وبين الشيخ بكر موقف معين - بينهما خلاف -، وللرجل قضية منظورة في المحكمة الكبرى، وأحيلت القضية للشيخ بكر غفر الله له، فحكم الشيخ فيها في نفس اليوم، وكان الحكم في صالح الرجل، فانقلب الرجل إلى صديق للشيخ بكر منذ ذلك اليوم.

نعم! إنّ القضاء سرّ الدولة، وعنوان قوتها من ضعفها؛ لنفوذه على حرمات العباد لاسيما في ضروريات حياتهم، فإذا دخله غير المتأهل أصبح معبراً وسبيلاً لاستعداء العِداء على تحكيم شريعة رب الأرض والسماء، ولا تسأل عن اضطراب الأحوال، وتتابع الأهوال، ولا يخفى ذلك على ذي بصر وبصيرة (١) .

فدروس الشيخ بكر وفتاواه وقضاؤه؛ دليل على سعة علمه، وعلوّ مكانته، وجمعه بين الحزم والتواضع، وبين السرعة والحلم، وكذلك بين الأصول والثوابت من جهة وبين المستجدات والنوازل العصرية من جهة أخرى، في توازن تام، وتوافق واتساق عجيب، وعدم الانسياق وراء المثيرات والدوافع، في حكمة وعلم وخبرة.

* * * *

(١) انظر: التعالم وأثره على الفكر والكتاب، بكر أبو زيد، ص٤١، ٤٢.

المبحث السادس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

أولاً: مكانة الشيخ بكر العلمية [(١)] :

يُعَدُّ الشيخ رحمه الله من الذين أنعم الله عليهم بالمكانة العلمية المرموقة، والبيان العالي الذي يفوق به كثيراً من معاصريه.

ودليلٌ على مكانته العلمية تقلُّدُه مناصب كثيرة بذل فيها من علمه وحكمته وقوة شخصيته ما يعلم به القاصي والداني، وقد تركت شخصيته العلمية الفذة، وحنكته وجرأته في كلمة الحق أثراً ظاهراً في كل المناصب التي تقلدها.

ففي عام ١٣٨٤هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أمينًا للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية.

وفي عام ١٣٨٨هـ لما تخرج في كلية الشريعة اختير للقضاء في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فصدر أمر ملكي بتعيينه في القضاء في المدينة المنورة، فاستمر في قضائها حتى عام ١٤٠٠هـ.

وفي عام ١٣٩٠هـ عين مدرسًا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى عام ١٤٠٠هـ.

وفي عام ١٣٩١هـ صدر أمر ملكي بتعيينه إمامًا وخطيبًا بالمسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى مطلع عام ١٣٩٦هـ.

وفي عام ١٤٠٠هـ اختير وكيلاً عامًا لوزارة العدل، فصدر قرار مجلس الوزراء بذلك، واستمر حتى نهاية عام ١٤١٢هـ، وفيه صدر أمر ملكي كريم بتعيينه بالمرتبة الممتازة، عضوًا في لجنة الفتوى، وهيئة كبار العلماء.

وفي عام ١٤٠٥هـ صدر أمر ملكي بتعيينه ممثلاً للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، واختير رئيسًا للمجمع.

---

(١) انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج١/ ص١٥ــ ١٧).

وفي عام ١٤٠٦هـ عين عضوًا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة وخارجها، ودرّس في المعهد العالي للقضاء، وفي الدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض.

وللشيخ بكر ـ عليه رحمة الله ـ عدة مزايا وكثيرُ خصال تدل على علوّ مكانته العلمية، وتربعه على الأستاذية ليس في فن واحد بل في فنون، لكن هناك "خصيصتان ومنقبة، هنَّ ثلاث مزايا انفرد بها الشيخ على علماء عصره وأقرانه من العلماء.

أما أولى الخصيصتين: فهي قدرته على البحث العلمي الجاد دون أن يكون وراء ذلك البحث السعي إلى درجة علمية أو ترقية وظيفية. وهذه القدرة العلمية الرصينة التي أوتيها الشيخ - رحمه الله -لم تكن مقصورة على فن علمي واحد، ولهذا أثرى رحمه الله المكتبة العلمية الإسلامية بكتب قيمة سواء كانت في الدراسات الحديثية أو الفقهية أو في أصول العلم ومذاهب الكبار.

أما ثاني الخصيصتين: فهي تمكنه من اللغة واختياره لألفاظ كتاباته بعناية والحرص عن الابتعاد عن اللفظ المشاع المبتذل فقد سما العلامة الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - بالكلمة. وللغته سمو عزٍ عند أقرانه وقلَّ عند لِداته. وفي ذلك إذكاء لعزيمة الشباب من طلاب العلم أن يرتادوا المكتبات، ويطالعوا كتب الأمهات، وينهلوا من آثار السلف وتدوين الأفذاذ من العلماء.

أما المنقبة التي أوتيها الشيخ بكر- رحمه الله -: فإنه لما أخرج كتابه القيّم: (حلية طالب العلم) كان للكتاب أثر كبير في الساحة العلمية حتى تصدى العلامة الجليل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين[1] - رحمه الله - لشرح الكتاب، وهو أمر لم يكن معهوداً أن يشرح العالم الكبير كتاب عالم أصغر منه سناً.

---

(١) هو محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد في عنيزة في عام ١٣٤٧هـ، من أبرز شيوخه: العلامة عبد الرحمن بن سعدي، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، تولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة بعد وفاة شيخه ابن سعدي، عمل بالتدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم، بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، توفي رحمه الله في=

وهذه منقبة تحسب للعالمين الفاضلين الجليلين رحمهما الله.

فهي منقبة للعلامة (أبو زيد) تدل على أن كتابه بالغ في غايته، جليل في محتواه، وهي منقبة للعلامة ابن عثيمين تدل على صفاء نفسه وسلامة قلبه وحبه لنفع المسلمين"(١)

ثانياً: ثناء العلماء على الشيخ بكر رحمه الله:

من العلماء الأجلاء الذين أثنوا على الشيخ بكر رحمه الله شيخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمة الله عليه، فكان يقول للشيخ بكر:"ما أخذ عني علم الأنساب في هذه البلاد غيرك"(٢) وهذا مدح وثناء من عالم جليل من كبار العلماء على الشيخ بكر رحم الله الجميع.

وقال الشيخ حماد الأنصاري - رحمه الله -: " إنّ الشيخ بكر أبو زيد حريص ومجتهد، رأيت منه حرصاً ما رأيته في أحد، و كان تلميذي الخاص، لا يغادر مكتبتي، وكنت أُعرِّفه بالمراجع"(٣)

وقال عنه أيضاً:"إن الشيخ بكر تعلم على يدي، وقد تولى القضاء في المدينة النبوية، وكان إماماً في الحرم النبوي، وكان يكثر الاطلاع في مكتبتي، وقلمه سيّال، وقد أنتج في الموضوعات كتباً"(٤)

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يعجب كثيراً من أساليب صاحب المعالي العلامة الشيخ الدكتور بكر أبو زيد، وكان يقول متعجباً: "من أين يأتي

=عام ١٤٢١هـ . انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب فهد السليمان، ص٩-١١ .

(١) صحيفة المدينة العدد (١٦٣٨٢) ملحق الرسالة، بتاريخ ٢٢صفر ١٤٢٩هـ، مقالة للشيخ صالح بن عواد المغامسي بعنوان: "من أجل هذا الكتاب تصدى ابن عثيمين له بالشرح والتفصيل"، ص٤.

(٢) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص٢١٥.

(٣) المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري، تأليف وجمع وترتيب: عبد الأوّل بن حماد الأنصاري، (ج٢ / ص٦٧٦) .

(٤) المصدر السابق، (ج٢/ ص٦٧٨).

الشيخ بكر بهذه الأساليب، والتراكيب ؟! "(١)

وقال عنه صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله: "إنّ كلامه في غالب كتبه كلام يدل على تضلعه في اللغة العربية، والذي يظهر أنه لا يتكلف ذلك لأن الكلام سلس ومستقيم، وهذا يدل على أن الله تعالى أعطاه غريزة في اللغة العربية لم ينلها كثير من العلماء في وقتنا"(٢) .

وسماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ قال عنه حفظه الله: "إنّ الفقيد الشيخ بكر أبو زيد كان أحد العلماء الذين يمتازون بالدقة في المعلومة والعمق في البحوث وله نشاط كبير في التأليف"(٣) .

أما فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد(٤)، فقد قال عن الشيخ بكر رحمه الله: "لقد أفاء الله عليه علماً غزيراً، ووهبه بصيرة نافذة، فهو أحد أساطين العلم، ومنارات الفقه، وأعمدة الفتوى، وحراس الفضيلة، ونوابغ الفكر، وأعلام المصنفين. أفتى بعلمه، وجاهد بقلمه، ودعا إلى الله على بصيرة. إمام في النوازل، وشيخ في تحرير المصطلحات، وجهبذ في التأصيل، ومحقق في التراث. من أدلة السالكين، والموقعين عن

---

(١)جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٦٣.

(٢)شرح كتاب حلية طالب العلم، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، مادة مسجلة.

(٣) صحيفة عكاظ العدد (٨ ١٥١٣) بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٢٩ هـ، ص٣٨.

(٤) هو صالح بن عبد الله بن حميد، من مواليد بريدة سنة ١٣٦٩هـ، الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ورئيس مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية سابقاً، ورئيس المجلس الأعلى للقضاء حالياً، وإمام وخطيب المسجد الحرام. انظر: أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي، عبد الله بن سعيد الزهراني، ص٤٥، وwww.gate.gph.gov.sa موقع: بوابة الحرمين، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

رب العالمين. محدث، فقيه، لغوي، نسّابة. من كبار العلماء، وعلية الباحثين"[١] .

وفضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع[٢] نوّه بأنّ الشيخ بكراً من العلماء الأجلاء له مكانته العلمية والدفاعية عن الإسلام والمسلمين، وعن كل ما يكون من أمور تهم الدين، فلقد كان رحمه الله ذا قاعدة علمية كبيرة، وكان عالماً ورعاً تقياً له آثار علمية، والشيخ بكر قد اعتنى بالتأليف والتحرير والرد على كل من تسول له نفسه التجني على ديننا الحنيف. وعندما تولى رئاسة مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي فلقد كان له أثر فعّال في أعمال المجمع وكانت قراراته متصفة بالعمق والتأصيل الشرعي[٣] .

ومن جانبه أكد فضيلة الشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان[٤] - المستشار بالديوان الملكي، وعضو مجلس الشورى سابقاً- أنّ الشيخ بكر "كان عالماً من علمائها - أي المملكة العربية السعودية - الأجلاء وكان ورعاً وفقيهاً وملماً بكثير من العلوم. وقد أثرى المكتبة الإسلامية بعدد من الكتب التي كان فيها رحمه الله مثالاً للحزم والجد والاجتهاد والعمل المتقن وهو يستحق الكثير والكثير ولا تحصي هذه الكلمات مآثر

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١٠٦٧٦)، في ١٣ صفر ١٤٢٩هـ، مقالة بعنوان: "حراسة حق، وفقه نوازل، وجهاد قلم"، ص١٦.

(٢) هو عبد الله بن سليمان بن محمد بن منيع، ولد بشقراء عام ١٣٤٩هـ، قاضي تمييز في محكمة التمييز بمكة المكرمة، عضو في هيئة كبار العلماء، عضو في المراقبة والفتوى في مجموعة من المصارف الإسلامية، له مجموعة من الكتب، له مشاركات في وسائل الإعلام المختلفة. انظر: مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (ج١/ ص٤٣- ٤٥).

(٣) انظر: صحيفة عكاظ، العدد(١٥١٣٩)، بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٩ هـ، ص٢٩، باختصار وتصرف.

(٤) عبد المحسن بن ناصر بن عبد الرحمن آل عبيكان، ولد عام ١٣٧٢هـ في مدينة الطائف، عين ملازماً قضائياً بالمحكمة الكبرى بالرياض عام ١٣٩٥هـ، ثم عين عام ١٤١٣هـ مفتشاً قضائياً بوزارة العدل. ثم عين في عام ١٤٢٦هـ عضواً في مجلس الشورى، ثم عين عام ١٤٣٠هـ مستشاراً بالديوان الملكي بمرتبة وزير. راجع: www.al-obeikan.com. موقع الشيخ عبد المحسن العبيكان.

الشيخ رحمه الله تعالى"[١] .

وقد أثنى عليه معالي الدكتور عبد السلام بن داود العبادي[٢] الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي عايش الشيخ بكراً رحمة الله عليه وعمل معه في مجمع الفقه الإسلامي الدولي لعدة سنوات، فقال معاليه:

"عالم كبير، يحترم العلماء ويقدرهم، كان حاضر البديهة في المناقشات العلمية، ويبذل جهداً كبيراً في الموضوع المناقَش، وكان يخالط هذا العلم العميق الورع والحرص على الالتزام الكامل بأحكام الشريعة، وعدم السير مع أي اجتهاد غير منضبط يعرّض الحكم الشرعي لأن يكون فيه اتباع للهوى، أو ضعف في الاستدلال، أو خروج عن قواعد الشريعة. فهو يتميز بالعلم والورع معاً. حريص أن تكون قرارات المجمع في غاية الدقة، وأن لا يكون فيها أي ضعف، أو قصور، أو مجال للنقد من الناحية الشرعية. خدم العلم والعلماء من خلال رئاسته للمجمع فترة قاربت ربع قرن من الزمن، سواء كان ذلك من خلال بحوثه ودراساته وكتبه القيمة، أو من خلال مشروعاته الرائعة، مثل مشروع ((معلمة القواعد الفقهية)) [٣] .

فرحمه الله وأجزل مثوبته، وأعلى مترلته عنده" [٤].

---

(١) صحيفة عكاظ، العدد(١٥١٣٩) وتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٩ هــ، ص٢٩.

(٢) الدكتور عبد السلام بن داود العبادي، من مواليد عمَّان، الأردن، في عام ١٩٤٣م. وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية سابقاً، عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي ممثلا للمملكة الأردنية من بداية تأسيسه سنة ١٩٨٣م حتى الآن، ونائبا للرئيس حتى سنة ١٩٨٩م، فأمينا للمجمع بداية من مارس ٢٠٠٨.
راجع: www.fiqhacademy.org.sa موقع: مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

(٣) يُعنَى هذا المشروع العلمي بجمع شامل للقواعد الفقهية مرتبة ترتيبا أبجديا دون تمييز بين قاعدة كلية أو فرعية، ودون تفريق بين المذاهب الفقهية القائلة بها، مع الاهتمام برد كل قاعدة إلى مصدرها.
راجع: www.fiqhacademy.org.sa موقع: مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

(٤) مقابلة للباحث مع معالي الدكتور عبد السلام بن داود العبادي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الذي زامل الشيخ بكراً رحمة الله عليه وعمل معه في مجمع الفقه الإسلامي الدولي لعدة سنوات، تمت المقابلة يوم الأحد الموافق ٢٧/٢/١٤٣٠هــ بمكتب معاليه بمحافظة جدة.

وأكتفي بهذا العدد من العلماء الذين عاصروا الشيخ بكراً وعرفوه، إذ يصعب حصر المثنين عليه خيراً في علمه وورعه وزهده، ولكن يكفي من القلادة ما يحيط بالجيد.

فثناء العلماء الأجلاء على جهود الشيخ بكر وبيانهم لمكانته العلمية السامقة إن دلت على شيء فإنما تدل على غزارة علمه وواسع اطلاعه وإمامته في نشر العلم والذود عن الشريعة الإسلامية وكف الأذى عنها، وهذا ليس بكثير على الشيخ بكر أثابه الله. فمهما قيل ومهما كتب لا يمكن إحصاء مآثره وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين، فجزاه الله أفضل الجزاء وأوفاه.

* * * *

المبحث السابع: مؤلفاته، وإشرافه العلمي:

للشيخ بكر - رحمه الله - عشرات المؤلفات العلمية في الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة. وخصوصاً الفتاوى في النوازل. تجاوزت مؤلفاته ثمانين عنواناً، ما بين مطبوع ومخطوط، وأشرف على مناقشة العديد من الرسائل العلمية كما أشرف على طباعة كثير من المؤلفات، وقدم لعدة كتب.

والشيخ بكر – رحمه الله – تمتاز مؤلفاته بالدقة في البحث والجزالة في الأسلوب، وسعة الاطلاع. فلا يكاد يكتب كتاباً أو يؤلف مؤلفاً إلا وألمّ بجميع أو غالب ما كتب حول هذا الموضوع من خلال الاطلاع والبحث والاستنتاج، يقول فضيلته في مقدمة كتابه الرائع الموسوم بـــ((حراسة الفضيلة)): " إن هذه الرسالة خلاصة انتخلتها[١] واستخلصتها من نحو مئتي كتاب ورسالة ومقالة عن المرأة "[٢] .

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله يعجبه أسلوب الشيخ بكر في التأليف، وكان يقول: من أين يأتي الشيخ بكر بهذه الأساليب، والتراكيب؟![٣] .

ومن شدة إعجاب فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين بكتب الشيخ بكر أن تصدى لشرح كتابه: ((حلية طالب العلم))، وهذا غاية في تواضع الشيخ محمد، وآية على علو علم الشيخ بكر رحمهما الله تعالى.

لقد أعطاه الله في كتاباته ومؤلفاته؛ قوة المعاني، وروعة المباني، وجزالة الألفاظ، وبراعة الاستهلال، وحسن الختام، مما جعل لمؤلفاته قوة الانتشار؛ حتى سارت مسير الشمس في الأقطار، وانتشرت في سائر المدن والأمصار.

---

(١) انْتَخَلَه: صَفّاه واختاره. لسان العرب، لابن منظور، حرف اللام، فصل النون، مادة (نخل)، (ج١١/ ص٦٥١).

(٢) حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، ص١١.

(٣) جوانب من سيرة ابن باز، ص ٢٦٣.

لقد كان يعيش هموم عصره، ونوازل السائل في وقته؛ يفرد للمسألة الواحدة بحثاً، ويؤلف لها رسالة أو كتاباً، يؤصلها بعلم غزير، ونظر ثاقب سديد، ويناقشها على ضوء الكتاب والسنة مع الدليل والتعليل، حتى تخرج بأجمل حلّة وأحسن عبارة؛ فأثرى المكتبة الإسلامية بالبحوث القيّمة الفقهية والحديثية؛ نافح فيهما عن السنة النبوية، وقرَّب للأمة الأحكام الشرعية، متحرياً في ذلك الدليل والصواب. والكمال لله والعصمة لرسوله صلى الله عليه وسلم وحسبه أنه مجتهد، والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ.[١]

يقول الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد في الحديث عن الشيخ بكر رحمه الله، وما تميزت به مؤلفاته:

"لم يجنح للمثيرات؛ يصحح العقائد، ويحرر المسائل، وينافح عن السنة. يتمتع بصبر وجلد ومثابرة، ينقب ويفتش، يقدر علمه من غالب عصى المسائل، ودقائق المباحث، ومسالك الطلب. علم غزير، ولغة رصينة، ونهج سديد، واختيار في التصنيف متميّز، يأخذك العجب في جمعه بين الأدب الجمّ، وسلوك سبيل الحزم، رسم منهجية في التأليف والحوار والردود، متصل ومتواصل مع مصادر التشريع كتاباً وسنة ثم اجتهاداً واستنباطاً. حازت مؤلفاته على الإعجاب، وتسابق على اقتنائها المقتنون، لم ينأ بفقهه عن الواقع، ولم يسلك في فتاواه مسالك الإغراب والشذوذ. تراثه من تراث الأمة، ظاهره ألفاظ جزلة، وباطنه معان نفيسة؛ في جمال تأليف، وجودة تصنيف" [٢] .

وهذا ثبت بمؤلفات الشيخ بكر أبو زيد، وما حققه وأشرف عليه من الكتب والرسائل:

أولاً: الكتب التي ألفها الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله –:

١) الحدود والتعزيرات عند ابن القيم: دراسة ومقارنة (مجلد واحد).

وهي رسالته للماجستير عام ١٤٠٠هـ من المعهد العالي للقضاء.

---

(١) انظر: مجلة الدعوة، العدد (٢١٣١)، في ١٤ صفر ١٤٢٩هـ، ص٦٦ .

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١٠٦٧٦) في ١٣ صفر ١٤٢٩ هـ، ص١٦

٢) أحكام الجناية على النفس وما دونها عند ابن قيم الجوزية: دراسة و موازنة (مجلد واحد).

وهي رسالته للدكتوراة عام ١٤٠٢هـ من المعهد العالي للقضاء .

٣) فقه النوازل قضايا فقهية معاصرة، (مجلدان) اشتمل المجلد الأول على: التشريح و زارعة الأعضاء، المرابحة، حق التأليف، الحساب الفلكي، البوصلة، واشتمل المجلد الثاني على: التقنين والإلزام، والمواضعة في الاصطلاح، وخطاب الضمان البنكي، وجهاز الإنعاش وعلامة الوفاة، وطرق الإنجاب في الطب الحديث (طفل الأنابيب) [1] .

٤) طبقات النسابين (مجلد).

٥) تصحيح الدعاء (مجلد)، وطبع جزء من هذا الكتاب مستقل باسم: السبحة: تاريخها و حكمها(غلاف).

٦) المدخل المفصل إلى فقه الإمام احمد بن حنبل و تخريجات الأصحاب (مجلدان).

٧) خصائص جزيرة العرب (غلاف).

٨) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال (غلاف).

٩) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (غلاف).

١٠) التعالم وأثره على الفكر والكتاب (غلاف).

١١) حلية طالب العلم. طبع مراراً (غلاف).

١٢) معجم المناهي اللفظية (مجلد).

١٣) موارد ابن قيم الجوزية (مجلد).

١٤) ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره وموارده (مجلد).

١٥) النظائر، ويشتمل على: التراجم الذاتية، التحول المذهبي، العُزَّاب، لطائف الكلم في العلم (مجلد).

---

(١) يلاحظ تكرار بعض أسماء الكتب، والسبب أن بعض الكتب تكون مع مجموعة من المؤلفات في مجلد واحد أو مجلدين، وقد تنفرد في غلاف أو مجلد مستقل. (الباحث).

١٦) لا جديد في أحكام الصلاة بزيادة عدم مشروعية ضم العقبين في السجود (غلاف).

١٧) دعاء القنوت (غلاف).

١٨) مرويات دعاء ختم القرآن وحكمه داخل الصلاة وخارجها (غلاف).

١٩) العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته (غلاف).

٢٠) تسمية المولود (غلاف).

٢١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (غلاف).

٢٢) حراسة الفضيلة . طبع مراراً (غلاف).

٢٣) بدع القراء القديمة والمعاصرة (غلاف).

٢٤) تغريب الألقاب العلمية (غلاف).

٢٥) درء الفتنة عن أهل السنة (غلاف).

٢٦) تصنيف الناس بين الظن واليقين (غلاف).

٢٧) جزء في مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء (غلاف).

٢٨) عيد اليوبيل بدعة في الإسلام (غلاف).

٢٩) براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة (غلاف).

٣٠) أدب الهاتف (غلاف).

٣١) بطاقة الائتمان حقيقتها البنكية التجارية وأحكامها الشرعية (غلاف).

٣٢) المثامنة في العقار — نزع ملكيته للمصلحة العامة. (غلاف).

٣٣) فتوى جامعة في العقار. (غلاف).

٣٤) بطاقة التخفيض: حقيقتها التجارية، وأحكامها الشرعية (غلاف).

٣٥) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات و الأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر (غلاف).

٣٦) الأجزاء الحديثية، ويشتمل على: الحوالة، مسح الوجه باليدين، زيارة النساء للقبور، حديث العجن، مرويات دعاء ختم القرآن (مجلد).

٣٧) حد الثوب و الأزرة، و تحريم الإسبال و لباس الشهرة (غلاف).

٣٨) أذكار طرفي النهار (كتيب صغير).

٣٩) هجر المبتدع (غلاف).

٤٠) التأصيل لأصول التخريج، و قواعد الجرح و التعديل (مجلد).

٤١) الردود، ويشتمل على: الرد على المخالف من أصول الإسلام، تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، التحذير من مختصرات الصابوني، تصنيف الناس بين الظن واليقين، عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها (مجلد).

٤٢) آداب طالب الحديث، انتقاء من كتاب: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" للخطيب البغدادي، (غلاف).

٤٣) معرفة النسخ والصحف الحديثية (غلاف).

٤٤) الرقابة على التراث (غلاف).

٤٥) التمثيل: حقيقته، تاريخه، حكمه (غلاف).

٤٦) التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث (غلاف).

٤٧) الرد على المخالف من أصول الإسلام (غلاف).

٤٨) التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير(غلاف).

٤٩) جزء في كيفية النهوض في الصلاة وضعف حديث العجن (غلاف).

٥٠) المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى: دراسة ونقد (مجلد).

٥١) التقنين و الإلزام: عرض و مناقشة (غلاف).

٥٢) جبل إلال بعرفات: تحقيقات تاريخية و شرعية (غلاف).

٥٣) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية: تاريخها، ومخاطرها (غلاف).

٥٤) التقريب لعلوم ابن القيم (مجلد).

٥٥) المجموعة العلمية: وتشتمل على: التعالم، حلية طالب العلم، آداب طالب الحديث، الرقابة على التراث، تغريب الألقاب العلمية. (مجلد).

٥٦) مدينة النبي صلى الله عليه وسلم رأي العين.

٥٧) قبة الصخرة: تحقيقات في تاريخ عمارتها وترميمها.

٥٨) علماء الحنابلة من الإمام أحمد إلى وفيات القرن الخامس عشر الهجري (مجلد)

٥٩) فتوى جامعة في آداب العزاء الشرعية.

وهناك بعض الكتب القيّمة التي ألّفها الشيخ بكر - رحمه الله - لم تطبع حتى الآن، يربو عددها على العشرين عنواناً.(١)

ثانياً: الكتب التي حققها الشيخ بكر - رحمه الله -:

١) هداية الأريب الأمجد لمعرفة أصحاب الرواية عن أحمد، تأليف سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان.

٢) السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تأليف محمد بن عبد الله بن حميد، حققه الشيخ بالاشتراك مع عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

٣) عقيدة السلف: مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابة الرسالة.

٤) بلغة الساغب وبغية الراغب، تأليف فخر الدين أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن الخضر ابن تيمية رحمه الله.

٥) " فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد " للشيخ حامد بن محمد بن حسن بن محسن رحمه الله تعالى.

---

(١) أفادني الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد حفظه الله بأنه سيتم حصر جميع أعمال الشيخ بكر المطبوع منها والمخطوط في مجموعة علمية متكاملة، مدققة، ومحققة، ستخرج قريباً بإذن الله تعالى. (الباحث)

٦) الجدّ الحثيث في بيان ما ليس بحديث، تأليف: أحمد بن عبد الكريم العامري الغزي رحمه الله.

٧) الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، تأليف: الشيخ عمر المترك رحمه الله.

٨) تسهيل السابلة إلى معرفة علماء الحنابلة، للشيخ صالح بن عبد العزيز بن عثيمين المكي رحمه الله تعالى.

٩) تراجم لمتأخري الحنابلة، تأليف: الشيخ سليمان بن حمدان.

ثالثاً: الرسائل العلمية التي أشرف عليها الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله –:

١) الوساطة التجارية في المعاملات المالية، للشيخ عبد الرحمن بن صالح الأطرم. دكتوراة من كلية الشريعة بالرياض ١٤٠٨هـ.

٢) فضائل الأوقات / لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي، دراسة وتحقيق: سلطان بن عبد المحسن الخميس، ١٤١٠هـ.

٣) التأخير وأحكامه في الفقه الإسلامي، للشيخ محمد بن عبد الكريم العيسى، دكتوراه من المعهد العالي للقضاء١٤١٥هـ.

وكان من أهمّ أعماله: الإشراف على مشاريع علمية ضخمة، منها:

ـ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية، وما لحقها من أعمال.

ـ آثار الإمام ابن قيم الجوزية، وما لحقها من أعمال.

ـ آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

ـ آثار الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي.

فما أعظم ما خلّف من كنوز للمعرفة، وتراث أصيل للأمة الإسلامية، التي – بإذن الله – سينتفع بها كل من اطلع عليها، وأحسب أنه يصدق عليه حديث أبي هريرة رضي

الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"[١].

فرحم الله الشيخ بكراً، وأجزل مثوبته، وجعل ما قام به من أعمال وما قدمه من مؤلفات، في موازين حسناته يوم يلقاه.

* * * *

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته، حديث رقم (٣٠٨٤).

الفصل الأول:

جهود الشيخ بكر أبو زيد في مجال الدعوة الإسلامية.

ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وبيان منهج السلف الصالح، والتحذير من أخطار التيّارات الفكرية المعاصرة.

المبحث الثاني: جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى شرائع الإسلام، وتحكيم الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث: جهود الشيخ بكر في دعوة الأسرة المسلمة، وإلى صيانة المرأة وتحذيره لها من التبرج والسفور.

المبحث الرابع: جهود الشيخ بكر ومنهجه في توجيه الدعاة، وطلبة العلم.

المبحث الأول: جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وبيان منهج السلف الصالح، والتحذير من أخطار التيّارات الفكرية المعاصرة.

وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول: جهود الشيخ في إيضاح مسائل العقيدة الصحيحة.

المطلب الثاني: دعوة الشيخ إلى التمسك بالكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، وبيان خطر الابتداع في الدين.

المطلب الثالث: بيان الشيخ للمنهج القويم في مسائل التكفير، والحكم على الآخرين.

المطلب الرابع: دعوة الشيخ إلى الوسطية، والبعد عن الغلو في الدين.

المطلب الخامس: جهود الشيخ في التصدي للتيّارات الفكرية المعاصرة، وبيان خطرها على الأمة.

المطلب السادس: دعوة الشيخ إلى الاجتماع، والتحذير من الاختلاف.

المطلب السابع: منهج الشيخ في دعوة الحكّام، وبيانه لحقوق الراعي والرعية.

المطلب الأول: جهود الشيخ في إيضاح مسائل العقيدة الصحيحة:

توضيح العقيدة الصحيحة والدعوة إليها من أهم الأمور، وأفضل الطاعات، فالتوحيد هو الأساس الذي تنبني عليه صحة الأعمال وقبولها، لذا اهتم الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بإصلاح العقيدة أولاً، بالرغم من وجود كثير من المخالفات الأخرى في ذلك الوقت، ولكن بدأ يدعو إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

وهذا نهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام من قبل، كانوا يبدأون دعوتهم بإيضاح مسائل العقيدة، وبيان ما يناقضها، أو يناقض كمالها، وسار على هذا المنهج خيار الأمة، ودعاة السلف.

"وقد أولى علماء هذه الأمة هذا الجانب قدراً كبيراً من جهودهم وجهادهم وتعليمهم وتأليفهم، حتى شغلت كتب العقيدة حيزاً كبيراً من المكتبة الإسلامية، وصار لها الصدارة بين محتوياتها"[(١)] .

"إن كثيراً من الدعاة اليوم – مع الأسف – لا يهتمون بجانب العقيدة وإصلاحها، بل ربما يقول بعضهم: اتركوا الناس على عقائدهم! ولا تتعرضوا لها!! اجمعوا ولا تفرقوا!! لنجتمع على ما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، أو نحواً من هذه العبارات التي تخالف قول الله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[(٢)]"[(٣)] .

وللشيخ بكر – رحمه الله – جهود مشكورة، وأقوال مذكورة، ومؤلفات عديدة في مجال العقيدة، وبيان أهمية التوحيد، وإيضاح منهج السلف في ذلك.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان آل فوزان، ص٦،٥

(٢) سورة النساء آية (٥٩)

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ص٧.

فالشيخ بكر – عليه من الله الرحمة والرضوان – أيقن بأهمية العقيدة في حياة المسلم، وما ينتج عن هذه العقيدة الصحيحة من التوجه الصادق مع الله – جل جلاله – وعبادته عبادة خالصة لوجهه، ولما كان للعقيدة هذه المكانة الرفيعة فقد أولاها – رحمه الله –مزيداً من الاهتمام والعناية، فحرص على ترسيخها في نفوس المسلمين، وجاهد في سبيل تنقيتها وتوضيحها والحث عليها طيلة حياته، فجزاه الله خير الجزاء، وجعل الجنة مثواه.

يقول – رحمه الله تعالى –:

" إياك ثم إياك أن تجعل أياً من مسائل العقيدة الإسلامية: عقيدة ((أهل السنة والجماعة)) مجالاً للقبول والرد، والحذف والتصحيح، بما يشغب[(١)] به ذو هوى، أو ينتحله ذو غرض، فهي ــ بحمد الله ــ حق مجمع عليه، فاحذرهم أن يفتنوك "[(٢)] .

وقال – طيب الله ثراه – :

" ومعلوم أن أمور الاعتقاد لا تقبل التذبذب ولا التردد، ولا حكاية القولين، أو الأقوال، وإنما الحق فيها واحد لا يتعدّد، وليس وراءه إلا الضلال"[(٣)].

ثم فسّر الإسلام بقوله أثابه الله:

" دين الإسلام بمعناه العام هو: إسلام الوجه لله وطاعته وعبادته وحده، والبراءة من الشرك، والإيمان بالنبوات والمبدأ والمعاد "[(٤)] .

وقال – رحمه الله –: "الإسلام مبني على الوحدانية، فالرب الخالق المعبود واحد، والرسول واحد، والقبلة واحدة، والمسلمون حزب واحد"[(٥)] .

وإذا كانت الحكمة من خلق الخليقة هي عبادة الله وحده لا شريك له، وبما أن التوحيد هو أســاس العبادات وجوهرها فإن أوجب ما يجب على العبد معرفته والتسليم

---

(١) الشَّغْب: تَهْييج الشَّرِّ. انظر: الصحاح، للجوهري، باب: الباء، فصل الشين، مادة: (شغب)، (ج١ / ص٢٣٧)

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، بكر أبو زيد،ص٢١.

(٣) عقيدة السلف، مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، تقديم الشيخ بكر أبو زيد، ص٤٤.

(٤) الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، بكر أبو زيد، ص٥١.

(٥) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، ص ١٠٧.

له والإيمان به، هو: توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وإخلاص العبادة له سبحانه، والتصديق والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فقد بيّن الشيخ بكر ــ رحمه الله تعالى ــ أن التوحيد هو الأصل، وأنه سابق للشرك، وهو المقصود من خلق الخلق، ودعوة جميع الأنبياء، يقول فضيلته:

" الأصل في بني آدم هو (التوحيد) وهو المقصود الذي خلقوا له فيما أمرهم الله على ألسنة أنبيائه ورسله ((اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)). وقد كان الناس على هذا الأصل: كلهم على الإسلام والتوحيد والإخلاص، والفطرة، والسداد، والاستقامة: الأمة واحدة، والدين واحد، والمعبود واحد. وذلك من أبينا أبي البشر نبي الله آدم عليه السلام إلى قبيل عهد رسول الله نوح عليه السلام كلهم على الهدى، وعلى شريعة الحق، لاتباعهم النبوة. ثم كان من مكايد الشيطان أن اختلفوا بعد ذلك بتركهم اتباع الأنبياء فيما أمروا به من التوحيد والدين، ووقعوا في الشرك بسبب تعظيم الموتى، عندئذٍ انقسموا قسمين: موحدين، ومشركين "[(١)]

يقول العلامة ابن قيّم الجوزيّة [(٢)] في حديثه عن التوحيد:

"إنّ كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه"[(٣)].

إلى أن قال – رحمه الله –:"فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"[(٤)] .

ويمكن أن أبيّن بعضاً من جهود الشيخ بكر في إيضاح مسائل العقيدة، في ما يلي:

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص ٥٩-٦٠

(٢) هو: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، الشهير بابن قيّم الجوزية، ولد عام٦٩١، وتوفي في عام ٧٥١هـــ، من أشهر تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، له تصانيف كثيرة تجاوزت الثلاثين مؤلفاً. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (ج٥ / ص ١٣٧)، وكتاب: ابن القيم، حياته، وآثاره، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص١٧، وما بعدها.

(٣) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج٣ / ص ٤٦٨).

(٤) المصدر السابق، (ج٣ / ص ٤٦٩) .

أولاً: بيان الشيخ بكر لأقسام التوحيد وأهميتها:

أشار الشيخ بكر - رحمه الله -إلى مسألة التوحيد، وأهميته، وأقسامه[1] ، مستشهداً في ذلك كله بآيات من الذكر الحكيم، قائلاً:

"التوحيد هو فاتحة القرآن الكريم، وهو خاتمته، إعلاناً بأن ما بين الدفتين كله لتحقيق التوحيد، فهو فاتحة القرآن كما في أول سورة الفاتحة:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[2]. فلفظ الجلالة إشارة إلى توحيد الألوهية [3] ، ولفظ { رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ } إشارة إلى توحيد الربوبية [4]، ولفظ { ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ } إشارة إلى توحيد الأسماء والصفات [5] .

وهذه هي أنواع التوحيد التي قامت دلالة الاستقراء لنصوص الشرع عليها.

وهو في خاتمة القرآن العظيم:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[6].

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "هذا التقسيم الاستقرائي هو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطّرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء" انظر: كتاب: الردود، بكر أبو زيد، ص ٣٣١ باختصار.

وللاستزادة حول موضوع تقسيم التوحيد، والرد على من أنكره، انظر: كتاب: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص١٧ ــ ١٠٦.

(٢) سورة الفاتحة آية (١-٢).

(٣) توحيد الألوهية: هو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده. انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ص ١٥.

(٤) توحيد الربوبية: هو الاعتقاد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم. انظر: المصدر السابق، ص ١٤.

(٥) توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الأسماء والصفات ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل. انظر: المصدر السابق، ص ١٤.

(٦) سورة الناس آية (١-٣).

فأشار سبحانه إلى توحيده في ربوبيته، وفي ألوهيته، وهما مستلزمان لتوحيده سبحانه في أسمائه وصفاته "(١) .

فهذه أقسام التوحيد الثلاثة التي جاءت ضمناً في القرآن العظيم، فلم تكن بدعاً من القول، ولا استحداثاً في الدين كما يظنه أهل الأهواء والبدع.

وتوحيد الربوبية لم ينازع فيه إلا القليل، لذا كان الخلاف الشديد حول توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فكانا أجدر بالحديث والمناقشة.

١. توحيد الألوهية:

لا ريب أنّ توحيد الألوهية، هو أعظم الأصول على الإطلاق وأكملها وأفضلها وألزمها لصلاح الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجن والإنس لأجله، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لقيامه، وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، ولذا كان هذا التوحيد خلاصة دعوة الرسل وغاية رسالتهم وأساس دعوتهم. وقد دلّ القرآن الكريم في مواضع عديدة أنّ توحيد الألوهية هو مفتاح دعوة الرسل، وأنّ كلّ رسول يبعثه الله يكون أول ما يدعو قومه إليه توحيد الله وإخلاص العبادة له.(٢)

وفي ذلك يقول الشيخ بكر- رحمه الله -مبيناً أهمية التوحيد، ووجوب إخلاص العبادة لله ــ جل شأنه ــ، وأنّ أسوأ المناهي وأعظم المعاصي هو الشرك بالله ــ عز وجل ــ: " أن يقيم المسلم ما أمر الله به من خصال الإسلام، ما افترضه الله عليه أمراً ونهياً فيأتمر بأوامره، وأعظمها: توحيد الله وإخلاص العبادة لله والعمل على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجل أعمالها بعد التوحيد إقامة الصلوات الخمس وسائر أركان الإسلام العظيمة وأوامره الكريمة وأسباب طاعة الله ومرضاته وأن ينتهي عن مناهيه وأسوأها الشرك بالله، وما يتبع ذلك من البدع والمعاصي والضلالات التي هي من

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، ص٧٠

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص٢٥

أسباب سخط الله وعقابه"[١].

٢. توحيد الأسماء والصفات:

بيّن الشيخ بكر - رحمه الله -منهج السلف في صفات الله عز وجل، وأنها موافقة لنصوص الوحيين، ولا تتعارض مع العقول والفطر السليمة .

يقول الشيخ بكر :" ما زال أمر المسلمين جارياً على الإسلام والسنة من لدن الصحابة من المهاجرين والأنصار ــ رضي الله عنهم ــ إلى من بعدهم من التابعين لهم بإحسان ما تتابعوا، يؤمنون بصفات الله ــ تعالى ــ التي نطق بها الوحيان الشريفان فتمر كما جاءت وتثبت على ظاهرها بألفاظها، وتثبت دلالة ألفاظها على حقائقها، ومعانيها، وتعيين المراد منها على ما يليق بالله ــ تبارك وتعالى ــ وذلك كالقول في الذات سواء، مع تفويض الكيفية ونفي الشبيه والمثال، والتتريه عن التعطيل.

وهذا موجب النصوص والعقول، وفطر الخلائق السليمة، وكانت الحال كذلك في صدر الأمة في أمور التوحيد كافة لا يشوبهم في ذلك شائبة "[٢] .

كما بيّن الشيخ بكر جزاه الله خيراً منهج أهل الأهواء في الصفات وموقفهم منها، مخالفين بذلك مذهب أهل السنة والجماعة، يقول فضيلته:" ومعلوم أن أهل الأهواء، قد وقفوا لنصوص الصفات بالمرصاد بالتأويل تارة، وبالتفويض تارة، وبالتعطيل تارة، فإذ لم يتم لهم شيء من ذلك لجأوا إلى الطعن في ثبوت السنن "[٣] .

فهذا ديدنهم في القديم والحديث، فما أشبه الليلة بالبارحة.

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٨.
(٢) عقيدة السلف، ص٢٠.
(٣) المصدر السابق ص٤٤.

ثانياً: بيان الشيخ بكر لمسائل الإيمان:

١. الإيمان بالله تعالى:

بيّن الشيخ بكر طيب الله ثراه أهمية الإيمان في حياة الناس، وبم يتحقق؟ فقال ـــ رحمه الله تعالى ـــ: " إنّ الإيمان بالله تعالى الذي هو المطلوب من جميع الثقلين لا يتم تحقيقه إلا بالاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وأنه متصف بصفات الكمال والجلال، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، والقيام بذلك علماً وعملاً، ولا يتحقق ذلك إلا باتباع خاتم لأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم لا كما يظنه المتجاهلون، أنّ الإيمان بالله يتحقق بالإيمان بوجوده وربوبيته، دون الإيمان بأسمائه وصفاته، وتوحيده في عبادته، ودون المتابعة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم "[١]

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، في مسألة الإيمان.

يقول الإمام الطحاوي[٢]: "الإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق. والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى، ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى"[٣] .

ويقول ابن أبي زيد القيرواني[٤] في بيان عقيدة السلف: "الإيمان قول باللسان،

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص ٦٩ بتصرف.

(٢) الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، مولده في سنة تسع وثلاثين ومئتين، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بالقاهرة. سير أعلام النبلاء، (ج١٥/ ص٢٧ـــ ٢٩) باختصار.

(٣) العقيدة الطحاوية ، (ج ٢ / ص ٤٥٩).

(٤) الإمام العلامة القدوة الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد، القيرواني المالكي، ويقال له: مالك الصغير. وكان أحد من برز في العلم والعمل، وكان رحمه الله على طريقة السلف في الأصول. مات ابن أبي زيد سنة تسع وثمانين وثلاث مئة، وقيل: في سنة ست وثمانين وثلاث مئة. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج١٧/ ص ١٠ ـــ١٣) باختصار.

وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها، فيكون فيها النقص وبها الزيادة، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل"[(١)]

وهذا المعتقد في مسألة الإيمان، هو الذي قال به الشيخ بكر - رحمه الله -وحث عليه، ودعا إلى الالتزام به واعتقاده، يقول - غفر الله له -:

" الإيمان هو: الدين وهو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية "[(٢)].

ثم بيّن الشيخ بكر- رحمه الله - شعب الإيمان، فقال:

" كما أن (الإيمان) شعب متعددة، ورتبها متفاوتة أعلاها قول: (لا إله إلا الله) وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان .

فكذلك (الكفر) الذي هو في مقابلة الإيمان، ذو شعب متعددة، ورتب متفاوتة، أشنعها (الكفر المخرج من الملة) مثل: الكفر بالله وتكذيب ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وهناك كفر دون كفر، ومنه تسمية بعض المعاصي كفراً "[(٣)] .

والإيمان له أركان ستة كما جاء ذلك في حديث جبريل: **"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره"** .

والشيخ بكر بيّن أركان الإيمان، وأنها من أصول الاعتقاد، فقال - رحمه الله تعالى -:" من أصول الاعتقاد في الإسلام: اعتقاد توحيد الملة والدين في التوحيد، والنبوات، والمعاد، والإيمان الجامع بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره"[(٤)] .

"وهذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعاً على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، فمن جحد شيئاً منها أو آمن به على

---

(١) عقيدة السلف، ص٦٠ .

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٢٠ .

(٣) المصدر السابق، ص٣١ .

(٤) الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان،ص٤٧ .

غير هذا الوجه فقد كفر"[١] .

٢- الإيمان بالكتب السماوية:

الركن الثالث من أركان الإيمان: هو الإيمان بالكتب السماوية المنزلة على الرسل، فأهل السنة والجماعة، يؤمنون بالله ويعتقدون اعتقاداً جازماً أن الله- عز وجل- أنزل على رُسُله كُتُباً سماوية فيها: أَمره، ونهيه، ووعده ووعيده، وما يُريده الله من خلقه، وفيها هدى ونور، وشفاء لما في الصدور، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ .. ﴾[٢]

والله أنزل كتبه على رسله لإنقاذ البشرية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٣]

وهذه الكتب هي: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وأَفضلها التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها هو القرآن. وعندما أَنزل الله الكتب - عدا القرآن- لم يتكفَّل بحفظها، بل جعل حفظها موكولاً إلى الأَحبار والربانيين، لكنَّهم لم يحافظوا عليها، وما رعَوها حق رعايتها، بل بدلوها وحرفوا الكلم عن مواضعه.

يقول الشيخ بكر ــ رحمة الله عليه ــ:" من أركان الإيمان وأصول الاعتقاد: الإيمان بجميع كتب الله المنزلة على أنبيائه ورسله، وأن كتاب الله (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً، وآخرها عهداً برب العالمين، نزل به جبريل الأمين، من عند رب العالمين على نبيه ورسوله الأمين محمد، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل: الزبور، والتوراة، والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليه، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به، ويتبع سوى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، خليل هراس، ص ٦١، ٦٢.
(٢) سورة البقرة آية (٢٨٥).
(٣) سورة المائدة آية (١٥،١٦).

(القرآن العظيم). ومن يكفر به فقد قال الله – تعالى – في حقه: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ .. ﴾[1]" [2].

وأورد – رحمه الله – الأدلة على تحريف التوراة والإنجيل، فيقول: "من الحقائق العقدية، المتعيّن بيانها هنا: أن الكتب المنسوخة بشريعة الإسلام:

(التوراة والإنجيل) وقد لحقها التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان والنسيان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله تعالى فيها عن: (التوراة) قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ.. ﴾[3]، وقال سبحانه عن (الإنجيل): ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ .. ﴾[4]"[5] [6].

٣. الإيمان بالرسل:

بما أنّ الإيمان بالرسل من أركان الإيمان، وجب الإيمان بهم جملة وتفصيلاً، وفق ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والشيخ بكر أوضح هذه المسألة أيّما إيضاح، دعوةً إلى المعتقد الصحيح في جانب من أهم الجوانب في مسائل الإيمان، ألا وهو (الإيمان بالرسل).

فقال:" من أركان الإيمان وأصول الاعتقاد (الإيمان بالرسل) إيماناً جامعاً، عاماً مؤتلفاً، لا تفريق فيه ولا تبعيض، ولا اختلاف، وهو يتضمن تصديقهم، وإجلالهم، وتعظيمهم كما شرع الله في حقهم، وطاعتهم فيما بعثوا به في الأمر والنهي والترغيب،

---

(١) سورة هود آية (١٧).
(٢) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٧٢ .
(٣) سورة المائدة، آية (١٣) .
(٤) سورة المائدة، أية (١٤) .
(٥) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٧٢، ٧٣ .
(٦) للاستزادة، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو كتاب نفيس في بابه، ص٣ وما بعدها. ومن المصادر الحديثة، انظر: إظهار الحق لرحمة الله الهندي، والتحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة بنت حامد الصيادي، ص١٧ ــــ ٣٠٥.

والترهيب، وما جاؤوا به عن الله كافة وهذا أصل معصوم من الدين بالضرورة، فيجب الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله جملة وتفصيلاً، من قص الله سبحانه علينا خبره ومن لم يقصص خبره "(١) .

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في رسل الله وأنبيائه بلا استثناء، يقول الإمام الطحاوي في بيانه لعقيدة السلف: (ونحن مؤمنون بذلك كله، لا نفرِّق بين أحدٍ من رُسله، ونصدِّقهم كلَّهم على ما جاءُوا به)(٢) .

ويقول الشيخ بكر – رحمه الله –:" وكلهم في غاية الكمال في الخلقة البشرية، والأخلاق العلية، مصطفون من خيار قومهم، الذين بعث الله فيهم وبلسانهم من خيارهم خلقة، وخلقاً، ونسباً، ومواهب وقدرات، معصومون في تحمل الرسالة وتبليغها، ومن كبائر الذنوب واقترافها، وإن وقعت صغيرة فلا يقرون عليها، بل يسارع النبي إلى التوبة منها، والتوبة تغفر الحوبة "(٣).

ثم أوضح – أجزل الله مثوبته –: أن الرسل والأنبياء متفقون على رسالة واحدة، وعقيدة جامعة، لا خلاف بينهم في أصول الملّة، وأن الاختلاف في صور العبادات وأوقاتها وأنواعها، مبيناً أن الرسل يبعثون إلى أقوامهم خاصة، وأن أفضل الخلق وسيد المرسلين وخاتمهم بعث إلى الناس كافة، بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، وأنه لا نبي بعده إطلاقاً، وشريعته ناسخة لجميع الشرائع والأديان، فقال فضيلته:

"وأفضل الجميع على الإطلاق، بل أفضل جميع الخلائق: هو خاتمهم نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا نبي بعده، وكل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين عامة. وكلهم متفقون على وحدة الملة والدين: في التوحيد والنبوة والبعث، وما يشمله ذلك من الإيمان الجامع بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما في ذلك من وحدة العبادة لله تعالى لا شريك له،

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٨ .

(٢) العقيدة الطحاوية، (ج٢/ ص ٥٢٣) .

(٣) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٨٠، ٨١ .

فالصلاة والزكاة، والصدقات كلها عبادات لا تصرف إلا لله تعالى. وشرائعهم في هذه العبادات في صورها ومقاديرها وأوقاتها وأنواعها وكيفيتها، متعددة "(١)

وقال أيضاً :" حتى جاءت الرسالة الخاتمة، والنبوة الخالدة فنسخ الله بها جميع الشرائع فلا يجوز لبشر كتابي ولا غير كتابي أن يتعبد الله بشريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومن تعبد الله بغير هذه الشريعة الخاتمة، فهو كافر وعمله هباء: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (٢) فواجب على كل مكلف الإيمان بأن نبينا ورسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حياً لما وسعه إلا اتباعه، وأنه لا يسع الكتابيين إلا ذلك، كما قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ .. ﴾ (٣) ، وأنّ بعثته ﷺ عامة لجميع الثقلين، والناس أجمعين ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ.. ﴾(٤) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴾ (٥) "(٦) .

"فالواجب اتباع المرسلين، واتباع ما أنزل الله عليهم. وقد ختمهم الله بمحمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فجعله آخر الأنبياء، وجعل كتابه مهيمناً على ما بين يديه من كتب السماء، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجة العباد على الله، وقد بين الله به كل شيء، وأكمل له ولأمته الدين خبراً وأمراً، وجعل طاعته طاعة له، ومعصيته معصية له" (٧) .

---

(١) المصدر السابق، ص٨٣ .
(٢) سورة الفرقان، آية (٢٣)
(٣) سورة الأعراف، آية (١٥٧)
(٤) سورة سبأ، آية (٢٨)
(٥) سورة الأعراف، آية (١٥٨)
(٦) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٨٣، ٨٤ .
(٧) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، (ج١/ ص ١٤،١٥) .

ثالثاً: بيان الشيخ بكر لمسائل الكفر والشرك وأنواعهما:

تكلّم الشيخ بكر – رحمه الله –عن مسألة الكفر والشرك وأنواعهما، من ذلك قوله ـــ رحمه الله ـــ:" وأنّ الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالشك وبالترك، وليس محصوراً بالتكذيب بالقلب لما تقوله المرجئة [١] ، ولا يلزم من زوال الإيمان زواله كله كما تقول الخوارج[٢] "[٣]

واستدلّ أثابه الله على الكفر العملي بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٤]

ثم قال – رحمه الله –:" فالسجود لغير الله، والذبح لغير الله شرك وكفر بالله"[٥]

ومن ذلك:" الذبح على عتبة الباب عند انتهاء بناء البيت، لدفع شر الجان، وإسالة الدم على العتبة، أو الجدار، وهذا عمل محرم، وهو من أنواع الشرك، لأنه ذبح لغير الله، أما الذبح وصناعة الطعام ودعوة الإخوان شكراً لله على فضله وإنعامه بتمام البناء فهذا أمر مباح "[٦]

ومثّل – رحمه الله –أيضاً للكفر العملي بالسحر، يقول ـــ رحمة الله عليه ـــ:

" ومن الكفر العملي: السحر، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ

---

(١) المرجئة: فرقة من فرق أهل الأهواء والبدع. وسموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان. والإرجاء بمعنى التأخير. من فرقهم: اليونسية، والغسانية، والثوبانية، والتومنية، والمريسية. انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص١٩٠.

(٢) الخوارج: فرقة من فرق أهل الأهواء والبدع.يجمعها على افتراق مذاهبها: إكفار علي، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين، والإكفار بارتكاب الذنوب، ووجوب الخروج على الإمام الجائر. من أشهر فرقهم: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والإباضية. انظر: المصدر السابق، ص٥٤،٥٥.

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة،ص٢٧ .

(٤) سورة الأنعام، آية (١٦٢)

(٥) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٦ .

(٦) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات و الأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، بكر أبو زيد، ص٣٠ .

ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ .. ﴾[١]، وذلك لما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم، ودعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في ذلك، قال الله تعالى: ﴿.. وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ .. ﴾[٢].

ولأنّ السحر شرك وكفر، أدخله العلماء المصنفون في (التوحيد، وأبوابه) وفي أنواع الشرك؛ للتحذير منه وبيان أنه من نواقض التوحيد "[٣]

ومن أنواع الكفر:الكفر القولي، فقال – رحمه الله –موضحاً ذلك، ومستشهداً بآيات من القرآن الكريم:"الكفر بالقول، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ .. ﴾[٤]، وكما قال سبحانه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ ... ﴾[٥] ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ.. ﴾[٦]، ومنه صرف الدعاء لغير الله والاستغاثة بالأموات"[٧]

ومن أنواع الشرك: الشرك الأصغر، ومنه الحلف بغير الله، يقول الشيخ بكر:" استقر الشرع العام لأمة محمد صلى الله عليه وسلم على تحريم الحلف بغير الله تعالى، وأن من حلف بغير الله فقد أشرك شركاً أصغر. والأحاديث في النهي عن الحلف بغير الله تعالى بلغت مبلغ التواتر، وهي من قضايا الاعتقاد التي لا خلاف فيها بين المسلمين "[٨]

وقال – رحمة الله عليه– :" ومن المنكرات المنتشرة بين كثير من الناس: الحلف بغير الله تعالى، وهذا حرام، وليس لمخلوق كائناً من كان أن يحلف ويقسم بغيره جل وعلا، فإن الله شرع لعباده المؤمنين أن تكون أيمانهم به سبحانه وتعالى، أو بصفة من صفاته، فلا

---

(١) سورة البقرة آية (١٠٢)

(٢) سورة البقرة، آية (١٠٢).

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٦، ٣٧ .

(٤) سورة التوبة، آية (٦٥) .

(٥) سورة التوبة، آية (٧٤).

(٦) سورة المنافقون، آية (٨).

(٧) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٦، باختصار وتصرف.

(٨) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، ص١١٣ .

يجوز الحلف مثلاً بالكعبة، أو بالشرف، أو بالنبي، أو بالملائكة، أو بالمشايخ، أو الملوك، أو العظماء، أو الآباء، أو السيوف، ونحو ذلك مما يحلف به كثير من الجهلة. فهذه الأيمان لا تجوز بإجماع أهل العلم "(١)

واستدلّ الشيخ بكر بقوله صلى الله عليه وسلم:" **من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك** "(٢) .، وقوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: " **إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو يصمت**"(٣) .

ولم يكتف - رحمه الله - ببيان بعض الأقوال أو الأفعال الشركية، بل دعا إلى حماية جناب التوحيد، وحماية العقيدة من خدشها، أو أي وسيلة تكون سبباً في الشرك أو تؤدي إليه، حتى لو كانت من غير قصد، فالألفاظ معتبرة، والمقاصد علمها عند علاّم الغيوب .

يقول الشيخ بكر: "يحرم كل اسم معبد لغير الله تعالى، من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك "(٤).

وبعد أن ساق الأقوال والأدلة في زيارة النساء للقبور وأوجه الخلاف فيها، قال - رحمه الله تعالى -:" فالقول بالتحريم هو الموافق لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه وقواعد شريعته ومصالح أمته "(٥) .

---

(١) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات و الأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص ١٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم (٥١٢٠)، وسنن الترمذي، كتاب: النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، حديث رقم (١٤٥٥)، وسنن أبي داود، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالآباء، حديث رقم (٢٨٢٩). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الشيخ الألباني، ص٣٦٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، حديث رقم (٥٦٤٣)، وكتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم حديث رقم (٦١٥٥)، وصحيح مسلم، كتاب: الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله، حديث رقم (٣١٠٥)

(٤) تسمية المولود، بكر أبو زيد، ص٢٩ .

(٥) الأجزاء الحديثية، بكر أبو زيد، جزء في زيارة النساء للقبور، ص١٣٩.

ثمّ بيّن – رحمه الله –قاعدة شرعية في حماية جناب التوحيد، أنّ الوسائل لها حكم المقاصد، وما يستلزم من ذلك أن كل ما يؤدي إلى حرام فهو حرام.

يقول الشيخ – غفر الله له – :" وكم من مسائل منعها الشارع لا لذاتها، ولكن لما يتوصل إليه بأسبابها، من ذلك نهيه عن تجصيص القبور وتشريفها والبناء عليها، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن شد الرحال إليها، كل ذلك لئلا يكون ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً، وهذا التحريم عام في حق مَنْ قصد ومن لم يقصد. كلّ ذلك حماية لجناب التوحيد وسلامة الفطرة والمحافظة على ذلك معروفة بطبيعة العقائد الإسلامية "[(١)] .

رابعاً: بيان الشيخ بكر لمنهج بعض الفرق المخالفة لمنهج السلف:

إنّ شخصيّة علميّة مثل الشيخ بكر – رحمه الله –لابد أن تكون النظرة للدعوة شاملة ومتوازنة لديه، فيعطي مجالات العقيدة كلها حقها في الإيضاح: لأصول الاعتقاد تارة، وبيان مذاهب الفرق وضلالاتها تارة أخرى، وكشف زيغ أهل البدع والأهواء والرد عليهم ومجادلتهم تارات أُخر.

يقول الشيخ ــ جعل الله الجنة مثواه ــ في بيان مذاهب الفرق المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وخاصة فرقتي: (المرجئة، والخوارج):

" ولما كانت هذه الفتنة (فتنة المرجئة) التي تخرج العمل عن حقيقة الإيمان وتقول " لا كفر إلا كفر الجحود والتكذيب " بدعة ظلماً، وضلالة عمياً، والتي حصل من آثارها: التهوين من خصال الإسلام وفرائضه. التهوين من شأن الصلاة. التهوين من تحكيم الله في عباده ومساندة من يتحاكم إلى الطاغوت. ولما كانت هذه الفتنة الإرجائية في مقابلة فتنة الخوارج الذين يقولون: (بتكفير مرتكب الكبيرة) وهي آخية [(٢)] لها في

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٩.

(٢) تأخيت أخا، أي اتخذت أخا. وتأخيت الشيء: تحريته. والآخية، بالمد والتشديد: واحدة الأواخي. وهو أن يدفن طرفا قطعة من الحبل في الأرض وفيه عصية أو حجير، فيظهر منه مثل عروة تشد إليه الدابة. انظر: مختار الصحاح، للرازي، باب الهمزة، مادة (أخا)، ص٧ .

الضلال والابتداع، وسوء الآثار، لا يجوز أن يدين الله بأي منهما مسلم قط، كان لزاماً على أهل العلم والإيمان بيان بطلانهما وإظهار المذهب الحق الذي يجب على كل مسلم أن يدين الله به، ونحذر المسلمين من هاتين الفتنتين ومن هؤلاء المفتونين، المتجاوزين لحدود رب العالمين " انتهى باختصار[١].

ويقول أيضاً :

"وبالجملة فهذان المذهبان: مذهب الخوارج ومذهب المرجئة باطلان مرديان[٢]، أثّرا ضلالاً في الاعتقاد، وظلماً للعباد، وخراباً للديار، وإشعالاً للفتن، ووهاءً في المد الإسلامي، وهتكاً لحرماته وضرورياته، إلى غير ذلك من المفاسد والأضرار التي يجمعها الخروج على ما دلت عليه نصوص الوحيين الشريفين، والجهل بدلائلها تارة، وسوء الفهم لها تارة أخرى، وتوظيفها في غير ما دلت عليه، وبتر كلام العالم تارة، والأخذ بمتشابه قوله تارة أخرى "[٣] .

ولم يقتصر الشيخ بكر - رحمه الله - على البيان والتوضيح، والدعوة إلى سلامة المعتقد - مع أنه أجاد وأفاد - بل تعداه إلى الردود، وفضح المتطاولين على عقيدة السلف الصالح، وكشف نواياهم الباطلة، ومكايدهم السيئة، كل ذلك نصرة للحق، ودرءاً للمفاسد المترتبة على ذلك، وحماية للأمة من العبث بعقيدتها، وتحريف مقاصد علمائها، ولو بحجة التحقيق، أو التخريج، أو خدمة التراث الإسلامي.[٤]

ولم يكتف بذلك بل تتبّع ما يقال أنها أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت في بعض الكتب أو متداولة بين الناس ولم تصح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وبيّن ضعفها أو كذبها، وخصها بمؤلف فريد من نوعه سماه: (التحديث بما قيل:

---

(١) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص١٦.

(٢) مثنى مُرْدٍ، من الردى وهو الهلاك. لسان العرب، حرف الياء، فصل الراء، مادة (ردي)، (ج١٤ / ص٣١٦).

(٣) المصدر السابق، ص٢٦ .

(٤) للاستزادة: انظر: الردود، بكر أبو زيد، ص٧، ٩٩، ٢٧١، ٣٠٥، ٣٨٥، ٤٥٥.

لا يصح فيه حديث)، وفي ما يخص العقيدة وضح رحمه الله عدة أحاديث غير ثابتة من ذلك: أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد في زيارة قبر مخصوص، وأن أحاديث زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم كلها ضعيفة لا يعتمد على شيء منها في الدين، كما أن أحاديث السؤال بالمخلوقين واهية أو موضوعة، إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب المذكور [١].

* * * *

(١) للاستزادة انظر: كتاب: التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث، ص١٢٨ ــ ١٣٥.

المطلب الثاني: دعوة الشيخ إلى التمسك بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح، وبيان خطر الابتداع في الدين

ويشتمل على توطئة وفرعين:

الفرع الأول: دعوة الشيخ إلى التمسك بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح.

الفرع الثاني: بيان الشيخ لخطر الابتداع في الدين.

توطئة:

العقيدة الصحيحة هي أساس هذا الدِّين، وكلّ ما يُبنى على غير هذا الأَساس، فمآلهُ الانحسار والزوال، ولهذا اهتم النَّبي - صلى الله عليه وسلم - بإِرساء هذه العقيدة وترسيخها في قلوب أَصحابه طيلة عمره، وذلك من أَجل بناء جيل يقوم على قاعدة صلبة وأَساس متين.

ولا يمكن فهم العقيدة السليمة إلا عن طريق الكتاب والسنة، وفق فهم السلف الصالح ــ رضي الله عنهم، ورحمهم أجمعين.

لذا نجد كثيراً من الآيات والأحاديث التي تحث على التمسك بالكتاب والسنة.

قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ... ﴾ [1] وحبل الله: هو كتاب الله (القرآن الكريم)، وقيل: الجماعة، وقيل غير ذلك [2] .

وقال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ... ﴾ [3] .

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٣).

(٢) انظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ج٧/ ص ٧٠)، وتفسير القرآن العظيم، للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، (ج١/ ص ٥٠٦، ٥٠٧).

(٣) سورة النساء، آية (٥٩)

أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يقول الحافظ ابن كثير[١] رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية "وهذا أمر من الله - عز وجل - بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٢] . فما حكَمَ به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، وما ذا بعد الحق إلا الضلال .." [٣] انتهى كلامه رحمه الله.

وقال عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[٤].

وسبيل المؤمنين: هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم.[٥]

وقال - صلى الله عليه وسلم - من حديث جابر [٦] - رضي الله عنه -:

" تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله ..الحديث"[٧].

---

(١) هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي الشافعي، ولد سنة ٧٠٠هـ أو بعدها بيسير، ونشأ بدمشق، سارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته، وله تصانيف مفيدة، منها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، والباعث الحثيث، وغيرها من المصنفات، مات سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (ج١ / ص ١٢٥).

(٢) سورة الشورى، آية (١٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ص٦٧٨

(٤) سورة النساء، آية (١١٥) .

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، ص٢١٩.

(٦) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة وكان مع من شهد العقبة، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ولم يشهد بدراً ولا أُحداً، مات جابر سنة ثمان وسبعين، وقيل ثلاث وسبعين، وقيل أربع وسبعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني (ج١/ ص٤٣٤، ٤٣٥) باختصار.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢١٣٧).

فالعقيدة على منهج السلف الصالح: لها مميزات وخصائص فريدة تُبيِّن قيمتها، وضرورة التمسك بها، لأنَ عقيدة السلف منبعها: قال اللّه، وقال رسوله صلى الله عليه وسلم، بعيداً عن تلاعب الهوى والشبهات، وخالية من التأثر بالمؤثرات الأَجنبية من فلسفة ومنطق وعقلانية، فليس إلا الكتاب والسُّنّة .

ثم إنها سهلةٌ مُيسرَةٌ واضحةٌ، لا لَبْسَ فيها ولا غموض بعيدة عن التعقيد وتحريف النصوص، مُعتَقِدُها مرتاح البال، مطمئنٌّ النفس، بعيد من الشكوك والأَوهام ووساوس الشيطان، قَريرُ العين لأَنَّه سائر على هدي نبي هذه الأُمَّة- صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم- وصحابته الكرام رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين [١].

من أجل ذلك نجد أنّ البحث في هذا المطلب يدور حول الفرعين الآتيين:

أولاً: دعوة الشيخ إلى التمسك بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف الصالح:

دعا الشيخ بكر – رحمه الله – إلى التمسك بعقيدة السلف الصالح المستمدة من كتاب الله، وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وحذر من الابتداع في الدين، شأنه شأن من سبقه من العلماء والدعاة –أهل السنة والجماعة- الذين كانوا ومازالوا يحثون على وجوب التمسك بالكتاب والسنة، واقتفاء أثر السلف الصالح في العقيدة، والعبادة، والمعاملة، والأخلاق والسلوك، وفي سبيل الدعوة إلى الله تعالى، بل في شأن الإنسان كله، يقول الله – جل وعلا – في محكم كتابه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [٣] – رحمه الله تعالى – مبيناً أن اتباع الكتاب والسنة هو منهج أهل السنة والجماعة: "وأما أهل الحديث والسنة والجماعة، فقد اختصوا

---

(١) انظر: كتاب الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله الأثري ،ص ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة الأنعام آية (١٦٢) .

(٣) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي المجتهد المطلق ولد بحرّان سنة ٦٦١هـ، شيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاءً وتنويراً إلهياً

باتباعهم الكتاب والسنة الثابتة عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم - في الأصول والفروع وما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١)

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (٢) - رحمه الله-:

"الواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه"(٣)

كما يوضّح الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - أنّ التمسك بالكتاب والسنة، هو قاعدة أهل السنة والجماعة، فيقول:

"قاعدة أهل السنة والجماعة في العقائد وغيرها من أمور الدين، هي التمسك التام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما عليه الخلفاء الراشدون من هدي وسنة" (٤)

وقال - رحمه الله -:"أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بالسنة، واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلى سواها، لا في الأمور العلمية العقدية، ولا في الأمور العملية الحكمية، ولهذا سموا أهل السنة، لأنهم متمسكون بها، وسموا أهل الجماعة، لأنهم مجتمعون عليها "(٥).

=وكرماً ونصحاً للأمة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق وجريه على سنن السلف، اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها. بلغت تصانيفه خمسمائة مجلد أو تزيد، مات الشيخ معتقلاً في القلعة سنة ٧٢٨هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنبلي - (٦ / ٨٠ـ ٨٦) باختصار.

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية — ابن تيمية، (ج ٣ / ص ٤٦٣).

(٢) هو العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ولد سنة ١١٩٣هـ بالدرعية، حفظ القرآن صغيراً، لازم علماء الدرعية، وفي عام ١٢٣٣هـ عند سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا، نقل هو عائلته إلى مصر، ثم عاد في زمن الإمام تركي بن عبد الله، توفي في سنة ١٢٨٥هـ في مدينة الرياض، من مؤلفاته: فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ص٧٨-٨٦ .

(٣) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، ص٣٨٧.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، (ج١ / ص ٣٣).

(٥) انظر: المصدر السابق، (ج١ / ص ٣٧).

ويقول الشيخ صالح الفوزان – حفظه الله – :

"مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال. فمن أعرض عن الكتاب والسنة تنازعته الطرق المضلة والبدع المحدثة "[(١)] .

لقد دأب الشيخ بكر – رحمه الله – طيلة حياته العامرة على خدمة هذا الدين، والنصيحة المشفقة لأتباع الملّة، وبيان أهمية العقيدة، ووجوب التمسّك بمنهج الكتاب والسنّة، ففيهما النجاة والسعادة لمن رامهما.

لذا نجد أن الشيخ – رحمه الله – يحضُّ على اتباع منهج السلف الصالح: منهج أهل السنة والجماعة، المستمد من نور الوحي المطهر، ومشكاة النبوة.

فأهل السنة والجماعة هم أولى الناس بالاتباع، والانقياد لله ولرسوله – عليه الصلاة والسلام –، يقول الشيخ بكر – رحمة الله عليه –:

" وقد هدى الله جماعة المسلمين – أهل السنة والجماعة – الذين مَحّضوا[(٢)] الإسلام ولم يشوبوه[(٣)] بغيره، إلى القول الحق والمذهب العدل، والمعتقد الوسط بين الإفراط والتفريط مما قامت عليه دلائل الكتاب والسنة، ومضى عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم،والتابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا "[(٤)].

ويقول – رحمه الله – مبيناً علامة الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية، وأنها هي التي تلتزم بالكتاب والسنة، وتتمسك بمنهجهما، وتسير على ضوءهما:

" وأن جماعة المسلمين على منهاج النبوة لا تقبل التشطير [(٥)] ولا التجزئة، فالنبي صلى

---

(١) كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، ص٨٥، ٨٦ باختصار وتصرف يسير.

(٢) المحض: الخالص، وكل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه فهو محض. لسان العرب، حرف الضاد، فصل الميم، مادة (محض)، (ج٧/ ص٢٢٦).

(٣) الشوب: الخلط. لم يشوبوه: أي لم يخلطوه. لسان العرب، حرف الباء، فصل الشين، مادة: (شوب)، (ج١/ ص٥١٠).

(٤) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٢٦، ٢٧ .

(٥) شطرت الشيء: جعلته نصفين. انظر: تهذيب اللغة، للأزهري، باب الشين والطاء، مادة: (شطر)، (ج١١/ ص٣٠٧).

الله عليه وسلم من حين بعثته نبياً رسولاً إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، ثم صحابته رضي الله عنهم، فمن تبعهم بإحسان، كانت دعوتهم لتكون جماعة المسلمين حاملة راية التوحيد، لا لجماعة من المسلمين وقد أوصى صلى الله عليه وسلم بذلك. وأنهم هم المسلمون، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم السلف الصالح، وهم من كان على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأمر بلزومهم، ونهى عن مفارقتهم والشذوذ عنهم، كما نهى عن تفرقتهم، ونصوص الكتاب والسنة في هذا متكاثرة. وأنّ منهاج جماعة المسلمين هو الإسلام، على منهاج النبوة: الكتاب والسنة"[١].

وقال الشيخ – داعياً إلى العمل بالوحيين الشريفين، ووزن الولاء والبراء بميزانهما–:" فحظّ جماعة المسلمين من التقوى على قدر نصيبهم من العمل بالوحيين الشريفين، وهما ميزان الولاء والبراء، فبقدر الحظ منهما يكون الولاء، وبقدر الفوت يكون البراء، وهذا لا يمكن له أن ينضبط إلا في حق من كان على الصراط المستقيم، والخط القويم، من كان على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: جماعة المسلمين. فالولاء والبراء، والدعوة والجهاد، والوعظ والإرشاد، والنصح والتذكير، والالتزام في القول والعمل، ينعقد كل هذا وما يتبعه على رسم منهاج النبوة ولا غير. فلا يجوز مثلاً عقد الموالاة على اسم دون اسم الإسلام، ولا الموالاة على رسم دون رسم الإسلام، بزيادة عليه، أو نقص منه. ولا موالاة بعض المسلمين دون بعض تحت رسم اسم معين لجماعة دون جماعة آخرين، لكنه الالتزام بالجماعة، جماعة المسلمين على منهاج النبوة "[٢] .

وقال ناصحاً ومؤكداً:" فإن الطريق – يا عباد الله – إلى إنقاذ الأمة وانتشالها والعودة بها إلى حقيقة دينها، هو من الوضوح والجلاء، مما هو في متناول كل مسلم فهمه ومعرفته، إذ إن دين الإسلام هو دين الفطرة، والفطرة لا غول [٣] فيها ولا تعقيد ولا

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، ص٥٨.
(٢) المصدر السابق ص٥٨، ٥٩ باختصار
(٣) الغول: الضلال، والهلكة، والموت، والمنية، والبعد، والمشقة، والتراب الكثير، والصداع، وذهاب العقل، والتلون، والخدعة. انظر: تهذيب اللغة، باب الغين واللام، مادة: (غال)، (ج٨/ ص١٩٢)،

تأثيم، لكن الشأن في تأهيل حملته وقيامهم في المواجهة. ذلك الطريق هو برفع راية التوحيد لا غير، على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، فمن تابعهم بإحسان من أئمة العلم والدين والولاة المصلحين. وصدر الإسلام شاهد، وفي كل عصر شهيد: (ما لم يكن يومئذ ديناً، لا يكون اليوم ديناً) "[١]

فالعلماء الراسخون في العلم، العاملون بمقتضى الكتاب والسنة، الداعون إلى الله على بصيرة، يجب لزومهم، والأخذ عنهم، لأن في ذلك لزوم جماعة المسلمين، ووحدة صفهم، والنصرة على الحق.

هذا ما بيّنه الشيخ بكر - رحمه الله - وحث عليه، حرصاً منه وشفقة على حال المسلمين اليوم، يقول فضيلته:" ويجب على المسلمين لزوم الكتاب والسنة، والرغبة فيهما، والترغيب بهما، ومعرفة الأحكام الشرعية من مشكاتهما على أيدي العلماء الراسخين، والهداة المشهود لهم بالعلم والدين، والدعوة إلى ذلك على بصيرة، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في الله ولزوم جماعة المسلمين ووحدة صفهم، والتراحم والتعاطف فيما بينهم والشفقة عليهم، والنصرة على الحق، إلى غير ذلك من معالم الإسلام السامية التي بها النجاح والفلاح، وفيها خير الدنيا والآخرة "[٢]

ونجد أنّ الشيخ يحث على المنهج السلفي، ويرغب في اقتفاء الأثر في جميع أبواب الدين، فقال - رحمه الله -:

"كن سلفياً على الجادة[٣]، طريق السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين، من التوحيد والعبادات وتوظيف السنة على

=والصحاح، باب اللام، فصل الغين، مادة (غول)، (ج٥/ ص٥٨)، والقاموس المحيط، للفيروز أبادي، باب اللام، فصل الغين، مادة (غ ول)، (ج٣/ ص٥٨٦).

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية ، ص١٤٠.

(٢) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص١٨/١٩ باختصار .

(٣) الجادّة: الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. انظر: تهذيب اللغة، مادة (جدّ)، (ج١٠/ ص٤٥٥)، ولسان العرب، حرف الدال، فصل الجيم، مادة (جدد)، (ج٣/ ص١٠٧).

نفسك، وترك الجدال والمِراء، والخوض في على الكلام، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع "[١] .

والسلف الصالح رضي الله عنهم، ورحم الله الجميع، من لوازم تمسكهم بالكتاب والسنة، أنهم أبعد ما يكونون عن البدع ومحدثات الأمور.

ثانياً: بيان الشيخ لخطر الابتداع في الدين:

البدعة في اللغة: من أبدع الشيءَ، اخترعه لا على مثال. واللهُ بديع السموات والأرض، أي: مُبْدِعهما ومخترعهما و لم يسبقه أحد.

والمبتَدِع الذي يأْتي أَمْراً على شبه لم يكن ابتدأه إِياه، وفلان بِدْعٍ في هذا الأَمر أَي: لم يَسْبِقْه أَحد.والبَدِيعُ المُحْدَثُ العَجيب.[٢]

والبدعة في الاصطلاح: قيل: هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب، فأما ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب وعلم الأمر به بالأدلة الشرعية فهو من الدين الذي شرعه الله.[٣]

وقيل: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.[٤]

وقيل: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتابعون، و لم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي.[٥]

---

(١) حلية طالب العلم، ص١٢

(٢) انظر: لسان العرب، حرف العين، فصل الباء، مادة (بدع)، (ج٨ / ص٦، ٧)،والصحاح، باب: العين، فصل الباء، مادة (ب د ع)، (٣/ ص٤٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (ج ٤ / ص ١٠٧).

(٤) الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ج ١ / ص ٣٧).

(٥) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص ٤٧.

لقد كان الشيخ - رحمه الله - من أشد الغيورين على العقيدة الصحيحة، فكان يعترض على كل ما من شأنه المساس بهذه العقيدة أو النيل منها، لذا فقد دعا وحذّر من البدع والمنكرات، وكل المحدثات في الدين، فقال ـــ رحمة الله عليه -، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة:

" يجب على كل مسلم أن يأتمر بأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وينتهي عما نهى الله عنه ورسوله، ومن ذلك الحذر من المنكرات والبدع والمحدثات . قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ..﴾ [1] .

وقال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "** متفق عليه .

وفي رواية: **" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "**[3] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **".. فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة "**[4]

(١) سورة الأنعام، آية (١٥٣).

(٢) سورة يونس، آية (٣٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (٢٤٩٩)، وصحيح مسلم، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (٣٢٤٢،٣٢٤٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (١٤٣٥)

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية [١] : ".. **وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ..الحديث** " [٢] "[٣] .

وقد بيّن الشيخ – رحمه الله –أنّ الدين الإسلامي كاملٌ لا يحتاج إلى زيادة أو إتمام، وأنّ أي استحسان بإضافة أو نقص؛ اهام للملة، و طعن في مبلغيها، يقول فضيلته: "الإسلام كلٌ كاملٌ وتامٌ غير منقوص، وأحكامه بعضها مترابط ببعض. فالزيادة فيه طعن في كماله وإتمامه، والنقص منه جحد لأحكامه، فكل حدث فيه زيادة أو نقص: بدعة، ضلالة، مردود على صاحبه، والنصوص في هذا مشهورة ومنتشرة "[٤] .

وقال فضيلته:" ليس لأحد من خلق الله أن يخترع في الشريعة من رأيه أمراً لا يوجد عليه منها دليل وهذا الاختراع عين البدعة، ومخترعه هو المبتدع.

أنْ تعلم أنّ أهل الأهواء والبدع هم شر من أهل المعاصي الشهوانية، فالمبتدع شر من العاصي، إذ فتن الشبهات أشر من فتن الشهوات "[٥] .

وقال الشيخ أيضاً:" كل بدعة أحدثت في الإسلام، كان أولها صغيراً يشبه الحق، ثم صارت كبيرة، فدخل فيها مَنْ لم يستطع الخروج منها، فاحذر صِغار البدع، فإنها صَغَار"[٦].

---

(١) هو الصحابي الجليل: عرباض بن سارية السلمي: يكنى أبا نجيح، توفي العرباض سنة خمس وسبعين وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير . انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري،(ج ٣ / ص ٥١٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده، كتاب: مسند الشاميين، باب حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٦٥٢١، ١٦٥٢٢)، وأبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم (٣٩٩١)، وابن ماجه في سننه، كتاب: المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢)، والدارمي في سننه كتاب المقدمة، باب: اتباع السنة، حديث رقم (٩٥). صححه الألباني، انظر: سنن أبي داود، تحقيق الألباني، رقم الحديث (٤٦٠٧)، ص٨٣٢.

(٣) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٣، ٤

(٤) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، ص١٠٠ .

(٥) المصدر السابق، ص١٠٥ .

(٦) المصدر السابق، ص١٠٧ .

ونصح – رحمه الله – المبتدع بقوله :"فعلى كل مبتدع ناصح لنفسه أن يتجرد من الإحداث في الدين، وأن يقصر نفسه على التأسي بخاتم الأنبياء والمرسلين وصحابته رضي الله عنهم"(١).

وحَرَص الشيخ بكر أثابه الله على بيان شيء من البدع المتكاثرة، الموجودة في بعض المجتمعات الإسلامية، وما يلاحظ على بعض أصحاب الطرق(٢)، وأتباعهم، من أمور لا تليق بالمسلم فضلاً عن أهل العلم .

وقد ذكر الشيخ بكر بعض البدع والمحدثات، منكراً لها، منها قوله ـــ رحمه الله:" أعيذك بالله من صنع الأعاجم، والطرقية، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام، كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد"(٣) .

ومن تلك البدع المنكرة أيضاً: تأبين الميّت(٤) ليلة الأربعين، أو عند مرور سنة، وقراءة الفاتحة على روح الميت، ورفع اليدين في التعزية، وقراءة الفاتحة، والتعزية بوضع اليد اليمنى على صدر المعزى، فيمر جميع المعزين على هذه الصفة، وأقارب الميت وقوف، والإحداد على الزوج سنة كاملة، والتزام ذبح الذبيحة للميت بعد دفنه، والاجتماع لأهل الميت بالجلوس عندهم للتعزية، وقيام أهل الميت بصنع الطعام لهؤلاء المجتمعين، والمرأة النفساء تمنع من الخروج من بيتها مدة أربعين يوماً، وبعد مضي هذه المدة تو لم وليمة فتخرج بعدها(٥) .

---

(١) السبحة تاريخها وحكمها، بكر أبو زيد، ص٦٦ .

(٢) الطرق: جمع طريق، والطريق معروف، ومنه الطريقة. والطريقة: السيرة، وطريقة الرجل مذهبه، يقال ما زال فلان على طريقة واحدة: أي على حالة واحدة، والطريقة: الحال، يقال هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة. لسان العرب، حرف القاف، فصل الطاء، مادة (طرق) ، (ج١٠ / ص٢١٥) . والمقصود بأصحاب الطرق: هم من يتّبع طرقاً مختلفة، غير طريق أهل السنة والجماعة. (الباحث).

(٣) حلية طالب العلم، ص٣٧.

(٤) تأبين الميت: تعداد مآثره والثناء عليه. انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعهجي، وزميله، (ج ١ / ص ١١٨).

(٥) للتوسع، انظر: فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٢٠،١٩، ٢١، ٢٧، ٢٨.

وبيّن الشيخ بكر غفر الله له أنّ هذا كله مخالف للشريعة الإسلامية السمحة، وهو محرم لا يجوز فعله، إذ لا دليل له من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأنه بدعة لا أساس لها في الشريعة. (١)

فالشيخ بكر ــ طيّب الله ثراه ــ بيّن عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنها مبنيّة على أدلة الكتاب والسنّة، فمصدر تلقّي العقيدة الإسلامية: هو كتاب الله سبحانه، وسنّة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فيجب التمسك والاعتصام بهما، وحذّر من الابتداع في الدين، وجاء بنماذج من البدع المتأصلة في قلوب أصحابها، المنتشرة في أنحاء البلاد الإسلامية.

مستشهداً في ذلك كله بآيات الكتاب الحكيم، وسنة نبيه الكريم ــ عليه الصلاة والسلام ــ، وأقوال السلف الصالح ــ رضي الله عنهم، ورحم الله الجميع ــ .

* * * *

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص١٩ ــ ٢٨ باختصار.

المطلب الثالث: بيان الشيخ للمنهج القويم في مسائل التكفير، والحكم على الآخرين:

من أخطر صور الانحراف عن منهاج الدعوة الوسطية، والبعد كل البعد عن سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وسيرة صحابته الكرام، ومن تبعهم بإحسان، فتنة تكفير أصحاب الكبائر وإخراجهم من الإسلام، وسوء الظن بالمسلمين.

وهذا هو منهج الخوارج، فهم أول من تبنّى هذا الفكر، فنال منه المسلمون آلاماً عظيمة، ومحنًا كبيرة، وخلافات عقدية مقيتة، منذ بدأت وحتى الآن .

ومما يؤسف له أنّ بعض الجماعات الإسلامية في الوقت الحاضر تتزعم هذا الفكر وتقول بتكفير الحكام المسلمين، والمجتمعات الإسلامية، وتدعو للخروج عليهم، من غير حجة ولا برهان.

فما هو التكفير؟

التكفير في اللغة: مأخوذ من الكَفْر، والكَفْر: هو الستر والتغطية والجحود. ومن ذلك سمي الكافر كافراً لأنه ستر نعم الله عز وجل. وكلُّ شيء غطى شيئاً فقد كفَرَه [١]

والكُفْر في الاصطلاح: ضد الإيمان، وهو: عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل عن شك وريب، أو إعراض عن ذلك. حسداً وكبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة [٢] .

ويقع الكفر: باعتقاد القلب، وبالفعل، وبالقول، وبالشك، وبالترك.

وقد أمر الله عز وجل المؤمنين بالتبيّن – وهو التأمل والتثبت – قبل الحكم على الآخرين في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ

---

(١) انظر: القاموس المحيط: باب: الراء، فصل: الكاف، مادة: (كفر)، (ج٢/ ص٢١٦)، ولسان العرب، حرف الراء، فصل الكاف، مادة: (كفر)، (ج ٥/ ص١٤٤ وما بعدها).

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص ٦٥.

أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .. ﴾ (١)

وهذا في من كان على الكفر وأظهر الإسلام، فكيف بمن الأصل فيه الإيمان؟! ثم إن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قد تأوّلوا وظنّوا أن من قالها خوفاً من السلاح لا يكون مسلماً، ولا يصير بها دمه معصوماً، ومع ذلك عاتبهم الله عز وجل .

فالتكفير حق لله فلا يكفّر إلا من كفّره الله و رسوله. ولذلك حذّر النبيُّ صلى الله وعليه وسلم من الحكم بالكفر على شخص ليس بكافر، فقال كما في حديث ابن عمر – رضي الله عنهما –: " **أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلاّ رجعت عليه** " متفق عليه (٢) .

ومنهج أهل السنة والجماعة واضح جليّ ــ في مسألة التكفير ــ بيّنه علماء السلف في مؤلفاتهم، وفتاواهم، وردودهم على أهل الأهواء والبدع، قديماً وحديثاً، فأهل السنة والجماعة يعظّمون لفظ التكفير، ويجعلونه حقاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحدٍ إلا من كفره الله أو كفره رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

يقول الإمام الطحاوي – رحمه الله –في بيانه لعقيدة السلف:

"ولا نُكفّر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحلّه"(٣) .

ويقول أيضاً: "وأهل الكبائر من أمّة محمد – صلى الله عليه وسلم – في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين. وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٤) ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها

---

(١) سورة النساء آية (٩٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث رقم (٥٦٣٩).وصحيح مسلم واللفظ له، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، حديث رقم (٩٢) .

(٣) العقيدة الطحاوية، (ج ٢ / ص ٤٣٢).

(٤) سورة النساء آية (٤٨).

برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته"[١].

ويقول رحمه الله مبيّناً أن الحكم ينبغي أن يكون على الظاهر:

"ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى"[٢]

يقول ابن أبي العز الحنفي[٣] رحمه الله شارح العقيدة الطحاوية توضيحاً لهذه المسألة: "لأنا قَد أُمِرنَا بِالحُكم بِالظَّاهر، ونهينا عنِ الظَّنِّ وَاتِّباع ما ليس لنا به علم"[٤].

ثم قال ابن أبي العز في إيضاح آخر لمسألة تكفير المعيّن:

"وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت. لأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه. ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر، بشروط وانتفاء موانع"[٥].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "أجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أنه ليس كلّ من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك وان كان قوله مخالفاً للسنة فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع"[٦].

---

(١) العقيدة الطحاوية، (ج ٢ / ص ٥٢٤)

(٢) المصدر السابق، (ج ٢ / ص ٥٣٩).

(٣) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي: فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية. له كتب، منها " التنبيه على مشكلات الهداية"، توفي سنة: ٧٩٢ هـ، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (ج٣/ص ٨٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، (ج ٢ / ص ٥٣٩).

(٥) المصدر السابق، (ج ٢ / ص ٤٣٦، ٤٣٧) باختصار .

(٦) مجموع الفتاوى، (ج٧ / ص ٦٨٥).

وقال في موضع آخر من فتاويه: "وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطأه، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته. فالتكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطىء ولا مبتدع ولا جاهل ولا ضال يكون كافراً، بل ولا فاسقاً، بل ولا عاصياً"[(١)].

ويبيّن العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني [(٢)]، أصل فتنة التكفير، وحجة المخالفين في ذلك، فيقول – رحمه الله –:

"فإن أصل فتنة التكفير في هذا الزمان – بل منذ أزمان – هو آية يدندنون دائما حولها ألا وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [(٣)] فيأخذونها من غير فهوم عميقة، ويوردونها بلا معرفة دقيقة، ونحن نعلم أن هذه الآية الكريمة قد تكررت وجاءت خاتمتها بألفاظ ثلاثة وهي: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [(٤)]، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [(٥)].

فمن تمام جهل الذين يحتجون بهذه الآية باللفظ الأول منها فقط: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾: أنهم لم يلموا على الأقل ببعض النصوص الشرعية – قرآناً أم سنة – التي

---

(١) المصدر السابق، (ج١٢ / ص ١٨٠).

(٢) هو العلامة المحدث محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني، ولد في (ألبانيا) عام ١٩١٤م، انتقل والده إلى الشام في سوريا، وطلب العلم على يد بعض مشايخ الشام، ثم اتجه إلى علم الحديث وتخصص فيه واشتهر به وذاع صيته، درّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم انتقل إلى الأردن واستقر بها، حتى توفي بها في عام ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. له عدة مؤلفات خاصة في خدمة السنة النبوية، انظر: كتاب، حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني، ص٤٤ وما بعدها.

(٣) سورة المائدة، آية (٤٤) .

(٤) سورة المائدة، آية (٤٥).

(٥) سورة المائدة، آية (٤٧) .

جاء فيها ذكر لفظة (الكفر) فأخذوها - بغير نظر - على أنها تعني الخروج من الدين وأنه لا فرق بين هذا الذي وقع في الكفر وبين أولئك المشركين من اليهود والنصارى وأصحاب الملل الأخرى الخارجة عن ملة الإسلام. بينما لفظة الكفر في لغة الكتاب والسنة لا تعني - دائماً - هذا الذي يدندنون حوله ويسلطون هذا الفهم الخاطئ المغلوط عليه. فشأن لفظة { الكافرون } - من حيث إنها لا تدل على معنى واحد - هو ذاته شأن اللفظين الآخرين: { الظالمون } و { الفاسقون } فكما أن من وصف أنه ظالم أو فاسق لا يلزم بالضرورة ارتداده عن دينه فكذلك من وصف بأنه كافر سواءً بسواء. وهذا التنوع في معنى اللفظ الواحد هو الذي تدل عليه اللغة ثم الشرع الذي جاء بلغة العرب - لغة القرآن الكريم.

فمن أجل ذلك كان الواجب على كل من يتصدى لإصدار الأحكام على المسلمين - سواء كانوا حكاماً أم محكومين - أن يكون على علم واسع بالكتاب والسنة وعلى ضوء منهج السلف الصالح"(١) .

إنّ" التكفير حكم شرعيّ، مردُّه إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة. ولما كان مردُّ حكم التكفير إلى الله ورسوله، لم يجز أن نُكفِّر إلا من دلّ الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتَّب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقلُّ مما يترتَّب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات"(٢) .

---

(١) فتنة التكفير، محمد ناصر الدين الألباني، ص٢٠.

(٢) البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي والبوطي من الكذب الواضح، صالح بن فوزان الفوزان، ص٢٠.

فموانع التكفير أربعة: الجهل، والخطأ، والتأويل أو الشبهة، والإكراه.[(١)]

فهذا منهج أهل السنة قديماً وحديثاً، تجدهم متفقين في مسائل العقيدة ــ خاصة في مسألة التكفير ــ متضافرين على التثبّت في الحكم على الآخرين، وعدم إطلاق التهم جزافاً بغير علم ولا هدى.

والشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله – من العلماء الذين جاهدوا في سبيل الدعوة الإسلامية، قولاً وعملاً وبكل وسيلة ممكنة، ومن الذين اهتمّوا بالعقيدة السلفية، وبيّنوا ما يضادّها أو يشوبها من أفكار أو توجهات تنخر في كيان الأمة، وأوضح الشيخ بكر مسألة التكفير، والحكم على الآخرين أيّما إيضاح، مقتدياً بأسلافه الكرام، وشيوخه الأعلام.

وما تأليف الشيخ بكر لكتابه الموسوم بـ(درء الفتنة عن أهل السنة) إلاّ دفاعاً عن السنة وأهلها، وبياناً لجرم وآثار فتنة التكفير، ومردودها السيء على الأمة، يقول الشيخ في مقدمة كتابه المذكور: "رأيت تحرير هذه النصيحة: تذكيراً بفرائض الدين، ولإنقاذ المسلمين مما أخذ بعض المفتونين ــ الذين سقطوا في الفتنة ــ في إلقاء بذوره بينهم في جانب الغلو والإفراط في التكفير، لإخراج المسلمين من الإسلام والخروج عليهم...الخ"[(٢)] ، وعقد فصلاً سماه: (بيان ضلال من ضل في حقيقة الإيمان ومسألة التكفير)، جاء في مستهله، قوله – رحمه الله –"ومن آثاره: فتح باب التكفير على مصراعيه، يصيب الأمة بالتصدع والانشقاق وهتك حرمات المسلم في دينه وعرضه"[(٣)]

وفصلاً آخر بعنوان (الأصول والضوابط في مسألة التكفير) ذكر فيه جملة من الآداب والضوابط للتكفير والحكم على الآخرين.

يقول الشيخ بكر، موضحاً أن التكفير حكمه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وليس من الأمور الاجتهادية: " التكفير حكم شرعي لا مدخل للرأي المجرد فيه لأنه من

---

(١) انظر: درء الفتنة عن أهل السنة ، ص٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣باختصار.

(٣) المصدر السابق، ص٢٢

المسائل الشرعية لا العقلية، لذا صار القول فيه من خالص حق الله تعالى لا حق فيه لأحد من عباده، فالكافر من كفره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا غير. وكذلك الحكم بالفسق، والحكم بالعدالة، وعصمة الدم والسعادة في الدنيا والآخرة، كل هذه ونحوها من المسائل الشرعية، لا مدخل للرأي فيها، وإنما الحكم فيها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم "[١].

وللكفر والفسق أسباب متى ما قامت على الشخص، وانتفت الموانع، وزالت الشبه، حكم عليه بالكفر أو الفسق، يقول الشيخ بكر - رحمه الله -:

"للحكم بالردة والكفر موجبات وأسباب هي نواقض الإيمان والإسلام من اعتقاد أو قول أو فعل أو شك أو ترك، مما قام على اعتباره ناقضاً الدليل الواضح والبرهان الساطع من الكتاب أو السنة أو الإجماع، فلا يكفي الدليل الضعيف السند، ولا مشكل الدلالة، ولا عبرة بقول أحد كائناً من كان إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح "[٢]

وليس كل مخالف يكون كافراً، أو فاسقاً، يقول الشيخ بكر ــ غفر الله له ــ:

" الحق عدم تكفير كل مخالف لأهل السنة والجماعة لمخالفته، بل ينزل حكمه حسب مخالفته من كفر أو بدعة أو فسق أو معصية. وهذا ما جرى عليه أهل السنة والجماعة من عدم تكفير كل من خالفهم، وهو يدل على ما لديهم – بحمد الله – من العلم والإيمان والعدل والرحمة بالخلق، وهذا بخلاف أهل الأهواء، فإن كثيراً منهم يكفرون كل من خالفهم "[٣] .

ولكن من كفّره الله أو كفّره الرسول صلى الله عليه وسلم يحكم بكفره. يقول الشيخ - أجزل الله مثوبته:" لا يجوز لمسلم التحاشي عن تكفير من كفرهم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، لما فيه من تكذيب لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم"[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٩ .
(٢) المصدر السابق، ص٢٩ .
(٣) المصدر السابق، ص٣٠ .
(٤) المصدر السابق، ص٣٤ .

والتكفير نوعان: مطلق، ومعين.

فالمطلق يتوجه إلى الفعل أو القول دون تحديد لشخص معين.

والمعين يكون للشخص الفاعل أو القائل تحديداً، فيجب التفريق بينهما، لأنّ لكلّ منهما حكماً شرعياً يختص به.

يقول الشيخ بكر رحمة الله عليه : " يتعين التفريق بين التكفير المطلق وهو: التكفير على وجه العموم في حق من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، وبين تكفير المعيّن، فإنّ الاعتقاد أو القول أو الفعل أو الشك أو الترك، إذا كان كفراً فإنه يطلق القول بتكفير من فعل ذلك الفعل أو قال تلك المقالة وهكذا، دون تحديد معين به، أما المعين إذا قال هذه المقالة أو فعل هذا الفعل الذي يكون كفراً فينظر قبل الحكم بكفره وردته فيستتاب فإن تاب وإلا قتل شرعاً "[1]

وإصدار الحكم بالكفر، والتفريق بين التكفير المطلق أو المقيد، لا يكون لآحاد الناس، بل موكول لأهل العلم، الذين بلغوا من العلم مبلغه، فهم مردّنا للفتوى والسؤال، وما يستشكل في الأمور كلها، قال الله عز وجل:

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] ، يقول الشيخ بكر طيب الله ثراه:

" إصدار الحكم بالتكفير لا يكون لكل أحد من آحاد الناس أو جماعاتهم، وإنما مرد الإصدار إلى العلماء الراسخين في العلم الشرعي المشهود لهم به، وبالخيرية، والفضل، الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق، أن يبلغوا الناس ما علموه، وأن يبينوا لهم ما أشكل عليهم من أمر دينهم"[3] .

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠ .

(٢) سورة النحل، آية (٤٣).

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة ، ص٣١.

ونجد الشيخ بكراً - حرصاً منه على بيان مسائل التكفير - يشدّد على أن الأصل في المسلم الإسلام، ويحذر من سوء الظن به، لما في ذلك من الفرقة والاختلاف المنهي عنه في نصوص الكتاب والسنة .

وقد ورد النهي عن سوء الظن بالمسلمين، يقول الله -تعالى- في محكم كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ .. ﴾[١] .

ويقول الرسول الكريم، والنبي الأمين - صلى الله عليه وآله وسلم -: **"إياكم والظنّ، فإنّ الظنّ أكذب الحديث ... الحديث "** متفق عليه .[٢]

يقول الشيخ بكر، محذراً من ذلك:" التحذير الشديد والنهي الأكيد، عن سوء الظن بالمسلم فضلاً عن النيل منه، فكيف بتكفيره، والحكم بردته، والتسرع في ذلك بلا حجة ولا برهان من كتاب ولا سنة "[٣] .

وهنا يبيّن - رحمه الله - عقيدته السلفية التي يعتقدها في مسألة التكفير، وهي تستمد أصولها من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفق منهج السلف الصالح - رضي الله عنهم، ورحمهم الله جميعاً -، فيقول - غفر الله له -:" وإني أبرأ إلى الله أن أكفّر مسلماً "[٤].

إنّ فتنة التكفير خطيرة، لا يجوز بحال التساهل فيها، أو القول فيها بغير علم وبصيرة.[٥]

---

(١) سورة الحجرات آية (١٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم (٥٦٠٤). وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش، حديث رقم (٤٦٤٦).

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٢.

(٤) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، بكر أبو زيد، ص١٠٨

(٥) للاستزادة حول موضوع: التكفير وضوابطه، وتكفير المعين، انظر: كتاب التكفير بين الإفراط والتفريط، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، ص٩ وما بعدها، وكتاب التكفير وضوابطه، د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، ص ١٦٩ـــ ٣٠٣، وكتاب ضوابط تكفير المعين عند شيخي

لأنّ الحكم بالكفر، يترتب عليه أمور عدة، منها:

١ـــ التفريق بين المرتد وزوجته.

٢- عدم بقاء الأولاد تحت سلطانه.

٣- فقدان حق الولاية والنصرة من المجتمع الإسلامي.

٤- محاكمته أمام القضاء الإسلامي واستتابته فإن تاب وإلا قتل.

٥- لا تجرى عليه أحكام المسلمين بعد موته، فلا يغسل ولا يصلى عليه، ولا يقبر في مقابر المسلمين .

٦- الخلود في نار جهنم.

ومما سبق يظهر أنّ الحكم بالكفر ليس متروكاً للأهواء والشهوات، بل جعل الشارع له ضوابط وقيوداً، وله موانع وشروط، يَحْسُن فهمها، ومعرفةُ مراد الله فيها، كما فعل العلماء الربانيون، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

* * * *

=الإسلام: ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وعلماء الدعوة الإصلاحية، أبي العلاء بن راشد الراشد، قدم له الشيخ صالح الفوزان، ص٤٠ ـــ وما بعدها.

المطلب الرابع: دعوة الشيخ إلى الوسطية، والبعد عن الغلو في الدين:

سمة أهل السنة والجماعة: الوسطية والاعتدال، وهم وسط بين طرفي نقيض: الإفراط، أو التفريط، وكلاهما شطط عن الصراط المستقيم، وتميّزوا ببعدهم عن الغلو في الدين، أو تقديم العقل على النقل.

وقد جاءت آيات الكتاب الكريم في مواضع عديدة: إمّا آمرة بالوسطية، وإمّا ناهية عن ضدها سواء كان إفراطاً، أو تفريطاً، يقول الله عز وجل في محكم التتريل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]
يقول الطبري[2] في تفسير هذه الآية:

"إنما وصفهم بأهم"وسَط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الذين غلوا بالترهّب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدَّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على رهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها"[3].

وقال جل شأنه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[4]، ويقول جل جلاله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٣) .

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، صاحب التصانيف البديعة، مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. وكان من كبار أئمة الاجتهاد. وله الكتاب المشهور في " أخبار الأمم وتاريخهم "، وله كتاب: " التفسير " لم يصنف مثله، توفي ابن جرير سنة عشر وثلاث مئة، انظر: سير أعلام النبلاء ، (ج١٤ / ص٢٦٧، ٢٨٢) باختصار.

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن ، (ج٣ / ص ١٤٢) .

(٤) سورة الإسراء، آية ٢٩.

(٥) سورة الفرقان، آية ٦٧ .

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ..﴾ [(١)]

يقول الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن سعدي [(٢)] في تفسير هذه الآية:

"ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليه السلام، ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك" انتهى كلامه رحمه الله .[(٣)]

والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو متوافرة منها: قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه كما في البخاري: " ..**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم** ..الحديث"[(٤)]

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غداة العقبة ـــ وهو على ناقته: (القط لي حصى) فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول: "**أمثال هؤلاء فارموا**"، ثم قال: "**يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**"[(٥)] .

---

(١) سورة النساء آية ١٧١.

(٢) هو العلامة الورع الزاهد: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، ولد في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـــ، انتهت إليه المعرفة التامة ورئاسة العلم في القصيم، توفي عام ١٣٧٦هـــ، من أشهر مؤلفاته: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، والقواعد الحسان لتفسير القرآن، والقول السديد في شرح كتاب التوحيد، وغيرها من المؤلفات التي تجاوزت الثلاثين. انظر: كتاب، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص٣٩٢ ـــ ٣٩٧. باختصار.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٢٣٦ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله، واذكر في الكتاب مريم، حديث رقم (٣١٨٩)، وكتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، حديث رقم (٦٣٢٨) .

(٥) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند بني هاشم، باب: مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم (١٧٥٤)، وسنن النسائي، كتاب:مناسك الحج، باب: التقاط الحصى، حديث رقم (٣٠٠٧)،

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من امتنع عن الزواج ليقوم الليل ويصوم النهار، ومن يصوم ولا يفطر، فقال صلى الله عليه وسلم: " **أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوّج النساء، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي**" متفق على صحته، واللفظ للبخاري.(١)

والغلوّ هو سبب الشرك الأول في تاريخ البشرية، فقد كان سبب شرك قوم نوح هو الغلوّ في الصالحين وتصويرهم على شكل تماثيل، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾(٢)، قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت" (٣).

فما هو الغلوّ؟ وما هي الوسطية؟

الغلو في اللغة: غَلاَ في الأمر غلوًّا: جاوز حدَّهُ. وأصلُ الغَلاء: الارتفاع ومُجاوزة القَدرِ في كلِّ شيء. وغَلا في الدِّينِ والأَمْر يغلُو غلوّاً: جاوز حدَّه .

وغَلَوْت في الأَمر غُلُوّاً وغلانيةً وغلانياً: إِذا جاوزتَ فيه الحدّ وأَفرطْت فيه (٤) .

والغلو في الاصطلاح: هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق(٥).

=وسنن ابن ماجه، كتاب: المناسك، باب: قدر حصى الرمي، حديث رقم (٣٠٢٠) .صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الشيخ الألباني، ص٥١٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم (٤٦٧٥)، وصحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم (٢٤٨٧).

(٢) سورة نوح، آية (٢٣)

(٣) صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق، حديث رقم (٤٥٣٩).

(٤) انظر: لسان العرب، باب: الواو والياء، فصل الغين، مادة: (غلا)، (ج١٥/ ص١٣١)، والقاموس المحيط، باب: الواو والياء، فصل: الغين، مادة: (غلا)، (ج٤/ ٤٢٠).

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، (ج١ / ص ٢٩٣)

وقيل: الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حدود الأمر والنهي.(١)

وقيل: هو مجاوزة حدود ما شرع الله لعباده سواء في العقيدة أو العبادة .(٢)

الوسطية في اللغة: الوَسَطُ: من كلِّ شيء أعْدَلُهُ. ووسَطُ الشيء ما بين طرَفَيْه. وأَوسط الشيء أَفضله وخياره.(٣)

والوسطية في الاصطلاح: الوسط في الدين أن لا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حد الله ــ عز وجل ــ ولا يقصر فيه فينقص عما حدّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ، والوسط في الدين أن يتمسك بسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والغلو في الدين أن يتجاوزها، والتقصير أن لا يبلغها.(٤)

والأمة الإسلامية ــ بحمد الله ــ "وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك "(٥)

"إن الغلو داء عضال وسرطان فتاك يفسد العقيدة، ويهلك الشعوب، وما ذاك، إلاّ لأنه تعدّي لما أمر الله به، وتجاوز للمشروع الذي شرعه الله، ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم، سواء بالاعتقاد أو القول أو الفعل "(٦).

"وقد وقع البعض من هذه الأمة فيما حذّرها منه النبي - صلى الله عليه وسلم - من الغلو، حيث غلا كثير من الناس في دين الله، وتجاوز الحد المشروع لهم وتشبهوا بمن قبلهم من اليهود والنصارى وغيرهم "(٧) .

---

(١) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، (ج٢ / ص ٥١٧).

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص٥٥.

(٣) انظر: لسان العرب، حرف: الطاء، فصل الواو، مادة: (وسط)، (٧/ ص٤٢٦)، والقاموس المحيط، باب: الطاء، فصل: الواو، مادة: (وسط)، (ج٤/ ص٤٢٠).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، (ج١ / ص ٤٢)

(٥) شرح العقيدة الواسطية، خليل هراس، ص ١٨٤

(٦) المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، أ.د. حمود الرحيلي، ص٦٤ .

(٧) المصدر السابق، ص٦٦، بتصرف.

"إن منهاج الوسطية، هو أعدل المناهج في نشر دعوة الإسلام، والحفاظ على تماسك المجتمع المسلم، والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن"[١].

فلا شك أن"من أهم المشكلات التي تواجه الدعاة في هذا العصر، مشكلة الغلو في الدين والتطرف والانحراف عن منهاج الوسطية"[٢].

"فالذي ينبغي للإنسان سواء أكان داعية لغيره إلى الله، أم متعبدًا لله أن يكون بين الغلو والتقصير، مستقيمًا على دين الله عز وجل كما أمر الله"[٣].

والشيخ بكر – رحمه الله تعالى – من دعاة الوسطية والاعتدال، والذين بذلوا جهداً مشكوراً في سبيل الدعوة إلى منهج السلف الصالح – منهج أهل السنة والجماعة – الذين هداهم الله سبحانه إلى الأخذ بالوسط في كل الأمور، وميّزهم عن غيرهم من الطوائف الأخرى، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، يقول الشيخ بكر:

" وقد هدى الله جماعة المسلمين — أهل السنة والجماعة — إلى القول الحق، والمذهب العدل، والمعتقد الوسط بين الإفراط والتفريط، مما قامت عليه دلائل الكتاب والسنة، ومضى عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان إلى يومنا هذا"[٤] .

وقال – رحمه الله – مبيناً أن دين الله وسط بين الغلو والجفاء: " ودين الله بين الغالي والجافي، وقد كان علماء الإسلام يقرون النهي عن الغلو في الدين، وينشرون النصوص بذلك، في الوقت الذي يحثون فيه على التوبة والرجوع إلى الله تعالى"[٥].

وقال أيضاً:" والسنة وسط بين الإفراط والتفريط، وعليها عمل المسلمين، والحمد لله رب العالمين. فالحذر الحذر من الإيغال[٦] المؤدي إلى التزيد في تطبيق السنن"[٧].

---

(١) الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، د. عبد الله التركي، ص ١١٩.
(٢) المصدر السابق، ص ١٢١
(٣) الاعتدال في الدعوة، محمد بن صالح العثيمين، ص ١٧.
(٤) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص٢٦.
(٥) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، ص١٩٠.
(٦) الإيغال: السير الشديد، والإمعان فيه. والوغول: الدخول. انظر: تهذيب اللغة، مادة (وغل)، (ج ٨ / ص ١٩٦)
(٧) لا جديد في أحكام الصلاة، بكر أبو زيد، ص٣٧ .

والإفراط والتفريط، كلاهما مذموم لما يترتب عليه من نتائج وعواقب.

يقول الشيخ بكر، موضحاً تبعات كلا الجانبين:"جانب الغلو والإفراط في التكفير، لإخراج المسلمين من الإسلام والخروج عليهم. وفي جانب الجفاء والتفريط في الإرجاء، للانحلال من ربقة[١] الإسلام. وكلاهما من أسباب الفتنة والفساد بإيقاع التظالم بين العباد من جهة، وإماتة الدين من وجه آخر"[٢].

ثم بيّن - رحمه الله - منهج الخوارج، وما أدى بهم الغلو من ضلال وتكفير للمسلمين، فقال ـــ طيب الله ثراه ـــ:" في جانب الغلو والإفراط في نصوص الوعيد، وهو مذهب الخوارج الذين ضلوا في بيان حقيقة الإيمان فجعلوه بشقيه شيئاً واحداً، إذا زال بعضه زال جميعه، فأنتج هذا مذهبهم الضال (وهو تكفير مرتكب الكبيرة) "[٣].

وكرّر الشيخ تحذيره من الغلو، والوقوع في مزالق الفرق المنحرفة، فقال:

" وإياك يا عبد الله من الجنوح إلى الغلو، فتهبط ـــ وأنت لا تشعرـــ في مزالق الخوارج الذين تبنّى ـــ في المقابل ـــ مذهبهم بعض نابتة [٤] عصرنا "[٥]

وجدّد النصيحة لكل مسلم، فقال -رحمه الله -:

" فالنصيحة لكل عبد مسلم موحد متبع لهدي النبي صلى الله عليه وسلم التزام سنته صلى الله عليه وسلم والعمل بها بلا زيادة عليها ولا نقص منها، متعبداً عن الإضافة إليها بداع بأي من: الغلو، والإيغال، في الفهم والتطبيق، وتحميل النصوص ما لا تحتمله، وتصيد الشواذ "[٦]

---

(١) الربق: بالكسر: حبل فيه عدة عرى، تشد به البُهُم، الواحدة من العرى: ربقة. انظر: الصحاح في اللغة، باب القاف، فصل الراء، (ج ٤ / ص ٢٢٢)
(٢) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص١٣، ١٤ .
(٣) المصدر السابق، ص٢٢ .
(٤) نبتت لبني فلان نابتة: إذا نشأ لهم نشء صغار من الولد. انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، باب: النون والباء، مادة: (نبت)، (ج٥/ ص٣٧٨).
(٥) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٢١ .
(٦) لا جديد في أحكام الصلاة، ص ٧٦ .

إنّ أعظم فتنة ابتليت بها الأمة - خاصة في عصرنا الحاضر - هي الغلو في الدين. وطريق الخلاص منه: هو السير على المنهج الوسط، منهج أهل السنة والجماعة، المتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومنهج الشيخ بكر - أثابه الله وجعل الجنة مأواه - مثال للدعوة الحقّة التي تقوم على التوازن بين الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط.

فقد دعا الشيخ رحمه الله إلى الوسطية المعتبرة شرعاً، وبيّن - أثابه الله - أن دين الله بين الغالي والجافي. وإلى عدم الغلو والإفراط في التكفير لإخراج المسلمين من الإسلام والخروج عليهم. وعدم الجفاء والتفريط في الإرجاء للانحلال من تكاليف الإسلام.

* * * *

المطلب الخامس: جهود الشيخ في التصدي للتيّارات الفكرية المعاصرة، وبيان خطرها على الأمة:

ويتضمن توطئة وعنصرين:

العنصر الأول: تعريف التيارات الفكرية.

العنصر الثاني: جهود الشيخ في الدعوة إلى التصدي للتيارات الفكرية المعاصرة.

توطئة:

الأمة الإسلامية مستهدفة، والحرب بين الإسلام وأعدائه كانت وما تزال على أشدّها، فإن لم تكن حرباً عسكرية، فهي حربٌ وغزو فكري متعمّد، يمكرون بالمسلمين كلما سنحت لهم فرصة، ويكيدون لهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وقد نشطت دعواتهم، وجمعياتهم، وإرسالياتهم، وعظمت فتنتهم في زماننا هذا.

وأعداء الملّة تعددت صور مكرهم، وتنوعت أساليب غزوهم، ومهما اختلفوا، فإنهم يتفقون على الكيد للمسلمين، والنيل من دينهم، وأخلاقهم، والسعي لتشكيكهم في معتقداتهم، وتفريق صفوفهم، وتشتيت كلمتهم، حسداً من عند أنفسهم.

ومصداق ذلك في كتاب الله - تعالى - ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ..﴾[1]

وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ..﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ..﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية (١٠٥).

(٢) سورة البقرة آية (١٠٩).

(٣) سورة البقرة آية (٢١٧).

من فوائد هذه الآية: "حرص المشركين على ارتداد المؤمنين بكل وسيلة ولو أدى ذلك إلى القتال، ولهذا كان الغزو الفكري، والغزو الأخلاقي أعظم من الغزو السلاحي، لأن هذا يدخل على الأمة من حيث لا تشعر، وأما ذاك فصدام مسلح ينفر الناس منه بالطبيعة، فلا يمكّنون أحداً أن يقاتلهم، أما هذا فسلاح فتاك يفتك بالأمة من حيث لا تشعر، فانظر كيف أفسد الغزو الفكري والخلقي على الأمة الإسلامية أمور دينها، ودنياها، ومن تأمل التاريخ تبين له حقيقة الحال" [١].

وقال جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴾[٢] أي: يخرجوكم من دين الإسلام إلى الكفر [٣].

وعن ثوبان [٤] مولى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**" فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: " **بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**" فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: "**حب الدنيا وكراهية الموت**" [٥] .

---

(١) تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، (ج ٣ / ص ٦٠) بتصرف.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٩.
(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد علي الشوكاني، (ج١/ ص ٤٩).
(٤) هو ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه جحدر، وقيل: بجدد. سبي من أرض الحجاز، فاشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه، وحفظ عنه كثيرا من العلم، وطال عمره، واشتهر ذكره، نزل حمص، وبها مات سنة أربع وخمسين. سير أعلام النبلاء، (ج٣ / ص ١٥ــ ١٧) باختصار.
(٥) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: ومن حديث ثوبان رضي الله عنه، حديث رقم (٢١٣٦٣). وسنن أبي داود، كتاب: الملاحم، باب: في تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم (٣٧٤٥)، صححه الألباني، انظر: سنن أبي داود، تحقيق الألباني، ص٧٧٩.

والتيارات الفكرية المعاصرة من أقوى أسلحة أعداء الدين، فقد سيطروا على العالم كله، بأفكارهم الوضعية الوضيعة، وفرض توجهاتهم: الدينية، والأخلاقية، والسياسية، والاقتصادية، والإعلامية، والثقافية، والاجتماعية، حتى تصبح المجتمعات منعدمة الأخلاق، منحرفة التفكير، لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً، بل تصبح كالبهائم تقاد بلا بصيرة، ولو إلى حتفها.

إنّ الغزو الفكري أو التيارات الفكرية المعاصرة "أخطر من الغزو العسكري، لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية، وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوّة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منها أن تكرهه"(١)، وهو "داء عضال يفتك بالأمم، ويذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها، ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً. وهذا الغزو يقع بواسطة المناهج الدراسية والثقافية العامة ووسائل الإعلام والمؤلفات الصغيرة والكبيرة وغير ذلك من الشئون التي تتصل بالأمم، ويرجو العدو من ورائها صرفها عن عقيدتها والتعلق بما يلقيه إليها، نسأل الله السلامة والعافية "(٢)

والتيارات الفكرية: لا تأتي من الخارج فقط، بل لها نسخ في الداخل، وأعوان من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويقومون بما يعجز عنه العدو الخارجي، وقد يكون هؤلاء أبلغ في الخطورة من غيرهم، لما يدّعون من الحرص على مستقبل الأمة، والعمل على الإنقاذ والإصلاح ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣) ، ويرفعون شعارات، ويتفوهون بكلمات، ظاهرها الرحمة والشفقة، وباطنها الخبث والمكر والخديعة.

---

(١) فتاوى ومقالات ابن باز، (ج ١ / ص ٤٢٤)

(٢) المصدر السابق، (ج ١ / ص ٤٢٥)

(٣) سورة البقرة، آية (١٢)

وهذا ما جعل بعض النفوس المريضة تتقبّل هذه الأفكار السيئة، وتتشرّب تلك المبادئ الهدامة، ونتج عن ذلك: تفرق الأمة، وتصدّع كيانها، وضعف قوتها، وهوانها على الناس.

فما تعريف التيارات الفكرية؟ وما هي جهود الشيخ بكر في هذا المجال؟، هذا ما يتبيّن فيما يلي:

أولاً: تعريف التيَّارات الفكرية في اللغة والاصطلاح:

تعريف التيَّار في اللغة: التيَّار[مُشَدَّدة]: المَوْج.(١)

تعريف الفكر في اللغة: الفِكْر، والتَّفْكر: هو التَّأمُّل وإِعمال النَّظر أو الخاطر في الشيء (٢).

١- تعريف التيارات الفكرية في الاصطلاح:

قيل: "هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة"(٣).

وقيل: "هي مجموعة الجهود التي اتخذها أعداء الإسلام ضد الأمة الإسلامية، بقصد التأثير عليها في جميع الميادين: التعليمية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، باستخدام الوسائل والأساليب التي يراها مناسبة، من أجل صرف المسلمين عن التمسك بعقيدتهم، وأخلاقهم، وسِيَر سلف الأمة الصالح"(٤).

ثانياً: جهود الشيخ في الدعوة إلى التصدي للتيارات الفكرية المعاصرة:

يُعَدُّ الشيخ بكر - غفر الله له - ممن أسهم في بيان خطورة الأفكار المخالفة، والتيارات المضللة، وتصدّى لكل من يدّعي الإصلاح وهو للإفساد أقرب، ومن يتلبس بلباس الدين وهو منه أبعد. سواء كان من الخارج أو من الداخل.

---

(١) مختار الصحاح، باب: التاء، مادة: (ت ي ر)، ص٧٠

(٢) انظر: الصحاح ،باب الراء، فصل: الفاء، مادة: (فكر)، (ج٢/ ص٥٠١)، ولسان العرب، حرف الراء، فصل الفاء، مادة: (فكر)، (ج٥/ ص٦٥).

(٣) فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، (ج ١ / ص ٤٢٤)

(٤) تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص١٧

وقد ألّف الشيخ كتباً في ذلك، منها: كتاب: (المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها)، وكتاب: (حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية)، وكتاب: (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان)، بيّن فيها - أثابه الله - خطورة التنصير على الأمة الإسلامية، وإبطال نظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، وحكم الانتماء للفرق والجماعات المخالفة لمنهج السلف الصالح - رضي الله عنهم - وحذّر من بعض الأفكار والتوجهات الفاسدة التي تؤدي إلى إذابة الفوارق بين المسلم والكافر، وتؤدي إلى تبعية ماسخة لأعداء الإسلام.

فيقول - رحمه الله - موضحاً أثر الخطرين: الخارجي والداخلي على جماعة المسلمين، وسبل التصدّي لهما: "وجماعة المسلمين: أهل السنة والجماعة، الدارجون على منهاج النبوة: الكتاب والسنة، وعقد الولاء والبراء عليهما، يواجههم في خططهم الجهادي والدفاعي عن الإسلام جبهتان تمثلان الوعاء الشامل لكل الأسباب التي أدت بالمسلمين إلى الضعف والفرقة، وهما:

الأولى: الخطر الخارجي، وهو الكافر المتمحض[(١)]، الذي لم يعرف نور الإسلام بعد، بما يكيده للإسلام والمسلمين من غزو يحطم في مقوماتهم العقدية والسلوكية والسياسية والحكمية.

الثانية: مواجهة التصدع الداخلي في الأمة، بفشو فرق[(٢)] ونحل[(٣)] طاف طائفها في أفئدة شباب الأمة، وهي تحمل في مطاويها خللاً وعللاً، تشرد بسالكها عن جماعة المسلمين، فإن مقاومة ما فيها من بدع وأهواء استنزفت من المسلمين الجهد الجاهد فالتهمت الوقت آناء الليل وأطراف النهار، إذ التصدع الداخلي تحت لباس الدين يمثل انكساراً في رأس المال: المسلمين، وقد كان للسالكين على ضوء الكتاب

---

(١) المَحْضُ: اللبن الخالصُ، وهو الذي لم يخالطه الماء، وكل شيء أخلصته فقد امحضته. انظر: الصحاح، باب الضاد، فصل الميم مادة:(محض). والكافر المحض والمتمحض: الذي لم يخالطه إيمان. (الباحث)

(٢) الفِرَق: جمع فِرقة -بكسر الفاء وسكون الراء-: الطائفة من الشيء المتفرِّق، والفرقة طائفة من الناس، أو الجماعة المتميِّزة من الناس، والفرقة في الدين: الجماعة المتميِّزة بشيء من عقائدها عمن تشترك معه بنفس الدين تميّزاً لا يخرجها إلى الكفر. انظر: لسان العرب، حرف القاف، فصل الفاء، مادة (فرق)، (ج١٠/ص٢٩٩)، ومعجم لغة الفقهاء، ص ٣٤٤.

(٣) النِحَل بكسر النون المشددة وسكون الحاء: جمع نِحْلة: ومعناها العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق، والصداق (للمهر) ، والنحلة الدعوى والفريضة والديانة، وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه. لسان العرب، حرف اللام، فصل النون، مادة (نحل) ، (ج١١ / ص٦٤٩) ، ومعجم لغة الفقهاء، ص٤٧٦.

والسنة — الطائفة المنصورة — الحظ الوافر، والمقام العظيم في جبر كسر المسلمين، بردهم إلى الكتاب والسنة، وذلك بتحطيم ما قامت عليه تلك الفرق المفرقة من مآخذ باطلة في ميزان الشرع"(١).

و هذه الأخطار هي من أسباب الفتنة والفساد، والفرقة والضلال، لذا حذّر الشيخ بكر من دواعيها أشد التحذير، ووضّح نتائجها، فقال ـــ رحمه الله ـــ:

" فالحذر الحذر من أسباب الفتنة والفساد، والزيغ والانحراف والردة والإلحاد، وأعظمها الفتنة في الدين، ومنها شق عصا المسلمين، وتفريق جماعتهم، والدعوات المضللة، والوسائل المغرضة، والأفكار الهدامة، والتوجهات العقدية المضلة، والمجادلة بالباطل، لدحض الحق، ونشر الإباحة وفساد الأخلاق، إلى غير ما ذكر مما يوهن المسلمين، ويضعف المد الإسلامي"(٢)

والداعية المسلم ذو العلم والبصيرة، عليه واجب الدعوة إلى المنهج القويم، والمسلك الحق، وبيان خطر الدعوات الوافدة، والشعارات الضيّقة، التي غيّرت مسار الدعوة الحقة، ولَوَتْ نصوص الشرع إلى مفاهيم مغلوطة، وأفهام سقيمة، مما أثر على الدعوة الإسلامية في كثير من البلاد الإسلامية.

لذا فإن الشيخ بكراً - رحمه الله - بيّن هذا المفهوم المنحرف عن المنهج السليم، فقال: "ونرى أنّ طريق الدعوة إلى الله تعالى قد التوى على كثير من الناس، وتغيّر المفهوم في أفهامهم، وصاروا لا ينظرون إلى طريق الدعوة إلا بمنظار ما ينتمي إليه من الفِرَق، أو يعيش في مواجهته من الجماعات. وأن هذه الجماعات قد كثرت حولها المباحثات، فهُضِم الحق حيناً، وانتُصِر له أحياناً، وصار الناس في أمر مريج، بل في حالة نزع مؤلمة. فأقوام ابتلعهم تيار التغريب(٣) لما لم يجدوا أمامهم رؤية صحيحة بقدر ما في مواجهتهم من واقع

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ، ص٥١، ٥٢ .

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٩ .

(٣) التغريب: هو تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. انظر: كتاب الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ج٢/ ص٧٠٨).

وأقوام كسبتهم جماعة إسلامية دون الأخرى، ففرحوا بنصر الله إذ دخلوا تحت الشعار الخاص في المنحنى الحزبي (الانتماء)، (الولاء)، (السمع والطاعة)، (تصحيح المسار)، وقوم يترامون على أبواب الأحزاب فتخفق أقدامهم في أجواف الجماعات بين الولوج والخروج من جماعة إلى أخرى"(١).

وتقبّلُ الأفكار الوافدة يحصل عندما يتعد المسلمون عن هدي الكتاب والسنة، ومنهج سلف الأمة، واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، وقد بيّن الشيخ بكر ـــ أثابه الله ـــ هذه المسألة، وحث على الالتزام بالوحي المطهر، والشرع المعصوم، فقال فضيلته:

" إنما يحصل العدول عن هدي الكتاب والسنة إلى أمثال هذه الوفادات، إذا ضعف أهل الإسلام عن تحمل العلم الشرعي وأعياهم تحمله، والفقه فيه فيذهب بهم العجز والخواء، كل مذهب، وحينئذ تصادف هذه الواردات قلباً خالياً من نور العلم الشرعي الموروث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فيتشرب هذه المحدثات "(٢).

وقال رحمه الله:" أما أهل الإسلام فلديهم الشرع المعصوم من التبديل (الكتاب والسنة) فهم في غناء عن هذه الواردات، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣) "(٤).

فالشيخ بكر رحمه الله قسَّم الخطر على الأمة إلى خطر خارجي، وخطر داخلي، وبيانهما كما يأتي:

١. الخطر الخارجي:

وهو وإن كان خطره مكشوفاً إلا أنه يتخذ أشكالاً عدة، وأساليب متنوعة، فمرّة يدّعون التقارب بين الأديان، ومرّة بحجة التجديد والتحديث للعالم الثالث ـــ على حد قولهم ـــ، وأخرى يمدّون يد العون والمساعدة والإغاثة ـــ خاصة في النكبات والأزمات

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٣ باختصار.
(٢) التمثيل: حقيقته، تاريخه، حكمه، بكر أبو زيد، ص٢٩ .
(٣) سورة الفرقان، آية (٣٣).
(٤) التمثيل: حقيقته، تاريخه، حكمه، ص٢٩ .

ـــ لفقراء المسلمين، واليد الأخرى تحمل الإنجيل، والتنصير، والتشكيك في المبادئ والقيم والآداب.

ومن خططهم الماكرة التي ذكرها الشيخ بكر رحمه الله:

أ ـــ نظرية التقارب بين الأديان السماوية:

نظرية التقارب بين الأديان، بدأت في الغرب، فتبنّاها بعض المنتسبين إلى الإسلام، ودعوا إلى تطبيقها، وبعضهم على الأقل رضي بها أو سكت عنها [(١)] .

يقول الشيخ بكر - رحمه الله -موضحاً تاريخ هذه النظرية:

" في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، جهرت اليهود والنصارى، بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم وبين المسلمين، وبعبارة أخرى (التوحيد بين الموسوية، والعيسوية، والمحمدية) باسم: (الدعوة إلى التقريب بين الأديان)، (التقارب بين الأديان)، ثم باسم (نبذ التعصب الديني) ثم باسم (الإخاء الديني)، وباسم (التضامن الإسلامي المسيحي ضد الشيوعية) ثم أخرجت للناس تحت عدة شعارات :

(توحيد الأديان الثلاثة)، (الديانة العالمية)، (التعايش بين الأديان) ثم لحقها شعار آخر، هو: (وحدة الكتب السماوية)، ثم دخلت هذه الدعوة في (الحياة التعبدية العملية) "[(٢)]

وقد بيّن الشيخ آثارها، ومردودها السيئ على أهل الإسلام [(٣)] .

وقال الشيخ بكر - رحمه الله -مبيناً أن هذه الدعوة مكيدة من مكائد أعداء الملة، وصورة من صور البغض الدفين للإسلام وأهله، داعياً ـــ أثابه الله ـــ إلى عدم الاستجابة لهذه الدعوة، أو المشاركة في مؤتمراتها واجتماعاتها وجمعياتها، ذاكراً الحكم الشرعي في ذلك:

" إن الدعوة إلى هذه النظرية الثلاثية: تحت أي من هذه الشعارات إلى توحيد دين الإسلام الحق الناسخ لما قبله من الشرائع، مع ما عليه اليهود والنصارى من دين دائر لكل منهما بين النسخ والتحريف، هي أكبر مكيدة عرفت لمواجهة الإسلام والمسلمين

---

(١) للاستزادة، انظر: دعوة التقريب بين الأديان، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي، ص٢٣ وما بعدها.

(٢) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٢٢، ٢٤ .باختصار.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٢٥- ٢٩.

اجتمعت عليها كلمة اليهود والنصارى بجامع علتهم المشتركة: (بغض الإسلام والمسلمين) وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، وهي كاذبة خادعة، ذات مصير مروع مخوف. فهي في حكم الإسلام دعوة بدعية، ضالة كفرية، خطة مأثم لهم، ودعوة لهم إلى ردة شاملة عن الإسلام، لأنها تصطدم مع بدهيات الاعتقاد، وتنتهك حرمة الرسل والرسالات وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع، وتبطل ختم النبوة والرسالة المحمدية بمحمد – عليه الصلاة والسلام – فهي نظرية مرفوضة شرعاً، محرمة قطعاً بجميع أدلة التشريع في الإسلام من كتاب وسنة وإجماع، وما ينطوي تحت ذلك من دليل وبرهان. لهذا: فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، الاستجابة لها، ولا الدخول في مؤتمراتها، وندواتها، واجتماعاتها، وجمعياتها، ولا الانتماء إلى محافلها، بل يجب نبذها، ومنابذتها، والحذر منها، والتحذير من عواقبها"[١] .

ومن دعواتهم الخبيثة، جمع القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل في غلاف واحد، فقد أوضح الشيخ بكر أن هذا من الضلال البعيد، والكفر العظيم، لما في ذلك من الجمع بين الحق والباطل، ومثل هذا، دعوتهم لبناء مسجد وكنيسة ومعبد في مكان واحد، فقال الشيخ ــ طيب الله ثراه ــ:" وأنه لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل، وتوزيعهما ونشرهما، وأن نظرية طبعهما مع القرآن الكريم في غلاف واحد، من الضلال البعيد، والكفر العظيم، لما فيها من الجمع بين الحق: (القرآن الكريم) والباطل: لما في التوراة والإنجيل من التحريف والتبديل، وأن ما فيهما من حق فهو منسوخ . وأنه لا يجوز الاستجابة لدعوتهم ببناء (مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد لما فيها من الدينونة[٢] والاعتراف بدين يعبد به سوى الإسلام، وإخفاء ظهوره على الدين كله، ودعوة مادية

---

(١) المصدر السابق، ص٣٥، ٣٦ .

(٢) رجل دَنِيٌّ: هو الضعيف الخَسيس الذي لا غَناء عنده، المقَصِّر في كلِّ ما أخذ فيه. انظر: لسان العرب، حرف الواو والياء، فصل الدال، مادة: (دنا)، (ج١٤/ ص٢٧١).

إلى أن الأديان ثلاثة على أهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله"[١].

فالاستجابة لهذا المطلب فيه اعتراف بدين آخر يتعبد به سوى الإسلام، وأنّ الإسلام غير ناسخ لما قبله.

ب ــ التنصير [٢] :

يقول الشيخ بكر في بيان مكر أعداء الدين الإسلامي، وطرق استعمارهم للمسلمين: " .. فإن أعداء الله عباد الصليب وغيرهم من الكافرين، انزلوا بالمسلمين استعماراً من طراز آخر هو: (الاستعمار الفكري) وهو أشد وأنكى من حربهم المسلحة ؟! فأوقدوها معركة فكرية خبيثة ماكرة، وناراً ماردة، وسيوفاً خفية على قلوب المسلمين باستعمارها عقيدة وفكراً ومنهج حياة، ليصبح العالم الإسلامي غربياً في أخلاقه ومقوماته، متنافراً مع دين الإسلام الحق "[٣].

ويقول الشيخ بكر في توضيح استغلال المنصرين للظروف القاسية التي يمر بها العالم:" الأولوية للبلاد التي يكثر فيها الفقر والجهل، لأن كلاً من عاملي الجهل والفقر، ينتج الفرصة أكثر لنشر الانحراف، وبخاصة إلى التنصير. ولذا كثفوا نشاطهم في مجاهل أفريقيا، وأدرك أعداء الله – عباد الصليب – مأربهم " [٤] ، ويقول أيضاً:" وقبل هذا وبعده المقايضة لقاء الاستعمار المعنوي، مثل: سابقة يد الإفضال، وعمليات الإنقاذ من الأزمات السياسية، والصحية، والاقتصادية، وغيرها "[٥].

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٩٦، ٩٧ .

(٢) التنصير: حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة، في دول العلم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، (ج٢/ ص٦٧٥).

(٣) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها، بكر أبو زيد، ص٣ .

(٤) المصدر السابق، ص٣٠ .

(٥) المصدر السابق، ص٣١ .

ومن وسائل الغزو الفكري المعاصر: فتح مدارس أجنبية في بلاد الإسلام، وهذه مفاتيح للتنصير والتغريب.

والشيخ بكر أخذ على عاتقة مسؤولية الدفاع عن الإسلام وديار الإسلام وخاصة في مسألة فتح مدارس للتعليم الأجنبي، لما يترتب على ذلك من غزو للمسلمين في أعز ما يملكون وهو العقيدة والأخلاق، لذا فإن الشيخ - رحمه الله -أجاد وأفاد في فضح مخططاتهم وكشف وسائلهم وأساليبهم، فقال ـــ جعل الله الجنة مثواه ـــ:"واليوم، تزحف هذه المدارس إلى قلب الجزيرة العربية، أول مفتاح للتنصير والتغريب ودخول أول أزمة جديدة في مجال التعليم، وهي أولى وسيلة في مثلث التبشير: المدرسة — المستشفى — دار الأيتام؛ فتزدحم بها المدن، وتنتشر في ساعة من نهار"[١].

وقال:" فإنه يقع في هذه المدارس التنصيرية التي تفتح في بلاد المسلمين، وتحتضن مواليدهم، من شعائر عباد الصليب ما يكون كفيلاً بتلقين التقوى المسيحية، والسلوك المسيحي، وتنشئة طلابها على فلسفة مسيحية للحياة — هكذا على حد قولهم -؟! ولهذا فإن بعض منظري المدارس الأمريكية التنصيرية في بلاد المسلمين، يمثل (المدرسة) بالطُّعْم[٢]، ويمثل: (التنصير) بالسنَّارة [٣] للاصطياد، ويقول: (لا خير في سنَّارة بلا طُعْم) أي لا خير في مدرسة بلا تنصير؟!" [٤] .

٢. الخطر الداخلي:

يكمن الخطر من الداخل في أفكار أهل الأهواء والبدع قديماً وحديثاً، فهم متشابهون من حيث المبادئ، مجمعون على الأخذ من الأدلة بما يوافق أهواءهم، ويلوون

---

(١) المصدر السابق، ص٦ .

(٢) الطَّعْمُ: الأَكْل، والطُّعْم: ما أُكِلَ، وقيل: الطُّعْم: الطَّعام، والطَّعْمُ: الشَّهوة وهو الذَّوْق. والطُّعْمُ أيضاً: الحَبُّ الذي يُلْقى للطير. [قلت: وكذلك صغار السمك ونحوه، يوضع في سنَّارة طُعْماً للأسماك الكبيرة لصيدها]. انظر: لسان العرب، حرف: الميم، فصل الطاء، مادة: (طعم)، (ج١٢/ ص٣٦٣).

(٣) آلة معروفة لصيد الأسماك. (الباحث).

(٤) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص٣٨. باختصار

أعناق النصوص إذا خالفت أغراضهم: إما بتحريف أو بتأويل، فلهم قواسم مشتركة، بيّنها الشيخ بكر ـــ رحمة الله عليه ـــ موضحاً أن تلك الفرق " يجمعها اتباع الهوى، والحكم بالمتشابه، وحجية الكشف والإلهام والرؤيا، وفتيا القلب (حدثني قلبي عن ربي !) والطعن في خبر الآحاد، ودعوى مخالفة النص للمعقول وتحكيم العوائد، وزخرفة الباطل، والاستدلال المقلوب بالاستحسان، وبالمصالح المرسلة على الأهواء، وبتر النقول والنصوص، والدس في كلام أهل السنة، بل في السنة، والتحريف فيها: التأويل، وفاسد القياس، ومعارضة النص بالرأي، وبدعة التعصب وتقديس الأشياخ، وتعظيم خطر مخالفتهم بما يخرج عن حدود الشرع، وتحكيم ظواهر النصوص من غير التفات إلى مقاصدها، والاحتجاج بالسواد الأعظم، وتقييد المطلق بالتشهي، وعكسه، والتهويل بدعوى الإجماع، والاحتجاج بمقامات الشيوخ، والتغالي فيهم، واستغلال الغلط في تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، والتحريف في دلالة النص: الوضع في الاستعمال، والاعتماد على الضعاف والواهيات في المرويات، وصرف فهم النص عن سَنَن لغة العرب، ودعوى تناقض السنة مع السنة، ودعوى تناقضها مع القرآن، ودعوى أن للنص ظاهراً وباطناً، وهكذا من مآخذ أهل البدع في الاستدلال"(١) .

ثم إنّ الشيخ بكراً حذّر من استخدام شعارات دخيلة، وألفاظ مستحدثة، بدل الأسماء والمصطلحات الشرعية، حتى لا ينفصم الماضي عن الحاضر، ويتخلّف الخلف عن منهج السلف، فيقول - رحمه الله -:

" وإن من أومد (٢) ما يلتفت إليه هو التزام لغة العلم بمعنى الأسماء والمصطلحات الشرعية، حتى يستطيع السامع والباحث أن يعرف مدى الربط بين الماضي والحاضر، ولا يصاب بانفصام عن ماضيه بجميع مقوماته ومواقفه. ولا يعد بالأفهام مثل قلب لغة العلم

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، ص٥٢ .

(٢) الومد والومدة بالتحريك: شدة حر الليل. وقد ومدت ليلتنا. وومد الرجل أيضا: لغة في وبد، أي غضب وحمي. انظر: الصحاح في اللغة، باب الدال، فصل الواو، مادة (ومد)، (ج٢/ ص١٧٥).

و(الشعارات) المستخدمة، لا سيما تلك التي يتمسح بها ويكتب العديد ببريقها مع خوائها[١]، والتي إذا نظرت فيها، رأيتها تعني منهج الفرق في القديم في جل مضامينها، أو بعضها، فكم تأبطت من أفكار، وآراء، ومسالك، يأباها الشرع المطهر. وعليه يجب أن يكون النظر والبحث وترتيب الحكم في قالب لغة العلم لا غير .فلنعبّر بـــ (الفرق) لا بشعارات الجماعات الإسلامية، لأن جماعة المسلمين واحدة لا تتعدد، (على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضي الله عنهم) وما عدا جماعة المسلمين فهم من (الفرق) من جماعة المسلمين. ولنعبر بالبدعة أمام السنة. وأهل السنة والجماعة أمام أهل البدع والأهواء. والدعوة إلى الله، والجهاد، والنفير، وتنصيب الولاة، بدلاً من (الانقلاب الروحي)، (الانقلاب السياسي)، إذ الإسلام دين رحمة وهداية، لا عسف[٢] فيه ولا جور وبدلاُ من (الانتفاضة) إذ لا ينتفض إلا العليل. والدعوة والإنذار، والبلاغ، بدلاً من (التحرك) و (الحركة الإسلامية) فإن التحرك يطلق في لسان العرب على كل متحرك، ولو لم يبارح مكانه، ولنعبر بمراتب الديانة: الإسلام، الإيمان، الإحسان بدلاً من (الضمير)، (الوجدان)، (الإنسانية). ويا لله كم في هذه المصطلحات المولدة من جناية على العلم وحقائقه، وإثارة للشبهات، وانفصام عن مآثر الأسلاف، وبعث للخصومات، وهكذا "[٣] .

وهنا نجد أن الشيخ بكراً – رحمه الله –بيّن أن الولاء والبراء للفرقة والجماعة أو الحزب، على حساب المنهج القويم والأصل السليم، يؤدي ذلك إلى خلل في منهج

---

(١) الخَوَاءُ: الفُرْجَة بين الشيئين. وخوت الدار خواء: خلت من سكانها. وكذلك إذا سقطت، ومنه قوله تعالى: " فتلك بيوتهم خاوية " أي خالية. ويقال ساقطة، كما قال تعالى: " فهي خاوية على عروشها " أي ساقطة على سقوفها. انظر: الصحاح في اللغة، باب المعتل، فصل الخاء، مادة: (خوى)، (ج٦/ ص٢٧٧).

(٢) العَسْفُ: السَّير بغير هداية والأَخْذُ على غير الطريق، ورجل عَسوفٌ إذا لم يقصد الحق، وعسَف فلان فلاناً عَسْفاً: ظلَمه، ولم ينصفه. انظر: لسان العرب، حرف: الفاء، فصل العين، مادة: (عسف)، (ج٩/ ص٢٤٥).

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، ص١٧، ١٨ باختصار .

المسلم، ودعوته الخالصة لله، وتقوقع حول الذات، وتبعية عمياء للفكر البشري المنحرف، بدل الانقياد لحكم الله وحكم رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيقول – أثابه الله –:

"إن القيادة والزعامة في (الفرقة) و (الجماعة)، يطغى الاهتمام بها على (الفكرة) و (المنهج) و (الأصول) التي تبنى عليها أصول الجماعة في دعوتها، وهذا يؤول إلى تبعية ماسخة للأفراد، منتجة للمنتمين على أنهم (جنود للقيادة) لا للدعوة والغاية ؟ وبالتالي تخدم الحزبيات الأشخاص، لا الأهداف والغايات للدعوة ؟ "(١)

والسؤال الذي يفرض نفسه: إلى أي جهة ينتمي المسلم؟ فأجاب الشيخ بكر على هذا السؤال، إجابة شافية كافية، بقوله:

" فإني سائل من يحجر نفسه في (الانتماء الحزبي): إذا سقط ذلك الحزب وتمزق، فإلى أي جهة ينتمي المسلم ؟!

إنه لا ملجأ من الله إلا إليه، إنه الانتماء إلى معين لا ينضب، وقوة لا تهزم، وحق لا يتعدد، إلى الإسلام وشموله على مدارج السلف، في وحدة انتمائهم إلى منهاج النبوة: الكتاب والسنة، في التزود بزادهم في سفرهم إلى الله تعالى والدار الآخرة " (٢) .

وإن كان المسلم في بلد، وولايته غير إسلامية، فماذا يفعل؟ يقول الشيخ بكر:" وإن كان المسلم في بلد فيه جماعة مسلمون، لكن ليست ولايته إسلامية، فليعتزل الفرقة المخالفة للإسلام، والمختلفة عليه، وليكن اعتقاده وعمله ودعوته على منهاج النبوة، وسيرة السلف الصالح في هذه الأمة في: الاعتقاد، الحكم، والسلوك، الأحكام يؤمن بذلك، ويدعو إليه على منهاج النبوة "(٣) .

وقال مؤكداً على اعتزال الفرق المجانبة للصواب، وداعياً إلى الاعتصام بالله وهدي الكتاب:

---

(١) المصدر السابق، ص١٢٤ .
(٢) المصدر السابق، ص١٤٢ .
(٣) المصدر السابق، ص٦٥ .

"على من أنار الله بصيرته بنور التوحيد، وهدي القرآن والسنة، أن يعتزل هذه الفرق كلها، وأن يعتصم بالله، ومن يعتصم بالله قد هدي إلى صراط مستقيم، وأن يقيم (سوق) الدعوة إلى التوحيد الخالص، والتبصير بالوظائف الشرعية من الجهاد ونصاب الاحتساب والعلم والعمل "(١)

إن التيارات الفكرية الوافدة، والحركات المعاصرة المنحرفة، تمثل خطراً وأي خطر على المجتمعات الإنسانية عموماً، والإسلامية خصوصاً، في خبث ومكر ودهاء. لتنصرف المجتمعات عن الهدى والصواب، وتنشغل عن مراد ربها تبارك وتعالى، والفهم الصحيح لمبادئ الإسلام، وتبتعد عن أصولها، وأهدافها.

وكم عانت المجتمعات الإسلامية من التيارات والجماعات الفكرية الدخيلة، عندما غزت الديار الإسلامية، بكل ما تمتلك من إمكانات؛ غزواً يفتت الأمة، ويضعف من انطلاقها، ويقيّد حركاها، ويصرفها عن المواكبة العلمية، ويؤدي أخيراً ــ عندما تتبنى أفكار وأخلاق الأعداء ــ إلى التبعية المذلة للآخرين.

والشيخ بكر – رحمه الله –حذّر من الأفكار والدعوات الوافدة، ودعا إلى الدخول في إطار الجماعة الواحدة ــ جماعة أهل السنة والجماعة ــ وهجر الأحزاب والفرق الأخرى، لأن الانتماء إلى تلك الجماعات، وتقبل المبادئ الهدامة، يؤدي في النهاية إلى التفرق والاختلاف المذموم شرعاً وعرفاً.

وهذا ما جعل الشيخ بكراً يخصه – أعني: التفرق والاختلاف – بمزيد من العناية والتوضيح، كما يتضح جلياً في المطلب الآتي.

* * * *

(١) المصدر السابق، ص١٥٦

المطلب السادس: دعوة الشيخ إلى الاجتماع، والتحذير من الاختلاف.

لقد أمر الله بالاجتماع والألفة بين المسلمين، وذمّ التفرق والاختلاف، ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إلى ذلك. وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة محذرة من التفرق والاختلاف، وتبيّن مآل ومصير من كانت هذه صفاته، وتوضح ثمرات الاجتماع والتآلف، وأنها من أسباب وحدة الصف، وقوة الكلمة، والنصر على الأعداء، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (١) .

وقال عز وجل﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (٤)، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ (٥) .

وفي السنة المطهرة جاء النهي عن الخلاف، وأن الخلاف شر، فعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم** " متفق عليه (٦) .

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٣)

(٢) سورة آل عمران، آية (١٠٥)

(٣) سورة الأنعام، آية (١٥٩)

(٤) سورة البقرة، آية (١٧٦)

(٥) سورة آل عمران، آية (١٩)

(٦) صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٦٧٤٤). وصحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: فرض الحج مرة في

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**" قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: " **الجماعة** "[1].

فقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي التي لا تشذ، بل تكون مع الاجتماع والجماعة.

لذا فإن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة؛ والرسول – صلى الله عليه وسلم – عندما أخبر بذلك يحذر أمته منه؛ شفقة ورحمة بها من الوقوع في ما وقعت فيه الأمم من قبل، وهذا مصداق ما جاء ذكره في كتاب الله عز وجل من النهي عن الاختلاف بين أفراد الأمة، وأن هذه سنة الأمم السابقة.

ولكن هناك خلاف محمود، وهو الخلاف مع الكفار والمشركين وأهل البدع والأهواء، و هذا لا يعني ظلمهم أو التعدي عليهم بغير حق، بأي حال من الأحوال.

والبحث هنا في الاختلاف المذموم، وهو ما يقع بين المسلمين أنفسهم بغير حق.

فأولاً: تعريف الاجتماع، والاختلاف:

١- معنى الاجتماع، في اللغة والاصطلاح:

=العمر، حديث رقم (٢٣٨٠)، وكتاب: الفضائل، باب: توقيره صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، حديث رقم (٤٣٤٨).

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند المكثرين، باب: مسند أبي هريرة، حديث رقم (٨٠٤٦) وكتاب: مسند الشاميين، باب: حديث معاوية بن أبي سفيان، حديث رقم (١٦٣٢٩) وسنن الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٥٦٥) وسنن أبي داود، كتاب: السنة، باب: شرح السنة، حديث رقم (٣٩٨٠)، (٣٩٨١) وسنن ابن ماجه واللفظ له، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم حديث رقم (٣٩٨١)، (٣٩٨٢)، (٣٩٨٣). صححه الشيخ الألباني. انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، حديث رقم (٣٩٩٢) ص٦٥٩.

معنى الاجتماع لغة: جمعتُ الشيءَ المتفرقَ فاجتمعَ. وتجمَّع القوم، أي: اجتمعوا من ههنا وههنا. وجُمَّاعُ الناس بالضم: أخلاطهم، وهم الأُشابة من قبائل شتَّى. والمجموع: الذي جُمع من ههنا وههنا، وإن لم يُجعل كالشيء الواحد.

وفلاة مُجْمِعة: يجتمع القوم فيها ولا يتفرَّقون، خوفَ الضلال ونحوِه، كأنَّها هي التي جمعتهم. واستجمع السيل: اجتمع من كلِّ موضع.

والجمع، كالمنع تأليف المتفرق، والجميع: ضد المتفرق (١) .

واصطلاحاً: الاجتماع: تقارب أجسام بعضها من بعض (٢) .

وقيل: هو اجتماع الإخوان والتعاون على أسباب النجاة، والتواصي بالحق والصبر(٣).

٢- معنى الاختلاف في اللغة: المُخالفة. وتَخلَّفَ: تأخَّر. واختَلَفَ: ضدُّ اتَّفَق. وكلمة (خَلَفَ) تأتي بعدة معاني أخرى، منها:

ضد قدام، بعد [للزمان والمكان]، التخلف عمن تقدم، لم يتفق، لم يساوِ، المضادة، الميل، عدم الوفاء، الضعف، الفساد، البقاء، النتاج، الطريق أو الوادي بين جبلين، صرف الوجه، الولد الصالح، العوض والبدل، القرن، التعاقب ومن تعاقب الليل والنهار.(٤)

واصطلاحاً: قيل: هي منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل (٥).

وقيل: أن ينتهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر في حاله، أو في قوله.(٦)

فالاجتماع إذاً: هو الاعتصام بالكتاب العزيز والسنة النبوية، والتمسك بمنهج أهل السنة والجماعة، يُجتَمَعُ مع من كان هذا منهجه، ويُختَلَفُ مع من حاد عنه بقدر قربه وبعده.

---

(١) انظر: الصحاح في اللغة، باب الجيم، مادة (جمع)، (ج٨/ ص٥٣)، والقاموس المحيط، باب العين، فصل الجيم، مادة (الجمع)، (ج٣/ ص١٨).

(٢) التعريفات، ص ١٤.

(٣) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص ٣٧.

(٤) انظر: القاموس المحيط، باب الفاء، فصل الخاء، مادة (خلف)، (ج٣/ ص١٨٣).

(٥) التعريفات، ص ١٠٥

(٦) الائتلاف والاختلاف: أسسه وضوابطه، صالح بن غانم السدلان، ص١٠.

ومنهج أهل السنة والجماعة، هو اتباع الجماعة، ونبذ الفرقة والشذوذ.

يقول الإمام الطحاوي ــ رحمه الله تعالى ــ في بيان مذهب السلف: "ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة "[١]، وقال في موضع آخر: " ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً"[٢] .

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ــ رحمه الله ــ:

"الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كلّه، ولا يفرق بين الناس، وأن لا يكون متعصباً لمذهب دون مذهب، أو لقبيلة دون قبيلة، أو لشيخه أو رئيسه أو غير ذلك، بل الواجب أن يكون هدفه إثبات الحق وإيضاحه، واستقامة الناس عليه"[٣] .

ويقول العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ــ رحمة الله عليه ــ:

"يجب على أهل السنة والجماعة أن يتحدوا حتى وإن اختلفوا فيما يختلفون فيه، فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم، فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد، والمهم ائتلاف القلوب واتحاد الكلمة، ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا، سواء كانوا أعداء يصرحون بالعداوة، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين، أو للإسلام وهم ليسوا كذلك، فالواجب أن نتميز بهذه الميزة التي هي ميزة للطائفة الناجية وهي الاتفاق على كلمة واحدة "[٤] .

ثانياً: دعوة الشيخ إلى الاجتماع، والتحذير من الاختلاف:

أكثرَ الشيخ بكر ــ غفر الله له ــ من الدعوة إلى الاجتماع و الألفة بين المسلمين، وحذّر من الفرقة والاختلاف، حتى تجتمع القلوب قبل اجتماع الأجساد، وتتحد الكلمة والأهداف، ويكون النصر حليف الأمة، والفلاح ميزة الطائفة الناجية، والفرقة المنصورة،

---

(١) العقيدة الطحاوية، (ج٢/ ص ٥٤٤).

(٢) المصدر السابق، (ج٢/ ص ٧٧٥).

(٣) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، (ج١ / ص ٣٤٣).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، (ج١ / ص ٤١)

مبيّناً سبيل النجاة من الفرقة والخلاف، يقول ــ أثابه الله ــ: " ومن هنا تبرز دلالة النبوة في إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بتفرق هذه الأمة، وأن النجاة لواحدة منها، وهي التي خطّ لها النبي صلى الله عليه وسلم الخط المستقيم وهو ينكت بعود في الأرض، وعلى جنبيه خطوط، على كل خط منها شيطان يدعو إليه.

فهذا الخط المستقيم هو الإسلام، والإسلام واحد لا يتعدد، وما عداه فهو من السبل، وإن كان بعضاً من الإسلام، لكنّه لا يمثل كلّ الإسلام، وسالكها يمثل جماعة المسلمين بقدر ما لديه من أنوار الإسلام قلّة وكثرة، وقرباً وبعداً من الصراط المستقيم "[١].

والشيخ بكر أثابه الله يلفت النظر إلى أن حياة النبي - عليه الصلاة والسلام - وسيرته مليئة بصور التوحيد والاتحاد، فيقول فضيلته:

" وأنت إذا نظرت في حياة الرسول بالبصيرة، وبحثت في أصول الإسلام بالروية، وجدت مبدأ التوحيد والاتحاد مرمى كل عمل، وأساس كل قاعدة، وبفضل التوحيد والوحدة جعل الله العرب القلال[٢] الضعاف أئمة للناس، وورثة لكسرى وقيصر، فلما انشقت العصا وتمزق المسلمون، ونسوا الله، وفصلوا بين دينه ودنياهم، ضعفوا، ولانوا، واستكانوا، وأصبحوا بين الأمم القوية قطعاناً تسام وسلعاً تساوم"[٣].

ويبيّن الشيخ بكر غفر الله له بأنّ الاختلاف المذموم وقع بعد مضي الصدر الأول من هذه الأمة، فيقول فضيلته: " مضى الصدر الأول، بلا تبدد ولا انقسام، و لا تفرق ولا انشقاق، وكانت كلما بدت فتنة، خبت وكبتت، حتى قامت فتن، وبانت بوائن[٤]،

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٥٢، ٥٣ .

(٢) القُلّ، بالضم، والقِلّة، بالكسر: ضد الكثرة والكُثر، وقوم قليلون وأقلاء وقلل وقللون: يكون ذلك في قلة العدد، ودقة الجثة. والإقلال: قلة الجدة. وقلل من الناس، بضمتين: ناس متفرقون من قبائل شتى أو غير شتى فإذا اجتمعوا جمعا، فهم قلل. انظر: القاموس المحيط – باب اللام فصل القاف مادة (القلّ)، (ج٣/ ص٦٠٢).

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٧٩ .

(٤) فعل بان له عدة معاني تدور كلها حول معنى الوضوح والانكشاف. انظر: لسان العرب، حرف النون، فصل الباء، مادة (بين)،(ج ١٣/ ص ٦٢) . والقاموس المحيط، باب النون، فصل الباء، مادة (بان)،(ج ٤/ ص ١٨٧)

وظهرت فرق ونحل، كل واحدة زادت في تصدع الأمة وانقسامها بعد وحدتها والتئامها، وفي انشقاق جماعة المسلمين وتباينهم بعد تراحمهم وتآلفهم "[١] .

أما ما وقع بين الصحابة أو التابعين أو الأئمة وغيرهم فهو خلاف في أمور اجتهادية، سائغ الاجتهاد فيها، يقول الشيخ بكر رحمه الله:

" إذا علمنا أن الفرقة المذمومة هي الداعية إلى التقاطع والتدابر، فاعلم أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فمن بعدهم من التابعين، ومن الأئمة الفقهاء والأربعة وغيرهم، اختلفوا في جملة من أحكام الدين، ولم يتفرقوا، لأنهم اختلفوا فيما أذن لهم من اجتهاد فيه، أو لأن اختلافهم لم يكن داعية للتدابر.

وعليه فإن اختلاف المذاهب الفقهية الأربعة لا يعد فرقة، فإذا أثار تدابراً، صار التقاطع والتدابر في ذلك بدعة إضافية، فالاختلاف والحالة هذه جائزٌ بحسب وسع المجتهدين، والتدابر لا يجوز أما إذا حال التمذهب دون الرجوع إلى الدليل من الكتاب والسنة، وتحكيمهما، صار بدعة حقيقية، لأن الله يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ..﴾[٢] "[٣] .

وشدّ آصرة التآخي بين المسلمين، هو هدف من أهداف دعوة الإسلام، فالإسلام يدعو إلى الوحدة ويحرم الفرقة بين أبناء القبلة الواحدة، وفي بيان ذلك يقول الشيخ بكر - رحمه الله -:" وعقد نظام الدعوة إلى الله تعالى على منهاج النبوة شد آصرة التآخي بين المسلمين في وحدة جامعة، تضم ما تناثر من أفراده تحت سلطان الإخاء في الإيمان، إذ الأصل في الإسلام وجوب الوحدة والائتلاف، وحرمة الفرقة والاختلاف "[٤] .

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٣٦ .

(٢) سورة النساء آية (٥٩) .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١١١

(٤) المصدر السابق، ص٩١ .

ويقول فضيلته أيضاً، حاثّاً المسلمين على الوحدة والنصرة، ومد روابط الإخاء:" على المسلمين أن يكونوا كما أراده الله منهم أمة واحدة، يقومون بواجب التعاون والترابط والنصرة والمشورة، ومد روابط الإخاء مهما تعددت ديارهم وتناءت بلدانهم، وأن يعيش المسلم آلام إخوانه في أي بلد كانوا، ويعمل جاهداً لما فيه نصرتهم واستصلاح حالهم "(١) .

ونجد الشيخ بكراً رحمه الله وضّح أسباب الفرقة والاختلاف، يقول الشيخ ــ رحمه الله ــ:" المفهوم الشرعي لجماعة المسلمين متآخون على منهاج النبوة: الكتاب والسنة، ينتظمهم إمام ذو شوكة ومنعة. وهذه هي الروابط العامة بين المسلمين لوحدتهم وتماسك جماعتهم، وبقدر التفريط يحصل الاختلاف والاضطراب، فإذا انخزل(٢) فرد من أفراد المسلمين أو انخزلت فرقة عنهم، فهذا انشقاق على المسلمين وتفريق لجماعتهم، وهو في طبيعة حاله انخزال عن كل الإسلام على منهاج النبوة".

ويبيّن فضيلته أن من أسباب الفتنة والفساد: شق عصا المسلمين وتفريق جماعتهم، قائلاً:" فالحذر الحذر من أسباب الفتنة والفساد، والزيغ والانحراف والردة والإلحاد، وأعظمها الفتنة في الدين، ومنها شق عصا المسلمين، وتفريق جماعتهم، والدعوات المضللة، والوسائل المغرضة، والأفكار الهدامة، والتوجهات العقدية المضلة، والمجادلة بالباطل، لدحض الحق، ونشر الإباحية، وفساد الأخلاق، إلى غير ما ذكر مما يوهن المسلمين، ويضعف المد الإسلامي"(٣) .

ومن أسباب التفرق والاختلاف: التعدد الفكري والعقدي الدخيل، والانتماء لغير أهل السنة والجماعة، يقول الشيخ بكر:" إيجاد أنواع التعددية الفكرية، والعقدية، والانتماءات المتنافرة لبث الصراع وانفجار الانقسامات السياسية والطائفية، وفي هذا

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٨ .

(٢)الخزل والتخزل والانخزال: مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك. انظر: لسان العرب، حرف اللام، فصل الخاء، مادة:(خزل)، (ج١١/ ص٢٠٣).

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٩ .

تفكيك الوحدة الإسلامية، وتهديد الأمن الإسلامي بمقوماته كافة "[(١)].

ويؤكّد الشيخ بكر رحمه الله على أن التجمع والائتلاف ينبغي أن يكون على مبدأ الكتاب والسنة، وهو شعار المسلمين ورمزهم، لا شعارات الحزبية والطائفية، التي تشعل الخلاف والفتنة، وتقطّع جسد الأمة، فيقول فضيلته:

" إذا كان القصد من التجمع الإسلامي هو الإصلاح والعودة بالمسلمين إلى حقيقة الإسلام، فلا بد إذاً أن يكون التجمع الإسلامي جماعة المسلمين، على أساس منهاج النبوة: الكتاب والسنة، في الشكل والمضمون، والمادة والصورة إذ حقيقة الإصلاح: إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد، وما علق به من شائبة الهوى والاختلال، وهذا لا يكون إلا بالسير على منهاج النبوة لا غير"[(٢)].

ويرى الشيخ بكر غفر الله له أن الأمة الإسلامية يجب عليها أن تجتمع على الإسلام في المجالات كافة، لتحقيق العبودية لله تعالى، فقال - رحمه الله -:

"ووحدة الأمة مهما اختلفت شعوبها وألوانها يجمعها: الولاء والبراء في الله. وتعميق الإسلام في نفوس الأمة في مجالاته كافة: العلمية، والأخلاقية، والتربوية والسلوكية، والسياسية. كلها تسير في قطار واحد لتحقيق غاية واحدة: العبودية لله تعالى في أطوار الحياة كافة" [(٣)].

ودعا الشيخ بكر طيب الله ثراه إلى الرجوع للكتاب والسنة، فهما مردّنا عند الاختلاف، وسبيل للإئتلاف، وإلى لزوم جماعة المسلمين، فيقول:

" وليس أمامنا إلا الإسلام في صفاته وسيرته الأولى على منهاج النبوة: الكتاب والسنة، نؤمن به، وندعو إليه، ونعمل به، ولا نخالفه باسم ولا رسم، ولا وسيلة ولا غاية، وهو المرد عند التنازع والاختلاف "[(٤)].

---

(١) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها، ص٤٤.
(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٠٢ .
(٣) المصدر السابق، ص١٣٣
(٤) المصدر السابق، ص١٣١ .

ويقول الشيخ بكر عفا الله عنه:"لزوم جماعة المسلمين ووحدة صفهم، والتراحم والتعاطف فيما بينهم، والشفقة عليهم، والنصرة على الحق، إلى غير ذلك من معالم الإسلام السامية التي بها النجاح والفلاح، وفيها خير الدنيا والآخرة "[١] .

والاختلاف موجود بين الأمم، بل بين الأمة الواحدة، وبين أفراد الأسرة أحياناً، إما من أجل الدنيا أو بسبب الدين، لذلك ذكر الله ــ جل وعلا ــ أن الاختلاف حاصل، وسيحصل، إما عاجلاً أو آجلاً. يقول سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٢].

وأهل السنة والجماعة على اختلاف مع غيرهم من الملل[٣] والنحل الأخرى ومع الفِرَق المبتدعة، لما هم عليه من أخطاء عقدية، وانحرافات فكرية جسيمة، ولكن يظل خلافاً يجب رده للكتاب والسنة. ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[٤] .

وينبغي أن تسود لغة الحوار بين المتخالفين، وأن يكون الهدف هو إحقاق الحق وإبطال الباطل، وليس العكس، وأن يتمنى كل منهما للآخر العودة إلى طريق الصواب، محفوفاً ــ أي الحوار ــ بالشفقة واللطف مهما أمكن.

والكلمة لا تجتمع، والصف لا يوحّد، إلاّ إذا كان هناك اتفاق على كلمة سواء، "فإن التحاب والتآلف إنما هو بالإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[٥] "[٦].

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٨، ١٩ .
(٢) سورة هود، آية (١١٨-١١٩).
(٣) المِلَل: جمع مِلّة، والمِلّة - بكسر الميم وتشديد اللام-: الشريعة والدين والديانة، ومنه قوله تعالى: {مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ}، سورة الحج، آية (٧٨). انظر: لسان العرب، حرف اللام، فصل الميم، مادة (ملل)، (ج١١/ص٦٢٨)، ومعجم لغة الفقهاء، ص ٤٥٨.
(٤) سورة الشورى آية (١٠).
(٥) سورة مريم، آية(٩٦).
(٦) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، (ج٢ / ص ١٥٤).

فالاجتماع هو أعظم وسيلة لجمع الأمة، وتوحيد الكلمة، ووحدة الصف الإسلامي.

وهذا هو المنهج الذي سار عليه الشيخ بكر، فقد كان مهتماً بما يجمع المسلمين على كلمة واحدة، وقلب واحد، وكان يحذر في الوقت نفسه من أسباب الاختلاف ودواعيه، ومما يثير البلبلة والشقاق بين الناس، ودعا إلى الاجتماع على كلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وفق مفهوم ومنهج السلف الصالح . فجزاه الله خير الجزاء وأوفاه.

* * * *

المطلب السابع: منهج الشيخ في دعوة الحكّام، وبيانه لحقوق الراعي والرعية:

ويتضمن: توطئة، وفرعين:

الفرع الأول: جهود الشيخ في بيان واجبات الراعي تجاه الرعية.

والفرع الثاني: توضيح الشيخ لحقوق الراعي على الرعية.

توطئة:

ولي الأمر المسلم يعتبر خلَفاً للأمة بعد النبوة، وهو بمنزلة الرأس من الجسد، وبه تُقام الشريعة، وتُحد الحدود، وتُأمّن السبل، وهو الملتجأ بعد الله لكل مظلوم ومكلوم، فيقاد من الظالم، وينتصر للمظلوم.

والحكام والمحكومون لهم في الشريعة الإسلامية نظام رباني، وتشريع إلهي، يبيّن لكلٍ منهم ما له وما عليه؛ من حقوق وواجبات تجاه الآخر، لتنتظم الحياة، وتسعد البشرية، كلّما تم تطبيقه على أرض الواقع، ومراعاة أحكامه، والقيام بمضامينه على الوجه الأكمل.

يقول الله – تعالى – آمراً بطاعة ولاة الأمر من حكام وغيرهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] .

قال العلامة عبد الرحمن بن سعدي في تفسير هذه الآية:

"أمر [الله] بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول،

---

(١) سورة النساء، آية (٥٩)

فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية"[١] .

وجاء الحثّ ــ بل الأمرــ بطاعة ولاة الأمر في السنة النبوية المطهرة، فعن العرباض بن سارية ــ رضي الله عنه ــ قال: قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقيل: يا رسول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال: **"عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً وسترون من بعدي اختلافاً شديداً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة**.. الحديث"[٢] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: **"من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"**[٣] .

وقد بوّب البخاري[٤] - رحمه الله - على هذا الحديث في كتاب الأحكام من "صحيحه" فقال: باب قول الله تعالى: { أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ } .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٩٨

(٢) سبق تخريجه، انظر: ص ٨٣ من هذا البحث. (الباحث)

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأحكام، باب: قوله تعالى:" أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، حديث رقم (٦٦٠٤). وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، حديث رقم (٣٤١٨).

(٤) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صاحب الصحيح والتصانيف، ولد سنة أربع وتسعين ومئة. كتب عن ألف نفر من العلماء وزيادة، وروى عنه خلق كثير، يقول الإمام البخاري عن صحيحه: ما وضعت في كتابي " الصحيح " حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري، توفي سنة ست وخمسين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج١٢ / ص٣٩١، ٤٠٢) باختصار. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، (ج٢/ ص١٣٣،١٣٤) باختصار.

قال الحافظ ابن حجر[(١)]- رحمة الله عليه-:"وفي الحديث: وجوب طاعة ولاة الأمور، وهي مقيّدة بغير الأمر بالمعصية، والحكمة في الأمر بطاعتهم: المحافظة على اتفاق الكلمة، لما في الافتراق من الفساد". اهـ.[(٢)]

والسلف الصالح - رضوان الله عليهم، ورحمهم الله جميعاً - كانوا " يولون هذا الأمر اهتماماً خاصاً، لاسيما عند ظهور بوادر الفتنة، نظراً لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العريض في العباد والبلاد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد"[(٣)] .

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في بيان منهج أهل السنة والجماعة: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة".[(٤)]

ويقول ابن أبي زيد القيرواني رحمة الله عليه في بيانه لعقيدة السلف:

"والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم "[(٥)] .

فهذا مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في حقوق ولاة الأمور على الرعية.

---

(١) أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، من أئمة العلم والتاريخ. ولد سنة ٧٧٣هـ، ولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. توفي سنة ٨٥٢ هـ، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها: (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)، و(لسان الميزان)، و(الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام)، وغيرها. انظر: الأعلام للزركلي، (١ / ١٧٨). باختصار.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، (ج١٣/ ص ١١٢)

(٣) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ص٦

(٤) العقيدة الطحاوية، (ج٢ / ص ٥٤٠)

(٥) عقيدة السلف، ص٦١

ولقد سار الشيخ بكر - رحمه الله - على نهج السلف في النصيحة لولاة الأمر وتذكيرهم وإعانتهم على حكم الرعيّة بالعدل والإنصاف، وبيّن - رحمه الله -واجباتهم وحقوقهم على رعاياهم.

وتنوعت المضامين التي اشتملت عليها نصائح الشيخ للولاة والرعية، وتعددت جوانبها بتعدد ما كان يراه مناسباً ويستوجب النصح، قياماً بواجب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وإعانة على الخير والبر والتقوى.

فقال ـــ رحمة الله عليه ـــ في بيان أهمية الإمامة العامة:

" علم بالضرورة من دين الإسلام أن الأصل أنه: لا دين إلا بجماعة. ولا جماعة إلا بإمامة. ولا إمامة إلا بسمع وطاعة. وهذه الثلاثة متلازمة، آخذ بعضها ببعض، فلا قوام لسوق الإسلام، وقيام جماعة المسلمين، وصلاحهم في معاشهم ومعادهم تحت ولاية إسلامية ذات شوكة ومنعة، إلا بهذا "[١] .

ثم بيّن الشيخ بكر - رحمه الله -أن نصيحة الولاة من النصح لله ـــ تعالى ـــ وهي مهمة العلماء، والدعاة، فقال في سياق حديثه عن العلماء العاملين وواجباتهم العظيمة: "ومن أرأس مهامهم: مناصحة الولاة والأمراء ونوابهم، ودعوتهم إلى الخير، وحثهم عليه، فإنَّ ولي الأمر إذا صلحت حاله وحال بطانته، استقامت تدابيره في الأمة على الإسلام والسنة "[٢].

ويحثّ الشيخ بكر عليه رحمة الله على التزام المنهج النبوي في معاملة الحكام، فيقول:" التزم منهاج النبوة في الكتاب والسنة، علماً وعملاً ودعوة، والزم جماعة المسلمين، والزم إمامهم المسلم في أي بلد - إن كان لهم إمام - بالسمع والطاعة في المعروف، ما لم تر كفراً بواحاً عندك عليه من الله برهان، والعمل العمل، على الجهر بحكمة ودراية بإعادة الحياة الإسلامية في المسلمين صافية من شوائب الشبهات

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٥٧ .

(٢) المصدر السابق، ص١٥٤ .

والشهوات، بعمل إسلامي ظاهر، لا في السراديب [(١)] المظلمة "[(٢)] .

وعلى الولاة، مسؤولية كبرى، وأمانة عظمى، تجاه رعاياهم، عليهم أن يؤدوها كما أوجبها الله من غير إخلال أو تقصير. هذا ما وضحه الشيخ بكر رحمه الله تعالى، كما سيأتي:

الفرع الأول: جهود الشيخ في بيان واجبات الراعي تجاه الرعية:

أوضح الشيخ بكر - رحمه الله -جانباً من واجبات الحكام تجاه رعاياهم، فقال ـــ طيّب الله ثراه ـــ:" من ولي شيئاً من أمور المسلمين، فإن أعظم ما يجب عليه أن يسوس الرعية بالكتاب والسنة، وينشر التوحيد من مشكاقمما، ويزيل ما يناقضه من مظاهر الشرك والوثنية، ويحكم بين الناس بهما، إقامة للعدل بينهم، ولا أحكم ولا أعدل، ولا أصح للناس من شريعة ربهم، ففيها العدل والرحمة والشفاء لما في الصدور"[(٣)] .

وقال فضيلته:" كما يجب على كل والٍ السعي فيما يصلح رعيته، ويدفع المضار عنهم، ويطهر مجتمعاقم من الحكم بغير ما أنزل الله ـــ تعالى ـــ، ومن سائر الموبقات والمحرمات كالخمر والبغاء والربا والقمار وغيرها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **ما من عبد يسترعيه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة** "[(٤)] "[(٥)].

---

(١) السِّرْداب: بناءٌ تحت الأرض للصَّيْف، معرب. انظر: القاموس المحيط باب الباء، فصل السين، مادة (السرداب)، (ج ١ / ص ١٠٩).

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٤١ .

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٨ .

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم (٢٠٣)، وكتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم (٣٤٠٩) .

(٥) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٩ .

وقال فضيلة الشيخ:" كما يجب على الراعي أن يسوس رعيته بالرفق واللين وأن يجتهد في قضاء حوائجهم، وإيصال الخير لهم بكل طريق، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به "**(١) " (٢) .

ولم يَفُتْ على الشيخ بكر- رحمه الله -حثّ الحكام على الاهتمام بالدعوة ومناصرة الدعاة، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومحاربة البدع والمخالفات، كما نبّه - رحمه الله -القائمين على الدعوة إلى مؤازرة ولي الأمر المسلم قدر الاستطاعة، فقال ــ غفر الله له ــ:

" وعلى من بسط الله يده مناصرة الدعاة إلى الله على بصيرة، ولا يجوز له أن يوصل إلى هؤلاء أذى يوقف تعاونهم على الخير ونهيهم عن المنكر. كما أن على من وفقه الله للقيام بهذا الواجب العظيم أن يبذل جهده في حدود القدرة، وألا ينازع الأمر أهله، ما لم ير كفراً بواحاً "(٣) .

وقال فضيلته، ناصحاً للولاة خاصة، ولعموم المسلمين:" على كل والٍ لأمر من أمور المسلمين بصفة خاصة وعلى كل مسلم بصفة عامة: إصلاح الحال بنبذ البدع والأهواء، والمخالفات المذمومة، ومنابذة أهلها "(٤) .

كما حث رحمه الله الولاة على الاهتمام بالمساجد وإعطائها حقها من العناية، لما لها من القدر العظيم في الشريعة الإسلامية، فمنها انطلق شعاع العلم، ونور الرسالة، إلى أرجاء المعمورة، فهي من واجب الحكام الأهم.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم (٣٤٠٧) .

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤١ .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص ١٥٦ .

(٤) الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر أبو زيد، ص٨٩ .

فيقول - رحمه الله -:

" كما أنه يجدر بحكام المسلمين اليوم أن يعيدوا لبيوت الله مجدها، وعزها، ووظيفتها في الإسلام، فتقام فيها الصلوات، وتفتح حلقات للوعظ والتعليم للعلماء المصلحين، ليبثوا علم الشريعة بين المسلمين، فيتذكر الغافل ويتعلم الجاهل، ويتعظ العاصي وتتهذب النفوس وتقبل على طاعة ربها، ويحصل بذلك خير كثير للأمة طالما حُرمته زمناً طويلاً "(١) .

والشيخ بكر - رحمة الله عليه - عَرَفَ لأهل الفضل فضلهم، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، فقد بيّن - رحمه الله -فضل حكّام المملكة العربية السعودية على هذه البلاد، وما بذلوه لخدمة الإسلام والمسلمين في داخل المملكة وخارجها، مثمناً جهودهم، ومقدراً لهم حسن صنيعهم، يقول الشيخ:

" وأن لولاة أمر الحرمين الشريفين ــ حكام المملكة العربية السعودية ــ مآثر عظيمة في إقامة السنن، وتخليص المشاعر مما يشوبها من الضلالات والبدع، ثبتنا الله وإياهم على الإسلام والسنة "(٢) .

الفرع الثاني: توضيح الشيخ لحقوق الراعي على الرعية:

مثل ما على الولاة من واجبات تجاه رعاياهم، فإنّ لولاة الأمور على الرعية حقوقاً أوجبها الإسلام، وأكد على الاهتمام بها، ورعايتها، والقيام بها، فإن مصالح الأمم والمجتمعات لا تتم ولا تنتظم إلا بالتعاون بين الآمر والمأمور، والراعي والرعية، وقيام كلٍّ بما يجب عليه من واجبات، وأداء ما حُمِّل من أمانة ومسؤوليات.

ونظراً لأهمية حقوق ولاة الأمور على الرعية، وعظيم مالهم من حقوق وواجبات، اهتم أهل السنة والجماعة بإيضاحها وبيانها، والتأكيد على رعايتها والقيام

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤٢ .

(٢) جبل إلال بعرفات، تحقيقات تاريخية، شرعية، بكر أبو زيد، ص٦ .

بها، فمن مظاهر هذا الاهتمام: أنهم نصوا على هذه الحقوق في كتب العقائد والتوحيد، وبينوا أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الأمر هو مقتضى ما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور إلا أن يأمروا بمعصية، فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ويرون النصح والدعاء لهم، وإعانتهم على الحق، سواء كانوا أئمة عدولاً صالحين، أم كانوا من أئمة الجور والظلم، مادام أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام، فإن الصبر على جور الأئمة وظلمهم مع ما فيه من ضرر، فإنه أخف ضرراً وأيسر خطراً من ضرر الخروج عليهم، ولهذا جاء الأمر من الشارع بوجوب السمع والطاعة، وتحريم الخروج على الأئمة والولاة، وإن جاروا وظلموا إلا أن يرتكبوا كفراً بواحاً. كما نصّ أهل السنة والجماعة على أن من حقوق ولاة الأمور على الرعية إجلالهم وتوقيرهم، وتعظيمهم في النفوس، لأن ذلك أوقع في هيبتهم حتى يحذرهم أهل الفسق والفجور. كما حذر أهل السنة والجماعة من الوقيعة في أعراض الأئمة، والتنقص لهم، أو الدعاء عليهم، لأن هذه الأمور من أسباب وجود الضغائن والأحقاد بين الولاة والرعية، ومن أسباب نشوء الفتن والنزاع في صفوف الأمة. والواجب على المسلم أن يسعى جهده في الإصلاح بين المؤمنين، وجمع كلمة المسلمين، والتأليف بين قلوبهم. لا سيما إن كان من أهل العلم والدعوة، أو ممن له تأثير على قومه ومجتمعه، فإن الواجب عليه في ذلك أكبر، والمسؤولية عليه أعظم، في الحرص على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، والعمل على حصول الألفة والمحبة بين الولاة والرعية، لما فيه من نفع عظيم للإسلام والمسلمين.(١)

---

(١) انظر: الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، محمد بن عبد الله السبيل، ص٢٦-٢٩.باختصار.

يقول الشيخ بكر ــ غفر الله له ــ مبيناً أهمية السمع والطاعة لولاة الأمر، وأنّ الطاعة في غير معصية الله:" أما الرعية فيجب عليها السمع والطاعة لمن قادها بكتاب ربها وسنة نبيها، ما لم يأمر بمعصية، فإنه لا تجوز طاعته في تلك المعصية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف**"[١] .

ويجب النصح له والدعاء له، والاجتهاد في جمع الكلمة معه تحت راية الإسلام، فقد ثبت أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "**الدين النصيحة** " قلنا لمن ؟ قال: " **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**"[٢] .

وثبت أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **ثلاث خصال لا يغل عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم** "[٣] "[٤] .

ثم إنّ الشيخ بكراً غفر الله له حثّ على الصبر فيما يلاقى من الحكام، وإنّ الطاعة كما هي في اليسر تكون في العسر والمكاره، لأن في ذلك طاعة الله وطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، فيقول – أثابه الله –:" وعلى الرعية: الصبر على الأَثَرَة[٥] وقول كلمة الحق، حسب القدرة والطاقة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، حديث رقم (٦٧١٦)، وصحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، حديث رقم (٣٤٢٤). واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (٨٢).

(٣) جزء من حديث زيد بن ثابت، رواه أحمد في مسنده، كتاب مسند الأنصار، باب: حديث زيد بن ثابت، حديث رقم (٢٠٦٠٨)، واللفظ له، وابن ماجه في سننه، كتاب: المقدمة، باب من بلّغ علماً، حديث رقم (٢٢٦)، والدارمي في سننه، كتاب المقدمة، باب الاقتداء بالعلماء، حديث رقم (٢٣١). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٣٠)، ص٥٨.

(٤) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤٢، ٤٣ .

(٥) الأَثَرَة: استَأْثَرَ بالشيء على غيره: خصَّ به نفسه واستبدَّ به. انظر: لسان العرب، حرف الراء، فصل الألف، مادة (أثر)، (ج٤/ ص٥)، والقاموس المحيط، باب الراء، فصل الهمزة، مادة (الأثر)، (ج٢/ ص٤).

فعن عبادة بن الصامت [(١)] رضي الله عنه قال: " **بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم** "[(٢)] " [(٣)] .

والسمع والطاعة لولاة أمور المسلمين من الأمور المُجمع عليها عند أهل السنة والجماعة في غير معصية الله، وهم بذلك يخالفون أهل الأهواء والبدع. وقد ذكر الإجماع: الحافظ ابن حجر، والشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب [(٤)] - رحمة الله عليهما - .

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، شهد بدراً، وكان أحد النقباء بالعقبة، وآخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها بعد بدر، وروى عن النبي صلى الله عليه و سلم كثيراً من الأحاديث، ومات بالرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين، وقيل سنة خمس وأربعين . الإصابة في تمييز الصحابة، (ج٣ / ص٦٢٤،٦٢٦) باختصار.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس، حديث رقم (٦٦٦٠) بلفظ: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. والرواية الثانية عند البخاري في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم " سترون بعدي أموراً تنكرونها " حديث رقم (٦٥٣٢) بلفظ: دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان. ورواه مسلم بنحوه في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمهما في المعصية، حديث رقم (٣٤٢٦). وكتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، حديث رقم (٣٤٢٧).

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤٣ .

(٤) هو الإمام العلامة الشهير والداعية الإسلامي الكبير، الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ولد في بلد العيينة بنجد سنة ١١١٥هـ، دعا إلى توحيد الله بالعمل والعبادة، وإفراده بالقصد والإرادة فجدد ما اندرس من أصول الملة وقواعد الدين ودعا إلى مذهب السلف الصالح والأئمة السابقين، حتى توفى سنة ١٢٠٦هـ، من مؤلفاته: كتاب التوحيد، كشف الشبهات،

يقول الحافظ ابن حجر – رحمه الله –:"قَد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السُّلطان المتغلِّب والجهاد معه، وأنّ طاعته خير من الخُروج عليه لما في ذلك من حقن الدِّماء وتسكين الدَّهْمَاء"[١]. وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى –: " الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام، لا يصح إلا بالإمام الأعظم "[٢] .

وهذا هو منهج السلف، وهو ما سار عليه أهل العلم في هذه البلاد المباركة ــ المملكة العربية السعودية ــ وقد تحقق التلاحم والتوافق التام بين القيادة والعلماء من جهة وبينهم وبين رعيتهم من جهة أخرى، وقد آتت ثمارها بإذن ربها، واستقامت الحياة على ذلك المنهج القويم.

يقول الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ [٣] رحمه الله :"النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام العلماء المحققين، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وتحريم منازعته والخروج عليه، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة،

=الأصول الثلاثة، مختصر السيرة النبوية، آداب المشي إلى الصلاة. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، ص٢٠ــ ٣٣ باختصار

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني،(ج ١٣ / ص ٧) .

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (ج ١٢ / ص ٢) .

(٣) محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، مفتي الديار السعودية ورئيس قضاها في حياته – رحمه الله– ولد في مدينة الرياض سنة ألف وثلاثمائة وإحدى عشرة من الهجرة، شغل مناصب القضاء والتدريس والدعوة إلى الله وقد تخرج على يديه أفواج من العلماء كثيرون، توفي سنة ألف وثلاثمائة وتسع وثمانين من الهجرة. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم – (ج٢/ ص٢٩وما بعدها). باختصار.

وتبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات[١] عليه، بغزو أو غيره، معصية ومشاقة لله ورسوله، ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة.

وأما ما قد يقع من ولاة الأمور، من المعاصي والمخالفات، التي لا توجب الكفر، والخروج من الإسلام، فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح، من عدم التشنيع عليهم في المجالس، ومجامع الناس، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر، الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه، من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نوّر الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح، وأئمة الدين"[٢] .

ويقول العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز ـــ رحمه الله تعالى ـــ:"ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير"[٣].

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين – رحمه الله تعالى –:

" النصيحة لهم هي أن نكف عن مساوئهم، وأن لا ننشرها بين الناس، وأن نبذل لهم النصيحة ما استطعنا، بالمباشرة إذا كنا نستطيع أن نباشرهم أو بالكتابة إذا كنا لا نستطيع، أو بالاتصال بمن يتصل بهم إذا كنّا لا نستطيع الكتابة؛ لأنه أحياناً لا يستطيع الإنسان الكتابة لهم، ولو كتب لم تصل إلى المسؤول، فيتصل بأحدٍ يتصل بالمسؤول وينبهه، فهذا من النصح.

---

(١) الافتيات: افتعال من الفوت وهو السبق إلى الشيء دون ائتمار من يُؤتمر تقول: افْتات عليه بأمر كذا، أي فاتَهُ به. وفلان لا يُفتاتُ عليه، أي لا يُعمل شيء دون أمره. انظر: الصحاح في اللغة، باب التاء، فصل الفاء، مادة (فوت)، (ج١/ ص٣٨٧).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (ج ١٢ / ص ١٢٠) .

(٣) فتاوى ومقالات ابن باز، (ج٨/ ص ١٩٠).

أما نشر مساوئهم فليس فيه عدوان شخصي عليهم فقط، بل هو عدوان شخصي عليهم وعلى الأمة جميعاً؛ لأن الأمة إذا امتلأت صدورها من الحقد على ولاة أمورها عصت الولاة، ونابذهم، وحينئذ تحصل الفوضى، ويسود الخوف، ويزول الأمن، فإذا بقيت هيبة ولاة الأمور في الصدور صار لهم هيبة، وحميت أوامرهم ونظمهم التي لا تخالف الشريعة"(١) .

فعلى المسلم" أن يناصح ولاة الأمر سراً فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر وفي مجامع الناس، لما ينجم عن ذلك ـــ غالباً ـــ من تأليب العامة، وإثارة الرعاع عليهم وإشعال الفتن. وهذا ليس دأب أهل السنة والجماعة، بل سبيلهم ومنهجهم: جمع قلوب الناس على ولاتهم، والعمل على نشر المحبة بين الراعي والرعية، والأمر بالصبر على ما يصدر عن الولاة من استئثار بالمال أو ظلم للعباد مع قيامهم بمناصحة الولاة سراً والتحذير من المنكرات عموماً أمام الناس، دون تخصيص فاعل"(٢) .

لما ثبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: **"من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيَخْلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه"** (٣) .

ونجد أنّ الشيخ بكراً – رحمه الله – بيّن كيفية النصيحة للولاة، والأسلوب الأمثل لدعوة الحكام، فقال:"والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم بالتي هي أحسن، مناصحة بالكلمة، ومناصحة بالكتابة، وتذكير بأيام الله "(٤).

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، (ج٢/ ص٣٩٦) .
(٢) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ص٤٣ .
(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند المكيين باب: ومن حديث هشام بن حكيم بن حزام، حديث رقم (١٤٧٩٢). قال عنه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه وتخريجه لمسند الإمام أحمد: حسن لغيره بمجموع طرقه، انظر: المسند، (ج٢٤ / ص ٤٩).
(٤) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٣٥ .

ثم إن الشيخ بكراً ــ عليه من الله الرحمة والرضوان ــ بذل النصح والتوجيه، للحاكم والمحكوم، وبين المقصد الأسمى للتوافق بين الراعي والرعية، والثمرة المرجوة من هذا التعاون والتكامل بينهما، لما فيه مصلحة الأمة.

فقال – رحمه الله –:" وعلى كل عبد مسلم من الرعاة والرعية: ملازمة تقوى الله، وأن يكون مقصدهم الأعظم هو عبادة الله وحده، والدعوة إليها، وأن يحافظوا على (رأس مالهم): جماعة المسلمين، وأن لا يكون من عصيانهم وعدم تطبيقهم لشريعة ربهم، وتنكبهم الصراط المستقيم فتنة للكافرين في الإصرار على كفرهم "(١).

وتميّزَ منهج الشيخ بكر بالأصالة الشرعية، والسير وفق منهج أئمة الدعوة من قبله، الذين تمسكوا بهدي السلف الصالح، في المجالات كلها، وخصوصاً فيما يتعلق بولاة أمور المسلمين، من حقوق وواجبات، خلافاً لمنهج الخوارج، ومن سار في ركبهم، واقتفى أثرهم، الذين يرفعون شعارات برّاقة، ويستندون على حجج واهية. هدفهم الخروج على الولاة، وتأليب العامة عليهم.

ونستخلص مما سبق أن على الحاكم واجبات كثيرة، ولكن أهمها: تحكيم الشريعة، ونشر التوحيد، وإقامة العدل بين الرعية، وتطهير المجتمع من المحرمات، ورعاية مصالح الناس، ورفع الضرر عنهم، وسياسة الرعية بالرفق واللين، واجتناب إدخال المشقة عليهم.

ومن حقوق الرعاة على رعاياهم: السمع والطاعة في المعروف، وعدم إثارة العامة، أو الخروج عليهم، ما لم يروا كفراً بواحاً، عندهم فيه من الله برهان، وعدم تنقصهم أو التشهير بما يرتكبونه من منكرات على الملأ، بل النصح لهم بالسر، والدعاء لهم سراً وجهراً، وتوقيرهم وإجلالهم.

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤٣ .

فهذا دِين ندين الله به، امتثالاً لأمر الله تعالى، وطاعةً للمصطفى عليه الصلاة والسلام، وسيراً على نهج سلف هذه الأمة، وهذا ما دعا إليه الشيخ بكر - غفر الله له - فجزاه الله خير الجزاء على ما بيّن ووضّح ونصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

* * * *

المبحث الثاني: جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى شرائع الإسلام، وتحكيم الشريعة الإسلامية.

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جهود الشيخ في الدعوة إلى أركان الإسلام.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وبيانه لخطر تحكيم القوانين الوضعية.

المطلب الثالث: جهود الشيخ في الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، والآداب المرعية، والأذكار الشرعية.

المطلب الأول: جهود الشيخ في الدعوة إلى أركان الإسلام:

المقصود بأركان(١) الإسلام هي التي اشتمل عليها حديث جبريل المشهور، حيث سأل النَبيَّ – صلى الله عليه وسلم – عن الإسلام، فقال: **"أن تشهدَ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلاً** ... الحديث"(٢) .

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال عليه الصلاة والسلام: **"بُنِيَ الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان "**(٣) .

والدعوة إلى بقية أركان الإسلام تأتي بعد الدعوة إلى الشهادتين، ففي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً (٤) رضي الله عنه إلى

---

(١) الرُّكْن في اللغة: الجانب الأقوى للشيء. وأَرْكانُ كلِّ شيءٍ جَوانِبُه التي يَسْتَنِدُ إليها ويقومُ بها. يقال: أركان الكعبة، وأركان البيت، أي: الجانب الأقوى من الكعبة والبيت، ومن ذلك: أركان الإسلام، أي: أهم القواعد والأسس التي بني عليها الإسلام، كما جاء ذلك في الحديث الشريف.
والرُّكْن: القُوَّة والعز والمنعة ومنه قوله تعالى: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ}، سورة هود، آية (٨٠). انظر: لسان العرب، حرف النون، فصل الراء، مادة (ركن)، (ج١٣ / ص١٨٥)، والصحاح ، باب النون، فصل الراء، مادة (ركن)، (ج٥ / ص٥٥٦)، وتاج العروس، للزبيدي، فصل الراء مع النون، مادة (ركن)، (٣٥ / ١٠٨ وما بعدها)، ومقاييس اللغة ، باب الراء والكاف، مادة (ركن)، (ج٢ / ص٤٣٠).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٤٨)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (١٠،١١) .

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: بني الإسلام على خمس، حديث رقم (٧) ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، حديث رقم (١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢).

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي الأنصاري الخزرجي . شهد العقبة. له عدة أحاديث. أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً ومعلماً، وكان أعلم الناس بحرام الله وحلاله. خرج معاذ في زمن عمر إلى الشام، وأصابه طاعون عمواس فتوفي سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثمان عشرة. سير أعلام النبلاء، (ج١ / ص ٤٤٣ـــ ٤٦١) باختصار، والإصابة في تمييز الصحابة، (ج٦ / ص١٣٧).

اليمن فقال – صلى الله عليه وسلم –: " **ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم** ..الحديث" متفق عليه، واللفظ للبخاري[١]

فدلَّ الحديث الشريف على أهمية الدعوة إلى أركان الإسلام الخمسة، وحاجة الناس إلى تطبيقها.

والعمل بأركان الإسلام ودعائمه العظام، سبب في دخول الجنان، والعتق من النيران، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ أعرابياً أتى النبي – صلى الله عليه وسلم– فقال دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: " **تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**" قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولّى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** "[٢] .

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم– في سفر، فقلت: يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: "**لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت**" ثم قال: "**ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل،** ... الحديث"[٣] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، حديث رقم (١٣٠٨)، وصحيح مسلم كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث رقم (٢٧،٢٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، حديث رقم (١٣١٠)، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة حديث رقم(١٦).

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث معاذ بن جبل، حديث رقم (٢١٠٠٨، ٢١٠٥)، وسنن الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، حديث

ومما يلاحظ تنوع منهج الشيخ بكر غفر الله له في الدعوة إلى الله، فقد طرق أبواباً كثيرة، وسلك سبيلاً عديدة، يقصد من ذلك تنوير البصائر، وتبديد ظلام الجهل. وأهمّ ما اهتمَّ به الشيخ بكر رحمه الله في دعوته المباركة، بعد الدعوة إلى العقيدة السلفية؛ الدعوة إلى تطبيق أركان الإسلام في حياة الناس، مستنداً في ذلك كلّه إلى الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة. يظهر من خلال كتبه ومؤلفاته وبحوثه القيّمة.

يقول الشيخ بكر - رحمه الله -مبيناً أهمية إقامة أركان الإسلام:

" أجلّ الأعمال بعد التوحيد: إقامة الصلوات الخمس، وسائر أركان الإسلام العظيمة، وأوامره الكريمة، وأسباب طاعة الله ومرضاته "[١] .

وقد سبق للباحث توضيح الركن الأول من أركان الإسلام، وهو: " شهادة أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله" عند البحث في بيان جهود الشيخ بكر في مسائل العقيدة. أما الركن الثاني من أركان الإسلام فهو:

ركن الصلاة: الصلاة في اللغة: الدعاء[٢]، وفي الاصطلاح: أفعال وأقوال مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.[٣] .

فالصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي شعار المسلمين، والفَرْقُ بين المسلم والكافر، وقد جاءت آيات الكتاب المبين، وأحاديث الرسول الأمين، بفضلها، وتعظيم شأنها، والأمر بإقامتها.

=رقم (٢٥٤١)، وسنن ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتن، حديث رقم (٣٩٦٣). صححه الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٦١٦) ص٥٩٠.

(١) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص١٨ .

(٢) انظر: الصحاح، باب الواو والياء، فصل الصاد، مادة (صلا)، (ج٦ ص٣٨٤).

(٣) انظر: المغني، الموفق ابن قدامة، (ج١/ ص٣٧٦)، والروض المربع بشرح زاد المستقنع، منصور البهوتي، ص٥٩.

قال الله تعالى في صفات المتقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾[(١)].

وقال عز وجل: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾[(٢)].

وقال ربنا تبارك وتعالى آمراً بالمحافظة عليها: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[(٣)].

وقال عز من قائل: ﴿ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[(٤)].

{فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ} أي: فأتموها وأقيموها كما أمرتم بحدودها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها، وجميع شؤونها. و{ مَّوۡقُوتٗا } أي مفروضاً، قاله ابن عباس رضي الله عنه.[(٥)]

وقال سبحانه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ .. ﴾[(٦)].

والصلاة هي عمود الإسلام، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " .. **ألا أخبركم برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟** " قلت: بلى يا رسول الله، قال: " **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة** .. الحديث".[(٧)]

---

(١) سورة البقرة، آية (٣).

(٢) سورة البقرة، آية (٤٦).

(٣) سورة البقرة، آية (٢٣٨).

(٤) سورة النساء آية (١٠٣)

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ص٧١٩)

(٦) سورة العنكبوت آية (٤٥).

(٧) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث معاذ بن جبل، حديث رقم (٢١٠٠٨)، وسنن الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، حديث رقم (٢٥٤١) وسنن ابن ماجه، كتاب الفتن باب: كف اللسان في الفتن، حديث رقم (٣٩٦٣). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٦١٦)، ص٥٩٠.

وهي أوّل ما يحاسب عليه العبد من الأعمال، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء** "(١)

وجعل الله كل خطوة إليها حسنة وكفارة وطهارة للذنوب.

فعن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال: " **إذا توضأ الرجل فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى الصلاة لا يخرجه أو قال لا ينهزه إلا إياها، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، أو حطّ عنه بها خطيئة** ".(٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –"الصلاة هي أعرف المعروف من الأعمال، وهى عمود الإسلام وأعظم شرائعه، وهى قرينة الشهادتين، وإنما فرضها الله ليلة المعراج، وخاطب بها الرسول بلا واسطة، ولم يبعث بها رسولاً من الملائكة، وهى آخر ما وصّى به النبي أمته".(٣)

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند المدنيين، باب: حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٦٠١٩)، وكتاب: مسند الشاميين، باب: حديث تميم الداري، حديث رقم (١٦٣٣٩، ١٦٣٤٢)، وكتاب: مسند البصريين، باب: حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٩٧٧١)، وكتاب: باقي مسند الأنصار، باب: حديث رجل رضي الله عنه، حديث رقم (٢٢١١٩)، وفي سنن الترمذي، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، حديث رقم (٣٧٨)، ورواه بهذا اللفظ النسائي، كتاب: تحريم الدم، باب: تعظيم الدم، حديث رقم (٣٩٢٦)، وروي بألفاظ أخرى عند النسائي أيضاً، كتاب: الصلاة، باب: المحاسبة على الصلاة، حديث رقم (٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣)، والدارمي، كتاب: الصلاة، باب: ما أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، حديث رقم (١٣٢١). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن النسائي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧) ص٨٠، وحديث رقم (٣٩٩١) ص٦١٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الشاميين، باب: حديث عقبة بن عامر، حديث (١٦٨١٤)، وسنن الترمذي، كتاب: الجمعة، باب: ما ذكر في فضل المشي إلى المسجد وما كتب له من الأجر في خطاه، حديث رقم (٥٤٨)، صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٦٠٣) ص١٥٣.

(٣) مجموع الفتاوى، (ج ٢٨ / ص ٧٠)

وفي بيان منزلة الصلاة، يقول الشيخ بكر رحمه الله:

"الصلاة هي أعظم الأعمال وأعمّها وأوّلها وأجلّها بعد التوحيد، وهي شعار المسلمين، ولهذا يعبّر عنهم بها [(١)] فيقال: اختلف أهل القبلة "[(٢)]

ويقول فضيلته، محذراً من التهاون في أداء الصلاة ــ في سياق كلامه عن الفتن، وبيان آثارها ــ، فذكر أنّ منها: "التهوين من شأن الصلاة، لا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات وطاشت فيه موجة الملحدين، الذين لا يعرفون ربهم طرفة عين" [(٣)]

وليس الأمر يقف عند الحديث عن لب الصلاة وجوهرها، بل حتى هيئاتها وسننها ومكملاتها لها في الشريعة اعتبار، خاصة تسوية الصفوف في الصلاة لأنها من تمام الصلاة.

يقول الشيخ ــ غفر الله له ــ:

" في تسوية الصف ثلاث سنن:

١- استقامة الصف، وإقامته، وتعديله، بحيث لا يتقدم صدر أحد ولا شيء منه على من هو بجنبه، فلا يكون فيه عوج.

٢- سد الخلل، بحيث لا يكون فيه فرج.

٣- وصل الصف الأول فالأول وإتمامه.

وكل هذا يدل على ما لتسوية الصفوف من شأن عظيم في إقامة الصلاة وحسنها، وتمامها وكمالها، وفي ذلك من الفضل والأجر، وائتلاف القلوب واجتماعها، ما شهدت به النصوص .

وقد تميزت هذه الأمة المرحومة، وخصت بأن صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة"[(٤)].

---

(١) لأن القبلة من خصائص الصلاة. (الباحث).

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٢١ .

(٣) المصدر السابق، ص١٦.

(٤) المصدر السابق، ص١١، ١٢ باختصار .

جاء في الحديث الصحيح، عن جابر بن سمرة[١] -رضي الله عنه - - قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: " **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها**" فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: "**يتمُّون الصفوف الأول ويتراصون في الصف** "[٢] .

وعندما لاحظ فضيلة الشيخ بكر رحمه الله بعض الهيئات في الصلاة، يغلب عليها الغلو في التطبيق من بعض المصلين، حذّر منها، ودعا إلى الالتزام بالسنة في ذلك. من ذلك إحداث هيئة في المصافّة للصلاة، يقول الشيخ - رحمه الله تعالى -:" ومن الهيئات المضافة مجدداً إلى المصافّة بلا مستند: ما نراه من بعض المصلين، من ملاحقة من على يمينه إن كان في يمين الصف، ومن على يساره إن كان في ميسرة الصف، وليّ العقبين ليلصق كعبيه بكعبي جاره.وهذه هيئة زائدة على الوارد، فيها إيغال في تطبيق السنة"[٣] ، إلى أن قال فضيلته:"وفيه ملاحقة المصلي للمصلي بمكانه الذي سبق إليه واقتطاع لمحل قدم غيره بغير حق. وكل هذا تسنن بما لم يشرع"[٤] .

ومن الهيئات المستحبة حال القيام في الصلاة: وضع اليد اليمنى على اليسرى على خلاف بين العلماء في مكان الوضع: هل هو على الصدر، أم فوق السرّة، أم تحت السرّة، أم الأمر فيه تخيير؟

لكن وجِدَتْ صفة مستحدثة هي خارج موضع الخلاف، من بعض المتنطعين في محاولة تطبيق السنة، وهي وضع اليدين تحت اللحية حال القيام أثناء الصلاة، أو زهد في السنة مثل:

---

(١) هو جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري السوائي. أمه خالدة بنت أبي وقاص أخت سعد بن أبي وقاص. له ولأبيه صحبة. سكن الكوفة. مات جابر بن سمرة في ولاية بشر بن مروان على العراق سنة ست وسبعين وهو الأصح، قاله الذهبي. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج٣ / ص١٨٦، ١٨٧) باختصار، والإصابة في تمييز الصحابة، (ج١ / ص٤٣١) باختصار.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة، حديث رقم (٦٥١).

(٣) لا جديد في أحكام الصلاة، ص١٢ .

(٤) المصدر السابق، ص١٣ .

إرخاء اليدين حتى تكون فوق (العانة)[١]، وهذا ما جعل الشيخ بكراً ينبّه عليه كما في قوله يرحمه الله بعد أن بيّن الهدي النبوي في ذلك: " ثبت هدي النبي صلى الله عليه وسلم بوضع اليد اليمنى على اليسرى حال القيام في الصلاة"[٢]، ثم قال:

" وضع اليدين على النحر تحت اللحية هيئة جديدة لم ترد بها سنة، ولا أثر، ولا قول معتبر، وإنما تولدت من الإيغال في تطبيق السنن، وهذا إفراط ممن يقول بوضعهما على الصدر، كما أن لدى من يقول بوضعهما تحت السرة تفريط، إذ يرخي ويبالغ حتى يضعهما فوق (العانة) فكل واحد من الفريقين أدى سنة القبض وفرط في سنة محل القبض: على الصدر"[٣] .

كما أن زيادة الانفراش والتمدّد في السجود أمر غير محمود، لما في ذلك من إفراط عن حد الاعتدال المأمور به شرعاً، لذا فإنَّ الشيخ بكراً نبّه على هذه الزيادة، فقال: "الاعتدال، وإقامة الصلب في الركوع والسجود، من هدي النبي صلى الله عليه وسلم. وحده في السجود: التوسط بين الانفراش، وبين القبض والتقوّس، بتمكين أعضاء السجود السبعة على الأرض، مع المجافاة المعتدلة بين الفخذين والساقين، وبين البطن والفخذين، وبين العضدين والجنبين، وعدم بسط الذراعين على الأرض. فإن زيادة الانفراش والتمدد في السجود، إفراط عن حد الاعتدال في أداء هذا الركن العظيم. فحريّ بركن هذه مترلته أن يؤدى على وفق الهدي النبوي المحفوف بالاعتدال، وعدم التكلّف والتحفّز "[٤] .

---

(١) العانة: منبِت الشعر فوق القُبُل من المرأة، وفوق الذكر من الرجل، انظر: تهذيب اللغة، مادة: (عان)، (ج ٣/ ص ٢٠٢)

(٢) لا جديد في أحكام الصلاة، ص١٨- باختصار .

(٣) المصدر السابق، ص٣٣ .

(٤) لا جديد في أحكام الصلاة، ص٣٦ــ٣٥ باختصار .

٢- ركن الزكاة:

الزكاة في اللغة: النماء[(١)]. وفي الاصطلاح: حق واجب في مال خاص، لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص[(٢)]

إن أعظم ما أوجب الله في الأموال، وأفضل ما أمر به - سبحانه وتعالى -: هي الزكاة، التي هي ثالث أركان الإسلام، وقرينة الصلاة في محكم القرآن.

فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[(٣)] .

وقال سبحانه:﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[(٤)] .

وجاء في منعها والبخل بها الوعيد الشديد، قال الله ــ جل وعلا ــ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثّل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرعَ [(٦)] له زبيبتان [(٧)] يطوقه**

(١) انظر: القاموس المحيط باب الواو والياء، فصل الزاي، مادة (زكا)، (ج٤/ ص٣٧٥).

(٢) انظر: المغني، (ج٢/ ص٤٣٣)، والروض المربع، ص١٦٤.

(٣) سورة البقرة، آية (٤٣).

(٤) سورة المجادلة، آية (١٣).

(٥) سورة التوبة، آية (٣٤-٣٥).

(٦) المراد بالشجاع: الحية الذكر، والأقرع: الذي تقرّع رأسه أي تمعّط لكثرة سمه، وقيل: الأقرع من الحيات الذي ابيض رأسه من السم، ومن الناس الذي لا شعر برأسه . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، (ج٣ / ص٢٧٠).

(٧) الزبيبتان: تثنية زبيبة وهما الزبدتان اللتان في الشدقين، وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه، وقيل نقطتان يكتنفان فاه، وقيل هما في حلقه بمترلة زنمتي العنــز، وقيل لحمتان على رأسه مثل القرنين، وقيل نابان يخرجان من فيه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ج٣/ ص٢٧٠).

يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك" ثم تلا: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [١] إلى آخر الآية [٢].

وتجب الزكاة في سائمة بهيمة الأنعام، والخارج من الأرض، والأثمان، وعروض التجارة[٣].

وإظهاراً لفضل هذه الشعيرة، ومكانتها في الإسلام، أسهم الشيخ بكر رحمه الله في توضيح ذلك، يقول الشيخ بكر عليه رحمة الله في بيان وقت إخراج زكاة المال: " أن يجعل له وقتاً معيناً يزكي فيه كل ما تحصل له ،كأول شهر رمضان أو ذي الحجة، وهذا الطريق أبرأ للذمة، وهو أسهل وأيسر لمن أراد سلوك طريق السماحة، وطابت نفسه أن يؤثر جانب الفقراء والمحاويج [٤]، وغيرهم من أهل الزكاة على نفسه "[٥].

وبما أن النيّة مطلوب استحضارها في كل العبادات، كان لا بد من الحثّ عليها عند إخراج الزكاة، والتحذير من تحويل النيّة فراراً منها، يقول الشيخ بكر رحمه الله: "لما كانت أحكام الزكاة، تدور على النيّة، وهي بين العبد وبين ربه، لذا فإنه يحرم على من وجبت عليه الزكاة تحويل نيّته فراراً منها، وهو آثم، فعليه التوبة إلى الله تعالى بإعمال نيته الصادقة فيها، وإن لم يتب وعلم منه ذلك فإنه يعامل بنقيض قصده، وتؤخذ منه الزكاة "[٦] .

و"الزكاة الواجبة: يجب دفعها إلى مستحقيها على الفور وقت الوجوب، من أهل الزكاة الثمانية الذين ذكرهم الله عز شأنه في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ

---

(١) سورة آل عمران آية (١٨٠)

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: إثم مانع الزكاة، حديث رقم (١٣١٥).

(٣) انظر: الروض المربع، ص١٦٤.

(٤) المحاويج: جمع مُحْوِج، والمحوَج: المُعْدِم. انظر: لسان العرب، حرف الجيم، فصل الحاء، مادة: (حوج)، (ج٢/ ص٢٤٣).

(٥) فتوى جامعة في زكاة العقار، بكر أبو زيد، ص٢١ .

(٦) المصدر السابق، ص٢٩ باختصار .

ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

ويحسن بالمسلم أن يقيّد ما وجب عليه في كتاب عنده، لئلا ينساه، وحتى يُخرجَ عنه بعد موته من تركته، إن لم يتمكن من إخراج الزكاة قبل موته"[2]

ومصداق ذلك في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"**[3] .

٣- ركن الصيام:

الصيام في اللغة: الإمْسَاك.[4]

وفي الاصطلاح: هو إمساك بنيّة، عن أشياء مخصوصة، في زمن معين، من شخص معين.[5]

فضّل الله شهر رمضان على سائر الشهور، وجعله موسماً للمنافسة في الخيرات، والإكثار من الطاعات، والأولى بترك المنكرات.

وصيام رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام، ودليل فرضيته قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[6].

وحثنا ربنا ــ تبارك وتعالى ــ على صيام هذا الشهر المبارك في آيات من كتاب الله ــ عز وجل ــ منها قوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .. ﴾[7] .

---

(١) سورة التوبة، آية (٦٠)

(٢) فتوى جامعة في زكاة العقار، ص٨ - ١٠، باختصار وتصرف.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الوصايا، باب: الوصايا، حديث رقم (٢٥٣٣) ومسلم، كتاب: الوصية، باب: وصيّة الرجل مكتوبة عنده، حديث رقم (٣٠٧٤،٣٠٧٥)

(٤) انظر: القاموس المحيط، باب: الميم، فصل: الصاد، مادة(صام)، (ج٤/ ص١٠١).

(٥) انظر: المغني، (ج٣/ ص٢)، والروض المربع، ص١٨٧.

(٦) سورة البقرة آية (١٨٣) .

(٧) سورة البقرة آية (١٨٥) .

وجعله الله سبباً لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب لمن أخلص النية.

ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه "**[١].

وشهر رمضان المبارك يثبت دخوله بأحد أمرين، ذكرهما الشيخ بكر أثابه الله، مدعماً بالأدلة الثابتة من الهدي النبوي، فقال - رحمه الله -:

" وأما هدي النبي - صلى الله عليه وسلم- في معرفة دخول شهر الصوم فقول وفعل: أما القوليّ: فحديث أبي هريرة [٢]، وابن عمر [٣]، وابن عباس [٤] "[٥]، إلى أن قال:" وأما هديه الفعليّ صلى الله عليه وسلم ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان، حديث رقم (٣٧)، وكتاب: صلاة التراويح، باب: فضل ليلة القدر، حديث رقم (١٨٧٥). ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، حديث رقم (١٢٦٨).

(٢) حديث أبي هريرة رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا" حديث رقم (١٧٧٦)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، حديثي رقم (١٨٠٩،١٨١٠).

(٣) حديث ابن عمر رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، حديث رقم (١٧٦٧)، وباب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا" حديثي رقم (١٧٧٤،١٧٧٣)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، أحاديث رقم (١٧٩٥،١٧٩٦،١٧٩٧،١٧٩٨،١٧٩٩،١٨٠٠).

(٤) حديث ابن عباس رواه أحمد في مسنده، كتاب: مسند بني هاشم، باب: مسند عبد الله بن عباس، أحاديث رقم (١٨٣٠، ١٨٨١، ٢٢١٩) الترمذي في سننه، كتاب: الصوم، باب: ما جاء أن الصوم لرؤية الهلال والفطر له، حديث رقم (٦٢٤)، وأبو داود في سننه، كتاب: الصوم، باب: من قال: فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين، حديث رقم (١٩٨٢)، والنسائي في سننه، كتاب: الصيام، باب: صيام يوم الشك، حديث رقم (٢١٦٠).صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن النسائي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢١٨٩)، ص٣٤٧.

(٥) فقه النوازل، جزء في الحساب الفلكي، بكر أبو زيد، ص١٩٣.

"كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يتحفظ لشعبان ما لا يتحفظ لغيره، ثم يصوم لرؤية رمضان، فإن غمّ عليه عدّ ثلاثين يوماً ثم صام[1]"[2] .

إذاً التحقق من دخول شهر رمضان يكون بوجود أحد أمرين:

١- برؤية الهلال الرؤية البصرية.

٢- الإكمال لشعبان ثلاثين يوماً في حال تعذر الرؤية لغيم ونحوه.

فالصيام عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه، حينما يترك ما يحب وما تشتهيه نفسه، أملاً فيما عند الله من الأجر والمثوبة والرحمة والرضوان والعتق من النيران. فيجب على المسلم أن يصوم رمضان إيماناً واحتساباً، لا رياء ولا سمعة ولا مجاملة لأحد، ولا موافقة لأهله، أو متابعة لمجتمعه.

٤- ركن الحج:

الحجّ في اللغة: القصد، والكف، والقدوم، والغلبة بالحجّة، وكثرة الاختلاف والتردد، وقصد مكة للنسك.[3]

والحج في الاصطلاح: قصد مكة لعمل مخصوص في زمن مخصوص.[4]

وقد فرض الله حج بيته العتيق للمستطيع من المسلمين، فقال جل جلاله، وتقدست أسماؤه: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا .. ﴾ [5] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه، كتاب: مسند الأنصار، باب: مسند عائشة، حديث رقم (٢٤٠٠٦) ، ورواه أبو داود في سننه بلفظ: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فإن غمّ عليه عدّ ثلاثين يوما ثم صام) كتاب: الصوم، باب: إذا أغمي الشهر، حديث رقم (١٩٨٠). صححه الشيخ الألباني. انظر: سنن أبي داود، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٣٢٥)، ص٤٠٨.

(٢) فقه النوازل، جزء في الحساب الفلكي ، ص١٩٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط، باب الجيم فصل الحاء مادة (حجّ)، (ج١/ ص٢٤٧).

(٤) انظر: الروض المربع، ص٢٠٣.

(٥) سورة آل عمران، آية (٩٧).

وأمرنا الله سبحانه بإتمام الحج والعمرة لوجهه تعالى، فيقول عز وجل: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ.. ﴾[(١)].

ونهانا ربنا تبارك وتعالى عن اللغو والجدال في الحج، لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ .. ﴾[(٢)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** "[(٣)]، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في جزاء الحج المبرور: "**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**"[(٤)].

وعند أدائنا لهذا النسك العظيم علينا التمسّك بدلالات الكتاب الكريم، واقتفاء أثر رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في ذلك، كما في حديث جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ يقول: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم- يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: "**لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**".[(٥)]

وقد بين الشيخ بكر غفر الله له حكم الحج، وأنه فريضة على كل مسلم ومسلمة، قائلاً:" والحج منذ فرضه على المسلمين لم ينقطع ولا عاماً واحداً"[(٦)].

وأول أركان الحج والعمرة هو الطواف بالبيت العتيق، ولهذا الركن أحكام ينبغي للحاج أو المعتمر مراعاتها وتطبيقها، ذكر شيئاً منها الشيخ بكر – رحمه الله –فقال:

---

(١) سورة البقرة، آية (١٩٦).

(٢) سورة البقرة، آية (١٩٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الحج، باب: فضل الحج المبرور، حديث رقم (١٤٢٤)، وباب: قول الله تعالى: { فلا رفث }، حديث رقم (١٦٩٠)، وباب: قول الله تعالى: { ولا فسوق ولا جدال في الحج }، وصحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم (٢٤٠٤).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الحج، باب: وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم (١٦٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، حديث رقم (٢٤٠٣).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر، حديث رقم (٢٢٨٦).

(٦) جبل إلال بعرفات، ص٨ باختصار.

"فلا يختلف المسلمون أنَّ بداية الطواف المشروع بالبيت العتيق، هي من الركن الذي فيه الحجر الأسود، ولذا قيل (الركن الأسود)، وأن هذا الركن هو خاتمة لكل طوفة، وخاتمة كل طواف سبعة أطواف"[١] .

وبيّن الشيخ بكر رحمه الله الطريقة الصحيحة في استلام الحجر الأسود، لما لاحظه – رحمه الله –من جهل عند بعض الحجاج وزوار الكعبة الشريفة، فهم يبدأون الطواف باستلام الحجر، فقال منكراً ذلك: " ليس للطائف استلام الحجر الأسود عند ابتداء الطواف، وأنَّ استلامه يكون حسب الاستطاعة "[٢] .

ثم بيّن حكم الطواف عن بُعْد في وقت الزحام أو كان الشخص مريضاً وخشي على نفسه أو على غيره الأذى، فقال أثابه الله:" استحباب الدنو من البيت للطائفين، وأنه يجوز من بُعْد في الزحام إذا خشي الأذى على نفسه أو غيره "[٣] . ولكن لا يعني هذا أن يُطاف من خارج المسجد الحرام، لمخالفته للسنة النبوية، والإجماع منعقد على عدم جوازه [٤] ، يقول الشيخ بكر: "حكي الإجماع على أن الطواف لا يجزئ من خارج المسجد "[٥] . يعني المسجد الحرام.

وأوضح ــ غفر الله له ــ الحكم الشرعي في مشروعية الطواف فوق سطح المسجد الحرام. ومَنْ رأى ما يعانيه الطائفون من شدة الزحام خصوصاً في السنوات الأخيرة، يعلم مدى حاجة المسلمين لمثل هذه الرخص، المستمدة من مقاصد الشريعة السمحة، يقول الشيخ بكر:" تكاد تتفق كتب أهل العلم على جواز الطواف بالبيت على سطوح المسجد الحرام، إذا كان البيت أرفع بناء، ويستدل له بطواف النبي – صلى الله عليه وسلم– على بعيره"[٦].

---

(١) العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته، بكر أبو زيد، ص٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٥ باختصار .

(٣) المصدر السابق، ص١٦ .

(٤) انظر: الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، ص٧١

(٥) العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته، ص١٧ .

(٦) المصدر السابق، ص١٧ .

وهكذا ينبغي للداعية والمفتي أن يلتزم التيسير على الناس وعلى الحجاج خاصة، لأن التيسير أصل من أصول الشريعة الإسلامية، كما هو معلوم، ما دام أنه لا نص فيه، فهو محل اجتهاد.

وأنكر – رحمه الله –على وضع خط ممتد من الركن الأسود إلى جهة باب الصفا في ساحة أرض المطاف للعلامة على موضع بداية الطواف ونهايته، يقول الشيخ بكر:"إن العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته التي دلّ عليها الشرع المطهر (الركن الأسود) ظاهرة باقية ما بقي بيت الله – حماه الله وحرسه ـــ ففي إيجاد هذه العلامة الزائدة استدراك على الشارع، فتكون من مواطن الإحداث في الدين، وكل محدثة بدعه "[١].
إلى أن قال رحمه الله: "جَرَّ هذا الإحداث إلى تكثيف الزحام، للبحث عن بداية الطواف الأرضية، إذ ترى الطائفين – حتى في حالة الزحام المحتمل ـــ كالبنيان المرصوص على هذا الخط، لاينفذ من خلفهم إلا بعد سماح نفوسهم بالانصراف من هذا التراصّ المحدث على هذا الخط المحدث .."[٢] .

وقد قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين أخيراً بإزالة هذه العلامة، لما تسببه من زحام شديد عند بداية الطواف ونهايته، فشكر الله صنيعهم، وجزاهم على فعلهم خيراً، وجزا الله الشيخ بكراً على جهده الموفق في إنكاره لهذا الخط المحدث ومطالبته المستمرة بإزالته، فكان، ما أراد!!.

ثم إنّ الشيخ بكراً رحمه الله حذّر من مخالفات الحجاج في يوم الوقوف بعرفة، وهي مخالفات كثيرة جداً، لكن الشيخ ذكر أهمّها، مثل:

جعل الجبل هو الأصل في الموقف، والوقوف على الجبل في اليوم الثامن ساعة من الزمن احتياطاً، وأداء الصلاة على الجبل، وأخذ شيء من تراب الجبل، والتمسح بالشاخص وتقبيله، والصلاة إليه، وقصد الدعاء عنده، ورفع الداعي يديه متوجهاً إليه، والكتابة عليه، والطواف به، وكذلك وضع رسائل مكتوبة في قصاصات، وشيء من

---

(١) المصدر السابق ص٢٣ .
(٢) المصدر السابق ص٢٧ .

الشعر والنقود، والصور، والخرق المعقودة في شقوق الصخرات لاعتقادات متعددة، كالرجوع إليه مرة أخرى، أو ليحج فلان، أو لشفاء مريض، أو لتحمل امرأة لم تحمل بعد، وهكذا [١].

وبيّن الشيخ بكر أثابه الله أنّ هذا مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، وكل هذه بدع محرمة، وقرب شيطانية مستشنعة، وقد يصل بعضها إلى حد الشرك.

وهذه وغيرها من البدع والخرافات، لم نعد نشاهد الكثير منها بفضل الله وحده، ثم بفضل جهود حكومة خادم الحرمين الشريفين التي كانت وما زالت تولي الحرمين الشريفين، والمشاعر المقدسة؛ عناية خاصة، واهتماماً منقطع النظير، وممّا عملته الحكومة الرشيدة، خاصة أثناء موسم الحج: توفير الدعاة والمفتين على مدار الساعة في جميع مشاعر الحج، وبرامج التوعية والتوجيه عبر وسائل الإعلام المختلفة، مما كان له أثره في القضاء على كثير من المخالفات والبدع، وتبديد ظلمة الجهل، وانتشار العلم والسنة، والحمد لله على المنّة.

فالشيخ بكر رحمه الله دعا إلى تطبيق أركان الإسلام في حياة الناس، وأنّ شريعة الإسلام جاءت لدرء المفاسد وجلب المصالح للعباد، وحذر من الغلو في تطبيق السنن والأحكام، والبعد عن البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان، سوى الجهل والتقليد على غير هدى.

فينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل أن يستفيدوا من هذه الجهود المباركة في دعوة الخلق، والأخذ من الأساليب الدعوية والوسائل المتنوعة التي سلكها الشيخ بكر في دعوته جزاه الله خير الجزاء وأوفاه.

* * * *

---

(١) انظر: جبل إلال بعرفات، الصفحات: ٣٢، ٣٣، ٦٢،٦٤، ٦٥، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وبيانه لخطر تحكيم القوانين الوضعية:

جاء الإسلام بما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم، وفي عباداتهم ومعاملاتهم، وفي شتى المجالات ومختلف نواحي الحياة، فهو الدين الخاتم والشامل والكامل، والصالح لكل زمان ومكان، لذا"فإن شريعة الإسلام وهي آخر الشرائع، باينت جميع الشرائع في عامة الأحكام: العملية، والقولية، والأوامر والنواهي، لما لها من صفة الدوام والبقاء، وأنها آخر شريعة نزلت من عند الله ناسخة لما قبلها من شرائع الأنبياء "(١) ، وأيضاً"الشريعة مبنيّة على اليسر والسهولة، والبعد عن التكلف والشطط، والغلو، والإفراط "(٢)

فالشريعة الإسلامية لا تقارن بغيرها من الأديان فضلاً عن القوانين الوضعية، ولا تتساوى معها، لأن الديانات السابقة تدور بين النسخ والتحريف، والقوانين الوضعية من صنع البشر، فالله أعلم بخلقه وما يصلح لهم، وما فيه خيرهم وسعادتهم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ .. ﴾(٣)، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٤)

وقد جعل الله الدين الإسلامي هو الحق وهو المهيمن على غيره، وأمرنا بتحكيمه بيننا، والرجوع إليه عند الخلاف، يقول الله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ .. ﴾(٥)

وأنكر الله – جل جلاله – على من ادَّعى الإيمان بالله وبرسوله – صلى الله عليه وسلم– ثم يتحاكم إلى غير شريعة رب العالمين، فهذه من صفات المنافقين، قال الله تعالى:

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، ص٥٨، ٥٩.

(٢) العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته، ص٢٦ .

(٣) سورة البقرة آية (١٤٠).

(٤) سورة الملك آية (١٤).

(٥) سورة المائدة، آية (٤٨).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [(١)] .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين: " هذا إنكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، فهي ذامَّةٌ لمن عدل عن الكتاب والسنة، ويتحاكم إلى ما سواهما من الباطل"[(٢)]

وأما المؤمنون الصادقون، فقد قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [(٣)]

إنّ" تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله، أو تماثله وتشابهه، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا بأن أحكام الله خير وأكمل وأعدل. فالواجب على عامة المسلمين وأمرائهم وحكامهم، وأهل الحل

(١) سورة النساء آية (٦٠ ،٦١).
(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ص ٦٧٨) باختصار وتصرف.
(٣) سورة النور آية (٥١)

والعقد فيهم: أن يتقوا الله عز وجل ويحكموا شريعته في بلدانهم وسائر شئونهم"[١]

وهنا ينبغي أن يلتفت إلى أمر مهم وهو أنّ تحكيم الكتاب والسنّة يجب أن يكون في كلّ الأُمور، لا في بعضها دون بعض، فمن لم يحكّم الشريعة في كلّ الأمور، كان مؤمناً ببعض الكتاب وكافراً ببعض، يقول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٣]

والمطّلع على حياة الشيخ بكر – رحمه الله – يلمس الجهود العظيمة التي بذلها – غفر الله له – في سبيل الدعوة إلى شرائع الإسلام، ومن مظاهر هذه الجهود دعوته إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتعددت نصائحه في فضل التحاكم إلى الشرع الحنيف في كل مناحي الحياة، وأنها من أوجب الواجبات.

وحذّر – رحمه الله – من أخطار القوانين الوضعية، والأنظمة البشرية التي تخالف الشريعة الإلهية، بل وتنتقص منها، تلميحاً أو تصريحاً.

فقال رحمه الله مبيناً فضل تحكيم الشريعة:

"إن تحكيم شرع الله تعالى من أعظم الواجبات، قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٤].

---

(١) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، عبد العزيز بن باز، ص١٨ بتصرف يسير

(٢) سورة البقرة آية (٨٥)

(٣) سورة النور، الآيات (٤٨– ٥٠).

(٤) سورة النساء، آية (٦٥) . يقول الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم ولا يجد الحرج في صدره بما قضي عليه ويسلم لحكم الله وشرعه، تسليماً لا يخالطه ردّ ولا تشوبه مخالفة". فتح القدير، (ج١/ ص٦١١).

وهو أيضاً من أجل أنواع العبادة، قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

وجعل الله - سبحانه - الحُكْم بغير ما أنزله شركاً في عبادته وشركاً في حكمه فقال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ (٢) ، وقال عزّ من قائل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ..﴾ (٣) "(٤)

والدعوة إلى تحكيم شرع الله من مقتضيات الدعوة الإسلامية وأهدافها، المستمدة من منهاج النبوة، يقول الشيخ بكر في توضيح ذلك المفهوم:

" ومن مراحل الدعوة على منهاج النبوة: محو جاهلية الحكم بغير ما أنزل الله بالدعوة إلى تحكيم شريعة الله: في الولاية العظمى، والقضاء، ومرافق الحياة كافة، إذ تحكيم الشريعة في ذلك عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، فتحكيم القوانين الوضعية ــ في القضاء مثلاً ــ شرك بالله في حكمه، ألا ترى قول الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ..﴾ (٥) "(٦) .

لقد سعى الشيخ - رحمه الله -وعمل جاهداً على حضّ الدول الإسلامية على تحكيم الشريعة، ونبذ القوانين الوضعية، ووجّه نصيحته إلى كل مسلم على وجه الأرض ألاّ يقدِّم على حكم الله ورسوله حكم أحد مهما كان، فقال - أثابه الله -:"بعض الدول التي تركت الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية المطهرة، وعمدت إلى قوانين وضعية مخالفة

---

(١) سورة يوسف، آية (٤٠) .

(٢) سورة الكهف، آية (٢٦).

(٣) سورة الشورى، آية (٢١).

(٤) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٨، ٣٩، باختصار .

(٥) سورة يوسف، آية (٤٠) .

(٦) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٨٠ .

لشرع الله المطهر، واعتاضوا [١] بها عن حكم الله ورسوله. وهذا ضلال مبين، وقع في وحله [٢] كثير من بلاد المسلمين، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٣].

فيجب على كل مسلم ألاَّ يقدِّم على حكم الله ورسوله حكم أحد كائناً من كان، فكما أن العبادة لله وحده، فكذلك الحكم لله وحده. فالتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم– من أعظم المنكرات، وأقبح السيئات، وقد سماه الله كفراً وظلماً وفسقاً في محكم كتابه العظيم[٤] "[٥].

وبيّن – رحمه الله – أن تحكيم الشريعة وتطبيقها، من أوجب واجبات وليّ أمر المسلمين تجاه رعيته، وقد ساق الأدلة على فضل الشريعة الإسلامية، فقال:" مَن وليَ من أمور المسلمين، فإن أعظم ما يجب عليه أن يسوس الرعية بالكتاب والسنة وينشر التوحيد من مشكاقهما ويزيل ما يناقضه من مظاهر الشرك والوثنية، ويحكم بين الناس بهما، إقامة للعدل بينهم، ولا أحكم، ولا أعدل ولا أصلح للناس من شريعة ربهم، ففيها العدل والرحمة والشفاء لما في الصدور، كما قال الله جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦].

---

(١) العوَضُ: الخَلَفُ. وتَعوَّضَ أخذَ العوَضَ، واستَعاضَهُ: سألَهُ العوَضَ، فعاوَضَهُ: أعْطَاهُ إياهُ، واعْتَاضَهُ: جاءهُ طالباً للعِوَضِ. انظر:القاموس المحيط، باب الضاد فصل العين مادة (عوض)، (ج٢/ ص٥١٦).

(٢) الوَحَلُ بالتحريك: الطينُ الرقيقُ.انظر: الصحاح في اللغة، باب اللام، فصل الواو، مادة: (وحل)، (ج٥/ ص١٣٦).

(٣) سورة المائدة آية (٥٠).

(٤) يشير فضيلة الشيخ بكر إلى قوله تعالى: { .. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون }، وقوله عز وجل:{ .. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون}، وقوله سبحانه: {.. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون }. كما في سورة المائدة، الآيات (٤٤، ٤٥، ٤٧). (الباحث)

(٥) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٦، ٧، باختصار.

(٦) سورة يونس، آية (٥٧).

وقال سبحانه: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) "(٣).

وقال أيضاً ــ وهو يحثّ الحكّام والقادة على تحكيم الشريعة الإسلامية ــ:

" يجب على قادة المسلمين أن يحكّموا شرع الله بينهم وعلى مَن ابتلوا بتحكيم القوانين الوضعية أن يتوبوا إلى الله تعالى، ويستغفروه، وينتهوا إلى شرعه المطهر وحكمه العدل ليتوب الله عليهم، ويفوزوا بعفوه ومغفرته، ويأمنوا ويفلحوا، لقيام هذه الأحكام الشرعية على قواعد قويمة وتضمنها أحكاماً حكيمة من لدن رب العباد، البصير بهم وما فيه خيرهم وصلاحهم ونجاتهم، وهي أحكام عادلة مشتملة على تحقيق المصالح، والمواكبة لكل زمان ومكان، والضمان لمن سلك هديها بالتوفيق والفلاح"(٤) .

ونظير إنكاره على الدّول التي لا تحكّم شرع الله في حياتها وأحكامها واستعاضت بالقوانين الوضعية المستمدة من القوانين الغربية، نبّه - رحمه الله -القبائل التي تلتزم بالتحاكم إلى الأحكام العرفية والقبلية، وتترك التحاكم إلى الشرع المطهر، فقال منكراً:

" بلغ الأمر في بعض القبائل، عقد ميثاق للقبيلة يسمونه: (المذهب)(٥) يسنون فيه أحكاماً لكل واقعة، مخالفة لحكم الله تعالى، ويسندون فيه النظر في هذه الوقائع وإنزال الأحكام والأعراف عليها إلى شيخ القبيلة، أو حكام ينتخبون من بينهم، ويلومون ويقاطعون كل من خرج عن هذا الميثاق الباطل، أو ذهب إلى المحاكم الشرعية"(٦).

---

(١) سورة المائدة، آية (٥٠).

(٢) سورة الجاثية، آية (١٨).

(٣) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٨.

(٤) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٩ .

(٥) المَذْهَبُ: المُعْتَقَد الذي يُذْهَبُ إليه. انظر: لسان العرب حرف الباء مادة (ذهب)، (ج١/ ص٣٩٤). ومذهب القبيلة: هو القانون الذي تسير عليه القبيلة وتلتزم به. (الباحث).

(٦) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٥، ٦

فقال - رحمه الله - معقّباً على هذه الأفعال المنكرة: "وهذا من تلبيس إبليس عليهم، وإغوائه لهم، وتلاعبه بعقولهم، إذ أوقعهم في هذا المنكر العظيم، وهو ترك حكم الله تعالى، والاعتياض عنه بهذه العادات والأعراف الجاهلية، فاستبدلوا بذلك الذي هو أدنى بالذي هو خير، والباطل بالحق، والظلم بالعدل "[١]

وهذا ما أفتى به سماحة مفتي المملكة العربية السعودية في وقته، الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، عندما سئل عن حكم من يتحاكم إلى القوانين العرفية، والقوانين القبلية، فقال سماحته:

" أما تحكيم القوانين والأعراف القبلية فهذا منكر لا يجوز، والواجب تحكيم شرع الله، وعلى القبيلة أي قبيلة أن ترجع إلى حكم الله، ولا ترجع إلى قوانينها وأعرافها وسوالف آبائها. أما الصلح فلا بأس به من غير إلزام " انتهى كلامه رحمه الله.[٢]

وردّ الشيخ بكر رحمة الله عليه على من يطالب بوقف تحكيم الشريعة حتى يتمّ تقنينها [٣] ، وفَضَحَ غايتهم العليلة، وأهدافهم الخبيثة، بقوله ـــ يرحمه الله ـــ:

" الدعوة إلى (تقنين الشريعة) ووقف تحكيمها بدعوى عدم تقنينها، وهي دعوى تعللية - للماطلة في تحكيمها - مكشوفة الغاية: الرفض الأبدي لتحكيم الشريعة في حال مدعي عدم التقنين " [٤]

ونبّه - رحمه الله - إلى أن من أسباب عدم تطبيق الشريعة في مجالات الحياة عند كثير من المسلمين هو عدم ثقتهم في شريعة ربهم، بل الشعور المتأصل بعدم صلاحية

---

(١) المصدر السابق، ص٦ .

(٢) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز، (ج ٤ / ص ٢٦) باختصار.

(٣) التقنين في اللغة: تدور مادة القاف والنون على عدة معان، منها: تتبع الأخبار، والتفقد بالبصر، والضرب بالعصا، العبودية، القوة، البصير بالماء، المقياس، التعدي، التسوية، الإصلاح، التزيين والتحسين، الغناء، الجبل، الانتصاب، الأصول، اللزوم. انظر: لسان العرب، حرف النون، فصل القاف، (ج١٣/ ص٣٤٨)، والقاموس المحيط، باب النون، فصل القاف، (ج٤/ ص٢٦٣). وفي الاصطلاح: هو الإلزام بقول واحد أو مذهب معين. انظر: فقه النوازل، جزء في التقنين والإلزام، ص٩.

(٤) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٥٥.

أحكام الدين الإسلامي للعصر الحديث، أو أنه لا يتناسب مع الحضارة المعاصرة، وهذا مترلق خطير يهوي بصاحبه في ظلمات الكفر والعياذ بالله إذا اعتقد ذلك، لذا قال الشيخ بكر:" ومن نسب الشريعة إلى العجز والضعف، أو الشدّة، أو عدم صلاح تطبيقها في هذا العصر، فهو كافر الكفر المخرج من الملة بإجماع المسلمين"[(١)]

ولم يَفُت الشيخ بكر أن يبيّنَ ما تنعم به هذه الدولة السعودية المباركة، من أمن وأمان، بسبب تحكيمها للشريعة الإسلامية، واستمداد دستورها من كتاب الله وسنة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وتطبيقهما في كل شؤونها، فقال:" هذا الأمن والاستقرار والنعم العظيمة على هذه البلاد ـــ المملكة العربية السعودية ـــ المهديّة بفضل الله تعالى وتوفيقه إلى تطبيق شرعه، وإمضاء حكمه، فوجدت من يسر الإسلام وعدله ما ملأ الصدور إيماناً، والقلوب إعجاباً، فهي بفضل الله ورحمته من الأرض المباركة، التي قبلت هذا الغيث العظيم، والخير الجزيل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "[(٢)].

إنّ تحكيم الشريعة، والحكم بها بين الناس، لا بد أن يشمل جميع مجالات الحياة، فيكون المجتمع المسلم إسلامياً في جميع شؤونه: في الحدود والسياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام والمعاملات وغيرها من مجالات الحياة، "ومن أعظم الحدث تعطيل كتاب الله وسنة رسوله، وإحداث ما خالفهما " [(٣)].

وجهود الشيخ بكر في هذا المجال تدل على عميق فهمه للإسلام، وغيرته على تطبيق أحكامه، يتضح ذلك من بيانه لفضل الشريعة وثمرة تطبيقها في الحياة العامة والخاصة، وردّ على مَن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير: الذي يستعيض القوانين الوضعية بدل الشريعة الإلهية، ألا ساء ما يزرون.

---

(١) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٨ .
(٢) المصدر السابق، ص١٠،٩.
(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (ج٤/ ص ٣٠٨)

فقد حث الشيخ على تحكيم الشريعة بين العباد في كل شؤونهم، وجعلها من الأهمية بعد نشر التوحيد.

وهذا ما كان عليه منهج النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوته، فقد بدأ بالدعوة إلى العقيدة كما كان عليه في مكة، ثم لما هاجر إلى المدينة أخذ في تطبيق الشريعة قولاً وعملاً، واحتساباً، والتزم الصحابة رضي الله عنهم بذلك، فأصبحت الأمة - بعد تطبيقها لشرع الله - خير أمة أخرجت للناس.

* * * *

المطلب الثالث: جهود الشيخ في الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، والآداب المرعية، والأذكار الشرعية:

أيّ مجتمع من المجتمعات، أو فرد من الأفراد؛ لا يمكن أن تستقيم حياته، أو يسعد عيشه، من غير أخلاق فاضلة، وآداب عالية. فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها أحد.

وإذا كانت الأخلاق مطلباً ضرورياً لكل ملة ونحلة، فإنها في الدين الإسلامي أهمّ وأغلى، وقد أعطاها الإسلام أهمية عظمى، ومكانة عليا، بل ورتب عليها الثواب والعقاب، بقدر ما يكون من الالتزام بها قولاً وفعلاً.

والأخلاق والآداب جوهر الرسالات السابقة، وقد كان الأنبياء والرسل ـــ عليهم السلام ـــ من أكمل الناس خلقاً وأدباً، ولا يستغرب ذلك فقد أدّبهم ربهم فأحسن تأديبهم، ليكونوا قدوة لأممهم وأقوامهم، وأحرى أن يقبل منهم، ويستجاب لدعوتهم، ويقتفى أثرهم.

ورسولنا وقدوتنا محمد - صلى الله عليه وسلم - صح عنه أنه قال: " **إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**"، وفي رواية: " **صالح الأخلاق** "[1] .

فالغرض من بعثته - صلى الله عليه وسلم - هو إتمام الأخلاق، والعمل على تقويمها، ونشر محاسنها. وعندما سئلت عائشة - رضي الله عنها -، عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام قالت: فإنّ خلق نبي الله - صلى الله عليه وسلم- كان القرآن.[2]

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب: حسن الخلق، حديث رقم (٢٧٣)، ص ١٠٤، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٤٢٢١)، (ج٢/ ص٦٧٠)، ورواه البيهقي في السنن، كتاب: الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، حديث رقم (٢٠٥٧١)، (ج١٠/ ص ١٩١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع الليل ومن نام عنه أو مرض، حديث رقم (١٢٣٣).

ومدحه الله – عز وجل – في كتابه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١] .

وقد قال – عليه الصلاة والسلام – في الحثّ على حسن الخلق، عن أبي ذر[٢] – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"**[٣] .

وبيّن النبي – صلى الله عليه وسلم- فضل محاسن الأخلاق في غير ما مناسبة، منها قوله – عليه الصلاة والسلام –: **"ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق "**[٤] .من حديث أبي الدرداء[٥] رضي الله عنه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **" إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً** ...الحديث"[٦] .

---

(١) سورة القلم، آية (٤).

(٢) هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وقيل: جندب بن سكن. أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. لمّا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه. وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين. سير أعلام النبلاء – (ج٢ / ص٤٦ــ ٧٤) باختصار.

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث أبي ذر الغفاري، حديث رقم (٢٠٣٩٢، ٢٠٤٣٥، ٢٠٥٥٦)، وسنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم (١٩١٠)، وسنن الدارمي، كتاب: الرقاق، باب: في حسن الخلق، حديث رقم (٢٦٧١). وحسنه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (١٩٨٧)، ص٤٥١.

(٤) سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في حسن الخلق، حديث رقم (٤١٦٦)، وصححه الشيخ الألباني، انظر: سنن أبي داود، تحقيق الشيخ الألباني، حديث رقم (٤٧٩٩)، ص٨٧١.

(٥) أبو الدرداء عويمر بن زيد بن قيس، ويقال: عويمر بن عامر، ويقال: ابن عبد الله. وقيل: ابن ثعلبة بن عبد الله – الأنصاري الخزرجي. حكيم هذه الأمة. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث. أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحداً، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق،ولم يزل بها حتى مات سنة اثنتين وثلاثين. وقيل: سنة إحدى وثلاثين. سير أعلام النبلاء – (ج٢/ ص ٣٣٥ــ ٣٥٣ــ) باختصار.

(٦) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الشاميين، باب: حديث أبي ثعلبة الخشني، حديث رقم (١٧٠٦٦)، وكتاب: المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن عمرو، حديث رقم (٦٤٤٧، ٦٧٣٨)، وسنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في معالي الأخلاق،

وفي هذا المبحث يتعرَّض الباحث لجهود الشيخ بكر، ودعوته الحكيمة، للتخلق بأحسن الأخلاق، والتأدب بأفضل الآداب، ومراعاة خير الدعاء، والالتزام بالأذكار الشرعية، الواردة في الكتاب والسنة، والبعد التام عن الأذكار البدعية، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

أولاً: معاني الأخلاق والآداب والأدعية والأذكار:

١. معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح:

الخلق في اللغة: السجِيّةُ، والطَّبْعُ، والمُروءةُ، والدينُ.[١]

وفي الاصطلاح: الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية.[٢] ، وقيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى وكفّ الأذى وطلاقة الوجه.[٣]

٢. معنى الآداب في اللغة والاصطلاح:

الأدب في اللغة: الظرف، وحسن التناول، والتعليم، والترويض والتذليل.

وسمي الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس أدباً لأنه يأدِّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.[٤]

وفي الاصطلاح: جمع أدب، وهي اجتماع محاسن الأخلاق، ومحاسن العادات، ومنه سميت المأدبة مأدبة لاجتماع الناس فيها.[٥]

=حديث رقم (١٩٤١). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٠١٨)، ص٤٥٦.

(١) انظر: القاموس المحيط، باب القاف، فصل الخاء، مادة (خلق)، (ج٣/ ص٣١٠).

(٢) تهذيب الأخلاق، أحمد بن محمد بن مسكويه، ص ٢٥.

(٣) مجموع الفتاوى ،(ج ٧ / ص ٩).

(٤) انظر: لسان العرب ، حرف الباء، فصل الهمزة، مادة (أدب)، (١/ ص٢٠٦)، والقاموس المحيط، باب الباء، فصل الألف، مادة (أدب)، (ج١/ ص٤٦)

(٥) آداب الأكل، أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسي، ص١١.

٣. معنى الأدعية في اللغة والاصطلاح:

الدُّعاء في اللغة: الرغبة إلى الله تعالى، والاستغاثة، والطلب، والنداء، والتناصر.(١)

وفي الاصطلاح: سؤال العبد ربه على وجه الابتهال.(٢)

٤. معنى الأذكار في اللغة والاصطلاح:

الذِكْرُ في اللغة: خلاف النِسْيانِ. والذكر: الحفظ للشيء، كالتذكار، والشيء يجري على اللسان، والصيت، والثناء، والشرف، والصلاة لله تعالى، والدعاء، والكتاب فيه تفصيل الدين. ووضع المِلل، ومن الرجال القوي الشجاع الأبي، ومن المطر الوابل الشديد، ومن القول الصلب المتين.(٣)

وفي الاصطلاح: الذكر: نوعان: أحدهما: ذكر بالقلب.

وهو ضربان: الأول: الفكر في عظمة الله تعالى، وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في سمواته وأرضه، وهو أرفع الأذكار، وأجلُّها.

الثاني: ذكره سبحانه بالقلب عند الأمر والنهي، فيمتثل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ويقف عما أشكل عليه.

والآخر: ذكر اللسان مجرداً، وهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم، كما جاءت به الأحاديث.(٤)

والذكر الحكيم: القرآن الكريم.

---

(١) انظر: لسان العرب، حرف الواو والياء، فصل الدال، مادة (دعا)، (ج١٤/ ص٢٥٧). و القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل الدال، مادة (الدعاء)، (ج٤/ ص٣٥٨).

(٢) القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ص ١٣١.

(٣) انظر: الصحاح في اللغة، باب الراء، فصل الذال، مادة (ذكر)، (ج٢/ ٣٣٢ــ ٣٣٣)، والقاموس المحيط، باب الراء، فصل الذال، مادة (ذكر)، (ج٢/ ص٩٤).

(٤) من كلام القاضي عياض رحمه الله. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (ج ١٧ / ص ١٥).

ثانياً: دعوة الشيخ إلى الأخلاق الحميدة، والآداب المرعية:

إنَّ الذي عنده أدنى بصيرة، وأقل إنصاف، يدرك جهود الشيخ بكر - رحمه الله - في هذا المجال، فقد أعطى الدعوة إلى الأخلاق الصالحة، ومراعاة الآداب الفاضلة، النصيب الأوفر من دعوته، كيف، لا؟ وقد اعتنى الإسلام بهذا الجانب، وبيّن الثمار المرجوة عند الاتصاف بها، والالتزام بمعاليها، والابتعاد عن سفاسفها.

يقول الشيخ بكر- رحمه الله -وهو يبيّن أن الإسلام يدعو إلى محاسن الأخلاق، وفضائل الأعمال:" دعا الإسلام إلى الفضائل والمحاسن، وبناء حياة المسلم على الفضل والفضيلة، والأخلاق العالية الكريمة "(١) .

وقال فضيلته، موضحاً أن المروءة ومعالي الأخلاق من مقاصد الشرع:

" المروءة من مقاصد الشرع، وخوارمها من مسقطات الشهادة قضاء، والشرع يأمر بمعالي الأخلاق وينهي عن سفاسفها "(٢) .

فالإسلام دين المعالي والشرف، وشرعٌ مطهرٌ من النقص والذم، لذا فهو يرقى بأهله إلى درجات السمو والرفعة والكرامة.

هذا ما دعا إليه الشيخ بكر غفر الله له ويتضح ذلك أكثر من خلال النصوص الآتية:

الأخلاق والآداب التي حث عليها الإسلام، ودعا إليها الشيخ بكر رحمه الله، أهمها ما يلي:

١. خلق الصدق:

المسلم من صفاته: (الصدق)، بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولهذا الخُلُق الكريم: آثاره، وثماره، التي تعود على من اتصف به عاجلاً أو آجلاً، وقد حثنا عليه ربنا ــ تبارك وتعالى ــ في محكم كتابه، فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

---

(١) أدب الهاتف، بكر أبو زيد، ص٥، بتصرف يسير .

(٢) التمثيل حقيقته، تاريخه، حكمه، ص٣٥ .

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ.. ﴾[٢] .

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " **إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** "[٣]

فــ"الصدق يرفع المرء في الدارين، كما أن الكذب يهوي به في الحالين، ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أن المرء إذا عرف به قبِل كذبه، وصار صدقا عند من يسمعه – لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب"[٤] .

وعرّف الشيخ بكر الصدق بقوله: "الصدق: إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالك وأودية "[٥]

ويقول الشيخ بكر، في الدعوة للتخلّق بخلق الصدق:" صدق اللهجة: عنوان الوقار، وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة، ولهذا كان فرض عين، فيا خيبة من فرّط فيه، ومن فعل فقد مسَّ نفسه وعلمه بأذى"[٦].

---

(١) سورة التوبة، آية (١١٩).

(٢) سورة محمد، آية (٢١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين} وما ينهى عن الكذب، حديث رقم (٥٦٢٩)، وصحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، حديث رقم (٤٧٢١،٤٧٢٠،٤٧١٩).

(٤) روضة العقلاء و نزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ص٥٤

(٥) حلية طالب العلم، ص٦٠ .

(٦) المصدر السابق،ص٦٠.

ودعا – رحمه الله –إلى تجنُّب عكس الصدق: وهو الكذب المنهي عنه شرعاً، كما في حديث ابن مسعود السابق، يقول الشيخ بكر: " الكذب أدوى الأدواء، ويطبع المؤمن على كل شيء خلا الخيانة والكذب "[١] .

فهنا حذّر الشيخ من خصلتين: هما الكذب والخيانة، أعاذنا الله منهما، ومن كل خلق ذميم.

٢. **خلق الأمانة:**

يقول الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[٢] ، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[٣] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: **" أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك "**.[٤]

وقد دعا الشيخ – رحمه الله –إلى المحافظة على الأمانة والتخلّق بها، بعد تعريفها وبيان حكمها، فقال:" تطلق الأمانة على كل ما عهد به إلى الإنسان من التكاليف الشرعية، وغيرها، وحكمها الوجوب، فتجب المحافظة عليها في كل ما يعهد به إلى الإنسان، وحفظ كل أمانة بحسبها"[٥].

---

(١) التمثيل حقيقته، تاريخه، حكمه، ص٣٩ .

(٢) سورة النساء، آية (٥٨)

(٣) سورة الأنفال، آية ٢٧.

(٤) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند المكيين، باب: حديث رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٤٨٧٧)، وسنن الترمذي، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر، حديث رقم (١١٨٥). وسنن أبي داود، كتاب: البيوع، باب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، حديث رقم (٣٠٦٧، ٣٠٦٨)، وسنن الدارمي، كتاب: البيوع، باب: في أداء الأمانة واجتناب الخيانة، حديث رقم (٢٤٨٤). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (١٢٦٤)، ص٣٠٠.

(٥) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص٢١.

وقال، مؤكداً على هذا الأصل:" ولهذا فالأمانة أصلٌ أصيل في حياة المسلم، وشأن الأمين عظيم، وقدره كبير في الشرع، وفي عرف الناس، وتعاملهم في حياتهم "[(١)]

٣. خلق التواضع:

يقول فضيلة الشيخ بكر رحمة الله عليه حاثّاً على الاتصاف بالتواضع:

" فالزم ـــ رحمك الله ـــ اللصوق إلى الأرض، والإزراء على نفسك وهضمها، ومراغمتها عند الاستشراف لكبرياء أو غطرسة أو حب ظهور أو عجب، ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهبة لهيبته، المطفئة لنوره، وكلما ازددت علماً، أو رفعة في ولاية، فالزم ذلك تحرز سعادة عظمى، ومقاماً يغبطك عليه الناس "[(٢)] .

وقد كان الشيخ يتصف بهذا الخلق الرفيع، في شخصيته وتعامله وتأليفه، يقول عن نفسه " كنت أكتب على مؤلفاتي: (بقلم) من باب أنها أقل من كلمة: (تأليف) ..إلى آخر ما قال رحمه الله"[(٣)] وأحياناً يكتب رحمه الله على مؤلفاته: (جمع وترتيب)، وكثيراً ما يكتفي بلفظ: (كتبه)[(٤)] ، أو (إعداد)[(٥)] . غير أنه لا يحب تصدير اسمه بكتابة حرف: ((د)) إشارة للشهادة العالية العالمية التي يحملها[(٦)] ، وهذا قمّة في التواضع وازدراء النفس. وهذه إشارات فقط، وأما تواضع الشيخ وأدبه الجمّ فلا يمكن إحصاؤه هنا.

٤. خلق الصبر:

ينبغي على العاقل أن يلزم عند ورود الشدة عليه سلوك الصبر، فإذا تمكن منه حينئذ يرتقي من درجة الصبر إلى درجة الرضا، فإن لم يرزق صبراً فليلزم التصبر، لأنه أول

---

(١) المصدر السابق، ص٢١.

(٢) حلية طالب العلم، ص١٥ .

(٣) انظر: حراسة الفضيلة، ص١٢.

(٤) انظر: غلاف: فتوى جامعة في زكاة العقار. وغلاف: فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر.

(٥) انظر: غلاف: التمثيل: حقيقته، تاريخه، حكمه.

(٦) انظر: تغريب الألقاب العلمية، بكر أبو زيد، ص١٦.

مراتب الرضا، ولو كان الصبر من الرجال لكان رجلاً كريماً، إذ هو بذرة الخير، وأساس الطاعات.(١)

وقد أمرنا الله عز وجل بالتخلق بهذا الخلق السامي، فقال جل شأنه: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾(٢) ، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾(٣)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "...**ومن يتصَبَّر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**".(٤)

وعدَّ الشيخ بكر الصبر من خصال الرجولة ومكارم الأخلاق، فقال رحمه الله: "فاحذر نواقضها [أي نواقض خصال الرجولة]، من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم، وتقطع اللسان عن قوله الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومة في حالة تلفح بسمومها في وجوه الصالحين من عباده"(٥) .

وقال فضيلته في الحث على الصبر في طلب العلم:"تحلَّ بالثبات والتثبت، لا سيما في الملمات والمهمات، ومنه: الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ.."(٦)

وقد اتصف الشيخ رحمة الله عليه بالصبر طيلة حياته في طلب العلم والتنقل لتلقيه على يد المشايخ الفضلاء، وبَانَ صبرُه واتضحَ عندما رُدَّ على بعض كتبه، مثل كتاب: ((حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية)) فقد لاقى هذا الكتاب بعض الردود والتعقيبات من بعض أهل العلم من خارج هذه البلاد، وكذلك كتاب:

---

(١) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص١٦١.

(٢) سورة النحل آية (١٢٧).

(٣) سورة الزمر آية (١٠)

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٣٧٦)، وصحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل التعفف والصبر، حديث رقم (١٧٤٥).

(٥) حلية طالب العلم، ص ١٩

(٦) المصدر السابق، ص ٢٣.

((تصنيف الناس بين الظن واليقين)) واجَهَ ـــ أثابه الله ـــ ردوداً واتهامات، فصبر وترفّع عن النيل من أحد، أو الرد بالمثل، وهذا دأب الصالحين، وخلق الصابرين.

كما أن مرض الشيخ الأخير الذي لازمه وصبر عليه حتى توفاه الله؛ دليل على صبره واحتسابه، والرضا بالقضاء والقدر ـــ نحسبه كذلك والله حسيبه.

٥. أدب الاستئذان:

وهنا يبيّن الشيخ أدب الاستئذان، لأهميته وحاجة الناس إلى معرفة حكم الشرع فيه، فيقول – طيب الله ثراه –:

"وانظر كيف أمرت الشريعة، الأرقاء، والصغار بالاستئذان في ثلاث أوقات: قبل صلاة الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد صلاة العشاء، أما الأحرار البالغون فيجب عليهم الاستئذان في كل الأوقات كما في سورة النور(١).

ونهى – صلى الله عليه وسلم– عن الطروق ليلاً، أي قدوم المسافر إلى أهله ليلاً دون إعلامهم (٢) ، حتى لا يقع الرجل من أهله على ما يكره من عدم نظافة، ولئلا يتخوّنهم، ولئلا يزعجهم أيضاً"(٣)

---

(١) يشير الشيخ، إلى قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ...الآية} سورة النور، آية (٥٨).

(٢) ورد في الصحيحين، عن جابر رضي الله عنه، قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق أهله ليلا. وهذا مقيد بطول الغياب في سفر ونحوه، للرواية الأخرى عند البخاري، عن جابر أيضاً، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا). وفي رواية أخرى عند البخاري تبين الحكمة من هذا النهي، فعن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة)، حديث جابر رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة، حديث رقم (١٦٧٤)، وكتاب: النكاح، باب: لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة يخوّنهم أو يلتمس عثراتهم، حديث رقم (٤٨٤٢، ٤٨٤٣)، وباب: طلب الولد، حديث رقم (٤٨٤٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: كراهة الطروق، وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر، حديث رقم (٣٥٥٥، ٣٥٥٩).

(٣) أدب الهاتف، ص٩ .

فالشيخ بكر - رحمه الله -قد أبدع في التذكير بمثل هذه الآداب، واختار أحسن الأساليب في العرض، كما اختار الألفاظ المناسبة في الطرح، فجزاه الله خير ما جزى عالماً عن علمه.

وعلى المسلم مراعاة ظروف أخيه عند زيارته، فهذه من الآداب المرعية، لذا نبّه الشيخ على هذا الأدب الجمّ، فقال - رحمه الله -: " فعليك تحري الوقت المناسب، مراعياً ظروف العمل وارتباطات أخيك، وما عليه من واجبات ومسؤوليات ومراعياً ما لدى أهل البيت من أوقات نوم، وراحة، وطعام "[١]

٦. الأدب مع الوالدين وغيرهم:

ونجد أن الشيخ بكر أجزل الله مثوبته أدرك عظم حق الوالدين، وكبار السن والقدْر، فبيّن الآداب معهم، ومراعاة قدرهم، خاصة عند الحديث معهم، فمِمّا قال الشيخ في ذلك: " الزم الأدب العام في المحادثة والكلام: (خفض الصوت) فليكن صوتك منخفضاً مسموعاً متوسط الأداء، لا مزعجاً، ولا خافتاً. وفي هذا أدب جم مع والديك، ومن في درجتهما في القدر والمكانة، ومع ذي الشأن، ومع من هو دونك في السن أو القدر، تدخل عليه السرور، وأن له عندك مترلة، فتكسب الأصدقاء والمحبين "[٢]

٧. أدب السلام:

وأما تحية الإسلام ــ السلام ــ فهي تحية أهل الجنة، ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ.. ﴾[٣] ، وقد حثنا عليها الكتاب الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ .. ﴾[٤] .

---

(١) المصدر السابق، ص٩ .

(٢) المصدر السابق، ص١٦، باختصار .

(٣) سورة الأحزاب، آية، (٤٤)

(٤) سورة النساء، آية (٨٦).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: " **تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف**"(١)

يقول الشيخ بكر - رحمه الله -محذراً من هجر التحية الإسلامية، واستبدالها بتحيات مستوردة :" ومما ينهى عنه هنا: هجر هذه التحية الإسلامية المباركة، والعدول عنها إلى: (صباح الخير، صباح النور) "(٢) .

وقال فضيلته، مرشداً إلى البدء بالسلام، وختم المجلس أو اللقاء بالسلام: "كما بدأتَ بتحية الإسلام، فاختمْها كذلك بشعار الإسلام: (السلام) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى أحق من الآخرة** "(٣) "(٤)

فهذه الأخلاق النبيلة العزيزة!! التي امتثلها الشيخ بكر، قولاً، وسلوكاً، مما كان له الأثر البالغ في دعوته، ومحبة الناس له، واهتمامالهم بكتبه ومؤلفاته النافعة، فقد كان رحمه الله مثالاً للأخلاق الكريمة، والخصال الحميدة .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: إطعام الطعام من الإسلام، حديث رقم (١١)
(٢) أدب الهاتف، ص١٣ .
(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب: المكثرين، باب: مسند أبي هريرة، حديث رقم (٧٥١٥، ٩٢٨٧)، وسنن الترمذي، كتاب: الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، حديث رقم (٢٦٣٠)، وسنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: في السلام إذا قام من المجلس، حديث رقم (٤٥٣٢). وصححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٧٠٦)، ص٦٠٩.
(٤) أدب الهاتف، ص١٥ باختصار، وتصرف .

ثالثاً: دعوة الشيخ إلى الالتزام بالأدعية والأذكار الشرعية:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ .. ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٥]، والآيات في فضل الذكر كثيرة معلومة.

وعن أبي موسى الأشعري [٦] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **"مثل الذي يَذكر ربَه والذي لا يَذكره، مثل الحي والميت"** رواه البخاري.

وفي رواية: **"مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه، مثل الحي والميت"** [٧].

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥٢).

(٢) سورة الأعراف، آية (٢٠٥).

(٣) سورة الأحزاب، آية (٣٥).

(٤) سورة الأحزاب، آية (٤١، ٤٢).

(٥) سورة الجمعة، آية (١٠).

(٦) عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معا، قدم المدينة بعد فتح خيبر واستعمله النبي صلى الله عليه و سلم على بعض اليمن واستعمله عمر على البصرة، ثم استعمله عثمان على الكوفة ثم كان أحد الحكمين بصفين ثم اعتزل الفريقين، وكان حسن الصوت بالقرآن، مات سنة اثنتين وقيل أربع وأربعين وقيل غير ذلك، واختلفوا هل مات بالكوفة أو بمكة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (ج٤/ ص٢١١ــ ٢١٣) باختصار.

(٧) صحيح البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله تعالى، حديث رقم (٥٩٢٨)، وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم (١٢٩٩).

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: " **يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ، ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم**...الحديث"[١].

وفي شأن الدعاء: قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٤]وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[٥].

وعن النعمان بن بشير[٦]، رضي الله عنهما، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "**الدعاء هو العبادة** ...الحديث".[٧]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه}، حديث رقم (٦٨٥٦)، وصحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم (٤٨٣٢)، وباب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، حديث رقم (٤٨٥١).

(٢) سورة غافر آية (٦٠).

(٣) سورة الأعراف آية (٥٥).

(٤) سورة البقرة، آية (١٨٦).

(٥) سورة النمل آية (٦٢)

(٦) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، له ولأبيه صحبة وكان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، روى عن النبي صلى الله عليه و سلم، كان قاضي دمشق، واستعمله معاوية على الكوفة، قتل النعمان بن بشير في سنة خمس وستين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (ج٦/ ص٤٤٠) باختصار.

(٧) سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة، حديث رقم (٢٨٩٥)، وباب: ومن سورة المؤمن، حديث رقم (٣١٧٠)، وكتاب: الدعوات، باب: منه، حديث رقم (٣٢٩٤)، وسنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، حديث رقم (١٢٦٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء، حديث رقم (٣٨١٨)، ومسند الإمام أحمد، كتاب: مسند الكوفيين، باب: حديث النعمان بن بشير، أحاديث رقم (١٧٦٢٩، ١٧٦٦٥، ١٧٧٠٥،

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها. ما لم يدع بإثمٍ، أو قطيعة رحمٍ"** فقال رجلٌ من القوم: إذاً نكثر قال: **"الله أكثر"**. وفي رواية: **"أو يدخر له من الأجر مثلها"**.(١) وهذا يدل على فضل الذكر. وأفضل الذكر ـــ بلا شك ـــ القرآن الكريم.

وقد ذكر الشيخ بكر - رحمه الله -أنّ قراءة القرآن، والأذكار، والدعوات، مما اختص الله به هذه الأمة، رحمةً بها وزيادة في شرفها ومترلتها:

" فمن نعم الله سبحانه على هذه الأمة المرحومة، وإفضاله عليها أن منحها من العبادات: الباقيات الصالحات من قراءة القرآن، والأذكار، والدعوات، وجعل ذلك من الفضائل في الأولى والأخرى، مما تزداد به هذه الأمة شرفاً، ومترلة وأجراً "(٢) .

وقال رحمه الله:" قد أثنى الله على الذاكرين، وجعلهم أهل الانتفاع بآياته، وأَهم أولو الألباب، وثبت في السنة أن الذاكر بقلبه ولسانه أفضل من الغازي المجاهد.وجعل ذكره سبحانه أكبر من كل شيء، وجعله علامة العبودية، وإظهار الذلة البشرية مع خالق البرية سبحانه" (٣) .

وفي الحثّ على اللّهج بالذكر، والمداومة عليه، يقول الشيخ: " على العبد المسلم اغتنام الذكر، والدعاء، مطلقاً ومقيداً وأن يري من نفسه خيراً، فيجتهد باللّهج بهما، وأن يكون لسانه دائماً رطباً من ذكر الله تعالى، وأن يذكره ويدعو كثيراً بما وردت به

=١٧٧٠٩). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، رقم الحديث (٢٩٦٩)، ص٦٦٤.

(١) سنن الترمذي، وصححه، كتاب: الدعوات، باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، حديث رقم (٣٤٩٧)، ومستدرك الحاكم، وصححه، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر حديث رقم (١٧٧٠). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٣٥٧٣)، ص٨١٢.

(٢) أذكار طرفي النهار، بكر أبو زيد، ص٣ ،٤

(٣) المصدر السابق، ص٤ .

الشريعة المطهرة "[١] .

فالذكر هو سبب حياة القلب، وسكينة النفس، وانشراح الصدر، ومن الذكر الدعاء، يقول الشيخ بكر:" ولا يغيب عن بال الداعي أنه يحصل بسبب الدعاء: سكينة في النفس وانشراحاً في الصدر، وصبراً يسهل معه احتمال الواردات عليه. وهذا نوع عظيم من أنواع الاستجابة. فعلى المسلم اغتنام هذه الفضائل بإخلاص ومتابعة، وإلحاق للعلم بالعمل ونعم الوظيفة وظيفة الذكر المبنية على التأسي والاقتداء بخاتم الأنبياء ــ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ــ التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم لأمته ودلهم عليها"[٢] ، وقال أيضاً: " إن صفة الكمال توظيف المسلم لجميع هذه الأذكار على نفسه طرفي النهار، وتحصل وظيفة الوِرْد ببعضها، فإذا ضاق وقت المسلم فليغتنم منها ما تيسر له، وأما الإهمال بجميعها تفريط، فليتنبه "[٣]

والتقيد بما ورد في الشرع من الأذكار والأدعية، في المقدار، والكيفية، والزمان، فوق أنه مشروع، يورث التأثير العجيب على العبد، من الحصانة، والوقاية، من كافة الشرور والآفات.

يقول الشيخ بكر – رحمه الله –: " هذا الوِرْد الشريف الموظف في الشرع المطهر: مقداراً وزماناً وكيفية، مستحب بإجماع المسلمين، وهو حصن للمسلم حصين، وحرز، وجُنّة، ولباس، وبذل للأسباب في الوقاية من الشرور والآفات، كما يتقي ساكن البيت به من الحر والبرد والعدو. ومد ليد الضراعة والابتهال، ولهج بذكر ذي الجلال والإكرام، وقفو لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومسارعة لدعوة الكريم الرحمن الرحيم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..﴾[٤] "[٥] .

---

(١) دعاء القنوت، بكر أبو زيد، ص١٩ .
(٢) أذكار طرفي النهار، ص١٤، ١٥ .
(٣) المصدر السابق، ص٢٠ .
(٤) سورة غافر، آية (٦٠).
(٥) أذكار طرفي النهار، ص١٣باختصار

وينهى الشيخ بكر - رحمه الله -ويحذّر من التقيد بأذكار لم تشرع، والالتزام بها كالمشروع بل أكثر، على حساب الوارد في الكتاب والسنة، فيقول:

" توظيف الإنسان على نفسه ذكراً مقيداً بعدد لم يأمر الله به ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم- هو زيادة على المشروع، ونفس المؤمن لا تشبع من الخير وكثرة الدعاء والذكر، وهذا الأمر المطلق من فضل الله على عباده في حدود ما شرعه الله من الأدعية والأذكار المطلقة، بلا عدد معين، كل حسب طاقته ووسعه، وفراغه وشغله، وهذا من تيسير الله على عباده، ورحمته بهم "(١) .

ثم حثّ الشيخ بكر على الاقتداء، والتأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم- في عدد الذكر ووسيلته، فقال - أثابه الله -:" تأسَّ بنبيك محمد - صلى الله عليه وسلم- في عدد الذكر المقيّد، ووسيلة العد بالأنامل، وداوم على ذكر الله كثيراً دون التقيد بعدد لم يدل عليه الشرع، واحرص على جوامع الذكر، وجوامع الدعاء "(٢)

فينبغي لكل مسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، أن يتصف ويتحلي بالفضائل، ويتخلي عن الرذائل، ويلتزم بالأذكار والأدعية الشرعية، والآداب المرعية.

فكل وصف مذموم شرعاً، أو عقلاً، أو عرفاً: كغل، وحقد، وحسد، ونكد، وغضب، وعجب، وخيلاء، ورياء، وهوى، وغرض سوء، وقصد رديء، ومكر، وخديعة، تجب مجانبته، ومجانبة كل مكروه لله تعالى.(٣)

والآداب والأخلاق لا يمكن الإحاطة بها، أو استقصاؤها، ولكني اكتفيت بذكر نماذج من شريف الآداب، وحميد الأخلاق، التي دعا إليها الشيخ بكر بقوله، وفعله، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

* * * *

---

(١) السبحة، تاريخها، وحكمها، ص٦٥ .

(٢) المصدر السابق، ص٦٦ .

(٣) انظر: الآداب الشرعية، ابن مرعي الحنبلي، (ج ٤ / ص ٢٦٨).

المبحث الثالث: جهود الشيخ بكر في دعوة الأسرة المسلمة، وإلى صيانة المرأة وتحذيره لها من التبرج والسفور.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: جهود الشيخ في دعوة الأسرة المسلمة.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في الدعوة إلى صيانة المرأة، وتحذيره لها من التبرج والسفور.

المطلب الأول: جهود الشيخ في دعوة الأسرة المسلمة:

الأسرة هي الأساس في تكوين البناء الإنساني، لذا نجد الإسلام قد حرص على هذا التكوين، ووضع أسسه منذ نشأته الأولى بين الزوجين، ويتطلع الشرع إلى وجود المودة، والرحمة داخل الأسرة المسلمة، يتمثّل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

ولقد اهتم الإسلامُ بكل ما يسهم في بناء الأسرة: البناء السليم، بالعمل على تنشئة أفرادها تنشئة صالحة، وتربيتهم التربية المتوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة بلا إفراط ولا تفريط، والوقاية من كل ما يهدم هذا الكيان، أو يخل بأحد أركانه، والتوافق التام بين أفراد الأسرة الواحدة من جهة، وبينهم وبين بقية أفراد المجتمع من جهة أخرى.

وواجب العلماء وطلبة العلم: الدعوة والحرص على كل ما من شأنه تهيئة الأسرة المسلمة، وإعدادها الإعداد الصالح، لتقوم بواجبها المطلوب منها تجاه خالقها، وخدمة دينها وأمتها.

ومن العلماء الذين قاموا بواجبهم خير قيام، وحرسوا الفضيلة للأنام؛ حتى أُطلق عليه: ((حارس الفضيلة))، الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -الذي لم يتوانَ طيلة حياته في سبيل الدعوة إلى الفضيلة، وتطهير البلاد والمجتمعات الإسلامية من أسباب الفساد والمعاصي والرذيلة، فقد كان ــ أجزل الله مثوبته ــ مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، خاصة إذا كان الموضوع يتعلق بالأسرة المسلمة التي ينبغي أن تكون كما أرادها الله في كل شؤونها.

يتضح ذلك جلياً في ما استخلص الباحث من نصح وتوجيه في مؤلفاته القيّمة، ومن أهمها وأشهرها كتاب: ((حراسة الفضيلة))، الذي طبع مراراً لجودته وعظم فائدته.

---

(١) سورة الروم، آية (٢١).

وبما أنّ الأولاد هم ثمرة الأسرة، وعليهم يتوقف مستقبل الأمة، فجدير بأن يُهتمَّ بهم، ويعطون الرعاية الكاملة، ولهم حقوق كثيرة على ذويهم، من أهمها: تنمية الدين والأخلاق في نفوسهم حتى يكونوا على جانب كبير من ذلك، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ .. ﴾[1] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيتها**...الحديث"[2] .

فهم أمانة في أعناق والديهم وأوليائهم، يسألون عنها يوم القيامة، يقول الشيخ بكر رحمة الله عليه، وهو يوصي بتربية الأولاد تربية إسلامية:

" وجوب تربية الأولاد على الإسلام، وأنها أمانة في أعناق أوليائهم، وأنها من حق الأولاد على أوليائهم من الآباء والأوصياء، وغيرهم، وأنها من صالح الأعمال التي يتقرب بها الوالدان إلى ربهم، ويستمر ثوابها كاستمرار الصدقة الجارية، وأنّ المفرِّط في هذه الأمانة آثم عاصٍ لله تعالى يحمل وزر معصيته أمام ربه، ثم أمام عباده"[3]

وللتربية الأسرية أهمية في تحديد مسار الأولاد، فكلما كانت التربية قائمة على الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة، ووجود الوالدين أو أحدهما بينهم، كلما أدَّى ذلك إلى

---

(١) سورة التحريم، آية (٦)

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم (٨٤٤)، وكتاب: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، حديث رقم (٢٢٣٢)، وكتاب: العتق، باب: كراهة التطاول على الرقيق، حديث رقم (٢٣٦٨)، وباب: العبد راع في مال سيده، حديث رقم (٢٣٧١)، وكتاب: الوصايا، باب: تأويل قول الله تعالى: { من بعد وصية يوصى بها..}، حديث رقم (٢٥٤٦)، وكتاب النكاح، باب: { قوا أنفسكم وأهليكم ناراً..}، حديث رقم (٤٧٨٩)، وباب: المرأة راعية في بيت زوجها، حديث رقم (٤٨٠١)، وكتاب الأحكام، باب: قول الله تعالى: { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول..}، حديث رقم (٦٦٠٥)، وصحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، حديث رقم (٣٤٠٨).

(٣) حراسة الفضيلة، ص١٢٥. باختصار.

التماسك الأسري والتلاحم العائلي، مما يكون سداً منيعاً أمام وافدات الشر، وغزو الرذيلة، والتشتت والضياع، أما إذا انشغل الوالدان، وسلمت راية القوامة والرعاية للخادمات والسائقين، الذين ـــ كثير منهم ـــ مع الأسف ـــ يفقدون الغيرة على المحارم، وفاقد الشيء لا يعطيه، فلا تسأل عن النتيجة بعد ذلك. وهذه المشكلة لم تنأ عن علم الشيخ، وفكره، فقال رحمه الله:

" يُعلم ما للخادمة والمربية في البيت من أثر كبير على الأطفال سلباً وإيجاباً. ولهذا قرر العلماء أنه لا حضانة لكافر، ولا لفاسق، لخطر تلك المحاضن على الأولاد في إسلامهم وأخلاقهم واستقامتهم "(١)

وحثّ فضيلة الشيخ بكر الأسرة المسلمة، والوالدين خصوصاً، بالتفريق بين البنين والبنات في المضاجع لغرس العفة والحشمة فيهم منذ الصغر، قائلاً رحمه الله: " بداية الاختلاط داخل البيوت إذا بلغ الأولاد عشر سنين، فواجب على الأولياء التفريق بين أولادهم في مضاجعهم، وعدم اختلاطهم لغرس العفة والاحتشام في نفوسهم، وخوفاً من غوائل الشهوة التي تؤدي إليها هذه البداية في الاختلاط، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه"(٢).

واستشهد فضيلته بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرِّقُوا بينهم في المضاجع"**(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٨

(٢) المصدر السابق، ص١٢٩،١٢٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد كتاب: مسند المكثرين، باب: مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (٦٤٠٢، ٦٤٦٧)، وسنن أبي داود واللفظ له، كتاب: الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (٤١٨). وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، انظر: سنن أبي داود، تحقيق الألباني، حديث رقم (٤٩٥) ص٩١.

وحذّر الشيخ بكر غفر الله له من انتشار الفواحش ونشرها بأي وسيلة، بين أفراد المجتمع المسلم، فقال فضيلته:" على كل مسلم الحذر من إشاعة الفاحشة ونشرها وتكثيفها، وليعلم أن محبتها لا تكون بالقول والفعل فقط، بل تكون بذلك، وبالتحدث بها، وبالقلب، والركون إليها، وبالسكوت عنها، فإن هذه المحبة تُمكّن من انتشارها، وتُمكّن من الدفع في وجه من ينكرها من المؤمنين، فليتق الله امرؤ مسلم من محبة إشاعة الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[(١)]"[(٢)]

وكان الشيخ بكر – رحمه الله –كثيراً ما يُحَذّر الأسر المؤمنة من أسباب الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، ومن الطرق المؤدية إليها، ويوصي باتخاذ التدابير الواقية من ذلك، فيقول –طيب الله ثراه –:

" الوقاية العامة بتطهير النفس من الوساوس والخطرات التي هي أولى خطوات الشيطان في نفوس المؤمنين ليوقعهم في الفاحشة، وهذا غاية في الوقاية من الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾[(٣)] "[(٤)]

ومن الأسباب الواقية:" مشروعية الاستئذان عند إرادة دخول البيوت، حتى لا يقع النظر على عورة من عورات أهل البيوت "[(٥)]

ومن الأسباب أيضاً:" تطهير العين من النظر المحرم إلى المرأة الأجنبية، أو منها إلى الرجل الأجنبي عنها "[(٦)].

---

(١) سورة النور، آية (١٩).
(٢) حراسة الفضيلة ص١٧٧ . باختصار.
(٣) سورة النور، آية (٢١) .
(٤) حراسة الفضيلة ص١١٢ .
(٥) المصدر السابق، ص١١٢.
(٦) المصدر السابق، ص١١٢.

وكذلك من الأسباب:" الأمر بالاستعفاف لمن لا يجد ما يستطيع به الزواج وفعل الأسباب"[١]

ثم بيّن الشيخ – رحمه الله – أهمية الزواج، وأثره في استقامة الأسرة وصلاحها، ومردوده الإيجابي في تحصين المجتمع من الوقوع في الفاحشة والرذيلة، وقبل ذلك وبعده إصابة السنة، فيقول الشيخ بكر: "الزواج سنة الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً .. ﴾[٢] .

وهو سبيل المؤمنين، استجابة لأمر الله سبحانه:﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ .. ﴾[٣] .

واستجابة لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج** .. الحديث"[٤] "[٥].

وفي بيان حكم الزواج، وآثاره الطيّبة، على الفرد والجماعة، قال رحمه الله بأنّ الزواج:" يمثل مقاماً أعلى في إقامة الحياة واستقامتها، لما ينطوي عليه من المصالح العظيمة، والحكم الكثيرة، والمقاصد الشريفة، منها:

- حفظ النسل وتوالد النوع الإنساني، لتكوين المجتمع البشري لإقامة الشريعة وإعلاء الدين، وعمارة الكون، وإصلاح الأرض .

---

(١) المصدر السابق، ص١١٢ .
(٢) سورة الرعد، آية (٣٨).
(٣) سورة النور، الآيتين (٣٢،٣٣) .
(٤) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج..)، حديث رقم (٤٦٧٧)، وباب: من لم يستطع الباءة فليصم. حديث رقم (٤٦٧٨)، وصحيح مسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة..، حديث رقم (٢٤٨٥، ٢٤٨٦).
(٥) حراسة الفضيلة ص١١٤.

- حفظ العرض وصيانة الفرج وتحصيل الإحصان، والتحلي بفضيلة العفاف عن الفواحش والآثام .
- تحقيق مقاصد الزواج الأخرى، من وجود سكن يطمئن فيه الزوج من الكدر والشقاء، والزوجة من عناء الكدر والكسب.

فانظر كيف تتم صلة ضعف النساء بقوة الرجال فيتكامل الجنسان والزواج من أسباب الغنى ودفع الفقر والطاقة "[١]

وحذَّر الشيخ بكر من مضارّ الانصراف عن الزواج بأي سبيل وأي معوّق، وما أكثرها في زمننا، وقد وقَفَتْ هذه العوائق حائلاً بين الشباب أو الشابات وبين إتمام تحصينهم وإعفافهم، مما أدى إلى تفشي السفور والاختلاط وانتشار الجرائم والفساد الأخلاقي.

فيقول - رحمه الله - في بيان معوقات الزواج:

١- " غلاء المهور حتى بلغت في بعض القبائل والمجتمعات حداً لا يطاق، وهذا مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم في المهر، وإثقال لكاهل الزوج بغير حق، وصارف عن الزواج "[٢].

٢- " إلزام الزوج بإعطاء والد الزوجة، أو والدها، أو إخوانها مبلغاً من المال، وإلا منعت منه، وهذا لا يجوز اللهم إلا أن يفعله معروفاً منه، أما جبره على ذلك فلا يجوز "[٣].

٣- " أخذ ولي المرأة صداقها، ومنعها منه كله أو بعضه، وهذا حرام لا يجوز فعله. والصداق للمرأة شرعاً، قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾[٤].

فإن طابت نفسها به، أو بشيء منه فبذلته لأبيها، أو زوجها، مثلاً، فلا بأس"[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص١١٧- ١١٩ باختصار .

(٢) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٢١ .

(٣) المصدر السابق، ص٢٣ .

(٤) سورة النساء، آية (٤).

(٥) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر ، ص٢٣

٤- " إثقال كاهل الزوج بإعلان النكاح في فنادق أو قصور باهظة [١] التكاليف، ولو كان الزوج قادراً على فعل هذا، فإنه من الإسراف المنهي عنه، والمقصود حصول إعلان النكاح، ولزوم القصد في ذلك، وترك الإسراف والتبذير "[٢]

٥- "أن يتفق أفراد القبيلة أو القرية على منع تزويج بناقم من خارج القبيلة، أو القرية، ومن فعل ذلك لزم عليه من المال ما يدفعه للقبيلة أو القرية، ومن لم يفعل ذلك يقاطع ويهجر ولا تجاب دعوته.

وهذا العمل منكر عظيم، وهو اتفاق باطل يجب تركه وعدم العمل به وإنكاره، لمخالفته أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما قد يجره من بقاء نساء القبيلة، أو القرية بلا زواج فيما لو لم يتقدم إليهن أحد من أهل القبيلة أو القرية، ورغب الزواج من غيرهن"[٣].

وهناك أسباب أخرى تصد عن الزواج، وتحد من إتمامه، مثل:

٦- اعتذّار البنات، بداعي رغبتهن في إكمال دراستهن، وتأخيرهن لفكرة الزواج لهذا السبب الواهي.

٧- أطماع الولي في مال البنت، وراتبها، خاصة إذا كانت موظفة، وردُّه لكل متقدم لخطبتها، والتعذر بأسباب تنفّر الخاطب.

٨- تعوُّد الشباب على الانفلات، والضياع، والسهر، وصحبة الأشرار. والزواج - حسب ظنهم - سبب في الحد من تحركاتهم وخروجهم خارج المنــزل، أغلب الوقت.

وغيرها من الأسباب، التي يجب على الجميع العمل على تذليلها، وتسهيلها، وتيسير مؤونة الزواج، ودعم الجهات الخيرية التي تقوم على مساعدة الشباب على الزواج، مادياً ومعنوياً.

---

(١) البَهْظ: بهظني الأمر والحمل يبهظني بهظاً: أثقلني وعجزت عنه وبلغ مني مشقة. انظر: لسان العرب، حرف الظاء، فصل الباء، مادة (بهظ)، (ج٧/ ص٤٣٦).

(٢) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر ، ص٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص٢٥ ،٢٦.

واسم المولود له في الشريعة اعتباراته ودلالاته، وليس أدلُّ على أهميته، ولا أبلغ من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أرشد أمته للتسمي بأحب الأسماء وأطيبها، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن"**(١) .

ونهى – صلى الله عليه وسلم- عن التسمية ببعض الأسماء المكروهة أو المحرمة، فعن سمرة بن جندب (٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا تسم غلامك رباحاً ولا يساراً ولا أفلح ولا نافعاً"**(٣)

فيكره التسمية بهذه الأسماء المذكورة في الحديث، وما في معناها، وهي كراهة تنزيه لا تحريم.(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله"**(٥)

فالتسمّي بهذه الأسماء حرام، وكذلك التسمّي بأسماء الله المختصة به، كالرحمن، والقدوس، والمهيمن، وخالق الخلق، ونحوها(٦).

فالأسرة المسلمة ينبغي لها أن تعتني بالأسماء لأن الاسم عنوان المسمى وشعار حامله، ودليل على ديانته وانتمائه، لذا كان من جهد الشيخ بكر ـــ أثابه الله ـــ وحرصه

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: بيان ما يستحب من الأسماء، حديث رقم ٣٩٧٥.
(٢) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري من علماء الصحابة، وكان سمرة عظيم الأمانة، صدوقاً. له أحاديث صالحة. ونزل البصرة. مات سمرة سنة ثمان وخمسين. وقيل: سنة تسع وخمسين. سير أعلام النبلاء – (ج٣/ ص١٨٣ــ ١٨٦) باختصار.
(٣) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، حديث رقم (٣٩٨٤)
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (ج١٤/ ص١١٨).
(٥) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: تحريم التسمية بملك الأملاك وبملك الملوك، حديث رقم (٣٩٩٤)
(٦) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (ج١٤/ص١٢٢).

على دعوة الأسرة، نبّه على حسن اختيار الأسماء، والعناية بمعانيها الشرعية واللغوية، فألّف كتاباً سمّاه: ((تسمية المولود)) ذكر فيه جملة من الآداب والتوجيهات، فيما يخص التسمية وأحكامها، فممّا قال في مقدمة كتابه المذكور:

" فإن الاسم عنوان المسمى، ودليل عليه، وضرورة للتفاهم معه ومنه وإليه، وهو للمولود زينة ووعاء وشعار يدعى به في الآخرة والأولى، وتنويه بالدين، وإشعار بأنه من أهله، وانظر إلى من يدخل في دين الله (الإسلام) كيف يغيّر اسمه إلى اسم شرعي، لأنه له شعار، ثم هو رمز يعبر عن هوية والده، ومعيار دقيق لديانته وهو في طبائع الناس له اعتباراته ودلالاته. ولهذا صار من يملك حق التسمية (الأب) مأسوراً في قالب الشريعة، ولسانها العربي المبين، حتى لا يجني على مولوده باسم يشينه "[(١)]

وقال – رحمه الله –:

" يجب على الأب اختيار الاسم الحسن في اللفظ والمعنى في قالب النظر الشرعي، واللسان العربي، فيكون عذباً في اللسان، مقبولاً للأسماع، يحمل معنى شريفاً كريماً، ووصفاً صادقاً، خالياً مما دلت الشريعة على تحريمه أو كراهته "[(٢)] .

ومثّل الشيخ رحمه الله لما يمكن أن يسمى به المولود بأمثلة، فقال فضيلته:

" استحباب التسمية بهذين الاسمين: عبد الله وعبد الرحمن وهما أحب الأسماء إلى الله تعالى، كما ثبت بذلك الحديث [(٣)] "[(٤)]

" ثم استحباب التسمية بالتعبّد لأي من أسماء الله الحسنى مثل: عبد العزيز وعبد الملك"[(٥)]

" التسمية بأسماء أنبياء الله ورسله، لأنهم سادات بني آدم، وأخلاقهم أشرف الأخلاق، وأعمالهم أزكى الأعمال، فالتسمية بأسمائهم تذكر بهم وبأوصافهم وأحوالهم "[(٦)].

---

(١) تسمية المولود، ص٥، باختصار.

(٢) المصدر السابق، ص٢١.

(٣) يشير رحمه الله إلى حديث ابن عمر السابق، انظر: ص ١٩٦.

(٤) تسمية المولود، ص٢١ .

(٥) المصدر السابق، ص٢٢.

(٦) المصدر السابق، ص٢٣.

" ثم يأتي من الأسماء ما كان وصفاً صادقاً للإنسان بشروطه وآدابه. الشرط الأول: أن يكون عربياً. الشرط الثاني: أن يكون حسن المبنى والمعنى لغة وشرعاً "(١)

ومن تسمَّى باسم فيه كراهة: شرعية، أو لغوية، أو عرفية، فإنَّ " المخرج هو في تغييرها واستبدالها باسم مستحب شرعاً، أو جائز "(٢)

وقد غيَّر النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة من الأسماء غير المقبولة، أو المستقبحة معنىً، فحوَّلها من الأسماء الشركية إلى الأسماء الإيمانية، ومن الأسماء القبيحة إلى الأسماء الصحيحة.

فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كان يغيّر الاسم القبيح.(٣) وغيَّر اسم عاصية (٤) وقال: **"أنتِ جميلة"**، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.(٥)

وعن ابن عباس قال: كانت جويريّة (٦) اسمها برَّة، فحوَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويريّة، وكان يكره أن يقال خرج من عند برَّة (٧) .

---

(١) المصدر السابق، ص٢٦ .

(٢) المصدر السابق، ص٣٧

(٣) سنن الترمذي، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في تغيير الأسماء، حديث رقم ٢٧٦٥. صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٨٣٩)، ص٦٣٥.

(٤) جميلة بنت أبي الأفلح زوج عمر بن الخطاب تكنّى أم عاصم كان اسمها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة. تزوجها عمر سنة سبع فولدت له عاصم بن عمر ثم طلقها فتزوجها يزيد بن حارث. الإصابة في تمييز الصحابة – (ج٧ / ص٥٥٨) باختصار.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، حديث رقم (٣٩٨٧).

(٦) أم المؤمنين جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية. سبيت يوم غزوة المريسيع في السنة الخامسة وكان اسمها: برة، فغيّر النبي صلى الله عليه وسلم اسمها إلى جويرية. وكانت من أجمل النساء. توفيت أم المؤمنين جويرية في سنة خمسين، وقيل: توفيت سنة ست وخمسين، رضي الله عنها. سير أعلام النبلاء – (ج٢ / ص٢٦١ــ ٢٦٣) باختصار.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، حديث رقم (٣٩٨٩).

فالاسم عنوان المسمى، فإذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه، فإن المولود يعرف من اسمه، كما يميّز معتقده ووجهته، بل اعتقاد من اختار له هذا الاسم، ومدى بصيرته وتصوره. وقلّ أن يوجد لقب إلا وهو يتناسب أو يقارب مع المُلقّب به، حتى قيل: لكل شيء حظ من اسمه.

هذا خلاصة توجيه الشيخ بكر ونصيحته لولي أمر الأسرة، والقائم على شؤونها، باختيار الاسم المناسب، والمقبول شرعاً وعرفاً.

فرحم الله الشيخ بكر أبو زيد رحمة واسعة، ورفع درجته، وأعلى مترلته، لقاء ما قدَّم ونصح للإسلام والمسلمين على وجه العموم، وللأسرة المسلمة على وجه الخصوص، فجهوده لا تُنسى ومآثره لا تُمحى، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأوفاه.

* * * *

المطلب الثاني: جهود الشيخ في الدعوة إلى صيانة المرأة، وتحذيره لها من التبرج والسفور:

جاء الإسلام والمرأة تمتهن عند كل الأمم والشعوب، بل كانت المرأة عاراً يجب التخلص منه، فلا يكاد يولد مولود أنثى إلاّ ويصاب الأب بالحزن والحيرة من أمره، يقول الله تعالى، في وصف ذلك: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (١).

حتى جاء الإسلام بسماحته ويسره وعدله، فقرر للمرأة حقوقها كاملة، وأنقذها من الوضع المشين، والحال البئيس، إلى آفاق سامية، ومترلة عالية، فقد بيَّن القرآن الكريم تساوي الذكر والأنثى في أصل الخلقة والتكوين، ذكر ذلك في عدة آيات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً .. ﴾ (٢)

وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣).

ويتساوى الذكر والأنثى في الأجر والمثوبة، لمن عمل منهم صالحاً، فقال عز وجل: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ .. ﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة النحل، الآيتين (٥٨، ٥٩).

(٢) سورة النساء، آية (١).

(٣) سورة الحجرات، آية (١٣).

(٤) سورة آل عمران، آية (١٩٥).

(٥) سورة النحل، آية (٩٧).

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١].

وجعل الله العشرة الزوجية مشتركة بين الزوج والزوجة، فقال تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ .. ﴾[٢].

وجاء في وصيّة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمام المشهد العظيم يعلن حقوق المرأة في الإسلام من ضمن وصيته بحقوق الإنسان، فأوصى الرجال بالنساء خيراً، وبإكرامهنّ والإحسان إليهنّ، وبيَّن عليه الصلاة والسلام الحقوق المتبادلة بين الزوجين، فإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدلُّ على اهتمام الإسلام بالمرأة، وحفظ حقوقها، وصيانة كرامتها، ورفعة شأنها.

فعن عمرو بن الأحوص[٣] رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "...**ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هنّ عَوَانٌ عندكم ليس تملكون منهنّ شيئا غير ذلك**" إلى أن قال عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث: "**ألا وحقهنّ عليكم أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهنّ وطعامهنّ**"، ومعنى قوله: "**عَوَانٌ عندكم**" يعني أسرى في أيديكم[٤].

---

(١) سورة الأحزاب آية (٣٥).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٢٨)

(٣) هو: عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كلاب الجشمي الكلابي. اختلف في نسبه. شهد حجة الوداع مع أمه وامرأته، وقد شهد اليرموك في زمن عمر. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (ج٢/ ص ٢٧٩).

(٤) سنن الترمذي، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم (١٠٨٣)، وكتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠١٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وسنن ابن ماجه، كتاب: النكاح، باب: حق المرأة على

فالدّين الإسلامي ارتقى قمة سلم الحضارة والرقي، وحاز قصب السبق في العناية بالمرأة، والمحافظة عليها من كل ما يشينها، أو ينال من كرامتها وعفتها وعرضها.

لكن أعداء الدين، وأشقياء الملل، ودعاة الرذيلة، لم يهدأ لهم بال، ولم تغمض لهم عين، وهم يرون المرأة المسلمة تصون نفسها من الدنس، وتحافظ على عرضها من الفحش، وغاظهم أن تبقى جوهرة مصونة، ولؤلؤة مكنونة، فأخذوا يكيدون لها، ويرسمون لإخراجها من بيتها، ويخططون لإفسادها، وقد نجحوا ــ على حين غفلة ــ في نشر الفساد، والانحلال، والاختلاط بين الجنسين، وجعل المرأة سلعة تباع وتشترى، وشَرَكًا يصطادون به ضعاف الأنفس، وللأسف شاع وانتشر هذا الفساد بين المسلمين، وفي ديار الإسلام.

والفساد يكون في أشكال وصور مختلفة، وأسبابه كثيرة ومتشعبة، لذلك كان خطره جسيماً وعلاجه ليس بالأمر الهيّن.

وإذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسد الذرائع إلى المحرمات والفواحش، ومن ذلك: حرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، والسفر بها، والنظر إليها لغير حاجة، حسماً للشبهة وسداً للذريعة . ومنع النساء إذا خرجن إلى المسجد من الطيب والبخور.

ونهى الله سبحانه النساء أنْ: ﴿يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[1].

فلما كان الضرب بالرِّجْل ذريعة إلى ظهور صوت الخلخال الذي هو ذريعة إلى ميل الرجال إليهن نهاهن عنه.

وأمر الله سبحانه الرجال والنساء بغضِّ أبصارهم لما كان النظر ذريعة إلى الميل والمحبة التي هي ذريعة إلى مواقعة المحظور.

والغرض التنبيه على أن من قواعد الشرع العظيمة: (قاعدة سد الذرائع)[2] .

=الزوج، حديث رقم (١٨٤١). وحسنه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (١١٦٣)، ص٢٧٦، وحديث رقم (٣٠٨٧)، ص٦٩٢.

(١) سورة النور آية (٣١)

(٢) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، (ج ١ / ص ٣٦١ ــ ٣٦٦) باختصار.

والاختلاط بين الرجال والنساء أصلُ كل بليّة ونقيصة، وأساس كل شر ورذيلة، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم- : " **إياكم والدخول على النساء**"، قيل: أفرأيت الحمو، قال: "**الحمو الموت** "[١] .

وأبلغ من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ .. ﴾[٢] .

وقبل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾[٣] .

فنهى سبحانه في هذه الآية نساء النبي الكريم أمهات المؤمنين، وهنّ العفيفات الطاهرات عن الخضوع بالقول للرجال، لئلا يطمع فيهنّ من في قلبه مرض الشهوة، وأمر بلزومهنّ البيوت، ونهاهنّ عن تبرج الجاهلية، وهو إظهار الزينة والمحاسن، فغيرهنّ أولى، وأحرى بالخوف والتحذير من التبرج والاختلاط وكافة أسباب الفتنة.

وقد تنوعت جهود الشيخ بكر غفر الله له في هذا المجال: ما بين الدعوة إلى صيانة المرأة المسلمة ومحاربة الاختلاط وأسباب الفحش والرذيلة، إلى الرد على دعاة التغريب[٤] والمنادين بخروج المرأة واختلاطها بالرجال الأجانب، والمطالبين بالتحرر من الحجاب والحشمة والعفاف. يتبيّن ذلك من خلال الفرعين الآتيين:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ذو محرم، حديث رقم (٤٨٣١)، وصحيح مسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث رقم (٤٠٣٧).

(٢) سورة الأحزاب، آية (٥٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتين (٣٢، ٣٣)

(٤) دعاة التغريب: هم من يدعو إلى طبع العالم الإسلامي بالطابع الغربي تمهيداً لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية.انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . (ج٢ / ص٧١٠)

الفرع الأول: جهود الشيخ في الدعوة إلى صيانة المرأة المسلمة:

بما أنَّ مسؤولية الأسرة، والمحافظة على الفضيلة، وسد أبواب الرذيلة، تقع على ولاة الأمر من الحكام، والعلماء، وعلى الآباء والأزواج بل هي مسؤولية كل مسلم غيور، لذا وجَّه الشيخ بكر - رحمه الله -نصيحته إلى كل هؤلاء. فخاطب الحكام أولاً قائلاً: " على من بسط الله يده إصدار الأوامر الحاسمة للمحافظة على الفضيلة من عاريات التبرج والسفور والاختلاط، وكفّ أقلام الرعاع السفوريين عن الكتابة في هذه المطالب، حماية للأمة من شرورهم، وإحالة من يسخر من الحجاب إلى القضاء الشرعي، ليطبق عليهم ما يقضي به الشرع من عقاب. وإلحاق العقاب بالمتبرجات، لأنهن شراك للافتتان وهن أولى بالعقاب من الشاب الذي يتعرض لهن، إذ هي التي أغرته فجرَّته إلى نفسها "[١] .

وقال - رحمه الله -مخاطباً العلماء، وطلاب العلم:

" على العلماء وطلبة العلم بذل النصح والتحذير من قالة[٢] السوء، وتثبيت نساء المؤمنين على ما هن عليه من الفضيلة، وحراستها من المعتدين عليها، والرحمة بهم بالتحذير من دعاة السوء وعبيد الهوى "[٣] .

ويقول الشيخ موجهاً خطابه لأولياء أمور النساء:

" وليتق الله امرؤ من أب، أو ابن، أو أخ، أو زوج، ونحوهم، ولاّه الله أمر امرأة، أن يتركها تنحرف عن الحجاب إلى السفور، ومن الاحتشام إلى الاختلاط، والحذر من تقديم أطماع الدنيا وملاذّ النفوس على ما هو خير وأبقى من حفظ العرض، والأجر العريض في الآخرة "[٤] .

---

(١) حراسة الفضيلة، ص١٧٥، ١٧٦ .
(٢) القالة: هي القيل والقال، وهو كثرة الكلام. انظر: الصحاح، باب اللام، فصل القاف، مادة (قول)، (ج٥/ ص٨٧).
(٣) حراسة الفضيلة، ص١٧٦.
(٤) المصدر السابق، ص١٠ .

ثم أكد وبيّن غفر الله له أن فساد النساء من تساهل الرجال ــ غالباً ــ فقال:

" على كل من ولّاه الله أمر امرأة من الآباء والأزواج وغيرهم، أن يتقوا الله فيما ولُّوا من أمر النساء، وأن يعملوا الأسباب لحفظهنّ من السفور والتبرج والاختلاط، والأسباب الداعية إليها، أو من دعاة السوء. وليعلموا أن فساد النساء سببه الأول تساهل الرجال "(١) .

أما النساء – أنفسهنّ – فإن المسئولية تقع عليهنّ أولاً، وآخراً، لذا ركّز الشيخ بكر على نصيحتهنّ وتوجيههنّ، مبيناً ضوابط الحجاب الشرعي للمرأة، فقال: " وحجاب المرأة شرعاً: هو ستر المرأة بدنها وزينتها، بما يمنع الأجانب عنها من رؤية شيء من بدنها أو زينتها التي تتزيّن بها، ويكون استتارها باللباس وبالبيوت "(٢)

وقال مشدِّداً، و ناصحاً النساءَ ومن تحت أيديهنّ من الذرية بتقوى الله، ولزوم الفضيلة، وحثهن على اللباس الشرعي:

" على نساء المؤمنين أن يتقين الله في أنفسهم، وفي من تحت أيديهن من الذراري، بلزوم الفضيلة، والتزام اللباس الشرعي والحجاب بلبس العباءة والخمار، وأن لا يمشين وراء دعاة الفتنة وعشّاق الرذيلة "(٣) .

وأن تكون الأم قدوة لبنتها في التحجب، والاحتشام، والعفاف، والحياء، يقول فضيلته:" إذا كانت الأم غير محتجبة ولا محتشمة، وإذا كانت خرّاجة ولاّجة، وإذا كانت سافرة، أو حاسرة، وإذا كانت تغشى مجتمعات الرجال الأجانب عنها، وما إلى ذلك فهي تربية فعلية للبنت على الانحراف، وصرف لها عن التربية الصالحة، ومقتضياتها القويمة من التحجب، والاحتشام، والعفاف، والحياء، وهذا ما يسمى: (التعليم الفطري) "(٤).

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٦

(٢) المصدر السابق، ص٣١.

(٣) المصدر السابق، ص١٧٦ ،١٧٧ .

(٤) المصدر السابق، ص١٢٨.

ونبّه إلى أن تربية الصبيّة المميزة على الحياء والحشمة، وتعويدها على اللبس الشرعي، هو المطلوب من الأسرة، وأنّ التهاون في ذلك هو بداية التبرج والسفور، فقال – رحمه الله –:" بداية التبرّج في اللباس: إلباس الصبيّة المميّزة، الأزياء المحرمة على البالغة، كالألبسة الضيّقة أو الشفافة، أو التي لا تستر جميع بدنها كالقصير منها، أو ما فيه تصاوير، أو صلبان، أو تشبه بلباس الرجال، أو الكافرات، إلى غير ذلك من ألبسة العري والتهتك "(١).

فسفور المرأة، واختلاطها بالرجال، طريق يفضي إلى الفاحشة، والعياذ بالله. والسبيل هو منع الاختلاط المحرم بين الجنسين، والحد من خروج النساء إلاّ لحاجة، والالتزام بالضوابط الشرعية عند الخروج، يتبيّن هذا من قول الشيخ بكر رحمه الله:

" إن العفة حجاب يمزقه الاختلاط، ولهذا صار طريق الإسلام التفريق والمباعدة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، فالمجتمع الإسلامي مجتمع فردي لا زوجي، فللرجال مجتمعاتهم، وللنساء مجتمعاتهن، ولا تخرج المرأة إلى مجتمع الرجال إلاّ لضرورة أو حاجة بضوابط الخروج الشرعية. كل هذا لحفظ الأعراض، والأنساب وحراسة الفضائل، والبعد عن الريب والرذائل، وعدم إشغال المرأة عن وظائفها الأساس في بيتها. ولذا حُرّم الاختلاط، سواء في التعليم أو في العمل، والمؤتمرات، والندوات، والاجتماعات العامة، والخاصة وغيرها، لما يترتب عليه من هتك الأعراض، ومرض القلوب، وخطرات النفوس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة"(٢).

ولقد منع الإسلام من الاختلاط بين الرجال والنساء حتى في مواطن العبادة، فجعل موقف النساء في الصلاة خلف الرجال، ورغب في صلاة المرأة في بيتها.

فقرار المرأة في بيتها، وعدم خروجها منه إلا للضرورة، وإن خرجت تخرج في غاية الستر والحشمة، فإن ذلك القرار له من المحاسن والأهداف النبيلة ما يعجز عنه البيان(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٠ .

(٢) المصدر السابق، ص٩٧ ،٩٨ .

(٣) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، (ج ١٧ / ص ٢٤٧).

وقد أدرك الشيخ بكر – رحمه الله -بفطنته هذا المغزى، فبيّن المقاصد الشرعية المترتبة على الحفاظ على هذا الأصل السامي – قرار المرأة في بيتها –، فقال غفر الله له:

" وبحفظ هذا الأصل تتحقق المقاصد الشرعية الآتية:

١- مراعاة ما قضت به الفطرة، وحال الوجود الإنساني، وشرعه رب العالمين، ومن القسمة العادلة بين عباده من أن عمل المرأة داخل البيت، وعمل الرجل خارجه .

٢- مراعاة ما قضت به الشريعة من أن المجتمع الإسلامي مجتمع فردي ـــ أي غير مختلط ـــ فللمرأة مجتمعها الخاص بها، وهو داخل البيت، وللرجل مجتمعه الخاص به، وهو خارج البيت.

٣- قرار المرأة في عرين وظيفتها الحياتية: (البيت) يكسبها الوقت والشعور بآداء وظيفتها المتعددة الجوانب في البيت: زوجة، وأماً، وراعية لبيت زوجها، ووفاء بحقوقه من سكن إليها، وهيئة مطعم ومشرب وملبس، ومربية جيل.

٤- قرارها في بيتها فيه وفاء بما أوجب الله عليها من الصلوات المفروضات، وغيرها، ولهذا فليس على المرأة واجبات خارج بيتها، فأسقط عنها التكليف بحضور الجمعة والجماعة في الصلوات، وصار فرض الحج عليها مشروطاً بوجود محرم لها.

تحقيق ما أحاطها به الشرع المطهر من العمل على حفظ كرامة المرأة وعفتها وصيانتها، وتقدير أدائها لعملها في وظائفها المترلية "[(١)]

وردّ الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – على من ينادي بخروج المرأة، واختلاطها بالرجال، وبيّن مفاسد الاختلاط، فقال:

---

(١) حراسة الفضيلة ص٩٠-٩٣ باختصار .

"فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجال المؤدي إلى الاختلاط سواء كان ذلك على جهة التصريح أو التلويح بحجة أن ذلك من مقتضيات العصر، ومتطلبات الحضارة، أمر خطير جداً له تبعاته الخطيرة، وثمراته المرة، وعواقبه الوخيمة، رغم مصادمته للنصوص الشرعية التي تأمر المرأة بالقرار في بيتها والقيام بالأعمال التي تخصها في بيتها ونحوه.

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى، فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم، اختياراً أو اضطراراً، بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه، يجد التذمر على المستوى الفردي والجماعي، والتحسر على انفلات المرأة من بيتها وتفكك الأسر"[١] .

فالآثار المترتبة على التبرج والسفور والاختلاط، تتلخص في الآتي:

١- فيه مخالفة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والتعرض لسخط الله وأليم عقابه في الدنيا والآخرة .فإن الله أمر أمهات المؤمنين وحسبهم حياءً وحشمةً ولكن هذا أمرٌ لكل النساء: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾[٢] . والتبرج: هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال[٣] .

والرسول – عليه الصلاة والسلام – قال: " **المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**"[٤] .

٢- انتشار الجرائم، وفساد الأخلاق، فكلما كثر الاختلاط، وانتشر التبرج والسفور، كلما ظهرت جرائم الزنا ومقدماته من النظر المحرم والخلوة غير الشرعية.

---

(١) التبرج وخطره، عبد العزيز بن عبد الله بن باز،ص٢١، ٢٢.

(٢) سورة الأحزاب آية (٣٣).

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (ج ١٩ / ص ٩٧).

(٤) سنن الترمذي، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات، حديث رقم (١٠٩٣). صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (١١٧٣)، ص٢٧٨.

٣- ضعف الغيرة، وانعدام الإحساس، وعدم الحرص على صيانة الأعراض، فإن (كثرة المساس تبلّد الإحساس).

٤- إهانة المرأة وإسقاط كرامتها، بالزج بها في أماكن لا تليق بالمرأة المسلمة، وتعطيلها عن مهمتها الحقيقية التي أرادها لها الشريعة المطهرة.

٥- تكرار خروج المرأة من بيتها من غير ضرورة، وعدم التزامها بالحجاب الشرعي، يؤدي إلى كثرة الطلاق وتعدد المشاكل الاجتماعية، وتبادل الاتهامات بين الزوجين وانعدام الثقة.

٦- انعدام الألفة والمحبة داخل الأسرة الواحدة، وحصول التفكك الأسري.

٧- كثرة اللقطاء، بسبب الاختلاط بين الجنسين، والاتصال غير الشرعي بينهما.

٨- فشو الأمراض المعدية، مثل الإيدز والزهري والسيلان، وهذه نتيجة حتمية للعلاقات غير الشرعية والاختلاط المحرم.

٩- عزوف الشباب والشابات عن الزواج، لأن كلاً منهما يقضي وطره بطريقته الخاصة.

وبما أن جريمة الزنا نتيجة حتمية لكثرة الاختلاط المحرم بين الجنسين، وانتشار التبرج والسفور، كان ذلك حريّاً بأن يحظى باهتمام الشيخ بكر، ويحوز على جملة من نصائحه وتحذيراته، فممَّا قال في التحذير من فاحشة الزنا، ومقدماته، والسبل الموصلة إليه، يقول فضيلته:

" وفاحشة الزنا من أعظم الفواحش، وأقبحها، وأشدها خطراً وضرراً وعاقبة على ضروريات الدين، ولهذا صار تحريم الزنا معلوماً من الدين بالضرورة .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [(١)] .

ولهذا حرمت الأسباب الموصلة إليه من: السفور ووسائله، والتبرج ووسائله، والاختلاط ووسائله، وتشبه المرأة بالرجل، وتشبهها بالكافرات، وهكذا، من أسباب الريبة والفتنة والفساد"[(٢)].

---

(١) سورة الإسراء آية (٣٢)

(٢) حراسة الفضيلة، ص١٠٩ ، ١١٠ .

وقال – أثابه الله –:" ولتحذر المرأة الاسترسال في الكلام مع الرجال الأجانب عنها، بل ومع محارمها، بما تنكره الشريعة وتأباه النفوس، ويحدث في نفس السامع علاقة.

ولتحذر رفع الصوت عن المعتاد، وتمطيط الكلام وتحسينه وتليينه وترخيمه، وترقيقه وتنغيمه بالنبرة اللينة، واللهجة الخاضعة "[١]

وبيّن رحمه الله الأسباب الواقية من جريمة الزنا، فقال – طيّب الله ثراه –:

" ومن أعظم الأسباب والتدابير الواقية من الزنا: فرض الحجاب على نساء المسلمين، لما يحمله من حفظهن وحيائهن في عفة وستر وتصون وحشمة وحياء ومجافاة للخَنا [٢] ، وطرد لنواقضها من التبذل والتسفل وانتزاع الحياء"[٣].

الفرع الثاني: ردّ الشيخ على دعاة التغريب:

تعرضت المرأة المسلمة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي لمؤامرة كبرى بدأها أعداء الإسلام، من اليهود والنصارى، والملحدين، وأتمّها أدعياء التغريب من المنتسبين إلى الإسلام، وكانت الحملة شرسة ومركّزة، شملت أحكام المرأة في الإسلام عامة، وحجاب المرأة، وبدأت هذه الحملة بأكذوبة كبرى أسماها أدعياء التغريب (تحرير المرأة) وهي في حقيقتها وجوهرها تغريب المرأة، لتسير على نمط المرأة الغربية، في زيها ولباسها، واختلاطها بالرجال، وسيرها بين الرجال متزيّنة، ومصاحبتها للرفقاء والأصحاب[٤].

ونجد أنَّ الشيخ بكراً اهتمَّ اهتماماً واسعاً بالرد على دعاة التغريب، وهواة الإباحية، ففنّد دعاويهم، ووضَّح خبث مقصدهم، وبعد مرماهم، وكشف أباطيلهم، في جرأة

---

(١) أدب الهاتف ص١٧ ،١٨ .

(٢) الخَنا: الفُحشُ. انظر: الصحاح في اللغة، باب الواو والياء،فصل الخاء، مادة خنا (ج ٦ / ص ٢٧٧).

(٣) حراسة الفضيلة ص١١٣ .

(٤) انظر: العلّامة المحدث أحمد محمد شاكر وجهوده في الدعوة والإصلاح، أبو العلاء بن راشد الراشد، ص ٧٩.

وقوة، وعمق وفهم، قلّ نظيره في وقتنا الحاضر، نسأل الله سبحانه أن يجزيه خير الجزاء على ما قدم وبذل في خدمة دينه وأمته.

ونستخلص شيئاً من أقوال الشيخ بكر في بيانه لطلبات ودعوات أهل التغريب، فمما قال - رحمه الله تعالى - في هذا الشأن:

"إنّ في الساحة أُجَراءَ [١] مستغربين، ولهم أتباع أَجْراءُ[٢] من سذجة[٣] الفساق، اتباع كل ناعق، يفوقون سهامهم لاستلاب الفضيلة من نساء المؤمنين، وإنزال الرذيلة بهنّ، ويجمع ذلك كلّه قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [٤].

وقد سلك أولئك الجناة لهذه خطة غضبيّة ضالة في مجالات الحياة كافة، بلسان الحال أو بلسان المقال:

١- الدعوة إلى خلع الحجاب عن الوجه: (الخمار)، والتخلص من الجلباب (الملاءة) ويقال (العباءة). وهذا بلسان الحال دعوة إلى خلع الحجاب عن جميع الجسد، ودعوة إلى اللباس الفاتن، بأنواعه: الفاتن في شكله، والتعري بلبس القصير، والضيق الواصف للأعضاء، والشفاف الذي يشف عن جسد المرأة، ودعوة إلى التشبه بالرجال في اللباس، ودعوة إلى التشبه بالنساء الكوافر في اللباس.

٢- الدعوة إلى منابذة حجب النساء في البيوت عن الأجانب بالاختلاط في مجالات الحياة كافة.

٣- الدعوة إلى دمج المرأة في جميع مجالات تنمية الحياة.

---

(١) أُجَراء: جمع أجير، والأجير من يأخذ على عمله أجْرٌ، والأجْرُ: الجَزاءُ على العمل، انظر: القاموس المحيط – باب الراء، فصل الهمزة، مادة (الأجر)،(ج ٢/ ص٤).

(٢) أَجْراء: من الجُرأة، والجِراية: نادر الشجاعة، جَرُؤَ، فهو جَريءٌ، جمعها: أَجْراءُ. انظر: القاموس المحيط – باب الهمزة، فصل الجيم، مادة (الجرأة)،(ج ١ / ص ٩).

(٣) سَذَجَ: حُجَّةٌ ساذِجَةٌ وساذَجَةٌ بالفتح غير بالغة. انظر: لسان العرب، باب الجيم، فصل السين، مادة (سذج)، (ج ٢ / ص ٢٩٧).

(٤) سورة النساء، آية (٢٧).

وهذه دعوة إلى ظهور المرأة في الطرقات والأماكن العامة متبرجة سافرة.

٤- الدعوة إلى مشاركتها في الاجتماعات، واللجان، والمؤتمرات والندوات، والاحتفالات والنوادي. وفي هذا دعوتها إلى الخضوع بالقول، والملاينة في الكلام ودعوتها إلى مصافحة الرجل الأجنبي عنها، ومنها مصافحتها لخطيبها ولمّا يعقد بينهما. ودعوة لها إلى خروجها من بيتها أمام الأجانب في حال تثير الفتنة في اللباس والمشية، وإعمال المساحيق، والتضمخ [1] بالطيب، ولبس ما يجعلهن كواعب، ولبس الكعب العالي وهكذا من وسائل الإغراء والإثارة والفتنة.

٥- الدعوة إلى فتح النوادي لهن، والأمسيات الشعرية والدعوة للجميع.

٦- الدعوة إلى فتح مقاهي الإنترنت النسائية والمختلطة.

٧- الدعوة إلى قيادتها السيارة والآلات الأخرى.

٨- الدعوة إلى التساهل في المحارم ومنها: الدعوة إلى سفر المرأة بلا محرم، ومنه سفرها غرباً وشرقاً للتعلم بلا محرم، وسفرها لمؤتمرات: (رجالات الأعمال).

٩- الدعوة إلى الخلوة بالأجنبية، ومنها خلوة الخاطب بمخطوبته ولمّا يعقد بينهما.

١٠- الدعوة إلى قيامها بالفن، ومنه: الدعوة إلى قيامها بدورها في الفن والغناء والتمثيل.

وهذا ينتهي بالدعوة إلى مشاركتها في اختيار ملكة الجمال.

١١- الدعوة إلى مشاركتها في صناعة الأزياء الغربية.

١٢- الدعوة إلى فتح أبواب الرياضة للمرأة، ومنه:

-المطالبة بإنشاء فريق كرة قدم نسائي.

-المطالبة بركوب النساء الخيل للسباق.

-المطالبة برياضة النساء على الدراجات العادية والنارية.

١٣- فتح المسابح لهن في المراكز والنوادي وغيرها.

---

(١) الضمخ: لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر. انظر: تهذيب اللغة، مادة (ضمخ)، (ج٧/ ص١١٩).

١٤- وفي شَعْر المرأة: ضروب من الدعايات الآثمة، كالتنمص[1] في الحاجبين، وقص شعر الرأس تشبهاً بالرجال، أو بالنساء الكافرات وفتح بيوت الكوافير لهن.

١٥- وأولاً وأخيراً: الدعوة الجادة إلى تصوير المرأة في الوثائق والبطائق، وبخاصة في بطاقة الأحوال، وجواز السفر، والتركيز عليها، لأنها بوابة سريعة النفوذ إلى: (خلع الحجاب)، و (انخلاع الحياء).

وفي مجال الإعلام:

١- تصوير المرأة في الصحف والمجلات.

٢- خروجها في التلفاز مغنية، وممثلة، وعارضة أزياء، ومذيعة، وهكذا.

٣- عرض برامج مباشرة تعتمد على المكالمات الخاضعة بالقول بين النساء والرجال في الإذاعة والتلفاز.

٤- ترويج المجلات الهابطة المشهورة بنشر الصور النسائية الفاتنة.

٥- استخدام المرأة في الدعاية والإعلان.

٦- الدعوة إلى الصداقة بين الجنسين عبر برامج في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وتبادل الهدايا بالأغاني وغيرها.

٧- إشاعة صور القبلات والاحتضان بين الرجال وزوجاتهم على مستوى الزعماء والوزراء في وسائل الإعلام المتنوعة.

وفي مجال التعليم:

١- الدعوة إلى التعليم المختلط في بعضها إلى الصفوف الدنيا منه.

٢- الدعوة إلى تدريس النساء للرجال وعكسه.

٣- الدعوة إلى إدخال الرياضة في مدارس البنات.

وهذا داعية إلى المطالبة بفتح: (مدرسة الفنون الجميلة).

---

(١) النمص: النتف، والنامصة: التي تنتف الشعر من الوجه، تهذيب اللغة، مادة (نمص)، (ج ٤ / ص ٢١٤)

وفي مجال العمل والتوظيف:

١- الدعوة إلى توظيف المرأة في مجالات الحياة كافة بلا استثناء كالرجال سواء.

٢- الدعوة إلى عملها في المتاجر، والفنادق، والطائرات، والوزارات، والغرف التجارية، وغيرها كالشركات والمؤسسات.

٣- الدعوة إلى إنشاء مكاتب نسائية للسفر والسياحة وفي الهندسة والتخطيط.

وهذا داعية إلى الدعوة إلى عمل المرأة في المهن الحرفية كالسباكة والكهرباء، وغيرها.

٤- الدعوة إلى جعل المرأة مندوبة مبيعات.

٥- الدعوة إلى إدخالها في نظام الجندية والشرط.

٦- الدعوة إلى إدخالها في السياسة في المجالس النيابية والانتخابات والبرلمانات.

٧- الدعوة إلى إيجاد مصانع للنساء.

٨- الدعوة إلى توظيفهن في التوثيق الشرعي، وفتح أقسام نسائية في المحاكم.

وهكذا، في سلسلة طويلة من المطالبات، التي تنتهي - أيضاً - بما لم يُطالَب به "(١)

وقال - رحمه الله -:" وهذه الدعوات الوافدة المستوفدة قد جمعت أنواع التناقضات ذاتاً، وموضوعاً، وشكلاً "(٢)

وقال أيضاً:" إن هذه المطالب المنحرفة، تساق باسم (تحرير المرأة) في إطار نظريتين هما: (حرية المرأة) و (المساواة بين المرأة والرجل) وهما نظريتان غربيتان باطلتان شرعاً وعقلاً، لا عهد للمسلمين بهما، وهما استجرار لجادة الأخسرين أعمالاً، الذين بعثوا من أقطار العالم الأخرى، فسعوا تحت إطارهما في فتنة المؤمنات في دينهن، وإشاعة الفاحشة بينهن، إذا نادوا بهذه المطالب المنحرفة عن سبيل المؤمنين، ثم صرحوا بنقطة البداية: (خلع الحجاب عن الوجه) ثم باشروا التنفيذ لخلعه، ودوسه تحت الأقدام،

---

(١) انظر: حراسة الفضيلة ص١٤٣-١٥٠ باختصار وتصرف يسير. ونَقَلْتُ هذه المطالبات والدعاوي بطولها لأهميتها وحاجة الناس لمعرفتها. (الباحث).

(٢) حراسة الفضيلة، ص١٥٢ .

وإحراقه بالنار ... "(١)

نستخلص مما سبق من أقوال الشيخ بكر رحمه الله وجهوده في بيان طرق الوقاية من التبرج والسفور، والحيلولة دون الاختلاط المحرم، والرد على دعاة الفاحشة والرذيلة من الغربيين والمتغربين، ما يلي:

- وجوب التستر والاحتشام للمرأة، فإن التبرج والسفور يغرى الرجال بالنساء، ويحرك الغريزة الجنسية بينهما.
- تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية، ووجوب غض البصر.
- تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ومنع الاختلاط بين الرجال والنساء إلا في حدود الضرورة الشرعية.
- الحضّ على الزواج، وتيسير وسائله، والبعد عن التغالي في نفقاته، وتخفيف مؤنه وتكاليفه، فإن الزواج من شأنه أن يحصن الإنسان، ويجعله يقضى شهوته في الحلال . .
- التصدي للأفكار الخبيثة، والمطالب السافلة، والتصيد في الماء العكر. ببيان محاسن الإسلام، ونشر مكارم الأخلاق، وكشف عَوَار المنحرفين، وإبراز سلبيات الانحلال الخلقي، وما تعانيه المجتمعات التي توجد فيها هذه الأمراض المعدية، من تشتت وضياع وانحراف.

وهذا دور الدعاة، ومنهج حراس الفضيلة، وسبيل الغيورين على الحرمات والأعراض: الدعوة إلى الفضيلة والتحذير من الرذيلة، والدعوة إلى الطهر واجتناب العهر.

وقد أحسن الشيخ بكر - رحمه الله -وأعطى كلَّ ذي حق حقه، من غير مجاملة ولا مماراة بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأورد الشيخ الأدلة، والبراهين الواضحة، والحجج الدامغة.

* * * *

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٨.

المبحث الرابع: جهود الشيخ بكر ومنهجه في توجيه الدعاة، وطلبة العلم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جهود الشيخ في الذب عن العلماء، والتحذير من النيل منهم أو انتقاصهم، أو تحريف كلامهم.

المطلب الثاني: جهود الشيخ في توجيه الدعاة من العلماء، وطلبة العلم.

المطلب الأول: جهود الشيخ في الذبِّ[(١)] عن العلماء، والتحذير من النيل منهم أو انتقاصهم، أو تحريف كلامهم:

ويشتمل على ما يلي:

أولاً: بيان فضل العلماء، ومترلتهم الرفيعة.

ثانياً: جهود الشيخ في الذبِّ عن العلماء، والتحذير من النيل منهم، أو انتقاصهم، أو تحريف كلامهم.

أولاً: بيان فضل العلماء، ومنزلتهم الرفيعة:

لعلماء الشريعة فضلهم، ومنـــزلتهم التي حباهم الله بها، وخصّهم بها دون سائر خلقه، لما يحملون من علم وهدى، وما يحوون من الكتاب والحكمة، وقد جاء في بيان فضل العلماء وعلو مترلتهم: آيات من الكتاب العزيز، وأحاديث من السنة النبوية الصحيحة.

فقد جعلهم الله مرجعاً للفتوى والسؤال، فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)] .

فعموم هذه الآية فيها مدح أهل العلم، وأنّ أعلى أنواعه: العلم بكتاب الله المترل. فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأنه بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتتريله، وأهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال[(٣)] .

وبيّن سبحانه أن العلماء أكثر الخلق خشية له، وأهم لا يستوون مع غيرهم من

---

(١) الذَبُّ: المنعُ والدفعُ والطردُ، يقال فلان: يَذُبُّ عنهم ذَبًّا، أي يدفع عنهم. انظر: تهذيب اللغة، مادة (ذبَّ) (ج ١٤ / ص ٤١٢) والصحاح في اللغة، باب الباء، فصل الذال، مادة (ذبب) (ج ١ / ص ١٩١).

(٢) سورة النحل، آية ٤٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥١١.

الذين لا يعلمون، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ..﴾ [(١)] ، وهذا دليل على فضل العلم فإنه داعٍ إلى خشية الله تعالى.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)]

وقد رفع - جل شأنه - منـــزلتهم وأعلى قدرهم، في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ..﴾ [(٣)]

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن معاوية [(٤)] - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : **"من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين..** الحديث"[(٥)] . متفقٌ عليه.

وعن أبي أمامة [(٦)] - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: **"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"** ثم قال رسول الله، صلى الله عليه

---

(١) سورة فاطر، آية (٢٨).

(٢) سورة الزمر، آية (٩).

(٣) سورة المجادلة، آية (١١).

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين. من كتاب الوحي، ولد قبل البعثة بخمس سنين، ومات معاوية في رجب سنة ستين على الصحيح. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة،(ج ٣ / ص ١٠٢)

(٥) صحيح البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، حديث رقم (٦٩)، وكتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: { فإن لله خمسه وللرسول }، حديث رقم (٢٨٨٤)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..) حديث رقم (٦٧٦٨)، وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة، حديث رقم (١٧١٩، ١٧٢١)، وكتاب الإمارة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..) حديث رقم (٣٥٤٩).

(٦) هو الصحابي الجليل صدي بن عجلان بن الحارث ويقال ابن وهب ويقال ابن عمرو بن وهب بن عريب بن وهب بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك بن أعصر الباهلي أبو أمامة مشهور بكنيته. مات أبو أمامة سنة ست وثمانين، وله مائة وست سنين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ،(ج ٢ / ص ٣٧)

وسلم: "**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**"[١] .

يقول محمد بن حسين الآجري[٢] رحمه الله في بيان مترلة العلماء وعظم قدرهم:"فإن الله عز وجل، وتقدست أسماؤه، اختص من خلقه من أحب، فهداهم للإيمان، ثم اختص من سائر المؤمنين من أحب، فتفضل عليهم، فعلّمهم الكتاب والحكمة وفقههم في الدين، وعلّمهم التأويل وفضلهم على سائر المؤمنين، وذلك في كل زمان وأوان، رفعهم بالعلم وزينهم بالحلم، بهم يعرف الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والضار من النافع، والحسن من القبيح. فضلهم عظيم، وخطرهم جزيل، ورثة الأنبياء، وقرة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضع، مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينــزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العُبّاد، وأعلى درجة من الزُهّاد، حياهم غنيمة، وموهم مصيبة، يذكّرون الغافل، ويعلمون الجاهل"[٣]

ومع ذلك كلّه، فلا يخلو عصر من وجود الاختلاف بين العلماء، ولكن لا ينبغي أن يصل إلى خلاف بينهم، أو بين طلاهم، لأهم مجتهدون، والمجتهد: إمَّا أن يكون مصيباً أو يكون مخطئاً، وهو لا يُعدَم الأجر أو الأجرين. فإن أصاب في اجتهاده فإنَّه مأجور على اجتهاده وعلى إصابته، وإن أخطأ ولم يُوفق في اجتهاده فهو مأجور على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

فلا يكون هذا الاختلاف ذريعة للنيل من العلماء المجتهدين، أو الطعن فيهم وفي علمهم، فأذيّة المؤمن لا تجوز، فضلاً عن أذية أهل العلم والفضل والتقى. قال الله تعالى:

---

(١) سنن الترمذي كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة حديث رقم (٢٦٠٩). صححه الترمذي، والشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٦٨٥) ص٦٠٥.

(٢) هو الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري، كان ثقة صادقاً ديناً، له مصنفات كثيرة، مات بمكة سنة ٣٦٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج١٠/ ص٤٠٨) والبداية والنهاية لابن كثير، (ج١١/ ص٢٥٤).

(٣) أخلاق العلماء، محمد بن حسين الآجري، ص ١٤، ١٥. باختصار

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1]

إنّ "لحوم العلماء – رحمة الله عليهم – مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم فيه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم .."[2]

فالواجب الذبّ عن أهل العلم، وإحسان الظن بهم، وهذا منهج كبار علمائنا، رحمهم الله، فقد كان الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله – يحسن الظن بأهل العلم كثيراً، ويحمل كلامهم على أحسن المحامل، ولا يرضى أن يُنالوا بأي سوء أو مكروه، وكان يدافع عنهم، ويحفظ أعراضهم، ولا يصدق ما يقال فيهم من سوء حتى يقف على حقيقة الأمر.[3]

ثانياً: جهود الشيخ في الذبِّ عن العلماء، والتحذير من النيل منهم، أو انتقاصهم، أو تحريف كلامهم.

للشيخ بكر جزاه الله خيراً صولات علمية، وجولات أدبية، في كل مجال، فعندما أحسَّ بخطر تصنيف الناس، وجرح العلماء وتنقصهم، من أناس لم يبلغوا الحُلُم في العلم، ومن حدثاء الأسنان، فتسلطوا على النيات والمقاصد، وانصرفوا إلى البواطن والسرائر، وكأنهم وكّلوا بذلك، وما علموا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ .. ﴾[4] .

عندها قام الشيخ بكر بالدفاع عن العلماء والدعاة، والذبّ عنهم، والرد على الذين وقعوا في أعراض العلماء العاملين والدعاة المخلصين، بلا علم ولا يقين. غير الظنّ، والقيل والقال، وكثرة السؤال.

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٥٨) .

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، ص٢٩.

(٣) انظر: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، ص ٢٦٣.

(٤) سورة الحج، آية (٣٨).

فألّف فضيلته مؤلفات قلّ نظيرها مثل: ((تصنيف الناس بين الظن واليقين))، و((براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة))، و((الرد على المخالف من أصول الإسلام))، و((تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال)).

واتسمت ردوده بالقوة والجرأة، والعمق العلمي واللغوي، مما أكسبها القبول والتأثير، والصدى الطيّب، في الأوساط كلها بلا استثناء، غير الذي في قلبه كمد، أو في عينه رمد، لا يرى، أو لا يحبّ أن يرى الحق ماثلاً أمامه.

يقول الشيخ بكر رحمه الله ـــ في تحقيق هذا المفهوم، وأنّ سبب حرصه على الدفاع عن العلماء، هو:" لما لهم على العامّة والخاصّة من فضل في تعليم الناس الخير، ونشر السنن، وإماتة الأهواء والبدع، فهم أوتوا الحكمة يقضون بها، ويعلمونها الناس، ولم يتخلفوا عن كهوف القعدة الذين صرفوا وجوههم عن آلام أمتهم .."

إلى أن قال – رحمة الله عليه، ورضوان –:

"لهذا كلّه، صار من الواجب على إخوانهم، الذب عن حرماتهم وأعراضهم بكلمات تجلو صدأ ما ألصقه (المنشقون) بهم من الثرثرة، وتكتم صدى صياحهم في وجه الحق، وإيضاح السبيل الآمن الرَشَد، العدل الوسط "[1]

وفي شرحه رحمه الله لقول الله عز وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[2]، قال الشيخ بكر – غفر الله له –:" والأمّة هنا هي أمّة العلماء الذين يصلح الله بهم عموم الأمّة، وهم أهل الحل والعقد في الأمّة، وهم الذين تطمئن إليهم النفوس، ويشعون أنوار التنزيل، ويدعون إلى الله"[3]

ويقول – أثابه الله –: "على كل مسلم موحد: النهوض بالحقوق الشرعية عليه للعلماء العاملين: من توقيرهم، وتبجيلهم، وإعطائهم قدرهم، والكفّ عن أعراضهم،

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٥، ٦. باختصار

(٢) سورة آل عمران، آية (١٠٤).

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص٦١ .

والوقيعة فيهم، والبعد عن إثارة التشكيك في نياهم، ونزاهتهم، والتعسف في حمل تصرفاهم بالفتيا والقول على محامل السوء، وتصيّد المعايب عليهم، وإلصاق التهم بهم، والحط من أقدارهم، والتزهيد فيهم، فإن هذا من أعظم وسائل (الهدم) ومواطن الإثم، وتفتيت الأمّة، وإضعاف القيادة العلمية "(١)

فالأصل أنّ عرض المسلم مصون، والكف عن أذيته في الشرع مضمون، ومن هتكه فهو من العذاب غير مأمون، يقول الشيخ بكر – أثابه الله –:

" الأصل الشرعي: تحريم النيل من عرض المسلم. وهذا معلوم من الدين بالضرورة في إطار الضروريات الخمس التي جاءت من أجلها الشرائع، ومنها: (حفظ العرض). فيجب على كل مسلم قدر الله حق قدره، وعظم نبيه وشرعه، أن تعظم في نفسه حرمة المسلم: في دينه ودمه، وماله، ونسبه، وعرضه. والأصل بناء حال المسلم على السلامة، والستر، لأن اليقين لا يزيله الشك، وإنما يزال بيقين مثله "(٢)

فالشيخ بكر – رحمه الله –كان من منهجه المبارك أن يبيّن فضل العلماء، وعظيم قدرهم، وعلو متزلتهم، ثم الدفاع عنهم، والذبّ عن أعراضهم، وهذا لا يعني السكوت عن الأخطاء، أو تمرير الزلاّت بغير ردّ أو تعقيب، لكن يشترط في الردود أن تكون من العلماء المؤهلين، وأصحاب الاختصاص، ويكون الهدف بيان الحق وإظهاره، ودفع الباطل وإدباره، لا التشفي والانتقام، وسوء الظن والاتهام.

وأكد الشيخ بكر – رحمه الله –أن تعرية أهل الأهواء والبدع، وتحذير الناس منهم، هو سمة أهل السنة والجماعة، وأصلٌ في المنهج السلفي القويم، فقال في بيان ذلك: " إنَّ كَشْفَ الأهواء، والبدع المضلة، ونقد المقالات المخالفة للكتاب والسنة، وتعرية الدعاة إليها، وهجرهم وتحذير الناس منهم، وإقصاءهم، والبراءة من فعلاهم سنّة ماضية في تاريخ المسلمين في إطار أهل السنة معتمدين شرطي النقد: العلم، وسلامة القصد. ويرون

---

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٨٨ .

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٤ .

بالاتفاق أن هذا الواجب من تمام النصح لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين وعامتهم "[١]

والردّ على المخالفين واجب شرعي تقتضيه مصلحة الدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف، يقول الشيخ بكر رحمه الله:" على العلماء رفع التكبيرة الأولى في الميدان هاتفة بإحياء هذا الواجب الجهادي الدفاعي عن الدين الإسلامي بْرد كل مخالفة بشبهة أو شهوة أو شذوذ، وهذا غاية في سلامة الصف الإسلامي وتوحيده، ووحدته وكفّ عوامل التصدع من الداخل، وإثارة الغبار عليه من الخارج "[٢]

ولكن هذا الأصل الأصيل لا يعني التعدّي عليهم، واتهامهم في مقاصدهم، وجرحهم في أعراضهم، بحجة نقد المخالفين، وكشف المنحرفين، خاصة إذا كان تجاه علماء السنة، المعروفين باستقامة المنهج، ووضوح المسلك. قال الشيخ بكر رحمه الله:" ولا يلتبس هذا الأصل الإسلامي بما تراه من ظهور ضمير أسود، وافد من كل فج استعبد نفوساً بضراوة، أتراه: (تصنيف الناس) وظاهرة عجيب نفوذها هي: (رمز الجراحين) أو: (مرض التشكيك وعدم الثقة) حمله فئام[٣] غلاظ من الناس يعبدون الله على حرف، فألقوا جلباب الحياء، وشغلوا به أغراراً التبس عليهم الأمر فضلوا، وأضلوا، فلبس الجميع أثواب الجرح والتعديل، وتدثروا بشهوة التجريح، ونسج الأحاديث، والتعلق بخيوط الأوهام، فبهذه الوسائل ركبوا شبح التصنيف للآخرين، للتشهير، والتنفير، والصد عن سواء السبيل، ومن هذا المنطلق الواهي، غمسوا ألسنتهم في ركام من الأوهام والآثام، ثم بسطوها بإصدار الأحكام عليهم والتشكيك فيهم، وخدشهم، وإلصاق التهم بهم، وطمس محاسنهم، والتشهير بهم، وتوزيعهم أشتاتاً وعزين:

---

(١) المصدر السابق، ص٦، ٧ .

(٢) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٨٧ .

(٣) الفئام: الجماعة. انظر: تهذيب اللغة، مادة (فأم)، (ج١٥/ ص٥٧٢).

في عقائدهم، وسلوكهم، ودواخل أعمالهم، وخلجات قلوبهم، وتفسير مقاصدهم، ونياتهم، كل ذلك وأضعاف ذلك مما هنالك من الويلات، يجري طرفيّ التصنيف: الدينيّ واللا دينيّ [١] . وإن نقّبوا في البلاد، وفتّشوا عنه العباد، و لم يجدوا عليه أي عثرة، أو زلة تصيدوا له العثرات، وأوجدوا له الزلات، مبنية على شبه واهية، وألفاظ محتملة "[٢]

والذي يظهر، أنّ تصنيف الناس والحكم عليهم؛ منه ما هو حق: وهو الذي يُبنى على العلم واليقين، وفيه مصلحة شرعية؛ ومنه ما هو باطل: وهو الذي يُبنى على الظن والأوهام والتسرع. وهذا هو المنهي عنه شرعاً.

ويقول الشيخ بكر ــ رحمة الله عليه ــ وهو يبيّن أن الذود عن حرمة العلماء، والاعتذار عنهم، هو منهج علماء السلف:

" وقد تتابعت كلمة العلماء في الاعتذار عن الأئمة فيما بدر منهم، وأن ما يبدو من العالم من هنات لا تكون مانعة للاستفادة من علمه وفضله "[٣]

ويشهد لكلام الشيخ بكر - رحمه الله -ما خطه يراع شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -في كتابه الشهير: ((رفع الملام عن الأئمة الأعلام))،حيث يقول شيخ الإسلام:"وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل؛ فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح

---

(١) الديني: مثل قولهم: خارجي، معتزلي، أشعري، طرقي، إخواني، تبليغي، مقلد، متعصب، متطرف، متزمت، رجعي، أصولي. واللا ديني، مثل قولهم: ماسوني، علماني، شيوعي، اشتراكي، بعثي، قومي، عميل. انظر: تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٧، ٨.

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٧، ٨. باختصار

(٣) المصدر السابق، ص٤٧، ٤٨ .

بخلافه فلا بد له من عذر في تركه"[١] .

وقال أيضاً:"يجوز أن يكون للعالم حجة لم نطِّلع نحن عليها؛ فإن مدارك العلم واسعة، ولم نطلع نحن على جميع ما في بواطن العلماء. والعالم قد يبدي حجته وقد لا يبديها، وإذا أبداها فقد تبلغنا وقد لا تبلغنا، وإذا بلغتنا فقد ندرك موضع احتجاجه، وقد لا ندركه، سواء كانت الحجة صواباً في نفس الأمر، أم لا"[٢] .

ولهذا دعا الشيخ بكر - رحمه الله -إلى الاعتذار عن زلات العلماء، وإحسان الظن بهم، فقال:" فمن ذا الذي سَلِم من الخطأ ـــ غير أنبياء الله ورسله ـــ وكم لبعض المشاهير من العلماء من زلات، لكنها مغتفرة بجانب ما هم عليه من الحق والهدى والخير الكثير:

من الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط [٣]

ولو أخذ كل إنسان بهذا لما بقي معنا أحد، ولصرنا مثل دودة القز، تطوي على نفسها بنفسها حتى تموت"[٤]

ووضّح الشيخ بكر أن الوقيعة في العلماء تأتي - غالباً - من الفسّاق، وأهل الأهواء، بقصد الشناعة على أهل السنة، فيقول - رحمه الله -:

" وأمَّا وقيعة الفساق في أهل الفضل والدين، فعلى شبه مِمَّن قال الله فيهم:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا .. ﴾[٥] .

واستخفاف هؤلاء بالدين يحملهم على إشاعة أشياء عن العلماء، والدعاة منهم، ورجال الحسبة فيهم بقصد الشناعة عليهم. ويشبه الجميع في قصد التشنيع: أهل الأهواء

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام، ص١٢

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥، باختصار وتصرف.

(٣) هذا البيت من مقامات الحريري، انظر: شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي، ص١٧٧.

(٤) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٢٠، ٢١.

(٥) سورة الحج آية (٧٢) .

على اختلاف فِرقهم، وتنوع مشاربهم، واختلاف مدارسهم، فإن لهم شهوة جامحة بالوقيعة في أهل السنة وعلماء الأمة "[١]

والنَّيل من العلماء وتجريحهم، له دوافع وأسباب، ذكرها الشيخ بكر رحمه الله في مجمل كلامه عن فتنة تصنيف الناس، فمن ضمن ما قال فضيلته:[٢]

١. أن يكون الدافع: عداوة عقدية في حسبانه؛ فهذا لأرباب التوجهات الفكرية، والعقدية المخالفة للإسلام الصحيح في إطار السلف.

٢. أن يكون الدافع من تلبيس إبليس، وتلاعبه في بعض العبّاد بداء الوسوسة، وحسبوها زيادة في الترقي والورع.

٣. أو يكون الدافع: داء الحسد والبغي والغيرة، وهي أشد ما تكون بين المنتسبين إلى الخير والعلم.

٤. أو الدافع: عداوة دنيوية؛ فكم أثارت من تباغض وشحناء، ونكد، ومكابدة. فهؤلاء دائماً في غصة من حياتهم، وتحرُّقٍ على حظوظهم، ولا ينالون شيئاً.

فهذه أبرز الأسباب التي تدفع المرء إلى غيبة أهل العلم والدعوة والصلاح والتقوى، ولكنها دوافع تدور بين الظن واليقين.

ونصح الشيخ - رحمه الله -المبتلين بتصيد الأخطاء، والبحث عن الهفوات، بأن يلتزموا الإنصاف، وعدم جحود الفضائل، فيقول فضيلته:

" التزم (الإنصاف الأدبي) بأن لا تجحد ما للإنسان من فضل، وإذا أذنب فلا تفرح لذنبه، ولا تتخذ الوقائع العارضة منهية لحال الشخص، واتخاذها رصيداً ينفق منه الجراح في الثلب [٣] ، والطعن، وأن تدعو له بالهداية، أما التزيد عليه، وأما البحث عن

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص١١ .

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٢ـــ ٢٤. باختصار.

(٣) الثلب: ثَلَبَه يَثْلِبُه ثَلْباً: لامَه، وعابَه، وصَرَّحَ بالعيب، وقالَ فيه، وتَنَقَّصَه. انظر: لسان العرب، باب الباء، فصل الثاء، مادة (ثلب)، (ج١/ ص٢٤١)

هفواته، وتصيدها، فذنوب مضاعفة أخرى والرسوخ في الإنصاف بحاجة إلى قدر كبير من خلق رفيع، ودين متين"[١]

وقد بيّن الشيخ بكر آثار الطعن في العلماء، والتزهيد فيهم وفي علمهم، وأنّ هذه الفتنة لها مردود عكسي على الأمة الإسلامية، فمن الآثار، ما يلي:

١. يوسع جراح الأمة، ويلغي الثقة في علمائها، فقال ـــ رحمه الله ـــ:

" التربص، والتوثّب[٢] على الأعراض، والتمضمض[٣] بالاعتراض، يوسع جراح الأمّة، ويلغي الثقة في علماء الملّة، ويغتال الفضل بين أفرادها، ويقطع أرحامها تأسيساً على خيوط الأوهام، ومنازلات بلا برهان، تجرّ إلى فتن تدق الأبواب، وتضرب الثقة في قوام الأمة من خيار العباد"[٤]

٢. ظلم للمُتَّهم بغير حق ولا برهان، والله ينصر المظلومين، ولو بعد حين، فقال الشيخ رحمه الله:

" وكم أورثت هذه التهم الباطلة من أذى للمكلوم بها من خفقة في الصدر، ودمعة في العين، وزفرات تظلُّم يرتجف منها بين يدي ربه، في جوف الليل، لِهَجاً بكشفها ماداً يديه إلى مغيث المظلومين، كاسر الظالمين.

والظالم يغطّ في نومه، وسهام المظلومين تتقاذفه من كل جانب، عسى أن تصيب منه مقتلاً "[٥] .

٣. تشويه للحق، وضرب للدعوة وتحجيم انتشارها، وإثارة للشحناء والبغضاء، يقول الشيخ رحمه الله:

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٥.

(٢) التوثب: وثب وثباً ووثوباً ووثباناً: طفر. وتقول: توثب فلان في ضيعة لي، أي استولى عليها ظلما. الصحاح في اللغة، باب الباء، فصل الواو، مادة (وثب)، (ج١/ ص٣٤٦).

(٣) المضمضة: تحريك الماء في الفم. الصحاح في اللغة، باب الضاد، فصل الميم، مادة (مضمض)، (ج٣/ ص٣٣٣) وهي كناية عن تحريك اللسان بالكلام في الآخرين، (الباحث).

(٤) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص١٢ . باختصار وتصرف يسير.

(٥) المصدر السابق، ص١٦

" وكم جرت هذه المكيدة من قارعة في الديار، بتشويه وجه الحق، والوقوف في سبيله، وضرب للدعوة من حدثاء الأسنان في عظماء الرجال باحتقارهم وازدرائهم، والاستخفاف بهم وبعلومهم وإطفاء مواهبهم، وإثارة الشحناء، والبغضاء بينهم. ثم هضْم لحقوق المسلمين: في دينهم وعرضهم، وتحجيم لانتشار الدعوة بينهم، بل صناعة توابيت، تقبر فيها أنفاس الدعاة ونفائس دعوتهم ؟؟. انظر كيف يتهافتون على إطفاء نورها، فالله حسبهم وهو حسيبهم "[١]

٤. الصد عن الوقوف في وجه الإلحاد، وأصحاب الطرق، وإعطاء الفرصة في نشر العبث والفساد، وغير ذلك، يقول الشيخ رحمه الله:

" ويا لله كم صدت هذه الفتنة العمياء عن الوقوف في وجه المد الإلحادي، والمد الطرقي، والعبث الأخلاقي، وإعطاء الفرصة لهم في استباحة أخلاقيات العباد وتأجيج سبل الفساد والإفساد. إلى آخر ما تجرُّه هذه المكيدة المهينة من جنايات على الدين وعلى علمائه، وعلى ولاة أمرها "[٢]

٥. جرُّ شباب الأمّة بعد وقيعتهم في علمائهم، إلى الوقيعة في أعراض الولاة من أهل السنة، يقول الشيخ رحمه الله:

" إن تحرك هؤلاء الذين يجولون في أعراض العلماء اليوم سوف يجرون ـــ غداً ـــ شباب الأمة إلى مرحلتهم الثانية: الوقيعة في أعراض الولاة من أهل السنة، وقد قيل: (الحركة ولود، والسكون عاقر) وهو أسوأ أثر يجرُّه المنشقون، وهذا خرق آخر بجانب الاعتقاد الواجب في مولاة ولي أمر المسلمين منهم. (وسوف يحصد الزوبعة من حرك الريح) "[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص١٧ .

(٢) المصدر السابق، ص١٩ .

(٣) المصدر السابق، ص٣٥ .

٦. الوقيعة في علماء الأمة يسهم في فتح السبيل للزائغين والمنحرفين، وإعطائهم الفرصة الذهبية لنشر أباطيلهم وأفكارهم بعد انصراف الناس عن الخير، فقد نبّه الشيخ بكر على ذلك بقوله:

" اعلم أنّ تصنيفَ العالم الداعية ــ وهو من أهل السنة ــ ورميه بالنقائص: ناقض من نواقض الدعوة، وإسهام في تقويض الدعوة، ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير، وبقدر هذا الصد ينفتح السبيل للزائغين"(١)

ولكن – بحمد الله – لم ولن تزيد هذه الفتنة – علماءنا – إلاّ تماسكاً وعزّة، ولن تؤثر على الحق إلا انتشاراً وقوة، هذا مفهوم كلام الشيخ بكر، كما في مقولته هذه:" ولن يصرف العلماء العاملين، المسلحين بالعلم وصدق اليقين ما يلاقونه في عامة العوالم، من التعسف، والإرهاق، والمطاردة، والإرهاب، والإجراءات التعسفية، بعين الكبرياء، ويد القوة باسترقاق العقول، وإلجام الأفواه، واعتقال الأقلام، فإن هذا لن يزيد القلوب المطمئنة بالإيمان إلا سكينة وأريحية ولن يؤثر على الحق إلا انتشاراً وقوة"(٢)

ومنهج الشيخ بكر رحمه الله في الذبّ عن العلماء والدعاة، والتحذير من النيل منهم؛ موافق لمنهج السلف، ومعتقد أهل السنة والجماعة، يقول الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في بيان هذا المعتقد:

"وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين – أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر – لا يُذكرون إلا بالجميل، ومَن ذَكَرَهم بسوء فهو على غير السبيل"(٣).

وممّا يستفاد من منهج الشيخ بكر غفر الله له في هذا الشأن: النهوض بحقوق العلماء الشرعية، وتوقيرهم، وإعطاؤهم قدرهم، ورفعهم إلى مترلتهم التي تليق بهم، وعدم الطعن فيهم، أو الغمز واللمز الذي لا يليق بطالب العلم، والداعية إلى الله تعالى، هذا من

---

(١) المصدر السابق، ص٤٦

(٢) الرد على المخالف ص٩٣،٩٢ .

(٣) العقيدة الطحاوية مع الشرح لابن أبي العز الحنفي، (ج ٢ / ص ٧٤٠).

جانب. ومن جانب آخر، ينبغي أن يسخّر قلمه ولسانه ــ قدر استطاعته ــ في الدفاع عن حملة العقيدة، ووارثي الرسالة، والذبّ عن أعراضهم، والردّ على منتقصيهم، بالحجة والبرهان الساطع، والدليل الملزم القاطع.

* * * *

المطلب الثاني: جهود الشيخ في توجيه الدعاة من العلماء، وطلبة العلم:

انتشر – في هذا العصر – مفهوم خاطئ عند بعض الناس، وهو: مفهوم التفريق بين العالم والداعية، وبين العلم والدعوة.

وما علموا أن العلماء هم الدعاة، لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء هم الدعاة الأُوَل، فخير من يتصدر للدعوة بعد الأنبياء: هم العلماء، وطلاب العلم المؤهلون، وهذا لا يعني أن الدعوة مقصورة على أهل العلم فقط، ولكنّ المقصود هو الحذر من التصدّر للدعوة قبل التسلح بالعلم والبصيرة والخبرة الكافية.

لذا كان من الواجب أن يكون هناك منهجية في الدعوة وطلب العلم، لأنهما مكملان لبعضهما، فلا دعوة بلا علم، ولا خير في علم بلا دعوة.

وهذه رسائل توجيهية من الشيخ بكر إلى كل الدعاة من العلماء وطلبة العلم، يحثهم على القيام بواجب الدعوة، ونشر الإسلام، كلٌ في موقعه، وحسب قدرته، ومن هذه التوجيهات، قوله رحمه الله:

" وعلى المتأهل أن لا يرى الدعوة في بلده نهاية المطاف منه لأمَّته بل يجب حسب وسعه أن يتجاوز الحدود الجغرافية لبلده بالدعوة إلى الله، وإقامة الإسلام في نفوس العباد، فوق أي أرض، وتحت أي سماء، ولكن هذا مشروط – وأيم الله – بأن لا يخلي موقعه "[١]

وقال غفر الله له:" إن رأس التنظيم في الدعوة أن تكون على لسان الداعية المتأهل، الصالح المصلح، الذي يأتمر بالصالحات ويأمر بها، وينتهي عن المنكرات وينهى عنها، فلا يسمح له صلاحه أن يعاين في أمته سُنَّة تموت، وبدعة تُحيى، وحقاً يُخذل، وباطلاً يُعلن، وهو أخرس اللسان، بارد الجنان.

إنه العالم الرباني، المتربي بالعلم والإيمان، الذي يعايش الإسلام واقعاً ودعوة، يدعو إلى الله بعلمه وهديه وحسن سمته على رسم الشرع قبل أن يدعو بلسانه، مضحّياً بماله

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٦٠ .

ونفسه ــ وإن دعوة تبذل فيها المهج لا تموت ــ لأن مهمته ليست تربية جنود، وإنما تربية خلفاء له في الدعوة، فيقيم الله به سوق الإيمان، وينسخ به مكايد الشيطان. وأن يتَّسم بالثبات في موقعه من الحراسة لدين الله، وبالتثبيت والتأنِّي في جميع مراحل الدعوة، وإن طال الدرب، حتى تزول هذه الغربة كما زالت الأولى، وحتى يتسع نطاق العاملين بالإسلام على وجهه الصحيح، مكوّنين بقوة الوضع جبهة مترامية الأطراف في وجه الذين لا يؤمنون "[١] .

وبيّن رحمه الله أن العلماء قدرات، وكلٌّ واحد منهم على ثغرة من ثغور الإسلام، يحميه حسب القدرة والتأهيل، يقول الشيخ بكر رحمه الله:

" العلماء قدرات، وكلٌّ يزاول ما يحسن، حسب قدرته، فهو على ثغر يحميه من أي عدوان عليه. فعالم يرد على ملحد، وآخر على صاحب بدعة خفيفة، وثالث على صاحب فسوق، وآخر على رأي شاذ. كلُ هذا حسب القدرة والتأهيل "[٢]

وحثّ فضيلته العلماء على القيام بواجب الدعوة إلى الإسلام، فقال رحمه الله:" فإن أمّة العلماء لن تؤدي واجب الدعوة إلا على هذا الأمر الكلي الجامع: الدعوة إلى الخير. الإسلام بكله لا بجزء منه، وأن تقف نفسها عليه علماً وعملاً، ونشراً ودعوة، مستخدمة جميع طاقاتها وإمكانياتها في سلمها وحربها، ومنشطها ومكرهها، وأثرة تكون عليها "[٣]

والتأهل للدعوة إلى الله تعالى هو المطلوب، والتمكّن من العلم مرغوب، فالدعوة مثلها مثل العلوم الأخرى التي لا يتولاها إلا المتأهل المتمكّن، بل الدعوة أهم وأولى، فدعا الشيخ بكر رحمة الله عليه إلى ذلك بقوله:

" كما أن القضاء والفتيا والتدريس لا يتولى أياً منها إلا المتأهل، فالدعوة بمفهومها الشائع لا يقوم بها إلا من كان كذلك. كلٌّ بحسب ما يدعو إليه، وما في مواجهته من واقع. وهنا

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٦ . بتصرف يسير.

(٢) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٨٧ .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص١٠١ .

أدعو وأُذَكِّر على من ضعف تأهله وتمكنه من العلم، ألا يروم ما كان فوق قدرته، ولا يستوعبه تحصيله، وإن فعل فله مردودات ضارة على الدعوة، وهذا من مواطن الإثم "(١)

وحتى تتم الاستفادة القصوى من كفاءة جميع العلماء والدعاة في أعمالهم واختصاصاتهم، وتسخير إمكانات كلّ فرد منهم حسب براعته وقدرته في الدعوة إلى الله تعالى، فالتنوع في الواجبات الدعوية، وتعدد المجالات والفنون، يصبُّ في صالح الدعوة وصلاح المدعوين، هذا ما حثّ عليه الشيخ بكر ونبّه العلماء عليه في قوله رحمه الله:

"العلماء العاملون هم عمدة أهل الحل والعقد في الأمة، وهم واسطة البلاغ للدعوة، فالواجب عليهم عظيم، وواجباتهم الدعوية متعددة، وعلى مناحٍ مختلفة، وكل بما كتب الله له من الاستطاعة والقدرة، وما في مواجهته من واقع، فينبغي أن يكون كلٌّ واقتداره وفنّه الذي يبرع فيه: مفسر، محدث، فقيه، خطيب، مناظر، واعظ، محتسب، وهكذا. ومن تعددت فنونه ومشاركاته فهذا هو العالم الجامع وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء "(٢)

ودعا فضيلته العلماء الدعاة إلى التفاعل مع الدعوة وجعلها الهمّ الشاغل والفكر المسيطر، وعدم التولّي أو التأخر عن مواجهات العصر، بعيداً عن الأطماع الزائلة، والحظوظ الدنيوية، فقال رحمه الله:" والعالم العدل هو المحتسب الذي لا يحترف بالإسلام ولا تثنيه الأطماع، وهذا الواجب هو الذي من أجله سمّيت هذه الأمّة ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ (٣) ومن أجله صاروا ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٤)، وصاروا ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(٥)، هذا هو المتعيّن على العالم المتأهل: تفاعل مع الدعوة، وقيام بها وأن تكون دائرة همّه وتفكيره، فلا يهمّه إلا همّها، ولا يفكر إلا بسبيلها "(٦)

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥٢ ،١٥٣ باختصار .

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص١٥٣ ،١٥٤ باختصار .

(٣) سورة آل عمران، جزء من آية (١١٠).

(٤) سورة البقرة، جزء من آية (١٤٣).

(٥) سورة البقرة، جزء من آية (١٤٣).

(٦) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٦٣ .

إلى أن قال – يرحمه الله –:

" أما أن يتولّى أهل العلم عن مهمتهم في موقع الحراسة لدين الله، ويتأخرون عن مواجهات عصرهم، فهذا من التولّي يوم الزحف، وهو إذعان وتسليم لأغلى ثرواتهم المادية: نسلهم، وقوام أمّتهم ودينهم، إلى من يوجههم بالوجهة العقدية والسلوكية على غير منهاج جماعة المسلمين: أهل السنة والجماعة، والتي لا يرضونها بل لا يرضاها الله ولا رسوله ولا المؤمنون، وهل بعد هذا من معصية وتفريط ؟ ثم هل بعده من خسارة وإخسار ؟ وهذا الواجب على العالم المتأهل، كل مسلم يؤمن بأنه لا يخلو منه زمان في ظل الطائفة المنصورة والفرقة الناجية "(١)

ولم يكن الشيخ بكر رحمه الله بمنأى عن مشاكل الشباب وانحرافاتهم: المنهجية والسلوكية والأخلاقية والنفسية، ومدى ما يعانونه من ظروف: اقتصادية وأسرية، وغيرها، وما يحيط بهم من فتن واضطرابات، كل ذلك جعل الشيخ – رحمه الله –ينبّه على أهمية استشعار العلماء والدعاة لوظيفتهم الهامّة في معالجة سلوك الشباب، وتقويمهم التقويم المدروس؛ المبني على احتواءٍ حكيمٍ يعمل على وقاية الشباب من بعض السلوكيات، وبوادر الانحرافات، ويعالجهم من التلوث بالأدواء المزمنة، والمعدية في نفس الوقت.

يقول الشيخ بكر أثابه الله:" فواجب على العلماء العاملين: احتضان الشباب، واحتواؤهم والربط على قلوبهم بوشائج العلم والإيمان، وبهذا يكوّنون (رابطة علمية شبابية) تجد فيها (العالم القدوة) و (القيادة العلمية) للأمة، ومصانع لرجال المستقبل بها يظهرون. ومن واجب العلماء نحو الشباب: حسن التعامل معهم بدقة، وحكمة، وروية، بتوجيههم، والجلوس لهم بالدرس والتلقين، والأخذ عنهم، والتلقّي منهم، والكتابة والتأليف، والفتيا، وكل ما بوسعه، حتى يحتوي العلماء توجهات الشباب: العقدية والسلوكية سليمة من الانحراف في الفكر والسلوك "(٢)

---

(١) المصدر السابق، ص٦٣ .

(٢) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٨٨ .

وقال الشيخ بكر رحمه الله ناصحاً ومحذراً من خطورة التعامل مع الشباب بالعنف والقسوة والغلظة:" وإنّ التحذير ليقوم على أشده، في مواجهة الشباب بالعنف والغلظة والقمع، والملاحقة، والتشكيك في نياتهم، والانصراف، وصرف الوجوه عنهم، فلهذا وأمثاله آثار في غاية الخطر، والتمزق، وسرقة في السلوك والاعتقاد على أنقاض غليان الأفكار في مراجل الشباب، فحينئذٍ تطمر [(١)] بهم طمرة، ترميهم في أعاصير مدمّرة، وتدفعهم إلى الأعمال في السراديب المظلمة، تحت مضلات منحرفة مختلفة، يفضي بعضها إلى بعض باغتيال المنهج الحق والمسلك الرَشَد "[(٢)]

وحثّ فضيلته - يرحمه الله - العلماء وطلبة العلم على نشر العلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّ هذا من زكاة العلم، ومعلوم أنّ زكاة المال تزيده وتبارك فيه، فكذلك الدعوة وبذل النصيحة، تنمّي العلم وتزيده، يقول الشيخ رحمه الله:" أدِّ (زكاة العلم): صادعاً بالحق، أمَّاراً بالمعروف، نهَّاءً عن المنكر، موازناً بين المصالح والمضارّ، ناشراً للعلم، وحب النفع، وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف. ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفسّاق، وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت فهي فعلة يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر، ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة "[(٣)]

كما أن من الأهداف المهمّة التي ينبغي أن تُرسم للدعاة وطلبة العلم، هو الاهتمام بأمر المنهج الدعوي التوجيهي الذي يسير عليه المختصون بالدعوة، ومن يسلك هذا المسلك، ألا وهو طلب العلم: وفق منهجية في الطلب، وتتبع للأثر.

---

(١) الطمر: الدفن و الخبء، والطمر: الوثوب والارتفاع، والذهاب والغيبة، وطمرها: ملأها. وطمر الجرح: انتفخ. انظر: تاج العروس، باب الراء، فصل الطاء، مادة (طمر)، (ج١٢/ ص ٤٣٢)

(٢) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٨٩ .

(٣) حلية طالب العلم، ص٧٢، باختصار .

فعلى الذين يتصدّون للدعوة أن يتفقهوا في الدين، ويطلبوا العلم على أهله. فإنّ كثيراً من الدعوات ــ بسبب الحماس الزائد، والاستعجال في تبليغ الدين، وعدم التسلح بالعلم الشرعي ــ وقعت في أخطاء عظيمة، وانحرافات جسيمة. أضرت بالدعوة كثيراً، لذا فإن الشيخ بكراً رحمه الله أكد على طلب العلم قبل التصدي للدعوة، وبيّن أن هذه طريقة السلف، يقول أثابه الله :

" فيا طالب العلم: بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف "(١)

وركّز الشيخ بكر على توجيه طالب العلم إلى اقتفاء أثر السلف، والدعوة إلى الله على بصيرة، فقال طيب الله ثراه:

" فكنْ طالب علم على الجادّة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة، عارفاً لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم "(٢) .

والدعوة إلى الله على بصيرة جاء الحث عليها في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾(٣)

فقوله عز وجل: {أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ } أي: على حجّة واضحة، والبصيرة: المعرفة التي يتميّز بها الحق من الباطل.(٤)

والمعرفة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق طلب العلم على يد المشايخ الفضلاء، والعلماء الأجلاء. وإلاّ فلا تسأل عن مدى التخبط والعشوائية في المنهج الدعوي، حاضراً ومستقبلاً.

وقد أبرز الشيخ بكر أهداف العلم ومقاصده، بقوله رحمه الله:

" أ- إصلاح الفكر والاعتقاد.

---

(١) المصدر السابق،٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٣) سورة يوسف، آية (١٠٨).

(٤) انظر: فتح القدير، (ج ٣ / ص٧٣)

ب- إصلاح العمل.

ت- إيجاد الوازع النفسي الموروث لأنفة العالم المسلم من مزالق الردى في الفكر والتصور والعمل.

ث- الإنذار به.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [1] "[2]

الإخلاص في طلب العلم، والدعوة، وفي العبادات كلها، من المطلوب استحضاره دائماً وأبداً، وكثيراً ما حثَّ الشيخ بكر على إخلاص النية، والتخلص من كل ما يشوبها، فقال رحمه الله: " فإن فقد العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطّم العلم مثل: الرياء، رياء شرك، أو رياء إخلاص، ومثل التسميع. وعليه فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيّتك في صدق الطلب: كحب الظهور، والتفوق على الأقران، أو سمعة، أو طلب محمدةٍ، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت أفسدها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى "[3]

وحذّر فضيلته من التعالم وبيّن خطره على الفكر والكتاب، كما في كتابه المعنون بــ((التعالم وأثره على الفكر والكتاب)) ففيه الدرُّ كامنٌ.

ودعا إلى صيانة العلم، وحماية جنابه، من التبذُّل [4] ، والإهانة، والملاينة في غير موضعها، فينبغي علينا كما يقول الشيخ بكر:" التحلي بــ(عزة العلماء): صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جناب عزّه وشرفه، وبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن

---

(١) سورة التوبة، آية (١٢٢).

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ٨١ .

(٣) حلية طالب العلم، ص٩ ،١٠.

(٤) الابتذال: ضد الصِّيانة، والبِذْلة والمِبْذَلة من الثياب ما يُلبس ويُمتهن، والتَّبَذُّل ترك التصاون. انظر: لسان العرب، باب اللام، فصل الباء، مادة (بذل)، (ج١١/ ص٥٠).

العمل به، وبقدر ما تهدره يكون الفوت، وعليه فاحذر أن يمنْدِّل [١] بك الكبرياء، أو يمتطيك السفهاء، فتلاين لهم في فتوى أو قضاء أو بحث، أو خطاب.

ولا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره "[٢]

وهذا التوجيه حكيم عظيم، لأن الداعية إلى الله ينبغي أن يستغني عن الناس وعن أموالهم وصدقاتهم، وخاصة الأكابر والسلاطين، فلا يقف على أبوابهم ولا يسألهم، حتى يكون لدعوته ولعلمه الأثر في نفوسهم وفي نفوس غيرهم.

كما دعا فضيلته – غفر الله له – الدعاة وطلبة العلم، إلى البعد عن القول على الله بلا علم، والتورّع في الإفتاء والبحث والتأليف والمناظرة، وغيرها، يقول الشيخ بكر:" قد جرت سنّة الأجلّة من العلماء على التورع في الفتيا، والبحث، والتأليف، والمناظرة، وما جرى مجرى ذلك، وفي حضار العلم وفنونه، ترى العالم مع جلالة قدره وعلو مترلته، ينفي علمه في مواضع، ويتوقف في أخرى ويرجع من قول إلى آخر للتقوى، فيكون هذا من عظيم قدره، وجلالة شأنه، ولا ينقص من علمه "[٣] .

وحثّ الشيخ بكر ــ طيب الله ثراه ــ على نقاء السيرة وصفاء السريرة، وخاصة طلاب العلم، فهم قدوة لغيرهم، يقول فضيلته:

" ليكن في سيرتك وسريرتك من النقاء، والصفاء، والشفقة على الخلق، ما يحملك على استيعاب الآخرين، من كظم الغيظ، والإعراض عن عرض من وقع فيك، ولا تُشْغِل

---

(١) يمندّل: من الندل، وهو النقل من مكان لآخر، وبمعنى: التناول، الاختلاس، الوسخ. وتندّل ندلاً: تغمره. وتَمَنْدَلْت بالمِنْديل: أي تمسَّحت به من أثر الوَضوء أو الطَّهور. انظر الصحاح في اللغة، باب اللام، فصل النون، مادة (ندل)،(ج٥/ ص١١٨)، ولسان العرب، باب اللام، فصل النون،مادة (ندل)، (ج١١/ ص٦٥٣)، وتاج العروس، باب اللام، فصل النون، مادة (ندل)، (ج٣٠/ ص٤٧٢).

(٢) حلية طالب العلم، ص٧٣، باختصار.

(٣) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٣٥ .

نفسك بذكره. فهذا غاية في نبل النفس، وصفاء المعدن، وخلق المسلم"(١)

وطالب فضيلته بمراعاة خشية الله ظاهراً وباطناً، والمحافظة على شعائر الإسلام، وإظهار السنة عملاً ودعوة، كما في قوله رحمه الله:

" التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى، محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها بالعمل بها، والدعوة إليها، دالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك متحلياً بالرجولة والمساهلة، والسمت الصالح، وملاك ذلك خشية الله تعالى. فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذن فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالماً إلا إذا كان عاملاً، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله"(٢)

والمرء المسلم، والداعية على وجه الخصوص؛ ينبغي له أن يكون على أحسن حال، وأجمل لباس، والابتعاد عن الألبسة غير اللائقة، والهيئات المشينة، فينعكس ذلك على الدعوة والدعاة، فهم محط الأنظار، ومحل الاقتداء، فأدرك ذلك الشيخ بكر رحمه الله واعتنى به، يقول فضيلته:

" فكن حذراً في لباسك، لأنه يعبر لغيرك عن تقويمك، في الانتماء والتكوين، والذوق، ولهذا قيل الحلية في الظاهر تدل على ميل في الباطن، والناس يصنفونك من لباسك، بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس. فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالاً لقائل، ولا لمزاً للامز، وإذا تلاقى ملبسك وكيفية لبسك بما يلتقي مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي، كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحسن نيتك يكون قربه، إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق "(٣)

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٣، باختصار.
(٢) حلية طالب العلم، ص١٣، باختصار.
(٣) المصدر السابق، ص٢٠، ٢١، باختصار.

وحضّ الدعاة من العلماء وطلبة العلم إلى التحلي بالحلم والصبر والتواضع، فهذه صفات ينبغي أن تلازم الداعية، ويتصف بها، يقول الشيخ رحمة الله عليه:" تحلَّ بآداب النفس، من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر، من الوقار، والرزانة، وخفض الجناح، متحملاً ذل التعلم لعزة العلم، ذليلاً للحق.. "[(١)]

وأختم هذا المطلب بوصيّة جامعة وكلمات نافعة، سطرها الشيخ بكر عليه من الله الرحمة والرضوان، يوصي فيها بالقيام بواجب الدعوة، والانضواء تحت لواء الكتاب والسنة ومنهج أهل السنة والجماعة.

إذ ليس في الدنيا منهج أكثر وضوحاً، وقوة، وشمولاً، وتكاملاً، ولا أشد تأثيرًا من هذا المنهج القويم.

يقول الشيخ في وصيّته:" أوصيكم ونفسي بالقيام بهذا الواجب العظيم (الدعوة إلى الله) منضوين تحت لواء الكتاب والسنة لا غير، في قالب (جماعة المسلمين) أهل السنة والجماعة لا غير، وأيّ أمر يعرض لكم فاعرضوه على الكتاب والسنة، فإن قام عليه دليل سالم من معارض وإلا فأعرضوا عنه "[(٢)]

فالدعاة من علماء وطلبة علم، عليهم مسئولية كبيرة، وأمانة عظيمة، في تبليغ هذا الدين الخاتم، للناس كافة في كل زمان ومكان، بالوسائل المتاحة والأساليب المناسبة، كلٌّ حسب علمه وقدرته وموقعه.

فالدعوة ليست مهمة شخص معيّن، أو جهة مختصة؛ بقدر ما هي رسالة تُبلَّغ، وخلافة تُورَثُ وتورَّثُ، يأخذها الخلف عن السلف، بمنهجيتها، وآدابها. لتستقيم الحياة، وتسعد البشرية، ويعمّ الأمن والرخاء.

* * * *

---

(١) المصدر السابق، ص١٤ .

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص١٥٨، ١٥٩ .

الفصل الثاني: وسائل وأساليب الدعوة في منهج الشيخ بكر أبو زيد.

وفيه مدخل ومبحثان:

المدخل: يتضمن: أهمية استخدام الوسائل المناسبة، والأساليب المثلى في الدعوة.

المبحث الأول: الوسائل الدعوية في منهج الشيخ بكر.

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية في منهج الشيخ بكر.

مدخل:

بيان أهمية استخدام الوسائل المناسبة، والأساليب المثلى في الدعوة:

من سنن الله تعالى وحكمته أنَّ المقاصدَ لا تحصلُ إلاَّ بالوسائل، لذلك أمَرَ عز شأنه عباده باتخاذ الوسائل ومراعاة الأسباب الموْصلة إلى مقاصدها، فقال سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[(١)] .

لذا كان لزاماً على الدعاة البحث عن أفضل الوسائل وأنجع الأساليب المشروعة، ويسلكون في دعوهم ما يناسب أحوال المدعوين ويليق بهم. فكسب القلوب فن من الفنون له وسائله وأساليبه.

وأسر قلوب الآخرين مرهون بمدى إتقان الداعية الأدوات اللازمة لإيصال دعوته، ولكي "تصادف الدعوة محلاً قابلاً، ومنبتاً خصباً، بحيث يكون المدعوون مستعدين لقبولها، ليس عندهم من الموانع والصوارف ما يحول بينهم وبين قبولها"[(٢)]

وفي بيان أهمية استخدام الوسائل المناسبة والأساليب المثلى في الدعوة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه:

"القيام بالوجبات من الدعوة الواجبة وغيرها يحتاج إلى شروط يقام بها، وينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه، فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر والرفق عند الأمر؛ ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود "[(٣)].

فكلام شيخ الإسلام جعل الله الجنة مأواه عين الفقه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو جزء من الدعوة إلى الله تعالى، وهذا يتطلب معرفة الأساليب والوسائل

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٦٠) .

(٢) الدعوة إلى الله، محمد بن صالح بن عثيمين، ص٢٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، (ج ١٥ / ص ١٦٧)

المناسبة لكل مدعو.

وفي زماننا الحاضر خصوصاً يستلزم علينا معرفة أحدث الوسائل الموصلة للدعوة، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى –: "في وقتنا اليوم قد يسَّرَ الله عز وجل أمر الدعوة أكثرَ بطرقٍ لم تحصل لمن قبلنا، فأمور الدعوة اليوم متيسرةٌ أكثرَ مِنْ طرق كثيرة، وإقامة الحجَّة على النَّاس اليوم ممكنةٌ بطرق متنوعة"[(١)].

والكلام على أهمية الوسائل والأساليب يتطلب تعريف الوسائل والأساليب. ودليل مشروعيتهما. وما هي الضوابط في ذلك؟

أ-تعريف الوسائل والأساليب في اللغة والاصطلاح:

تعريف الوسيلة في اللغة: الوصلةُ والقُربى، وجمعها الوَسائل[(٢)]، قال الله تعالى:
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ .. ﴾[(٣)].
وجاء في معنى الوسِيلَةُ والواسِلَةُ أيضاً: المَنْزِلَةُ، والدَّرَجَةُ، والقُرْبَةُ. وَوَسَّلَ إلى الله تعالى توسيلاً: عَمِلَ عَمَلاً تَقَرَّبَ به إليه[(٤)].

تعريف الوسيلة في الاصطلاح: هي ما يتقرب به إلى الغير[(٥)].

وفي اصطلاح الدعاة: الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته[(٦)].

وقيل: هي ما يتوصل به إلى دعوة الناس بطريق شرعي صحيح"[(٧)].

تعريف **الأسلوب في اللغة:** الطرِيْقُ والمَذْهَبُ، ومنه: أسَاليب الشِّعْرِ ومَذَاهِبُه[(٨)].

والأساليب: هي الفنون المختلفة[(٩)].

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن باز، ص ١٦.
(٢) تهذيب اللغة، باب السين واللام، مادة (وسل) ، (ج ١٣ / ص ٦٧)
(٣) سورة الإسراء، آية (٥٧)
(٤) القاموس المحيط، باب اللام، فصل الواو، مادة (الوسيلة) ، (ج ٨ / ص٣٧٧)
(٥) التعريفات، ص ٨٤.
(٦) الدعوة إلى الله، ص١١
(٧) وسائل الدعوة، أ.د. عبد الرحيم المغذوي، ص١٦
(٨) المحيط في اللغة، الصاحب بن عبّاد، باب السين واللام والباء، (ج٨ / ص٣٢٨)
(٩) المفردات في غريب القرآن، كتاب السين، مادة (سلب)، (ج٢ / ص٣١٣) .

تعريف الأسلوب في الاصطلاح:

هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه. أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه. أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم (١) .

وقيل الأسلوب: هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال. أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعاني (٢) .

ويلاحظ على تعريفات الأسلوب الاصطلاحية السابقة اتجاهها نحو الأسلوب الأدبي، لذا فأقرب تعريف للأسلوب الدعوي:

"هو أن يكون الحديث ملائماً لأفهام الناس ومداركهم، فتكون الفكرة واضحة، والكلمة فصيحة، والعبارة متناسقة، والتركيب قوياً، ويكون هناك انسجام بين اللغة والمعنى، وسلاسة وإبداع في الأسلوب مما يحدث أثراً جمالياً في النفس، وكذلك هي أساليب الدعوة في القرآن والسنة"(٣) .

ب- مشروعية الوسائل والأساليب الدعوية في الكتاب والسنة:

يقول الله سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٤)

"أي كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٥) فقد جُمع في هذه الآية الكريمة: الوسيلة والأسلوب: فالقول وسيلة للتبليغ وإيصال المراد، والحسْنُ من الأساليب المتبعة في التأثير وسرعة الاستجابة.

وقال جل شأنه في الحث على اتباع الأساليب المثلى في الدعوة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد بن عبد العظيم الزرقاني، (ج ٢ / ص ٣٢٥)

(٢) الأسلوب، أحمد الشايب، ص٤٦

(٣) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار، ص٣٠

(٤) سورة البقرة، آية (٨٣)

(٥) تفسير القرآن العظيم، (ج١/ ص١٦٠)

سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١] .

أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بِالْحِكْمَةِ، أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده[٢].

وقال عز وجل: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[٣].

فأمر سبحانه موسى وهارون بإلانة القول لفرعون ـــ وهو طاغية ـــ لما في ذلك من التأثير في الإجابة، فإن التخشين بادئ بدء يكون من أعظم أسباب النفور والتصلب في الكفر، والقول اللين: هو الذي لا خشونة فيه.[٤]

والسنة المطهرة فيها من الوسائل والأساليب النبوية في الدعوة ما يفوق الحصر، سواءً في مكة أو المدينة أو غيرهما.

فمن الوسائل الدعوية خلال سيرته الشريفة في مكة المكرمة:

- الدعوة السّرِّيَّة.
- الجهر بالدعوة.
- دعوة الأقربين.
- التعرض للقبائل.
- الرحلة إلى الطائف.
- الأمر بالهجرة إلى الحبشة.
- هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة[٥]

---

(١) سورة النحل، آية (١٢٥) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٢٥.

(٣) سورة طه، آية (٤٤) .

(٤) انظر: فتح القدير، (ج٣ / ص ٤٥٦)

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، (ج١/ ص٢٥٦، ٢٨٠، ٣٤٤)، والبداية والنهاية، (ج٣/ ص٣٣، ٥٨، ٨٢، ١١٩، ١٤٧)، ومختصر السيرة النبوية، محمد بن عبد الوهاب،

ومن الوسائل الدعوية بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة:

- بناء المساجد: مثل مسجد قباء، ومسجده عليه الصلاة والسلام.
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
- المعاهدة مع يهود المدينة.
- الغزوات والسرايا للدفاع عن الدين وعن المسلمين، ونشر الإسلام.
- إرسال الكتب وبعث الدعاة إلى ملوك وعظماء الأمصار، لدعوتهم للدخول في دين الله، بلا إكراه.[(١)]

وأما الأساليب النبوية في دعوته صلى الله عليه وسلم فكثيرة جداً، وسأقتصر على ذكر اثنين منها: أحدهما في مكة، والآخر في المدينة:

١- قصة عتبة بن ربيعة، عند ما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه، قال: **"أقد فرغت يا أبا الوليد؟"** قال: نعم، **"قال: فاسمع مني"** قال: أفعل. **"فقال:** بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ .. ﴾[(٢)]".

=ص(٥٩، ٦٠، ٦١، ٨٢، ٨٣، ٩٢) ، والرحيق المختوم للمباركفوري، ص(٧٥، ٧٨، ٩٢، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٧) .

(١) انظر: السيرة النبوية، (ج٣/ ص٢٠ وما بعدها)، والبداية والنهاية، (ج٣/ ص١٧١، ١٩٥، ٢٠٦وما بعدها) ومختصر السيرة النبوية، ص (٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١١٠وما بعدها) ، والرحيق المختوم، ص (١٦١، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٤، ٤٢٤) .

(٢) سورة فصلت، الآيات (١ــ ٥) .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: "**قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك**..الخ"(١)

وفي هذه القصة من الأساليب النبوية عدة أساليب، منها على سبيل المثال:

-حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية البشرية، وإيصال الخير لكل الناس، بأيسر طريق وأحسن أسلوب.

-حسن الإنصات والاستماع للرأي الآخر حتى ولو كان كافراً، وإعطاؤه القدر الكافي للحديث، وهذا أدب من آداب الحوار أو الجدال.

-مناداته للمدعوين بأحب الأسماء أو الكنى لديهم، لبعث السرور والاطمئنان، تمهيداً للاستجابة، وهذا هو المقصود.

-تجلى أسلوب الحكمة في هذا الموقف، فبدلاً من الدفاع عن النفس، أو الهجوم على الآخر؛ استحسن الأخذ بإبراز المحاسن والمبادئ التي يؤمن بها من خلال قراءته لآيات من القرآن الكريم.

-الاستدلال بالكتاب والسنة المطهرة عند دعوة الآخرين.

-الجمع بين الوعد والوعيد في دعوة المخالفين، ظهر ذلك جلياً في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الآيات.

٢- قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي بال في المسجد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً**(٢) **من ماء أو سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**"(٣) .

---

(١) السيرة النبوية، (ج ١ / ص ٢٩٢) .

(٢) ذنوباً: أي دلواً من الماء. انظر: لسان العرب، حرف الباء، فصل الذال، مادة (ذنب) ، (ج١ / ص٣٨٩) .

(٣) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، حديث رقم (٥٥٦٦)، وباب: قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا، حديث رقم (٥٦٦٣)، وصحيح مسلم عن

ففي هذه القصة من الأسلوب النبوي الحكيم، والموعظة الحسنة، والرفق، والحلم، وبعد النظر؛ ما يفوق البيان، ويعجز عنه الوصف.

ضوابط وسائل وأساليب الدعوة:(١)

- أن تكون شرعية، متفقة مع أحكام الشريعة، ومنسجمة معها، وبعيدة عن الحرام والشبهة.
- أن تنضوي تحت مظلة الكتاب والسنة، وما أثر عن سلف هذه الأمة الصالح.
- مناسبتها للمدعوين ومقدرتهم على معرفتها، وفهم ما يراد إيصاله لهم من خير وصلاح.
- أن لا تؤدي إلى إحداث فتنة أو ضرر، أو تنافس بين الناس غير شريف أو محمود.
- الاهتمام بالأهم فالمهم من أمور الدعوة ومسائل الدين، وتتدرج في ذلك تدرجاً حكيماً يفيد المدعو وينفعه.

وعند الاختلاف في مشروعية الوسائل أو الأساليب فإنه يُرجَع في" تقدير ذلك لأرباب الحل والعقد في الأمة – وهم العلماء العاملون – لا لجهال المسلمين، ولا لمن تبنّى الدعوة على جهل وضلال، ولا لمن أخذ بالدعوة وهو أول الناكثين لها "(٢)

والشيخ بكر رحمه الله حث الدعاة على إيصال الدعوة بأيسر طريق وأفضل مسلك، عن طريق الوسائل المشروعة والأساليب المثلى، يقول الشيخ بكر جعل الله الجنة مثواه في بيانه لوسائل الدعوة:" وأما وسائل الدعوة فنحن مؤمنون غاية الإيمان من أن النبي صلى الله عليه وسلم ما لحق بالرفيق الأعلى، إلا وقد بين كل وسيلة دعوية غاية البيان، كالشأن في أمور الشريعة كافة فلنترسّم مدارج النبوة. أما (المستجدات) من (الأوصاف) فهي (أوعية) و (وسائط) للوسائل حتى كانت مقبولة في دائرة الشرع، فهذه تتبدل في كل زمان ومكان

=أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، حديث رقم (٤٢٧) .

(١) انظر: وسائل الدعوة، ص٢٠.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٣٦ .

بحسبه. مثل (التعليم) كان في رحاب المساجد، ثم امتد إلى أروقة المدارس، والمعاهد، والجامعات، ونحوها من الأمور المصلحية. فالوسيلة (التعليم) هي هي لم تتغير، لكن الوعاء لها وهو أن يكون في المدرسة فهذا لا محذور فيه ولا اعتراض عليه. ومثله: الدعوة بالكلمة كانت كفاحاً، وبعد اختراع الآلات صارت أوعية لها وهكذا"(١)

وقال فضيلته:" والدعوة تكون بالوظائف المرتبة في الإسلام: خطب الجمع، والعيدين، والحج، والتعليم، ومجالس الذكر والإيمان. والصدع بكلمة الحق: ببيانها حتى يكشف الله الغمة عن الأمة. وبفتوى عالم معتبر يغيّر الله بها الحال إلى أحسن "(٢)

فعلى الداعية إلى الله عز وجل أن يدعو الناس إلى دين الله تبارك وتعالى بكل وسيلة مشروعة، واختيار أحسن الأساليب وأفيدها، وأقربها للقبول والتأثير، والابتعاد عن الوسائل المحرمة، أو التي تحدث فتنة، فإن الوسائل لها حكم المقاصد، والغاية لا تبرر الوسيلة.

* * * *

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٨ باختصار.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٥ .

المبحث الأول: الوسائل الدعوية في منهج الشيخ بكر:

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: وسيلة طلب العلم.

المطلب الثاني: وسيلة الكتابة والتأليف، وإحياء التراث الإسلامي.

المطلب الثالث: وسيلة الإفتاء.

المطلب الرابع: وسيلة الإمامة والخطابة.

المطلب الخامس: وسيلة التدريس.

المطلب السادس: وسيلة القضاء.

المطلب السابع: وسيلة الانتساب للمؤسسات والمنظمات الدعوية الرسمية.

المطلب الأول: وسيلة طلب العلم:

ويشتمل هذا المطلب على توطئة، وفرعين اثنين:

الفرع الأول: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الفرع الثاني: اتخاذ الشيخ بكر طلب العلم وسيلة في تبليغ الدعوة.

توطئة:

حرص الشيخ بكر رحمه الله على استخدام الوسائل والطرق التي يستطيع من خلالها تبليغ الدعوة، وتمكينها في عقول ونفوس الناس سواء كانت هذه الوسائل تبليغاً بالقول الشفهي أو الكتابي، أم تبليغاً بالعمل أم بالقدوة، أو بما يكون سلاحاً لذلك كله.

فمن هذه الوسائل الدعوية في حياة الشيخ بكر غفر الله له: طلب العلم.

فالاشتغال بطلب العلم بنيّة خالصة أفضل من نوافل العبادات البدنية: من صلاة، وصيام، وتسبيح، ودعاء، ونحو ذلك، لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها، ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها، ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليس ذلك للمتعبدين، ولأن طاعة العلماء واجبة على غيرهم، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن بقاء العلم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة [١].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في العلم وفوائده:

"وجوب طلب العلم، وأنه فرض عين في كل أمر يحتاجه العبد، فإن الله أمرنا بأوامر كثيرة ونهانا عن أمور كثيرة. ومن المعلوم أن امتثال أمره واجتناب نهيه يتوقف على معرفة المأمور به والمنهي عنه وعلمه، فكيف يتصور أن يمتثل الجاهل الأمر الذي لا يعرفه، أو يتجنب النهي الذي لا يعرفه؟، وكذلك أمره لعباده أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن

---

(١) انظر: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة، ص١٣.

المنكر، يتوقف ذلك على العلم بالمعروف والمنكر، ليأمروا بهذا وينهَوْا عن هذا، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وما لا يحصل ترك المنهي عنه إلا به فهو واجب. فالعلم بالإيمان والعمل الصالح متقدم على القيام به، والعلم بضد ذلك متقدم على تركه؛ لاستحالة ترك ما لا يعرفه العبد قصداً وتقرباً وتعبداً حتى يعرفه ويميزه عن غيره"(١).

"فالعلم هو مفتاح كل خير، وهو الوسيلة إلى أداء ما أوجب الله وترك ما حرم الله، فإن العمل نتيجة العلم لمن وفقه الله، وهو مما يؤكد العزم على كل خير، فلا إيمان ولا عمل ولا كفاح ولا جهاد إلا بالعلم، فالأقوال والأعمال التي بغير علم لا قيمة لها، ولا نفع فيها بل تكون لها عواقب وخيمة، وقد تجر إلى فساد كبير.

وإنما يعبد الله ويؤدي حقه وينشر دينه وتحارب الأفكار الهدامة والدعوات المضللة والأنشطة المنحرفة بالعلم النافع، المتلقى عن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فجميع ما يقدمه أهل الباطل وما يلبسون به في دعواتهم المضللة وفي توجيهاتهم لغيرهم بأنواع الباطل وفي تشبيههم غيرهم فيما جاء عن الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كله يندحض ويكشف بما جاء عن الله ورسوله بعبارة أوضح، وبيان أكمل، وبحجة قيّمة تملأ القلوب وتؤيد الحق. وإنما يعمل أهل الباطل وينشطون عند اختفاء العلم وظهور الجهل، وخلو الميدان ممن يقول: قال الله وقال الرسول، فعند ذلك يستأسدون ضد غيرهم وينشطون في باطلهم، لعدم وجود من يخشونهم من أهل الحق والإيمان وأهل البصيرة"(٢).

فما أدلة طلب العلم؟، وكيف اتخذ الشيخ بكر طلب العلم وسيلة في تبليغ الدعوة؟، هذا ما يتضح من خلال الفرعين الآتيين:

---

(١) القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن سعدي، ص٣٥.

(٢) مجموع فتاوى و مقالات الشيخ ابن باز - (ج ٤ / ص٥٩، ٦٠)

الفرع الأول: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة:

لقد حرَصَ الأنبياء والمرسلون على طلب العلم، وسلك هذا الطريق أهل الفضل والصالحون. ففي شأن موسى عليه السلام مع الخضر، ومدى حرصه عليه السلام على طلب العلم، يقول الله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [1] .

وقال عز شأنه حاثاً المؤمنين على طلب العلم والتفقه في الدين، وأنّ طلب العلم مقدم على تبليغ الدعوة، بل هو من وسائلها المهمة: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [2] .

فهذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، والتفقه في الكتاب والسنة، وهذا يقتضي الحث على طلب العلم والندب إليه. وطلب العلم ينقسم إلى قسمين: فرض على الأعيان كالصلاة والزكاة والصيام، وفرض على الكفاية كتحصيل الحقوق وإقامة الحدود والفصل بين الخصوم ونحوه إذ لا يصح أن يتعلمه جميع الناس [3] .

وعن أبي الدرداء [4] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم** ....الحديث"[5] .

---

(١) سورة الكهف، الآيتين (٦٥، ٦٦)

(٢) سورة التوبة، آية (١٢٢) .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، (ج٨ / ص٢٩٣) .

(٤) عويمر بن زيد بن قيس، ويقال: عويمر بن عامر، ويقال: ابن عبد الله. وقيل: ابن ثعلبة بن عبد الله، وقيل: هو عويمر بن قيس بن زيد بن قيس، ويقال: اسمه عامر بن مالك. الانصاري الخزرجي. حكيم هذه الأمة، وسيّد القراء بدمشق. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج٢ / ص٣٣٥) .

(٥) رواه أحمد في المسند، كتاب: مسند الأنصار، باب: باقي حديث أبي الدرداء، حديث رقم (٢٠٧٢٣) ، والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة،

الفرع الثاني: اتخاذ الشيخ بكر طلب العلم وسيلة في تبليغ الدعوة:

اشتغل الشيخ بكر رحمه الله بطلب العلم على يد علماء أجلاء، وجَدّ فيه وسهر الليالي، وواصل الأيام، حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، وحاز قصب السبق في التأليف والتحقيق والإشراف العلمي، لمعرفته - غفر الله له - أنّ دعوة الأمة بغير علم تنذر بخطر قادم، وتضر أكثر مما تنفع. وتفرق أكثر مما تجمع.

فمن وسائل الدعوة المهمة، والمهمة جداً: طلب العلم والتأهل قبل التصدر، لتؤتي الدعوة ثمارها بإذن ربها.

لذا فالواجب أن تُعطى هذه الوسيلة ما يناسبها من الاهتمام، فينبغي على طالب العلم تحصيله والعناية به، وتعليمه والدعوة إليه، مقترناً بالإخلاص لله عز وجل، يقول الشيخ بكر أثابه الله حاثّاً على ذلك:

" إن النية مصححة العمل في قبوله والإثابة عليه، فمن طلب العلم ثم أراد أن ينفع به الأمة، فنيته ليست فاسدة "[(١)]

وقال رحمه الله: "الاشتغال بالعلم قراءة وإقراءً ومطالعة وتدبراً وحفظاً وبحثاً، لاسيما في أوقات شرخ[(٢)] الشباب ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رُتَب العلم العالية"[(٣)]

ومن أقواله في الحث على طلب العلم للعمل به والدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، اقتفاءً للأثر وتتبعاً للسُّنَن، قوله رفع الله منزلته في عليين:

=حديث رقم (٢٦٠٦) ، وأبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم، حديث رقم (٣١٥٧٩) ، وابن ماجه في سننه، كتاب: المقدمة، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم (٢١٩) ، وصححه الألباني. انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٢٣) ، ص٦٥.

(١) فقه النوازل، جزء في حق التأليف تاريخاً وحكماً، ص١٧٢ .باختصار وتصرف.

(٢) الشرخ: شَرْخ كل شيءٍ حرفه الناتئُ كالسهم ونحوه، وشَرْخُ الشباب أَوَّله ونَضارته وقُوَّته، انظر: لسان العرب، حرفُ الخاء، فصل الشين، مادة (شرخ) ، (ج ٣ / ص ٢٩) .

(٣) حلية طالب العلم، ص٦٢، ٦٣ .

" فيا طالب العلم! بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف "(١)

إلى أن قال أثابه الله: " فكن طالب علم على الجادّة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، وتدعو إلى الله على بصيرة"(٢)

وقد أثنى على الشيخ بكر في طلبه للعلم شيخه العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمهما الله تعالى فكان يقول للشيخ بكر:"ما أخذ عني علم الأنساب في هذه البلاد غيرك"(٣)

وكان حريصاً على طلب العلم فقد كان يحضر حلقة الشيخ الأمين في التفسير في رمضان لم يتخلف يوماً واحداً.(٤)

فلم يكن الشيخ بكر رحمه الله يقول كلاماً تنظيرياً ليس له في التطبيق مكان، بل كان يقول ويعمل، ويحث ويطبق، وهذا ما جعل دعوة الشيخ بكر وتوجيهاته تجد لها عند الناس مكاناً، وتؤثر في المدعوين تأثيراً عجيباً.

فطلب العلم وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وقد أشار العلامة ابن القيّم إلى اتخاذ طلب العلم وسيلة في نشر الإسلام وبيّن أهميته ومترلته، فقال رحمه الله:"فمن طلب العلم ليحيي به الإسلام فهو من الصديقين ودرجته بعد درجة النبوة"(٥) .

وقد نالت هذه الوسيلة النصيب الأوفى في حياة الشيخ بكر غفر الله له، فما وصل إلى ما وصل إليه من مكانة لولا طلبه للعلم، والجد والاجتهاد في الأخذ من العلماء الراسخين في العلم، وثني الركب في مجالسهم.

والصبر على ذلّ التعلم ساعة خير من تجرع ذلّ الجهل طول العمر.

* * * *

(١) المصدر السابق، ص٨٤ .

(٢) المصدر السابق، ص٨٥ .

(٣) ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص٢١٥.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص٢١٥.

(٥) مفتاح دار السعادة، ابن القيّم، (ج ١ / ص ٣٩٦)

المطلب الثاني: وسيلة الكتابة والتأليف، وإحياء التراث الإسلامي:

ويشتمل هذا المطلب على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المقصود بالكتابة والتأليف وإحياء التراث الإسلامي.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر الكتابة والتأليف وسيلة في تبليغ الدعوة.

الفرع الأول: المقصود بالكتابة والتأليف وإحياء التراث الإسلامي:

المقصود بالكتابة والتأليف: هو القيام بالكتابة في بعض الموضوعات التي تخدم الإسلام والمسلمين، وتهدف إلى نشر الدعوة[(١)].

وقد سطّر المسلمون أروع الأمثلة في تأليف الكتب وتصنيفها، ولا شك أنّ لتلك الكتب أهمية كبرى في نشر الدعوة الإسلامية.[(٢)]

والمقصود بإحياء التراث الإسلامي: التراث: الإرث. وهو ما يخلفه الرجل لورثته[(٣)].

والمقصود بالتراث هنا: ما ورثه الخلف من تراث السلف العلمي والتاريخي.

وإحياء التراث الإسلامي: هو القيام بنشر كتب ومؤلفات السلف الصالح وتحقيقها وتدقيقها وإعادة طباعتها، وإظهارها في حلل قشيبة تساير عصر الحضارة، وتماشي حاجته، وتسهّل على العالم والطالب الرجوع إلى هذا التراث والإفادة منه [(٤)] .

---

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم المغذوي، (ج٢/ ص٧٧٦) .

(٢) المصدر السابق، (ج٢/ ص٧٧٧) .

(٣) انظر: لسان العرب، حرف الثاء، فصل الواو، مادة (ورث) ،(ج٢/ ص١٩٩)، والقاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ص٣٧٧

(٤) انظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد المقري الفيومي، مقدمة المحقق: يوسف الشيخ محمد ص٣

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة:

جاء ذكر كتابة الكتب صريحاً في الكتاب العزيز، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

بل أمر الله بالكتابة وحث عليها كما في قوله عز وجل: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ .. ﴾ (٢).

وهذه الآية وإن كانت في حفظ الأموال؛ فحفظ الدين وتبليغ الرسالة الإلهية من باب أولى وأحرى.

وفي سنة المصطفى المختار - محمد صلى الله عليه وسلم - ما يبيّن أهمية الكتابة في نشر الدعوة الإسلامية، فقد كان له كتّاب يكتبون الوحي، وقد كاتب صلى الله عليه وسلم الملوك والحكام، وأرسل الرسائل إلى الأمصار يدعوهم للدخول في الإسلام عن طواعية واستسلام لله تعالى دون سواه.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر الكتابة والتأليف وسيلة في تبليغ الدعوة:

لا يقتصر الأمر بالاهتمام بالدعوة ووسيلة إبلاغ دين الله للبشرية على القول فقط، من خلال الدروس والمحاضرات وغيرها، بل يتعداه إلى النشر بالكتابة والتأليف والتحقيق، كلٌ على حسب استطاعته ونبوغه.

فالرباط على ثغور الإسلام يختلف؛ فكلٌ منَّا على ثغر من ثغور الإسلام. ونشر العلم وتبصير الناس، وبيان السنة والتحذير من البدعة؛ من أعظم الثغور. وقد يفتح الله على عبد في باب ما لا يفتحه على غيره. والشيخ بكر رحمه الله تعالى قد أنعم الله عليه، فكان على ثغور كثيرة في نشر العلم والتأليف والتحقيق وما سوى ذلك. فقلمه حسبك

---

(١) سورة البقرة، آية (٧٩) .

(٢) سورة البقرة، آية (٢٨٢)

به من قلم، بفضل الله كان هذا القلم رحماً ولوداً لكثير من أنواع العلم. كُتُبٌ في غاية التحقيق، ألفاظ في غاية البلاغة، قلة مبنى، وعظيم معنى، قوة في المبنى مع اختصار غير مخل، وأثر عظيم في المعنى مع عدم الاستطراد الممل [١].

يقول الإمام ابن الجوزي[٢] رحمه الله تعالى في بيان أهمية التصنيف، وعظم فوائده: "رأيت من الرأي القويم أنّ نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة. لأنّي أشافه في عمري عدداً من المتعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد. و دليل هذا أنّ انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم.
فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنف صنف. وليس المقصود جمع شيء كيف كان، و إنما هي أسرار يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده و يوفقه لكشفها، فيجمع ما فرق، أو يرتب ما شتت، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد"[٣].

من أجل ذلك فقد اعتنى الشيخ بكر ـــ يرحمه الله ـــ بنشر الكتب المفيدة النافعة، وذلك حرصاً منه على نشر العلم النافع الذي يساعد على العمل الصالح فوّجه عنايته الخاصة إلى تأليف وطبع الكتب القيمة، والاهتمام بنشر كتب العلوم الإسلامية التي ألّفها العلماء من صالح سلف الأمة وخَلَفِها رحمهم الله تعالى.

يقول الشيخ بكر أثابه الله تعالى:

" المؤلفات في العلوم الشرعية من واجب البلاغ إلى الأمة "[٤]

---

(١) راجع: دروس وعبر من حياة الشيخ بكر. مادة مسجلة.

(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد. ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ الملقب جمال الدين الحافظ؛ كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ. صنف في فنون عديدة. اختلف في تاريخ ولادته. توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (ج٣ / ص١٤٠ــ ١٤٢) ، باختصار.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص٣٠٧ــ ٣٠٨.

(٤) فقه النوازل، جزء في حق التأليف، (ج٢/ ص١٧١) ، باختصار .

وقال طيب الله ثراه:

" فالتأليف في العلوم الشرعية مثلاً كالطلب لها، يتعين أن تكون له بنية صادقة خالصة "(١)

وفي عظم نفع الكتب والتآليف، أفاد قائلاً رحمه الله:

" كم رأينا من تأليف مبارك نفع الله به أقواماً وهدى به آخرين، فانتشر بين المسلمين انتشار الشمس ..الخ"(٢) .

وأفادنا الشيخ بكر رحمه الله بجواز أخذ الجوائز على تأليف الكتب، وفيها تحفيز على الجد والاجتهاد في البحث والكتابة، يقول فضيلته:" وأما خبر الجوائز على التأليف وقبول العلماء لذلك من غير نكير فأمر يضيق عنه الحصر"(٣) .

وقد أفرد الشيخ حقوق التأليف برسالة قيمة موسومة بـــ(حق التأليف تاريخاً وحكماً) احتوت على فن الطباعة وتاريخها، وحقوق المؤلف في المجالات الدولية والحكومية والفردية، وبيان حق النشر والتوزيع.

ويتضح من الواقع أنّ الشيخ بكراً – رحمه الله –صاحب اهتمامات واسعة في مجالات عديدة، مثل تآليفه القيمة في المعاملات المصرفية، والبطاقات التجارية، والنوازل الطبية المعاصرة، والحسابات الفلكية، والبوصلة، ولعل أبرز مجال ركّز عليه الشيخ هو مجال الرد على أهل الأهواء والبدع، وأصحاب الكتابات المنحرفة عن النهج القويم، ببيان أباطيلهم، ومكامن الخلل عندهم، وقد اتسمت ردود الشيخ بالجرأة والقوة والعمق وفهم الواقع.

كما تميّزت هذه الردود بربطها بمسائل العقيدة، وقد كان الشيخ دائماً يربط الأمور الفرعية بالأصول، وأهمية التمسك بالكتاب والسنة، والأخذ من معينهما وفق فهم السلف الصالح، وطرح كل ما يخالف هذين الأصلين.

---

(١) المصدر السابق ، (ج٢/ ص١٧٨) .

(٢) المصدر السابق، (ج٢/ ص١٦٣) .

(٣) المصدر السابق، (ج٢/ ص ١٤٥) .

يقول فضيلته:" فالرد على بعض أهل البدع والأهواء: باب شريف من أبواب الجهاد عظيم، وكيف لا يكونون كذلك، وهم في موقع الحراسة وأفضل الجهاد "[(١)].

إلى أن قال: " فالرد على أهل الباطل، ومجادلتهم، ومناظرتهم، حتى تنقطع شبهتهم ويزول عن المسلمين ضررهم، مرتبة عظيمة من منازل الجهاد باللسان، والقلم أحد اللسانين "[(٢)].

فالكتابة وتأليف الردود على المخالفين من الجهاد في سبيل الله؛ إذ أنّ اللسان أداة لردع المنكر ووسيلة لإظهار الحق، وقد صح من حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم"**[(٣)].

ومن أعظم جهود الشيخ بكر ووسائله في الدعوة إشرافه على بعض المشاريع العلمية، ومن أهمها: آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، وآثار الإمام ابن قيّم الجوزيّة وما لحقها من أعمال. وآثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وآثار الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي.

وكان يهدف الشيخ بكر من تحقيق المخطوطات ونشرها ما ذكره فضيلته بقوله:" إنقاذ المخطوط ونشر ما فيه، واستشعار عظمة الماضين، وانتفاع من شاء الله من عباده به، وتقوية إعداد الأمة في الحاضر، ومد آمالها المستقبلية على جسور من العلم والمعرفة، وتحريك الهمم وشحذ الأذهان بالعلم والبحث"[(٤)].

---

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٣٩ .

(٢) المصدر السابق، ص٣٩

(٣) مسند الإمام أحمد، كتاب: مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك، حديث رقم (١١٧٩٨، ١٢٠٩٧، ١٣١٤٦) ، وسنن الدارمي، كتاب: الجهاد، باب: في جهاد المشركين باللسان واليد، حديث رقم (٢٣٢٤) ، وسنن أبي داود، كتاب: الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو، حديث رقم (٢١٤٣) ، وسنن النسائي، كتاب: الجهاد، باب: وجوب الجهاد، حديث رقم (٣٠٤٥) ، وصححه الألباني، انظر: سنن أبي داود بتحقيق الألباني، حديث رقم (٢٥٠٤) ، ص٤٤٠.

(٤) المجموعة العلمية، بكر أبو زيد، رسالة في الرقابة على التراث، ص٢٨٠

فالداعية إلى الله يحرص كل الحرص على إحياء تراث السلف سواء كان ذلك التراث من الكتب، أو الرسائل، أو الفتاوى؛ المطبوع منها، والمخطوط؛ لإيصال الخير للخلق، والمحافظة على سلامة المنهج القويم، وصد العاديات من العبث بمقدرات الأمة، وتراثها الرائع الأصيل.

كما لا يستهان بجهود دُور النشر في نشر العلم، وتوزيع الكتب النافعة، وإبلاغ الدعوة الإسلامية للناس، خاصة في العصر الحديث، يقول فضيلة الشيخ بكر أثابه الله: "فإن دُور النشر: هي من أعظم الوسائل في هذا العصر لنشر العلم وتسويق كتبه نشراً للإبداع والابتكار "(١)

لقد فاق الشيخ بكر في مجال التأليف والرد المكتوب، لما وهبه الله من علم غزير، وفكـر منير، وذهن متقد، وهمّة عالية، وبحث دؤوب، وكان - رحمه الله -قوياً في موضع القوة، حازماً في موضع الحزم، صفتان لم يفقداه التوازن، ولم يجنح إلى المثيرات، بل جمع بـين الأدب الجم، وسلوك سبيل الحزم، حتى مع المخالفين أو المعاندين.(٢)
وكان الشيخ بكر - رحمه الله -يعيش هموم عصره، ونوازل المـسائل في وقتـه، يفـرد للمسألة الواحدة بحثاً، ويؤلف لها رسالة أو كتاباً، يؤصلها بعلم وفير، ونظر ثاقب سديد، ويناقشها على ضوء الكتاب والسنة، مع الدليل والتعليل، حتى تخرج بأجمل حلة، وأحسن عبارة، نافح عن السنة النبوية، وقرب للأمة الأحكام الشرعية، متحرياً في ذلك الـدليل والصواب، والكمال لله والعصمة لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ، وحسبه أنّه مجتهد، والمجتهد إنْ أصاب فله أجران، وإنْ أخطأ فله أجرٌ.(٣)

---

(١) فقه النوازل، جزء في حق التأليف، ص١٨٦.
(٢) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد (١٠٦٧٦) وتاريخ ١٣ صفر ١٤٢٩هـ، مقالة للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد بعنوان: "حراسة حق وفقه نوازل وجهاد قلم"، ص١٦.
(٣) انظر: مجلة الدعوة، العدد (٢١٣١)، ١٤صفر ١٤٢٩هـ، مقالة للشيخ متعب بن سليمان الطيار، بعنوان: "عالم عاش هموم عصره ونوازله"، ص٦٦ .

وقد كان رحمه الله يتأنّى في التحرير حتى إنّ بعض المؤلفات تبقى عنده سنين بين المراجعة وإعادة النظر؛ لتخرج في أجمل حلة، وأجود مضمون.

يقول الشيخ رحمه الله:"انتهى ما أردتُ تحريره [يقصد رسالته: جزء في مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء] في المدينة النبوية في عام أربع وتسعين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية، ثم أعدت النظر فيه وتم نسخه صباح الاثنين الموافق لليوم السابع من الشهر الحادي عشر من عام ثلاثة بعد الأربعمائة والألف من الهجرة بالطائف"(١)

وكان رحمه الله يستخلص بعض رسائله وتآليفه من نحو مئتي كتاب أو أكثر(٢).

ومع ذلك الجهد الوفير، والخير الكثير في تآليفه لا ينسب الفضل لنفسه، بل يقول غفر الله له: "وجميع ما ذكرته ليس لي فيه من فضل سوى الجمع والترتيب"(٣) وهذا عين التواضع واحتقار الذات.

وهذا ما جعل كتبه وردوده تكتسب القوة ويكتب لها القبول والفائدة والتأثير البليغ في قلوب الناس، وقد كانت وسيلة مهمة من وسائل الدعوة في حياة الشيخ رحمه الله وبعد وفاته. إذ أنّ شرائح المجتمع تختلف، فليس كل الناس يستفيد من طريقة الإلقاء والمشافهة من خلال الدروس أو المحاضرات أو الندوات وغيرها، فالكتاب وسيلة من وسائل طلب العلم، هذا من جانب، ومن جانب آخر هو وسيلة دعوية لمؤلفه، يستطيع من خلاله إيصال ما يريد إلى عقول القراء بطريقة محبوبة، وميسرة.

كما ينبغي أن تكون الكتابة محصورة في المفيد، كالكتابة في الزوايا التي نظر إليها الشيخ بكر في المكتبة الإسلامية فوجدها تحتاج إلى بسط وبيان، فكانت كتبه وبحوثه نوادر لا مثيل لها، وكتب الله لها القبول عند الجميع، وتلقفها الناس بالشراء والاقتضاء.

* * * *

---

(١) جزء في مسح الوجه باليدين بعد رفعهما للدعاء، بكر أبو زيد، ص٧٥.

(٢) انظر: حراسة الفضيلة، ص١١.

(٣) النظائر، بكر أبو زيد، ص١٧.

المطلب الثالث: وسيلة الإفتاء:

ويشتمل هذا المطلب على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: المقصود بالإفتاء.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر الإفتاء وسيلة في تبليغ الدعوة.

الفرع الأول: المقصود بالإفتاء:

الإفتاء في اللغة: أفتاه في الأمر: أي أبانه له، وأفتاه في المسألة يفتيه إذا أجابه، والاسم الفتوى، وهي بمعنى الإفتاء، والفُتيا تبيين المشكل من الأَحكام. والفُتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه [(١)] .

والإفتاء في الاصطلاح: هو قيام المفتي بجواب المستفتي، وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام [(٢)].

ومن المعنى اللغوي والاصطلاحي: يتضح أنّ الإفتاء له أربعة أركان: مفتي ومستفتي واستفتاء وفتوى. فالاستفتاء من المستفتي، والفتوى من المفتي.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة:

يقول الله جل شأنه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ .. ﴾[(٣)]، وجاء في آية كريمة أخرى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ .. ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: لسان العرب، حرف الواو والياء، فصل الفاء، مادة (فتا) (ج١٥/ ص١٤٥) .

(٢) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص١٦٠

(٣) سورة النساء، آية (١٧٦) .

(٤) سورة المائدة، آية (٤)

ويقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(١)] .

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بإفتاء المستفتين، والرد على استفسار السائلين، فكان الإفتاء وسيلة من وسائل الدعوة النبوية، وسبيلاً من سبل نفع الناس.

فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: **"ويلك وما أعددت لها"** قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله قال: **"إنك مع من أحببت"**[(٢)] .

وثبت أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فأجابه بجواب كاف شاف، فعن أبي هريرة رضي الله قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"هو الطهور ماؤه الحل ميتته"**[(٣)]، وهذا الحديث قيل إنه نصف العلم؛ لأن الدنيا بر وبحر، فهذه فتوى في البحر وبقي البر.

---

(١) سورة النحل آية (٤٣) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في قول الرجل (ويلك) ، حديث رقم (٥٧٠١) ، وباب: علامة حب الله عز وجل، حديث رقم (٥٧٠٥) ، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، حديث رقم (٤٧٧٥، ٤٧٧٦، ٤٧٧٧، ٤٧٧٨) .

(٣) موطأ مالك، كتاب: الطهارة، باب: الطهور للوضوء، حديث رقم (٣٧) ، ومسند أحمد، كتاب: كتاب: مسند المكثرين، باب: مسند أبي هريرة، حديث رقم (٦٩٣٥، ٨٣٨٠، ٨٥٥٧) ، وسنن الدارمي، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء من ماء البحر، حديث رقم (٧٢٢، ٧٢٣) ، وسنن الترمذي، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، حديث رقم (٦٤) ، وسنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب: الوضوء بماء البحر، حديث رقم (٧٦) ، وسنن النسائي، كتاب: المياه، باب: الوضوء، حديث رقم (٣٣٠) ، وكتاب: الصيد والذبائح، باب: ميتة البحر، حديث رقم (٤٢٧٥) ، سنن ابن ماجه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: الوضوء بماء البحر، حديث رقم (٣٨٠) ، وكتاب الصيد، باب: الطافي من صيد البحر، حديث رقم (٣٢٣٧) . قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، انظر سنن الترمذي بتحقيق الألباني، ص٢٧.

وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على من يفتي بغير علم فعن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال: **"قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال** ...الحديث"[(١)] .

فالأدلة الشرعية تدل على عظم الفتوى وخطرها وأنه لا ينبغي أن يتصدى لها إلا أهل العلم: المعروفون بالرسوخ في العلم والتقوى.

ومن العلماء الذين تصدروا للفتوى فضيلة الشيخ العلامة بكر أبو زيد رحمة الله عليه، لما اتصف به أثابه الله من علم وحلم ودراية. لذا أخذت فتاواه تجد مكانها في قلوب الناس، وتحظى بالقبول والثقة.

وقد كانت الفتوى عند فضيلته وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، كما سيبينه الباحث فيما يلي:

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر الإفتاء وسيلة في تبليغ الدعوة:

اتخذ الشيخ بكر رحمه الله وسيلة الإفتاء باباً من أبواب الدعوة إلى الله عز وجل، وهي وسيلة مهمة في بيان الأحكام الشرعية للناس، وتوضيح الحلال والحرام؛ حتى يسلك العباد طريق الحلال، ويجتنبوا طريق الحرام بكل صوره وأشكاله.

"فالإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل؛ لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقائم بفرض الكفاية، لكنه معرض للخطأ، ولهذا قالوا: المفتي موقع

---

(١) مسند أحمد، كتاب: مسند بني هاشم، باب: مسند ابن عباس، حديث رقم (٢٨٩٨) ، وسنن الدارمي، كتاب: الطهارة، باب: المجروح تصيبه الجنابه، حديث رقم (٧٤٥) ، وسنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب: في المجروح يتيمم، حديث رقم (٢٨٤، ٢٨٥) ، سنن ابن ماجه، كتاب: الطهارة وسننها، باب: في المجروح تصيبه الجنابه فيخاف على نفسه، حديث رقم (٥٦٥) . حسنه شعيب الأرنؤوط كما في تحقيقه لمسند الإمام أحمد، (ج٥/ ص١٧٣) .

عن الله تعالى"[١] .

وقد تصدَّر الشيخ بكر رحمه الله للفتوى بشكل رسمي ــ وهو أهلٌ لها ــ بعد صدور الأمر السامي الكريم بتعيينه عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وعضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء، من عام ١٤١٢هـ حتى عام ١٤٢٦هـ العام الذي اعتذر فيه عن عضوية هيئة كبار العلماء وعضوية اللجنة الدائمة للإفتاء لظروفه الصحية التي حالت دون استمراره في الدعوة إلى الله عبر هذا المنبر المبارك.

يقول الشيخ بكر يرحمه الله عن حاله في الإفتاء: "إن أسئلة الناس فتحت لي أبواباً من الخير، وذكّرتني بعض ما نسيت، فهذا سؤال في كذا، وهذا سؤاله فتح عليَّ باب كذا، يقولها وهو يبتسم ضاحكاً"[٢] . رحمه الله رحمة واسعة.

وتحدث الشيخ بكر غفر الله له عن أول أمره في دار الإفتاء، قائلاً: " قبل أن آتي إلى دار الإفتاء وأبدأ في تلقي أسئلة الناس من كل مكان من داخل المملكة وخارجها بأنواعها وأصنافها كنت أظنّ أني قد حويت العلم كله، ولكني لما جلست وبدأت أسمع استفتاءات الناس وجدت أنه ليس لديَّ من العلم إلا قطرات"[٣] .

وقد زاره أحد الأشخاص في مكتبه بالإفتاء ووجد عنده ورقة صغيرة كان قد وضعها على مكتبه، عليها رقم شخص مع اسمه، قال الشيخ بكر: هل ترى هذه الورقة مع هذا الرقم؟ قال نعم، قال: هذا اتصل بي وسألني عن أنه طاف في سطح الحرم، فهل يجوز له أن يدخل من خلال المسعى أثناء الطواف؟ أم ينبغي له أن يتجنب دخول المسعى؟ يقول الشيخ بكر فبحثت هذه المسألة فيما عندي من معلومات فلم يتيسر لي، فأخذت

---

(١) مقدمة المجموع للإمام النووي، (ج١/ ص٩٢) .
(٢) دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، مادة مسجلة.
(٣) صحيفة المدينة، العدد (١٦٣٨٢) ملحق الرسالة، بتاريخ ٢٢ صفر١٤٢٩هـ مقالة بعنوان: "بكر أبو زيد عالم أمة، وواسع علم، تئن تحت وطأة يده الأقلام"، د. محمد بن عبد الرحمن العريفي، ص٤، ورحيل الشيخ بكر، د. محمد بن عبد الرحمن العريفي، مادة مسجلة.

رقمه، وقلت له: سأبحث مع المشايخ في المسألة، وأنظر فيها، وأتأمل، ثم أتصل بك، وأرد عليك الجواب [١] .

والفتيا لا ينبغي أن يتصدّر لها إلا المتأهل الذي نال من العلم والخبرة ما يعينه على التوقيع عن رب العالمين، وتأكيداً على أهمية هذه المسألة يقول الشيخ بكر رحمه الله:" القضاء والفتيا والتدريس لا يتولى أيّاً منها إلا المتأهل"[٢]

وفي ظاهرة التعالم في الفتيا، يقول فضيلته:" والفتوى جمرة تضطرم [٣] ، فاسمع ما شئت من فتاوى مضجعة، محلولة العقال مبنية على التجرّي لا التحرّي، تعنت الخلق وتشجي الحلق، لا تقوم على قدمي الحق، بل ولا على قدمي باطل وحق، فهم في انتظار تصرف الوالي لتبريره على ضوء الشرع المطهر. وأكبر دليل على هذا اضطراب حبل الفتيا، واستمرارهم أخياف [٤] مختلفون، ومنه ما تراه في أحوال بعض المنتسبين إلى العلم تراه قد غرز قدميه في بقعة التعالم، لا يرى من يعشره، مسروراً بما يساء به اللبيب، يأنف من التجاسر [٥] على صرف المستفتي بلا جواب، فيتجاسر على القول على الله بلا علم، ويفتي اجترارًا من معلومات عفى عليها الزمن، ولا يدري كيف يستلها من مطاوي الكتب، بانياً على الظن، والظن أكذب الحديث، بل تراه ــ وسبحان الفتاح العليم ــ

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٤.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص١٥٢.

(٣) تضطرم: تشتَعِل. تاج العروس، فصل الضاد مع الميم، مادة: (ضرم) (ج٣٢ /ص ٥٣٧)

(٤) الأخياف: جمع خيف، والْخَيْفُ: ما ارتفع من مَجْرَى السَّيْلِ، وانحدرَ عن غَلَظَ الْجَبَل. وأخْيَافٌ أي: مُخْتَلفونَ . وإخْوَةٌ أخْيَافٌ: أمُّهُم واحدَةٌ والآباءُ شَتَّى. والأخياف أيضاً: الأطوار، والناس أخياف: أي على حالات شتى، لا يَسْتَوُون. انظر: تهذيب اللغة، باب الخاء والفاء، مادة: (خيف) ، (ج٧ / ص٥٩٠) ، والقاموس المحيط، باب الفاء، فصل الخاء، مادة (خاف) ، (ج٣ / ص١٨٧) والمحيط في اللغة، باب الخاء والفاء، مادة (خيف) ، (ج٤ / ص٤٢٢) .

(٥) الجَسْرُ: جَسَرَ يَجْسُرُ جُسُوراً وجَسارَةً: مضى ونفَذ. وجَسَرَ على كذا يَجْسُر جَسارَةً وتَجاسَر عليه: أَقدم. والجَسُورُ: المِقْدامُ. ورجل جَسْر وجَسُورٌ ماضٍ شجاعٌ. لسان العرب، حرف الراء، فصل الجيم، مادة (جسر) ، (ج٤ / ص١٣٦) والمقصود بالتجاسر على الفتيا: هو الإقدام عليها من غير علم ولا تثبُّت. (الباحث) .

يشرع في الجواب قبل استكمال السؤال، ويلتفت يميناً وشمالاً، ويحفّ [١] ويرفّ [٢] على الحضور مختالاً بجوابه الإنشائي المهزول، يفتي في وقت أضيق من بياض الميم [٣]، أو من صدر اللئيم، بما يتوقف فيه شيوخ الإسلام، وأئمته الأعلام"[٤]

وحثّ الشيخ رحمه الله ولاة أمور المسلمين على حسن اختيار المفتين، ومنع من ليس بأهل للفتوى، وحتى لا يساء الظن بالشريعة المطهرة، فيقول فضيلته: " فيجب على من بسط الله يده، أن يقيم سوق الحجر في الفتيا على المتعالمين، فإن الحجر لاستصلاح الأديان أولى من الحجر لاستصلاح الأبدان والأموال، وإن الوالي إن لم يجعل على الفتيا كبلاً [٥] فسيسمع لها طبلاً [٦] ، وأن لا يُمكَّن من بذل العلم إلا المتأهل له"[٧]

وكان الشيخ بكر رحمه الله يقول:" من ابتلي بشيء من أمر الفتيا أن يبصر حال أمته ويبصر أوضاعها وماذا يراد بها، ليتوقى عند إصدار الفتوى من فتيا تكون سُلّماً للمآرب المهينة "[٨].

---

(١) حَفَّ القومُ بالشيء وحَوالَيْه يَحُفُّونَ حَفّاً وحَفُّوه وحَفَّفوه: أَحْدَقُوا به وأَطافُوا به وعَكفوا واسْتَداروا. لسان العرب، حرف الفاء، فصل الحاء، مادة: (حفف) ، (ج٩ / ص٤٩) .

(٢) رفَّ الشيء يرف، إذا بَرَقَ وتَلألأَ. وأما ما كان من جهة الاضطراب فالرفرفة، هي تحريك الطائر جناحيه. والرَّفُّ: الرِّيقُ الذي يُرْتَشَفُ. مقاييس اللغة، كتاب الراء، باب الراء وما معها، مادة (رف)، (ج٢ / ص٣٧٦) تاج العروس، باب الفاء، فصل الراء مع الفاء، مادة (ر ف ف)، (ج٢٣ / ص٣٥٦) . وأما قول الشيخ بكر: "يحفّ ويرفّ" فهو كناية عن الاضطراب والحركة والدوران المصحوب بالزهو والتعالي. (الباحث) .

(٣) كناية عن السرعة في الإفتاء من غير تروٍّ ولا تثبّت. (الباحث).

(٤) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٣١ باختصار.

(٥) الكَبْل: يدل على حبس ومنع. من ذلك الكبل: القيد الضخم. يقال: كَبَلْت الأسير وكبّلته. مقاييس اللغة، باب الكاف والباء، مادة (كبل)، (ج٥ / ص١٥٥)

(٦) الطَّبْلُ: الذي يضرب به. و طَبْلُ الدراهم ما تعد عليه. مختار الصحاح، باب الطاء، مادة (طبل)، ص٣٤١.

(٧) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٤١.

(٨) التمثيل: حقيقته وتاريخه وحكمه، ص٥٩ باختصار وتصرف.

وفضيلة الشيخ بكر لا يتسرّع في الفتوى، أو يفتي وهو لم يحرر المسألة، أو أنها تحتاج إلى إعادة نظر. فعندما عقد مبحثاً في حكم بيع الآدمي لدم أو عضو فيه، وهل كما يجوز هذا البيع من الحي لدمه، والميت لعضو منه قبل موته – يجوز لوارثه؟، فقال بكل جرأة وتقوى قلَّ نظيرها:

" كل هذه أمور وأحوال لا بد من تحرير الحكم فيها للترابط بينها، وهي بحاجة إلى نظر من حاز السبق في الفقه والتفقه، وجميع ما ذكرته في هذه الرسالة من مواطن الخلاف أسوقه بحثاً ولم أجرؤ على الانفصال عنه برأي "(١)

وقال فضيلته:" هناك فروع تتعلق بزكاة العقار عدلت عن ذكرها؛ لأنه لم يتحرر لي الحكم فيها"(٢)

فعندما ترى تقوى الشيخ بكر وعدم التجرّؤِ على الفتوى إلا بعد التثبّت وتحرير المسألة، ومعرفة كل جوانبها تعطي الثقة بلا شك في علمه وفتواه وهذا حري بقبول دعوته وتثمين جهوده المباركة في الدعوة إلى الله تعالى.

فالإفتاء من وسائل الدعوة إلى الله، وباب من أبواب إيصال الخير للناس، ورفع الجهل عنهم، ولكن ينبغي أن يكون محصوراً في المتأهل ــ والمتأهل فقط ــ حتى لا يجني على نفسه وعلى الأمة، ويذيقها من تبعات جهله وعدم إدراكه للعواقب ما لا يمكن حصره.

* * * *

---

(١) فقه النوازل، بحث في التشريح الجثماني والنقل والتعويض الإنساني، (ج٢/ ص٦٢) .

(٢) فتوى جامعة في زكاة العقار، ص٣٠

المطلب الرابع: وسيلة الإمامة والخطابة:

ويشتمل هذا المطلب على فروع ثلاثة:

الفرع الأول: المقصود بالإمامة والخطابة.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر الإمامة والخطابة وسيلة في تبليغ الدعوة.

الفرع الأول: المقصود بالإمامة والخطابة:

الإِمامُ: كل من ائتَمَّ به قومٌ كانوا على الصراط المستقيم أَو كانوا ضالِّين، ومنه: إمام الصلاة، والإمام: الذي يُقتدى به، وإمام كل شيء: قيّمه والمصلح له[1].

والإمام في الصلاة: من يتقدم المصلين ويتابعونه في حركات الصلاة[2].

فالمقصود بالإمامة: تقدم المصلين في الصلاة؛ للاقتداء به ومتابعته.

والخُطْبَة: اسمٌ للكلام الذي يَتَكَلَّمُ به الخَطِيب.[3]

والمقصود بالخطابة: هي الموضوعات التي يقوم الخطيب بصياغتها وإلقائها على الناس[4]

والخطيب هو الذي يقوم بإلقاء الخطبة على الناس.

وأعني بالخطابة هنا: خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء، وغيرها.

وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم ين الإمامة و الخطابة في موضع واحد، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **" إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت "**[5].

---

(١) انظر: لسان العرب، حرف الميم، فصل الهمزة، مادة (أمم)، (ج١٢/ ص٢٤)، والمصباح المنير، كتاب الألف مادة (أمّ) ، (ج١/ ص ٣)

(٢) انظر: مختار الصحاح، باب الألف، مادة (أ م م) ص٢٢

(٣) انظر: لسان العرب، حرف الباء، فصل الخاء، مادة (خطب) ، (ج ١ / ص ٣٦٠)

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، (ج٢/ ص٧٥٢)

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الجمعة باب: الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، حديث رقم (٨٨٢) ، وصحيح مسلم، كتاب: الجمعة، باب: في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة، حديث رقم (١٤٠٤، ١٤٠٥) .

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الإمامة في الصلاة ولاية شرعية ذات فضل، وممّا جاء في فضلها: قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: " **يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله .. الحديث**"[١]، وأقرأ الناس هو أفضلهم.

وقد تولاها النبي – صلى الله عليه وسلم – بنفسه، وكذلك خلفاؤه الراشدون، وما زال يتولاها أفضل المسلمين علماً وعملاً.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر الإمامة والخطابة وسيلة في تبليغ الدعوة.

والإمامة في الصلاة لها شأنها ومكانتها المرموقة في الإسلام، فالإمامة فضلها مشهور، وأجرها مذكور، وهذا ما جعل الشيخ بكراً أثابه الله يعطيها نصيباً من وتوجيهاته سواءً للإمام أو المأموم، فمن نصائحه للإمام في الصلاة قوله رحمه الله:

" فيجب على من وفقه الله وأم الناس في الصلاة، أن يتقيد بالسنة، وأن لا يوظف مزاجه، واجتهاداته مع قصور أهليته، وأن يستحضر رهبة الموقف من أنه بين يدي الله تعالى وفي مناجاته، وأنه في مقام القدوة "[٢]

وحثّ الشيخ بكر رحمة الله عليه المأمومين على الاقتداء بالإمام وإحسان الظن به، قائلاً: " يجب على المأموم إحسان الظن بإمامه في الصلاة، وأن يتحلى بالتحمل، وأن لا يبادر إلى الاستنكار إلا بعد التأكد من أهل العلم والهداة، ومن ثم يكون تبادل النصيحة بالرفق واللين، والبعد كل البعد عن التشنيع وإلحاق الأذى به .. "[٣].

والخطابة أيضاً لها وزنها في الإسلام، وهي من وسائل الدعوة الإسلامية، فالخطبة يقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة، حديث رقم (١٠٧٨، ١٠٧٩) .

(٢) دعاء القنوت، ص١٥

(٣) المصدر السابق، ص١٦ .

بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنانه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها[١]

ويستحب للخطيب أن يكون واقفاً على منبر، مقبلاً على الناس بوجهه، رافعاً صوته، هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبه، فكان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم.[٢]

ولأهميتها وجب الإنصات لخطبة الجمعة، وعدم الانشغال عنها بغيرها؛ وجاء النهي عن مس الحصى وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على الخطبة، والمراد باللغو هنا الباطل المذموم المردود[٣].

و"للخطابة أهمية كبرى في نشر الدعوة إلى الله وتبليغها للناس منذ بدء الرسالة، إذ هي الوسيلة المثلى في بيان أحكام الإسلام وشرح مبادئه وإيضاح مسائله للناس. والخطابة كانت ولا تزال هي أكثر الوسائل الدعوية فعاليّة في نشر الدعوة الإسلامية، وبث الأفكار والآراء وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من مختلف الطبقات، ومختلف المستويات، والخطب أسرع إلى فهم العامة، وأبلغ في التأثير على الجماهير، ولها مفعول مباشر وسريع في توجيه الرأي العام"[٤].

"وهي وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط. ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معان معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها. ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية"[٥].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (ج ١ / ص ٣٩٨)

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (١٤٣٥).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، (ج ٦ / ص ١٤٧).

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، (ج٢/ ص٧٥٣) باختصار.

(٥) أصول الدعوة، ص٤٧٤.

وكانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (قصداً وخطبته قصداً)[١] : والقصد في الشيء: هو الاقتصاد فيه وترك التطويل وإنما كانت صلاته صلى الله عليه وآله وسلم وخطبته كذلك لئلا يمل الناس.[٢]

ولأهمية الإمامة والخطابة في حياة المسلمين أن جعل ولاة الأمر في هذه البلاد يولون اهتماماً بهذه الوسيلة خصوصاً في الحرمين الشريفين، وهذا ما دعا الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله أن يصدر أمره بتكليف الشيخ بكر أبو زيد بالإمامة والخطابة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن سمع عن الشيخ غفر الله لهما وتأكد من قدرته وأهليته لهذه المهمة، كان ذلك في عام ١٣٩٠هـ.[٣]

وقد أمّ الشيخ بكر وخطب في بقعة من أقدس البقاع وأفضلها على الإطلاق ألا وهي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتلى منبره عليه الصلاة والسلام إماماً وخطيباً من عام ١٣٩٠هـ حتى عام ١٣٩٦هـ فكان يحث المسلمين على التقوى، والعمل بالكتاب والسنة، والاقتداء بهدي السلف الصالح رحمهم الله، ويلامس بخطبه واقع المسلمين وما فيه مصلحتهم العامة والخاصة.

يقول الشيخ بكر:" المقام في خطبة الجمعة له خصوصيات متعددة يخالف غيره من المقامات في الدروس، والمحاضرات، والوعظ، والتذكير، وهو مقام عظيم؛ لتبليغ هذا الدين صافياً، يجهر فيها الخطيب بنصوص الوحيين الشريفين، وتعظيمهما في القلوب، والبيان عنهما بما يليق بمكانتهما، ومكانة فائض الإسلام"[٤] .

ويقول فضيلته:" مما أحدثه الوعاظ، وبعض الخطباء، في عصرنا، مغايرة الصوت عند تلاوة الآيات من القرآن لنسق صوته في وعظه أو الخطابة.

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (١٤٣٣، ١٤٣٤) .

(٢) انظر: عون المعبود بشرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، (ج ٢ / ص ٣١٦)

(٣) في مقابلة للباحث مع الشيخ عبد الله بن بكر في منزله بالرياض بتاريخ ١٤٣٠/٥/١٦هـ (الباحث) .

(٤) تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، ص٩٩

وهذا لم يعرف عن السالفين، ولا الأئمة المتبوعين، ولا تجده لدى أجلاء العلماء في عصرنا، بل يتنكبونه، وكثير من السامعين لا يرتضونه، والأمزجة مختلفة، ولا عبرة بالفاسد منها، كما لا عبرة بالمخالف لطريقة صدر هذه الأمة وسلفها"(١)

وحثّ الشيخ بكر ولاة الأمر والمسئولين عن المساجد في أن يحسنوا اختيار الأئمة، وأن يجتهدوا في تعيين الأصلح لهذه المهمة الموروثة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رحمه الله:" وينبغي لمن بسط الله يده أن يجتهد في اختيار الإمام – في الصلاة – الأعلم، الأتقى، الأورع، السالم في اعتقاده من مرض الشبهة، وفي سلوكه من مرض الشهوة، وتقديم حسن الصوت الطبعي على غيره "(٢)

فكانت إمامة الشيخ بكر وخطبه فرصة عظيمة لنشر الدعوة إلى الله، وبث الخير في المجتمع، وإيصال أحكام الشريعة للناس؛ عبر هذه الوسيلة المباركة، وقد أجاد الشيخ وأفاد خلال المدة التي قضاها في تلك المهمة.

وهذا ما جعل الناس العامة منهم والخاصة يحبون الشيخ ويجلونه ويقدرون علمه وعمله، وهو كذلك يبادلهم حباً بحب وتقديراً بتقدير.

* * * *

(١) المصدر السابق، ص٣٢٠

(٢) بدع القراء القديمة والمعاصرة، بكر أبو زيد، ص٥٦ .

المطلب الخامس: وسيلة التدريس:

ويشتمل هذا المطلب على فروع ثلاثة:

الفرع الأول: المقصود بالتدريس.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر التدريس وسيلة في تبليغ الدعوة.

الفرع الأول: المقصود بالتدريس:

التدريس في اللغة: دَرَسَ الكتاب يدْرُسُه ويدْرِسُه درساً ودراسة: قرأهُ وذلـــله بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليه. وأصل الدراسة الرياضة والتعهد للشيء، ومنه درست السورة أي حفظتها. والمِدْراس، والمِدْرس: الموضع الذي يُدْرس فيه [1] .

ومن التعريف اللغوي يمكن معرفة المقصود بالتدريس وهو: إلقاء الدروس العلمية، وتعليم الناس ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وفق منهجية معتبرة.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة:

التدريس والتعليم له من الرفعة والفضل والشرف ما يقصر عنه الحديث، ولا يبلغه التعبير. ويكفي صاحبها شرفاً ورفعة اقتداؤه بالمعلم الأول: رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ بعثه ربه ليعلم الناس الخير، ويجلي عنهم ظلام الجهل، ويحول بينهم وبين الضلال المبين.

يقول الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب السين، فصل الدال، (ج٢/ ص٣٣٩) ، ولسان العرب، حرف السين، فصل الدال، مادة (درس) ،(ج٦/ ص٧٩)

(٢) سورة الجمعة، آية (٢) .

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه يبيّن لنا فضل تعليم الخير للناس. يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير** ".(١)

وقد ذمّ الله أقواماً كتموا العلم ولم يبيّنوه للناس، فقال جل جلاله: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ** ﴾(٢)

وقال تقدست أسماؤه: ﴿ **وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ..** ﴾(٣).

وجاء في السيرة النبوية أن النبي عليه الصلاة والسلام اتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم مدرسة يعلم فيها الصحابة الكرام أمور دينهم، ويربيهم التربية الإيمانية، وتهيئتهم لحمل الرسالة وتبليغها للناس كافة.

وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير إلى المدينة معلماً ومربياً وداعياً إلى الله على هدى وبصيرة، فما هي إلا أيام قلائل حتى لم يَبْقَ دار من دور الأنصار إلا ودخلها الإسلام، فأصبحت فيما بعد منبراً من منابر العلم والدين، بفضل هذه الوسيلة الدعوية المهمة.

ثم اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة المسجد النبوي جامعةً للعلوم والحكم، والتخطيط والإدارة، والدعوة إلى الله تعالى، ومكاناً يتعلم منه كل من أراد الفقه في الدين.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم (٢٦٠٩) ، الدارمي، كتاب: المقدمة، باب: من قال العلم الخشية وتقوى الله، حديث رقم (٢٩١) . وصححه الترمذي والألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٦٨٥) ، ص٦٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية (١٥٩)

(٣) سورة آل عمران، آية (١٨٧)

وما أن يسلم وفد إلا وأرسل معهم من يعلمهم أمور دينهم، ويشرح لهم محاسن الإسلام، ومكارم الأخلاق.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر التدريس وسيلة في تبليغ الدعوة:

من أهم وسائل الدعوة: التعليم، بما فيه من وسائل وأساليب وبرامج وأهداف، فالتعليم يرافق الإنسان من طفولته إلى شيخوخته، فهو مستمر باستمرار حياة الإنسان. فالتعليم يبني الإنسان ويهذبه .

ولهذا كان التعليم من أهم عناصر الرسالة الإلهية، كما قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[١]

ووظيفة النبي صلّى الله عليه وسلّم قائمة على التعليم والتربية والتزكية: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[٢]

فـ"قيام العلماء بواجب التعليم والتبليغ هذا مما افترضه الإسلام على أهل العلم. فعليهم تعليم الناس بما يحتاجونه من أمور دينهم بالقدر الذي يأمر به الإسلام ويحتاجه الناس. ويزداد هذا الوجوب على العلماء ويتأكد كلما فشا الجهل في الناس، واندرست معالم الشريعة، وظهرت البدع. فإذا قصر العلماء في واجب التعليم والتبليغ أثموا وحوسبوا على تقصيرهم حساباً عسيراً، لأن تقصيرهم في هذا الواجب يعتبر من كتمان العلم الذي اؤتمنوا عليه وأمروا بنشره وتبليغه للناس. فإذا قام العلماء بواجب التبليغ وجب على الناس أن يقبلوا عليهم ويسمعوا منهم ويتعلموا ما يقولون ويعملوا بما يتعلمون، فإذا لم يفعلوا

---

(١) سورة البقرة، آية (١٥١) .

(٢) سورة آل عمران، آية (١٦٤) .

أثموا وحوسبوا لقيام الحجة عليهم بتبليغ العلماء لهم أحكام الدين"[١] .

ولكي يكون التعليم أو التدريس من الوسائل الفاعلة والمؤثرة في الدعوة إلى الله فينبغي مراعاة الآتي:

-الإخلاص لله تعالى:

"يجب على المعلم أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى، وألا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي، فيستحضر المعلم في ذهنه كون التعليم آكد العبادات، ليكون ذلك حاثاً له على تصحيح النية، ومحرضاً له على صيانته من مكدراته ومن مكروهاته، مخافة فوات هذا الفضل العظيم، والخير الجسيم"[٢] .

-استخدامه كوسيلة للدعوة:

"ينبغي للمعلم المسلم وهو يقوم بخدمة الدعوة ونشرها أن يراعي مدارك الطلاب والمرحلة العمرية التي يعيشونها وما ينتاب تلك المرحلة من عوامل تؤلف في مجموعها شخصية الطالب وتنميها وهذا يتطلب من المعلم تفهم عقلية الطالب وما يحيط به من مؤثرات خارجية وداخلية، وأن يخاطب طلابه بما يفهمونه ويعقلونه"[٣] .

-الاستعداد والتحضير الجيد:

"ويشترط للداعي في درسه أن يحضر مادته مسبقاً تحضيراً جيداً وأن لا يستطرد كثيراً وهو يلقي موضوعه لأن الاستطراد يبعد السامع عن أصل الموضوع ويبعث في نفسه السآمة"[٤].

فالتدريس من وسائل الدعوة ونشر العلم فقد كان السلف الصالح يولون هذه الوسيلة اهتماماً خاصاً من حيث التأهيل والخبرة الكافية، بل كان يُسمّى عندهم المربي والمؤدِّب، قبل أن يكون مُعلِّماً.

---

(١) أصول الدعوة، ص١٣٩.
(٢) مقدمة المجموع، (ج١/ ص٧٢) .
(٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، (ج٢/ ص٧٤١) .
(٤) أصول الدعوة، ص٤٧٦.

ولقد كان الشيخ بكر معلّماً بارعاً، ومربياً فاضلاً؛ من خلال تدريسه في الزمن الأول، أو عن طريق كتبه ومؤلفاته. فإنه رحمه الله بيّن آداب المعلم والمتعلم في كتب قيّمة أمثال كتاب: (حلية طالب العلم)، وكتاب: (التعالم وأثره على الفكر والكتاب)، وكتاب: (آداب طالب الحديث)، لما رأى غفر الله له من حاجة المعلمين والمتعلمين لجملة من الآداب الحميدة التي تعينهم على القيام بالدعوة إلى الله تعالى خير قيام عبر وسيلة التدريس.

وقد حذر فضيلته من التصدر لتعليم الناس وتدريسهم قبل التأهل، قائلاً:

"احذر التصدّر قبل التأهل فهو آفة العلم والعمل. وقد قيل: من تصدّر قبل أوانه، فقد تصدّى لهوانه"[١].

وحذر رحمه الله المدرسين والمفتين والدعاة من الاستحياء من كلمة (لا أدري) لما لا يدري، فقال:" جُنَّة العالم (لا أدري)، ويهتك حجابه الاستنكاف منها، وقوله: (يقال). وعليه فإن كان نصف العلم (لا أدري) فنصف الجهل (يقال) و (أظن)"[٢].

وعلى أهل العلم ومن يتصدَّر للتدريس أن يتعاهد علمه ومراجعة حفظه فقد حثّ فضيلته على ذلك قائلاً: " تعاهد علمك من وقت إلى آخر، فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان . عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها، ذهبت** "[٣]"[٤].

ولا يستبعد على معلمي الناس الخير أن يواجَهوا بالإرجاف تارة وبالتثبيط تارة أخرى، فقال رحمه الله داعياً المسلم والدعاة بالثبات على الحق والاستمرار في تعليم الناس

---

(١) حلية طالب العلم، ص٧٩ .

(٢) المصدر السابق، ص٦٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، حديث رقم (٤٦٤٣) ، وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الأمر بتعهد القرآن وكراهية قول نسيت آية، حديث رقم (١٣١٣) .

(٤) حلية طالب العلم، ص٥٤ .

الوحيين الشريفين، وسلوك جادة السلف الصالحين، ولا يحركك تهيج المرجفين، وتباين أقوالهم فيك عن موقفك فتَضِل "[١] .

إلى أن قال رحمه الله : "لا تبتئس بما يقولون، ولا تحزن بما يفعلون، وخذ بوصية الله سبحانه لعبده ونبيه نوح عليه السلام ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[٢] ، ومن بعد أوصى بها يوسف عليه السلام أخاه: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] "[٤] .

وقال أيضاً:" ولا يثنيك هذا (الإرجاف) عن موقفك الحق، وأنت داعٍ إلى الله على بصيرة، فالثبات الثبات، متوكلاً على مولاك والله يتولى الصالحين، قال الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ .. ﴾[٥] "[٦] .

والمعلم لكي يقبل تعليمه ويؤثر في طلابه لا بد له من الرفق واللين ومجانبة الكلمة الجافية، يقول فضيلة الشيخ بكر:" التزم الرفق في القول، مجتنباً الكلمة الجافية، فإن الخطاب الليِّن، يتألف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة "[٧].

وقد اتخذ الشيخ بكر طيب الله ثراه من ضمن وسائله في الدعوة إلى الله تعالى وسيلة التدريس لأهميتها وفضلها وحاجة الناس لها؛ خاصة في وقت مضى، لم يكن طلب العلم سهلاً أو متوفراً كما هو الحال في هذه الأيام.

فالشيخ بكر رحمه الله زاول التدريس في المسجد النبوي الشريف عام ١٣٩٠هـ فاستمر في التدريس حتى عام ١٤٠٠هـ.

---

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٢ .
(٢) سورة هود، آية (٣٦) .
(٣) سورة يوسف، آية(٦٩)
(٤) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٣ .
(٥) سورة هود، آية (١٢) .
(٦) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٣ .
(٧) حلية طالب العلم، ص٢٣.

وكان يدرّس الفرائض والحديث وغيرهما من الكتب. وزاول التدريس أيضاً في المعهد العالي للقضاء، ودرّس في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. هذا ما قاله عنه ابنه عبد الله حفظه الله. وأضاف بأنّ أباه رحمه الله كان لا يسهب ولا يطيل في إلقائه لمحاضراته في الجامعة بل يقتصر على المنهج المطلوب وينصرف حال إكمال درسه مباشرة.

وأفاد ابنه عبد الله وفقه الله بأنّ والده بعد انتقاله من المدينة إلى الرياض لم يكن له محاضرات ولم يكن له دروس ــ غير تدريسه في جامعة الإمام ــ لكنّه تفرغ للتأليف والتحقيق والإفتاء.[1]

* * * *

(١) في مقابلة للباحث مع الشيخ عبد الله بن بكر في منزله بالرياض بتاريخ ١٤٣٠/٥/١٦هـ (الباحث) .

المطلب السادس: وسيلة القضاء

ويشتمل هذا المطلب على فروع ثلاثة:

الفرع الأول: المقصود بالقضاء.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر القضاء وسيلة في تبليغ الدعوة.

الفرع الأول: المقصود بالقضاء:

القضاء لغة: الفصل، والحكم، والحتم، والأمر، والأَداء، والإنْهاء، والقطع، والنفاذ. وقَضى في اللغة على ضُروب؛ كلُّها ترجع إلى معنى الإحكام وانْقِطاعِ الشيء وتَمامِه.(١)

وفي الاصطلاح: الإلزام بالحكم الشرعي وفصل الخصومات.(٢)

والقاضي: من يقضي بين الناس بحكم الشرع، أو بغيره.

الفرع الثاني: أدلة هذه الوسيلة من الكتاب والسنة:

القضاء والحكم بالشريعة؛ أشرف ولاية، وأعظم مرتبة. أضافه الله إلى نفسه فهو أحكم الحاكمين، وهو الذي يحكم بين عباده في ما هم فيه يختلفون، وأوكله في الدنيا إلى أنبيائه ورسله، وللعلماء والقضاة؛ للحكم بين الناس بما أنزل الله، وإقامة العدل بين الرعية، امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن

---

(١) انظر: الصحاح في اللغة، باب الواو والياء، فصل القاف، مادة: (قضى)، (ج٦/ ص٤٧١)، ولسان العرب،حرف الواو والياء، فصل القاف، مادة (قضى) ، (ج ١٥ / ص ١٨٦) .

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، ص٥٣٧.

لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[١] .

وأمر نبيه وخليله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكم بين الناس بالحق، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٢] . وقال عز وجل: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ .. ﴾[٣] .

وحذّر سبحانه من التحاكم إلى غير شرع الله المطهر، فلا أحسن، ولا أعدل، ولا أحكم من شريعة الله، يقول جل شأنه: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٤]

وأمر الله عز وجل بالعدل والإحسان في الحكم والقضاء، وفي كل شيء، لكي تستقيم الدنيا، وتطيب الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٥]

والحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**القضاة ثلاثة؛ اثنان في النار، وواحد في الجنة: رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل جار في الحكم فهو في النار**"[٦] .

---

(١) سورة المائدة، آية(٤٤) .

(٢) سورة النساء، آية (١٠٥) .

(٣) سورة المائدة، آية (٤٩) .

(٤) سورة المائدة، آية (٥٠) .

(٥) سورة النحل، آية (٩٠) .

(٦) سنن الترمذي كتاب الأحكام باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي حديث رقم (١٢٤٤) ، وسنن أبي داود كتاب الأقضية باب في القاضي يخطئ حديث رقم (٣١٠٢) ، وابن ماجه كتاب الأحكام باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق حديث رقم (٢٣٠٦) . صححه الشيخ الألباني، انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٣١٥) ص٣٩٦.

الفرع الثالث: اتخاذ الشيخ بكر القضاء وسيلة في تبليغ الدعوة:

من تأمّل حال الناس، وشدة حاجتهم إلى القضاء الشرعي، علم وجوب الاستجابة لذلك، والصبر عليه- إذا كان من أهله- ووجب عليه أن يجتهد فيه وأن يبذل في ذلك ما يستطيع من أسباب التخلص من خطره والعافية من تبعاته براءة للذمة ونصحا للأمة ورحمة لإخوانه المسلمين وإحسانا إليهم في حل مشاكلهم والحكم بينهم بالحق[١].

فالقضاء من وسائل الدعوة قديماً وحديثاً، فعندما يتولى القضاء من هو أهله، ويحكم بين الناس بما يراه في كتاب الله عز وجل، وما احتوته سنة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام؛ فإنه يبلّغ شرع الله جل وعلا، وينشره بين الناس؛ من خلال وسيلة القضاء الشرعي، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم بين الناس بالحق والميزان، لا يفرق بين قريب وبعيد، ولا بين سيد وعبد، بل إنّ فاطمة رضي الله عنها لو سرقت لقطع صلى الله عليه وسلم يدها. مما حدا بكثير من الخلق إلى الدخول في دين الله أفواجاً؛ لّما وجدوا فيه من العدل والمساواة ما لا يوجد في غيره من الأديان.

وقد مارس فضيلة الشيخ بكر – رحمه الله –هذه الوسيلة الدعوية لعدة سنوات؛ قاضياً، ووكيلاً لوزارة العدل، فقد اتخذها الشيخ أثابه الله وسيلة من وسائل الدعوة إلى ربه عز وجل: يبين الأحكام الشرعية، ويقيم العدل بين الناس، ويحذر الظالم من مغبة ظلمه، فيجد المظلوم في شريعة الله الإنصاف والعدل والمساواة، مما يعطي الثقة في الشريعة الإسلامية، ومبادئها السامية.

وهذا ما يبرز فضل القضاء وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.

وقد بيّن الشيخ بكر رحمه الله أهمية القضاء ومدى حاجة العباد إلى الحق والعدل والإنصاف في المظالم والأقضية، فيقول فضيلته: " على القضاء تدور المحافظة على حقوق

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، (ج ٤ / ص ٥٧)

العباد، ورعاية حرماهم، وردّ الظلامات[١] بينهم، وعمران مدنيتهم، متى ما سار التقاضي على وحي السماء، وهدي الشريعة الغراء، الكامن في الوحيين الشريفين: كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إذ أنّ حياة الأمة مرتبطة ثباتاً ونمواً وارتقاءً بقدر ما تحييه من العمل بالوحيين الشريفين. ويكون نقصها واختلال موازين الحياة فيها بقدر الفوت من ذلك"[٢]

وإذا ابتلي القضاء بمن ليس أهلاً له قلت الثقة في تحكيم الشريعة، وفي من يحكم بها، وهي التي ينبغي أن تُحكَّم في جميع شئون الحياة، بل والتسليم لحكم الله والرضا به.

والشيخ بكر غفر الله له بيّن أضرار عدم التأهل للقضاء، ومردوده السيئ على الأمة. بل يعطي المجال للطعن في أحكام الشريعة الإلهية، قائلاً:

" وأما القضاء، فبليّة لا لعاً لها [٣]، وفتنة وقى الله شرها، إذ القضاء سرّ الدولة، وعنوان قوها من ضعفها، لنفوذه على حرمات العباد لا سيما في ضروريات حياهم، فإذا دخله متعالم بتصرفاته السقيمة، ومعلوماته الضئيلة، وعقليته الهزيلة، صار تكأةً [٤] لاستعداء العداء على تحكيم شريعة رب الأرض والسماء، ولا تسأل عن اضطراب حبل

---

(١) جمع ظلامة، والظُّلَامَة: اسم مَظْلِمَتك التي تطلبها عند الظالم، وقيل: الظُّلامةُ والظَّليمةُ والمَظْلِمةُ: اسم ما أُخِذَ منك. وأصل الظُّلمَ: وضع الشيء في غير موضعه. انظر: تهذيب اللغة، باب الظاء واللام، مادة (ظلم) ، (ج١٤/ ص٣٨٢) ، ولسان العرب، حرف الميم، فصل الظاء، مادة (ظلم) ،(ج١٢/ ص٣٧٣) .

(٢) فقه النوازل، جزء في التقنين والإلزام، (ج١/ ص٩) .

(٣) رجلٌ لَعْوٌ ولَعاً، أي شَهْوانُ حريصٌ. ويقال للعاثر: لَعاً لَكَ! دعاءٌ له بأن ينتعس. واللعو: السيء الخلق، أوالفسل. واللعو واللعا: الشره الحريص. ورجل لعو ولعا: منقوص، واللاعي: الذي يفزعه أدنى شيء. انظر: الصحاح في اللغة، مادة (لعا) (ج ٢ / ص١٤٣) ولسان العرب، حرف الواو والياء، فصل اللام، مادة (لعا) ، (ج١٥ / ص٢٤٩) . وفسر معناها الشيخ بكر، بقوله: لا لعاً لها: أي لا انتعاش بعدها. انظر: المجموعة العلمية، ص٥٤

(٤) التكأة: توكأ على الشيء واتكأ؛ تحمّل واعتمد فهو متكئ، والتكأة: العصا يتكأ عليها في المشي. لسان العرب، حرف الهمزة، فصل الواو، مادة (وكأ) ، (ج١/ ص٢٠٠) .

الأحوال، وتتابع الأهوال، وفيما دوّن في صفحات التاريخ عبرة لمن اعتبر"(١) .

وحثّ فضيلته على أن يتولى ولاية القضاء المتأهل والمتأهل فقط، كبقية الولايات الشرعية، بل هي من الأولى، يقول رحمه الله:" القضاء، والفتيا، والتدريس؛ لا يتولى أيّاً منها إلا المتأهل "(٢) .

وبيّن فضيلة الشيخ بكر أثابه الله مفهوم الدعوة في مجال القضاء، وأنها من وسائل الدعوة؛ فالقاضي داعية إلى الله تعالى، فإن لم يكن بقوله فبفعله وتطبيقه لشرع الله، وإقامة العدل بين الناس، وهذا نشر للشريعة، وبيان لشمول الدين الإسلامي، وحثّ للتحاكم إلى الكتاب والسنة. وفي﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٣) ، فقال رحمه الله: " مفهوم الدعوة لا يتحدّد بالكلمة من الوعظ والإرشاد، لكن كل واحد من القادرين عليها فهو داعية إلى الله في مجال عمله، فالقاضي، والمفتي والمدرس، هم دعاة متى ما أدوا الأمانة على وجهتها، وأبرزوا صفحة الإسلام بيضاء نقية، فيظهر العدل، وتقام الشريعة، وينشر العلم"(٤).

وقال فضيلة الشيخ بكر رحمه الله: "فلكة التقاضي وفصل الخصام بعد فهم الواقع للخصومات، واستقطاب النظر فيها هو فهم الواجب في الواقع، وهو كامن في تطبيق أحكام الشريعة المطهرة على ذلكم الواقع في كل قضية بعينها. وهذا من معاقد الإسلام؛ والحاكم بنقيضه أي خلاف ما أنزل الرحمن موصوف بالفسق والظلم والكفران (٥) فلا تستقر لعبد إذاً قدم في الإسلام إلا إذا عقد قلبه على تحكيم شرع الله ودينه في كل شئونه وعلاقاته"(٦).

---

(١) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٤١ ،٤٢ .باختصار.
(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٥٢.
(٣) سورة إبراهيم، آية (٥٢) .
(٤) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص١٥٢ .
(٥) انظر: الآيات، (٤٤، ٤٥، ٤٧) من سورة المائدة.
(٦) فقه النوازل، جزء في التقنين والإلزام، (ج١/ ص٩ ،١٠) .

يعتبر القضاء من وسائل الدعوة إلى الله تعالى؛ فعبر المحاكم الشرعية التي تحكم بكتاب الله عز وجل وتطبّق سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام يثق الناس في شريعة ربهم، وتطمئن نفوسهم للحق، وتنشرح صدورهم لقبول الحكم الشرعي، وهذا في حد ذاته دعوة لتطبيق الإسلام في كل شؤون الحياة، والاستسلام والانقياد لأمر الله ونهيه.

* * * *

المطلب السابع: وسيلة الانتساب للمؤسسات والمنظمات الدعوية الرسمية:

لم يَسْعَ الشيخ بكر لتولي أي منصب، ولم يطمع في أي مركز، بل على العكس من ذلك فقد يُعرَضُ عليه الأمر أكثر من مرة ويعتذر، وإن وافق فهو طاعة لولي الأمر، واستجابة لرغبة أهل الحل والعقد، ورغبة في نفع الأمة من خلال المشاركة مع إخوانه في عضوية المؤسسات والمنظمات الدعوية الرسمية التي تحتضنها هذه البلاد المباركة ـــ المملكة العربية السعودية ـــ بلاد الحرمين الشريفين، موطن التوحيد، ومقر الدعوة الإصلاحية المباركة.

فعندما يقع الاختيار على شخصية لها مكانتها العلمية العالية، ومعروفة بالتمسك بالثوابت، مع طرق المستجدات الفقهية النازلة بالأمة، ومتصفة بالوسطية؛ طبقاً لمفهومها المعتدل على طريقة السلف؛ بعيدة كل البعد عن الإفراط أو التفريط، وبعيدة عن التساهل المفسد للملة، أو التشدد الخارج عنها.

هذه الصفات وتلك المزايا تجلّت في شخصية الشيخ بكر أبو زيد عليه رحمة الله تعالى وهو أهلٌ لذلك، يقول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله:

" أخونا الشيخ بكر أبو زيد هو من أكابر العلماء ومن المعروفين بالحزم والضبط والنزاهة؛ لأنه تولى مناصب كثيرة وكل عمل يأتيه يدل على أنه أهل لما تولاه"[١] .

فبعد عمله بالقضاء واعتلائه منصب وكيل وزارة العدل، وبعد إمامته وخطابته وتدريسه بالمسجد النبوي الشريف، كتب الله له أن يكون على منبر آخر من منابر الدعوة وعبر وسيلة من وسائلها، لخدمة دينه وأمته.

تلك الوسيلة الدعوية هي ضمن المؤسسات والمنظمات الرسمية التي لا تتبع لحكومة معينة، بل هي مشتركة بين الحكومات الإسلامية العضو في منظمة المؤتمر الإسلامي أو رابطة العالم الإسلامي.

فمن ذلك:

---

(١) شرح حلية طالب العلم، مادة مسجلة.

١. مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة[١]:

ففي عام ١٤٠٥هـ صدر أمر ملكي بتعيين الشيخ بكر رحمه الله ممثلاً للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، واختير رئيسًا للمجمع.

ولقد تركت شخصيته العلمية والإدارية أثراً ظاهراً في كل منصب تقلده وموقع شغله، أما المجمع الفقهي فقد تولى رئاسته ما يربو على أربعة وعشرين عاماً، سار فيه سيرة حميدة وإدارة حكيمة فتركه مرجعية فقهية للأمة رسّخ للمجمع مكانته لدى العلماء وطلاب العلم والباحثين في اجتهاد جماعي وفقه مجمعي وفتاوى فقهية وقرارات شرعية تتمتع بدرجة عالية من الثقة والقبول. أصبح المجمع مقصداً يؤمه فقهاء الشرع وخبراء العصر، ومنتدى ينتظره رجال العلم ورجال المال وأهل الاقتصاد والطب والفكر.[٢]

كما كان الشيخ بكر رحمه الله حريصاً أن تكون قرارات المجمع في غاية الدقة، وأن لا يكون فيها أي ضعف، أو قصور، أو مجال للنقد من الناحية الشرعية. خدم العلم والعلماء من خلال رئاسته للمجمع فترة قاربت ربع قرن من الزمن، سواء كان ذلك من خلال بحوثه ودراساته وكتبه القيمة، أو من خلال مشروعاته الرائعة [٣] .

---

[١]تأسس مجمع الفقه الإسلامي الدولي تنفيذا للقرار الصادر عن مؤتمر القمة الإسلامي الثالث "دورة فلسطين والقدس" المنعقد في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية في عام (١٤٠١هـ ١٩٨١م)، ومقر المجمع هو مدينة جدة (المملكة العربية السعودية)، ويكون أعضاؤه من الفقهاء والعلماء والمفكرين في شتى مجالات المعرفة الفقهية والثقافية والعلمية والاقتصادية من مختلف أنحاء العالم الإسلامي لدراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهادا أصيلا فاعلا. انظر: www.fghacademy.org.sa موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

(٢) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد(١٠٦٧٦)، في ١٤٢٩/٢/١٣هـ مقالة بعنوان: "حراسة حق وفقه نوازل وجهاد قلم"، للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، ص١٦، باختصار وتصرف يسير.

(٣) من كلام معالي الدكتور عبد السلام بن داود العبادي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، في مقابلة للباحث مع معاليه، حيث زامل الشيخ بكراً رحمة الله عليه وعمل معه في مجمع الفقه الإسلامي الدولي لعدة سنوات. تمت المقابلة يوم الأحد في ١٤٣٠/٢/٢٧هـ بمكتب معاليه بمحافظة جدة.

وللشيخ بكر بحوث ودراسات قدّمها رحمه الله في عدة دورات للمجمع، وعددها تسعة بحوث غاية في الأهمية والمعاصرة، وهي:

خطاب الضمان، حكم إثبات أول الشهر القمري وتوحيد الرؤية، طرق الإنجاب في الطب الحديث وحكمها الشرعي، أجهزة الإنعاش وحقيقة الوفاة بين الطب والفقهاء، التشريح الجثماني والنقل والتعويض الإنساني، المرابحة للآمر بالشراء (بيع المواعدة)، حكم الانتزاع لعضو مولود حي عديم الدماغ، حكم إعادة ما قطع بحد أو قصاص، المثامنة في العقار للمصلحة العامة.

وقد بيّن الشيخ بكر وفرة القرارات والأبحاث التي تطرق لها المجمع وناقشها نقاشاً علمياً متقناً، يقول فضيلته: "وإنه بحمد الله تعالى وقد أمضى المجمع من عمره عشرين عاماً يأتي بإنجاز ثمانية قرارات على تمام مئة وستة وثلاثين قراراً، وما يزيد عن ستمائة بحث، فلله الحمد على ما أنعم وتفضل، وأسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما نأتي ونذر"[(١)] .

كما تناول البيان الختامي للدورة السادسة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي المنعقد بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م الشكر والتقدير لمعالي الشيخ بكر أبو زيد على جهوده الموفقة خلال رئاسته للمجمع، وهذه الدورة لم يشارك فيها الشيخ بكر لمرضه، و لم يشارك في بقية الدورات اللاحقة حتى توفي رحمة الله عليه.

جاء في البيان المشار إليه ما نصه: "كما نشكر معالي الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد على جهوده المتواصلة لتحقيق الخير للمجمع، والنهوض بكل الوسائل المتاحة له لبلوغ وتحقيق أهدافه، وندعو له بموفور الصحة والعافية إنه سميع مجيب"[(٢)] .

٢. المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة:

---

(١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، العدد (الرابع عشر)، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م (ج٤/ ص٦٩٧)
(٢) المصدر السابق، العدد (السادس عشر)، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، (ج٤/ ص٧٢٣)

في عام ١٤٠٦هـ عين عضوًا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات، وساهم في إصدار البيانات والقرارات التي تهم الأمة الإسلامية، وتعالج قضاياها.

فرابطة العالم الإسلامي رابطة مستقلة تمثل المسلمين في جميع أنحاء العالم بعيداً عن الاعتبارات الرسمية وتقوم بنشاطاتها كأية مؤسسة عالمية عامة ذات شخصية اعتبارية، ومن أهم ما عنيت به الرابطة متابعة شئون المسلمين في جميع أنحاء العالم ومد المساعدة لمن يحتاجها من الشعوب الإسلامية، والدفاع عن قضاياهم وإجراء الاتصالات الرسمية والشخصية مع كبار علماء المسلمين وساسة العالم، وتنسيق الجهود الإسلامية الجماعية بما يعطي أفضل مردود ممكن [١] .

"والحقيقة أنّ لتلك المنظمات والهيئات جهوداً كبرى قيّمة تجلّ عن الوصف في خدمة الإسلام والمسلمين في العالم المعاصر"[٢] .

فهي منابر للدعوة إلى الله، ووسائل لنشر الدين الإسلامي، وإيضاح لمحاسن الشريعة ووسطيتها وشمولها، وبيان لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ورحمهم الله جميعاً.

وأيضاً"هذه الهيئات واللجان والأجهزة المتخصصة تعطي فكرة واضحة عن شمولية وفعالية دعوة التضامن الإسلامي في عصرنا هذا، فهي قد أحاطت بأهم نواحي الحياة دينياً ودنيوياً لاستقطاب نشاطات الأمة الإسلامية بأسرها في تلك النواحي، مع السعي لاستكمال ما لم تتناوله تلك النشاطات بحيث تخرج بمحصلة نهائية تجمع جهود المختصين في الأمة الإسلامية من أعلى درجات المسئولية إلى مختلف التخصصات الفنية التي تعنى بها الجهات المسئولة عن كل قطاع"[٣]. يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:"لا ريب أن المنظمات الإسلامية مسئولة عن واجبها نحو الدعوة إلى الله سبحانه ونحو جمع كلمة المسلمين. فالواجب على كل منظمة أن تبذل وسعها بالدعوة إلى الله

---

(١) انظر: الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان، ص٢٢٢.
(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، (ج٢/ ص٨١٠) .
(٣) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، ص٢٧٨، ٢٧٩.

وتوجيه الناس إلى الخير، فكل منظمة عليها واجبها بقدر طاقتها. لأن الله يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ .. ﴾ (١)، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا .. ﴾ (٢) فعليها أن تدعو إلى الله عن طريق الكتاب والسنة. وكلٌ يدعو إلى الله حسب طاقته على الطريقة التي رسمها الله لعباده بقوله سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣)"(٤).

وكلمة حقّ تقال للمملكة العربية السعودية ملكاً وحكومة وشعباً في تقديمها الدعم الوافي والملموس لكافة المنظمات والهيئات والجمعيات الإسلامية الرسمية في كل مكان من العالم بلا مقابل؛ غير طلب الأجر والمثوبة من الله سبحانه.

وإنّ احتواء المملكة العربية السعودية للعديد من الأجهزة والمنظمات والهيئات الإسلامية العالمية، كرابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وما يتفرع عنهما من هيئات ومؤسسات، كُل ذلك يضاعف من مسؤوليتها تجاه تلك الهيئات.

وهذه المنظمات والهيئات الإسلامية تقوم بدور فاعل ومشهود في تقديم وتنفيذ المشروعات الدعوية والعلمية بين المسلمين خارج المملكة وداخلها. وعقد المؤتمرات والملتقيات لمفكري المسلمين وعلمائهم ودعاتهم.

وقد حظيت تلك المنظمات والهيئات ـــ على مر السنين ـــ بالاهتمام والرعاية والدعم من لدن حكومة المملكة العربية السعودية. ويتجلى ذلك في حجم الجهود التي يبذلها خادم الحرمين الشريفين - يحفظه الله - في دعم المنظمات الدعوية الرسمية مادياً ومعنوياً ودبلوماسياً. لتواصل المسيرة من أجل هدف واحد، هو نشر الإسلام والدفاع عن حقوق المسلمين.

* * * *

---

(١) سورة التغابن، آية (١٦)

(٢) سورة البقرة، آية (٢٨٦) .

(٣) سورة النحل، آية (١٢٥) .

(٤) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، (ج ٦ / ص ١٨١) باختصار.

المبحث الثاني: الأساليب الدعوية في منهج الشيخ بكر:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الحكمة.

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة.

المطلب الثالث: أسلوب القدوة الحسنة، والأخلاق العالية.

المطلب الرابع: أسلوب الجدال والحوار.

المطلب الخامس: أسلوب ضرب الأمثال والقصص.

المطلب السادس: أسلوب البلاغة.

المطلب الأول: أسلوب الحكمة:

ويشتمل على فروع أربعة:

الفرع الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الحث على التحلي بالحكمة.

الفرع الثالث: أهمية الحكمة، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله.

الفرع الرابع: أمثلة لبعض المواقف الحكيمة في دعوة الشيخ بكر رحمه الله.

الفرع الأول: تعريف الحكمة في اللغة والاصطلاح:

الحِكْمَة في اللغة: المنع، والعلم، والإتقان، والعدل، والحلم، والنبوة، والرسالة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، وطاعة الله، والفقه في الدين والعمل به، أو الخشية، أو الفهم، أو الورع، أو العقل، أو الإصابة في القول والفعل، أو التفكر في أمر الله واتّباعه. وكذلك القدر والمنزلة[(١)].

والحِكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لِمَنْ يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها: حَكِيمٌ.[(٢)]

والحِكْمَة في الاصطلاح: قيل: هي عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل[(٣)]، وقيل: الإصابة في القول والعمل[(٤)].

---

(١) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، باب: الحاء، مادة (حكم) ، (ج١/ ص٣٤٣) ، وتهذيب اللغة، مادة (حكم)، (ج٤/ ص١١٠)، الصحاح، باب الميم، فصل الحاء، مادة (حكم)، (ج٥/ ص٢٣٥) ، ولسان العرب، حرف الميم، فصل الحاء، مادة (حكم)، (ج ١٢/ ص١٤٠)، تاج العروس، باب الميم، فصل الحاء، مادة (ح ك م) ، (ج٣١/ ص٥١٠ وما بعدها).

(٢) لسان العرب، حرف الميم، فصل الحاء، مادة (حكم)، (ج ١٢ / ص ١٤٠)

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (ج ٢ / ص ٣٣)

(٤) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج٢/ ص٤٩٨)

وقيل: الإصابة في معرفة الحق والعمل به، والدقة في وضع الأمور موضعها الصحيح(١).

وقيل: الإصابة في القول والعمل والاعتقاد، ووضع كل شيء في موضعه بإحكام وإتقان(٢).

والتعريفان الأخيران أجودهما وأشملهما وإن كانت التعريفات السابقة تطرقت لموضوع الحكمة إلا أنها تعرضت لجزء من معانيها.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الحث على التحلي بالحكمة:

فاضت دلائل الكتاب والسنة بذكر الحكمة في عدة مواضع:

فمن أدلة الكتاب: ما جاء في امتنان الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة كما في قوله سبحانه: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وقال عز وجل: ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(٤).

وقد أثنى الله جل شأنه على من اتصف بها، وحققها، فقال جل جلاله:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا .. ﴾(٥).

---

(١) وسائل الدعوة، ص٣١.

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي القحطاني، ص٣٠

(٣) سورة البقرة، آية (١٥١) .

(٤) سورة النساء، آية (١١٣) .

(٥) سورة البقرة، آية (٢٦٩) .

وجاء الأمر بها في الدعوة إلى الله تعالى، فقال تقدست أسماؤه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ.. ﴾[١] .

ومن السنة المطهرة: ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"**[٢] .

الفرع الثالث: أهمية الحكمة، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله:

الحكمة هبة من الله تعالى يؤتيها من يشاء من عباده، ومن يُؤتَ الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وقد أكدَتْ على أهمية الحكمة آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المتكاثرة، والتي تدل دلالة واضحة على عظم حاجة الناس إليها، وبالأخص الداعية ومدى ضرورة قيام دعوته على الحكمة "لأن طبيعة الدعوة تتطلب الحكمة، سواء في عرض موضوعها، أو أسلوبها ومنهجها، والمتمعن في كتاب الله تعالى ليدرك هذا الأمر تمام الإدراك، حيث إنّ الأمر بالحكمة في الدعوة واضح كل الوضوح، وكذا في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ففيها الحكمة التامة في تبليغه الدعوة والقيام بأمرها، وكذا نجد هذا الأمر واضحاً في سيرة سلف الأمة الصالح، حيث قاموا رحمهم الله تعالى ورضي عنهم بالدعوة إلى الله بالحكمة والاتسام بها، فأينعت وآتت أكلها"[٣].

---

(١) سورة النحل، آية (١٢٥) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم (٧١) ، وكتاب: الزكاة، باب: إنفاق المال في حقه، حديث رقم (١٣٢٠) ، وكتاب: الأحكام، باب: أجر من قضى بالحكمة، حديث رقم (٦٦٠٨) ، وكتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما جاء في اجتهاد القضاة بما أنزل الله، حديث رقم (٦٧٧٣) ، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، حديث رقم (١٣٥٢) .

(٣) وسائل الدعوة، ص٣٩.

و"إذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة، والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله تعالى"(١)

وللحكمة مظاهر عديدة، ومسالك متنوعة، من أهمها، ما يلي:

- التدرج في الدعوة والبدء بالأهم فالمهم.
- تحري الأوقات والأماكن المناسبة.
- مراعاة أحوال المدعوين.
- مراعاة الفوارق البشرية.
- الموازنة بين المصالح والمفاسد.
- الرفق واللين في موضعهما.
- العفو والصفح عند المقدرة.

الفرع الرابع: أمثلة لبعض المواقف الحكيمة في دعوة الشيخ بكر رحمه الله:

أولاً: التدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم:

يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: " يكون الداعي عالماً بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية والعملية ليستعد لهم ويسلك في دعوتهم ما يليق بأحوالهم، فإن الداعي إذا دعاهم وهو لا يعرف حالهم قد ينعكس عليه هدفه، وقد يبدأ بغير المهم، أو بغير الأهم، ويترك ما هو أولى منه"(٢).

فالتدرج في الدعوة مهم للغاية، ويحسن بالداعية أن يبدأ بالأهم فالمهم، وأول ما يبدأ به هو الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة لله تعالى، والتحذير من الشرك وأنواعه، وكل صوره.

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ص١٠٧.

(٢)الدعوة إلى الله، ص٢١.

حتى إنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يبعث دعاته إلى الآفاق ويوصيهم بأهمية البدء بهذا الأصل العظيم، ففي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي -صلى الله عليه وسلم - بعث معاذاً - رضي الله عنه -إلى اليمن فقال صلى الله عليه وسلم: " **ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة.. الحديث**" متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: " **إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم خمس صلوات**..الحديث"[(١)] .

وهذه الحكمة النبوية، عين الصواب، وغاية الكمال في المنهج الدعوي.

فيجب على الداعية " التأسي به صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله، ومعرفة حكمته في مخاطبة الناس، ومخالطتهم وتبليغهم دين الله تعالى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإرشادهم إلى الخير، وتحذيرهم من الشر، وكيف حمى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، وحذر من الشرك وأسبابه، وأوضح العبادة الحقة لله"[(٢)].

يقول فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - موضحاً أهمية التدرج في الدعوة إلى الله، والرد على من يقلّل من أهمية البدء بالتوحيد: "هذا هو منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد كانوا يبدأون بإنكار الأهم فالمهم، كانوا يبدأون بإنكار الشرك وعبادة غير الله، فإذا صححوا العقيدة أولاً، التفتوا إلى إنكار المعاصي الأخرى"[(٣)] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، حديث رقم (١٣٠٨) . وصحيح مسلم كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث رقم (٢٧،٢٨) .

(٢) الدعوة وصلتها بالحياة، أ.د. عبد الرحيم المغذوي، ص ٥٢.

(٣) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان، جمع وإعداد: عادل الفريدان، (ج ١/ ص ٣٠١).

وقد كان الشيخ بكر أبو زيد رحمة الله عليه يدعو إلى التوحيد وتصحيح العقيدة الإسلامية، فيقول فضيلته، مبيناً الهدي النبوي في الدعوة، وأهمية الدعوة إلى التوحيد أولاً: " منهاج النبوة في الدعوة بتكوين الجماعة المسلمة [١]: المسلم الموحّد، أولاً، إنها سنة التدرج من أصل الأصول إلى ما بعده، الانطلاق في الدعوة من راية التوحيد (لا إله إلا الله) بحقها ومقتضاها إلى أحكام الشرع كافة. وإذا صح من المسلم الاعتقاد، وصفا من درن الشرك والشبهات، تناثر ما علق في البدن والقلب من أقذار الشهوات، أما البدء بإزالة الشهوات – والقلوب مأسورة بأمراض الشبهات – فهذا منهج غير فطري، ويأباه الشرع ويعاكس منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

وأما تصعيد النظر إلى القيادة قبل بناء القاعدة المسلمة، فهو انطلاق من فراغ "[٣]

ويقول الشيخ بكر – رحمه الله –مبيناً أهمية إقامة بقية أركان الإسلام بعد التوحيد: "أجلُّ الأعمال بعد التوحيد: إقامة الصلوات الخمس، وسائر أركان الإسلام العظيمة، وأوامره الكريمة، وأسباب طاعة الله ومرضاته"[٤]

ومن هنا اتضح التدرج في الدعوة إلى شرائع الدين الحنيف ومراعاة مبدأ الأهمية في ذلك.

ومن مظاهر الحكمة عند الشيخ بكر رحمه الله مسألة التدرج في ما يخص طلاب العلم؛ فبعد ما ألّف الشيخ كتاب التعالم، وكتاب حلية طالب العلم، رأى الشيخ بفطنته ونظرته الحكيمة أنّ طلاب العلم، وخصوصاً طلاب الحديث النبوي بحاجة إلى تذكيرهم

---

(١) لعل مقصد الشيخ بكر بعبارة: (تكوين الجماعة المسلمة) هو التكوين العلمي الشرعي؛ القائم على الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح. وليس التكوين البدعي الذي تنتهجه وتنادي به بعض الفرق والجماعات المنتسبة للدعوة.(الباحث) .

(٢) سورة الروم، آية (٣٠) .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٧٤ .

(٤) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص١٨ .

بكتاب في الآداب يدرسونه قبل الخوض في الحديث وعلومه، فانتقى لهم حللاً من الآداب الجامعة من كتاب: ((الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع))، للخطيب البغدادي [١] . وسماه: ((آداب طالب الحديث من (الجامع) للخطيب))[٢] .

ثانياً: مراعاة الفوارق البشرية:

من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يراعي الفوارق البشرية بين الناس من خلال دعوته الحكيمة، ونظرته السديدة، فقد يصلح شخص لعمل أو عبادة ما لا يصلح له غيره، وقد يكون بارعاً في شيء أحسن من سواه. لذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يوجه الصحابة لأعمال وتكاليف يرى أنها تتوافق مع إمكاناتهم الجسدية والمالية والزمنية، فقد جاءه رجل فقال له أوصني يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم: **"لا تغضب"** فردد مراراً، قال: **"لا تغضب"**.[٣]

وجاءه آخر يسأله مرافقته الجنة، فقال الحبيب صلى الله عليه وسلم: **"فأعنّي على نفسك بكثرة السجود"**.[٤]

وجاء رجل فقال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **"لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله"**[٥].

---

(١) أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ. ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة. وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع مئة، عمل نيفا وخمسين مصنفاً أشهرها كتاب تاريخ بغداد، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وغيرهما. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج١٨ / ص٢٧٠ـــ ٢٨٦) باختصار.

(٢) انظر: المجموعة العلمية، جزء في آداب طالب الحديث من الجامع للخطيب، ص٢١٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأدب، باب: الحذر من الغضب، حديث رقم (٥٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة باب: فضل السجود والحث عليه، حديث رقم (٧٥٤) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه.

(٥) سنن الترمذي، كتاب: الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث رقم (٣٢٩٧) وسنن ابن ماجه، كتاب: الأدب، باب: فضل الذكر، حديث رقم (٣٧٨٣) من حديث عبد الله بن

وقد كان الشيخ بكر رحمة الله عليه يحث على مراعاة الفوارق البشرية عند دعوة الناس إلى هذا الدين القويم، قائلاً:" إذ الناس ليسوا على مرتبة واحدة في التعقل، والتعلم، والذوق، وحسن التصرف، والسعيد من إذا بُصِّر تَبصّر، وإذا ذُكِّر تَذكّر "[1]

وقد كان رحمه الله يفرِّق بين العالم والمتعلم، وبين الجاهل وغيره، فيعطي كل واحد قدره، وهذا ما يجعل لدعوته تأثيراً عجيباً في نفوس المدعوين، لأنها تتناسب مع قدراتهم واستطاعتهم التي اختصّهم الله بها.

ثالثاً: الرفق واللين:

بيّن صلى الله عليه وسلم أن من حرم الرفق حرم الخير كله فقال صلى الله عليه وسلم: " **من يحرم الرفق يحرم الخير** " [2].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم كما في حديث عائشة رضي الله عنها: "**إنَّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**"[3].

وقال صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة أيضاً رضي الله عنها: "**إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه**"[4].

وفي سياق حديثه عن الفضائل والمحاسن التي دعا إليها الإسلام، يقول الشيخ بكر أثابه الله:" جميعها مبني على الرفق واللطف، والتأسي بنبيّ هذه الشريعة المباركة العظيمة صلى الله عليه وسلم"[5] .

=بسر رضي الله عنه. حسنه الترمذي، وصححه الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الألباني، ص٧٦٦، حديث رقم (٣٣٧٥) .

(١) أدب الهاتف ، ص٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم (٤٦٩٤، ٤٦٩٥، ٤٦٩٦) من حديث جرير بن عبد الله البجلي.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم (٤٦٩٧)

(٤) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، حديث رقم (٤٦٩٨)

(٥) أدب الهاتف، ص٥ .

وقال فضيلته وهو يحث على الرفق واللين في الخطاب: "التزم الرفق في القول، مجتنباً الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين، يتألف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة"(١).

"فعليك يا عبد الله، أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام؛ حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع"(٢) .

"والتلطف في القول لا يعني المداهنة والنفاق ولا إخفاء الحق أو تحسين الباطل أو الرضى به، وإنما هو تشويق للمدعو لقبول الحق وإعانته على هذا القبول"(٣) .

وفي بعض الأحيان تكون الحكمة في الشدة والزجر المقرون بالرحمة والشفقة لا التشفي والانتقام.

فالأخذ على يد الظالم وردعه عن ظلمه يحتاج إلى حزم؛ خاصة ممن له سلطة وولاية.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(٤) ، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(٥) .

والداعية الحكيم هو الذي يوازن بين الأمور ويعطي كل شيء حقه من غير إفراط ولا تفريط.

---

(١) حلية طالب العلم، ص٢٣ .

(٢) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ص٤٥، ٤٦.

(٣) أصول الدعوة، (ج ٢ / ص ٣٤)

(٤) سورة التوبة، آية (١٢٣) .

(٥) سورة التوبة، آية (٧٣) ، وسورة التحريم، آية (٩) .

وهذا ما نهجه الشيخ بكر رحمه الله في دعوته فقد جمع بين الرفق واللين في موضعه، كما كان حازماً قوياً عندما يتطلب الأمر ذلك، وهذا من الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى.

* * * *

المطلب الثاني: أسلوب الموعظة الحسنة:

ويشتمل على فروع أربعة:

الفرع الأول: تعريف الموعظة الحسنة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الحث على الموعظة الحسنة.

الفرع الثالث: أهمية الموعظة الحسنة، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله.

الفرع الرابع: نماذج لبعض ما جاء في دعوة الشيخ بكر رحمه الله من المواعظ الحسنة والنصائح البليغة.

الفرع الأول: تعريف الموعظة الحسنة في اللغة والاصطلاح:

الوَعْظُ في اللغة: النُصْحُ، والتذكيرُ بالعواقب.[١] وقيل: الوَعْظ: التخويف.[٢]

وقيل: هو تذكيرك للإِنسان بما يُلَيِّن قلبَه من ثواب وعِقاب.[٣]

وفي الاصطلاح: الوعظ: زجر مقترن بتخويف.[٤]

وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب.[٥]

ومن العلماء من قسّم الموعظة أو العظة إلى قسمين: "عظة بالمسموع، وعظة بالمشهود؛ فالعظة بالمسموع: الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على يد الرسل وما أوحي إليهم وكذلك الانتفاع بالعظة من كل ناصح ومرشد في مصالح الدين والدنيا.

---

(١) الصحاح في اللغة، باب الظاء، فصل الواو، مادة (وعظ) ، (ج٣ / ص٤٣٥)

(٢) مقاييس اللغة، باب الواو والعين مادة (وعظ) ، (ج ٦ / ص١٢٦)

(٣) لسان العرب، حرف الظاء، فصل الواو، مادة (وعظ) (ج ٧ / ص ٤٦٦)

(٤) مفردات غريب القرآن، (ج ٢/ ص٦٨٣)

(٥) التعريفات ، ص ٢٤٨

و العظة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العبر وأحكام القدر ومجاريه وما يشاهده من آيات الله الدالة على صدق رسله"(١) .

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الحث على الموعظة الحسنة:

قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾(٢) .

وجاء الأمر بها في الدعوة إلى الله تعالى، فقال تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ .. ﴾(٣) .

وفي السنة المطهرة :

حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منه القلوب، فقال رجل كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: "**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة**... الحديث"(٤) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: "**كُنْ في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**" وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك (٥) .

وما ورد في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته رضوان الله عليهم يفوق الحصر من المواعظ والتذكير بأيام الله التي تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى

---

(١) مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤٧٨)

(٢) سورة النساء، آية (٦٣) .

(٣) سورة النحل، آية (١٢٥) .

(٤) سبق تخريجه، انظر: ص ٨٣. (الباحث) .

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، حديث رقم (٥٩٣٧) .

النور، وإقامة الحجة على الخلق، وسِمَتها الجمع بين الوعد والوعيد في أغلبها.

الفرع الثالث: أهمية الموعظة الحسنة، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله:

مما يدل على أهمية الموعظة الحسنة اهتمام القرآن بها والحث عليها، بل إنّ القرآن الكريم هو نفسه هدى وموعظة وذكرى لمن أراد الحق وابتغى الخير، يقول الله عز وجل: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

فقوله تعالى: (وَمَوْعِظَةٌ) أي: وجاءك موعظةٌ تعظ الجاهلين بالله، وتبيّن لهم عبرة ممن كفر به وكذب رسله. وقوله: (وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) أي: وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله، كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم.(٣)

وسيرة أنبياء الله ورسله عليهم السلام مع أقوامهم تزخر بالنصائح المؤثرة والمواعظ البليغة، فقد جاءت آيات القرآن الكريم ببيان منهجهم الدعوي، ومدى حرصهم عليهم السلام على منفعة المدعوين وإيصال الخير إليهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (٤) ، وقوله جل شأنه: ﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٥).

فهذا دليل على أهميتها وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فالمواعظ والنصائح الحسنة فيهما خيرا الدنيا والآخرة، وهي زاد الداعية إلى الله لكسب قلوب المدعوين والتأثير فيهم، كلّما كانت النصيحة أو الموعظة صادرة من القلب بإخلاص وعلم وحكمة.

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٨).
(٢) سورة هود آية (١٢٠).
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، (ج ١٥ / ص ٥٤٣) .
(٤) سورة الأعراف، آية (٦٨) .
(٥) سورة الأعراف، آية (٧٩) .

الفرع الرابع: أمثلة لبعض ما جاء في دعوة الشيخ بكر رحمه الله من المواعظ والنصائح:

مؤلفات الشيخ بكر رحمه الله وفتاواه مليئة ببذل النصائح للأمة الإسلامية، والمواعظ المشفقة على حال المسلمين في كل مكان، فكان رحمه الله دائماً يوصي بالتقوى والإخلاص، وبلزوم الكتاب والسنة، ولزوم العلماء المشهود لهم بالعلم والدين، وإلى وحدة الصف وجمع الكلمة، فيقول فضيلته:

"الوصية لنفسي ولكل عبد مسلم بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، وأن على كل من أتم الله عليه هذه النعمة، فرضي بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً، أن يحمد الله تعالى ويثني عليه الخير كله، على هذه النعمة التي هي من أعظم النعم وأجلها – وما أكثر نعم الله على عبيده – والتي سمانا مسلمين، وأن يقيم المسلم ما أمر الله به من خصال الإسلام، ما افترضه الله عليه أمراً ونهياً، فيأتمر بأوامره، وأعظمها: توحيد الله، وإخلاص العبادة لله، والعمل وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ينتهي عن مناهيه، وأسوأها الشرك بالله، وما يتبع ذلك من البدع والمعاصي والضلالات، التي هي من أسباب سخط الله وعقابه "[1]

كما يقول أثابه الله:

"ويجب على المسلمين تواصيهم بلزوم الكتاب والسنة، والرغبة فيهما، والترغيب بهما، ومعرفة الأحكام الشرعية من مشكاتهما على أيدي العلماء الراسخين، والهداة المشهود لهم بالعلم والدين، والدعوة إلى ذلك على بصيرة، وإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في الله، ولزوم جماعة المسلمين ووحدة صفهم، والتراحم، والتعاطف فيما بينهم، والشفقة عليهم، والنصرة على الحق، إلى غير ذلك من معالم الإسلام السامية، التي بها النجاح والفلاح، وفيها خير الدنيا والآخرة "[2]

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٨ . باختصار.

(٢) المصدر السابق، ص١٨، ١٩ باختصار.

وأوضح الشيخ غفر الله له فوائد النصيحة وثمراتها، فيقول:" النصيحة إلى من نجم به الضلال، وألمت به غاشية الأوهام: أن يتجرد منها إلى: مرابع اليقين، والثبات والإيمان، والأعمال الصالحات، في دائرة الكتاب والسنة، والتواصي بالحق، والصبر والمصابرة: تكن حامل خير ممدود، تصل حاضر الأمة بماضيها، وتربط مستقبلها بحاضرها، على هدي الإسلام وصراطه المستقيم. يعظم الله لك الأجر، ويخلد لك الذكر، ومن ورائك أيام صعاب، فخذ لها من دين الله واقية"(١)

وبيّن رحمه الله أوجه النصيحة وكيفية بذلها، قائلاً: " والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم بالتي هي أحسن: مناصحة بالكلمة، ومناصحة بالكتابة، وتذكير بأيام الله"(٢).

ومن مظاهر الموعظة الحسنة عند الشيخ بكر رحمه الله:

١. الجمع بين أسلوبي الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد:

نقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه. ونقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.(٣)

ومن فوائد هذا الأسلوب ما ذكره ابن القيم رحمه الله بقوله:

"وأما تذكّر الوعد والوعيد: فإن ذلك يوجب خشيته والحذر منه ولا تنفع الموعظة إلا لمن آمن به وخافه ورجاه"(٤) ، إلى أن قال رحمه الله:

"ومن ذلك قوله تعالى ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(٥) فالإيمان بالوعد والوعيد وذكره: شرط في الانتفاع بالعظات والآيات والعبر، يستحيل حصوله بدونه"(٦).

---

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٩١ .
(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٣٥ .
(٣) انظر: أصول الدعوة، (ج ١ / ص ٤٩١)
(٤) مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤٨١) باختصار.
(٥) سورة ق، آية (٤٥) .
(٦) مدارج السالكين، (ج ١ / ص ٤٨١) باختصار.

ولذلك نجد الشيخ بكراً رحمة الله عليه يوازن بين الترغيب والترهيب في دعوته المباركة، فكان كثيراً ما يبين محاسن الدين الحنيف، ويوضح مميزاته، وتفوقه على بقية المذاهب والأديان، من ذلك قوله جزاه الله خيراً: "إذ الإسلام دين رحمة وهداية، لا عسف فيه ولا جور"[(١)].

وتارة يغلّب جانب الترهيب والوعيد بالإثم والعقوبة من الله عز وجل، ففي معرض حديثه عن الدخول على النساء الأجنبيات والخلوة المحرمة، يقول مرهباً من هذا الفعل المشين:

" فهذا وأيم الله، حرام، حرام، وإثم، وجناح، وفاعله حري بالعقوبة، فيُخشى عليه أن تنزل عليه عقوبة تلوث وجه كرامته "[(٢)] .

وجاء في سياق حديثه عن مسلك الإخافة والإرهاب الهاتفي، قوله رحمه الله:" وهذا حريٌّ أن يعاقبه الله في لحظته، ورب دعوة تسري إليه بليل وهو عنها غافل، فتصيبه العقوبة في عقر داره "[(٣)] .

فهنا يذكر بعقاب الله للمذنب، ويحذره من دعوة المظلوم، لأن هذا الأسلوب فيه ردع للمخالف وإخافة له، وقد لا ينفع معه إلا ذلك.

ويقول الشيخ بكر رحمه الله في ردّه على حملة الأقلام المسمومة، والأفواه المحمومة، جامعاً بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد:

"فيا من آذى نفسه بخط مائل عن الصراط المستقيم، فاجترح السيئات، وطاف بقلبه طائف الهوى، وارتمى في مجاهل الضلال البعيد، فقارف الشبهات والشهوات، ومدّها داعياً إليها بفمه كفاحاً للناس فسمعوه، أو رقماً بقلمه في قرطاس فلمسوه: خذ من معين الإسلام عهداً أكيداً: نصحاً، ووعداً، ووعيداً" ثم قال:" أما الوعد: فكل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه، وقد جعل الله لكل شيء مسبباً، ولكل حادثة

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٨ .

(٢) أدب الهاتف، ص٣١ ،٣٢ .

(٣) المصدر السابق، ص٣٤ .

حديثاً وذكراً "[١] .

إلى أن قال فضيلته:" أما الوعيد: فإن جانبت النصيحة، وأبيت إلا مراتع الإثم والوقيعة فحينئذ خرقت حجاب الوعد، ونكثت العهد؛ بمخالفة ذميمة، تحلّ العرض والعقوبة بمقدرات الشريعة، ولا يجني جان إلا على نفسه. ومن جر أذيال الناس بباطل جروا ذيله بحق"[٢] .

فعلى الداعية أن يجمع بين الوعد والوعيد في تذكيره ونصائحه، وقد يغلّب جانباً على آخر وفق مقتضى الحال، فقد يفيد الوعد مع شخص، ويؤثر الوعيد في شخص آخر.

وهذا هو منهج الشيخ بكر رحمه الله خلال دعوته الطيبة، وهو ما يهدف إليه الشيخ من نصيحة الخلق: إما الهداية، وإما الإنذار والإعذار، فيقول فضيلته:

"ولن يفوت على الداعي بعد نصف مراده من أهداف دعوته، إما الهداية وإقامة الشريعة، أو الإنذار والإعذار إلى الله تعالى ومن وراء ذلك التذكير بالمصير، وأن هناك وقفة بين يدي الله سبحانه، ولا بد من زاد ولا زاد إلا بالتقوى "[٣] .

٢. الدعاء للمسلمين جميعاً:

من النصيحة للإسلام والمسلمين ــ خاصة المخالفين والمعاندين منهم ــ الدعاء لهم وسؤال الله لهم الهداية والاستقامة على دينه، وهذا أسلوب دعوي كثيراً ما يختم به الشيخ بكر أثابه الله نصائحه وتوجيهاته المباركة، في جُلِّ مؤلفاته، من ذلك قول فضيلته:

" أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يلهم المسلمين رشدهم، ويقيهم شر أنفسهم ويصلح حالهم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير"[٤] .

---

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٩٢ .

(٢) المصدر السابق، ص٩٢ باختصار .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص١٣٣، ١٣٤ .

(٤) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤٣ .

وقوله رحمه الله:" نسأل الله سبحانه أن يهدي ضال المسلمين، وأن يذهب عنهم البأس، وأن يصرف عنهم كيد الكائدين، وأن يثبتنا جميعاً على الإسلام حتى نلقاه، إنه على كل شيء قدير"[1] .

فالموعظة الحسنة سبيل المؤمنين، وخيار المتقين، وأسلوب الناصحين في الدعوة إلى رب العالمين وخالق الخلق أجمعين.

كيف لا؟ وسيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام أمرنا بالنصح لكل مسلم وإبدائها له بالحسنى امتثالاً لقول الله جل شأنه في كتابه العزيز: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسۡنًا..﴾[2] فالحُسْن لا بد أنْ يَحفّ مواعظنا ونصائحنا في دعوتنا للناس.

وعندما استخدم الشيخ بكر أسلوب الموعظة الحسنة بكل معانيها ومظاهرها قَطَفَ ثمار الدعوة، ونال جناها؛ يتضح ذلك من تأثير دعوته على محبيه ومجتمعه وأمته واستجابتهم للحق.

* * * *

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص١٠٣

(٢) سورة البقرة، آية (٨٣) .

المطلب الثالث: أسلوب القدوة الحسنة، والأخلاق العالية:

ويشتمل على أربعة فروع:

الفرع الأول: تعريف القدوة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في القدوة الحسنة، والأخلاق العالية.

الفرع الثالث: أهمية القدوة والأخلاق، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله.

الفرع الرابع: أمثلة للقدوة الحسنة والأخلاق العالية في دعوة الشيخ بكر رحمه الله.

الفرع الأول: تعريف القدوة في اللغة والاصطلاح:

القِدْوَةُ في اللغة: الأسوة. يقال فلانٌ قِدْوَةٌ يُقْتَدى به [(١)].

وأَقْدَى: أسَنَّ وبلغ الموت، واستقام في الخير وفي طريق الدينِ.[(٢)]

والقَدْوَةُ: التقَدُّمُ، يقال: فلان لا يُقاديه أَحد، ولا يُماديه أَحد، ولا يُباريه أَحد، ولا يُجاريه أَحد، وذلك إِذا بَرَّز في الخِلال كلها.[(٣)]

وفي الاصطلاح: القدوة: بالكسر والضم الاقتداء بالغير، ومتابعته، والتأسي به.[(٤)]

وقيل: القُدْوَةُ: اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسياً.[(٥)]

فلفظ القدوة يطلق على فعل الاقتداء، وعلى من يُقتدى به.

وتعريف القدوة الحسنة في الاصطلاح الدعوي: هو "الداعية الذي ينظر إليه الناس؛ فتجله أنظارهم، وتحبه قلوبهم، ويكون صالحاً في نفسه، مصلحاً لغيره، بالسيرة الحسنة، والمسلك الطيب، والأثر الحميد"[(٦)]

---

(١) الصحاح في اللغة، باب المعتل، فصل القاف، مادة (قدا) ، (ج٦ / ص٤٦٥)
(٢) القاموس المحيط ، باب الواو والياء، فصل القاف،مادة (القدوة) ، (ج٤ / ص٤٢٨)
(٣) لسان العرب، حرف الواو والياء، فصل القاف، مادة (قدا) ، (ج ١٥ / ص ١٧١)
(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٢٦٩
(٥) المصباح المنير، (ج ٢ / ص ٦٧٨)
(٦) وسائل الدعوة، ص٢٠٥.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في القدوة الحسنة، والأخلاق العالية:

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

"هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم"(٢)

وقال عز وجل في الأمر لنبيه صلى الله عليه وسلم بالأخذ بمكارم الأخلاق ليكون قدوة حسنة لأمته من بعده: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣)

يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي في تفسير هذه الآية:

"هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

{ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ } أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرٍّ والِدَين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر اللّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو

---

(١) سورة الأحزاب، آية (٢١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ ص٦٢١) .

(٣) سورة الأعراف، آية (١٩٩) .

فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه"(١) .

وأما السنة النبوية: فهي مليئة بأساليب القدوة الصالحة النافعة التي تتسم بكمال الأخلاق وعلو المكارم، وتدل على التوافق التام بين الأقوال والأفعال، كيف؟ والنبي صلى الله عليه وسلم قدوة للأنام، وأسوة لأُولي النهى والأحلام، وقد زكاه ربه في كتابه، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٢) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: **"أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"**، متفق على صحته(٣).

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله في ذكر بعض من هديه صلوات ربي وسلامه عليه: " وهو الأسوة والقدوة، وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب الدعوة ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم، وكان أحسن الناس معاملة"(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٥٥.

(٢) سورة القلم، آية (٤) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث رقم (٤٦٧٥)، ومسلم في صحيحه بنحوه، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم (٢٤٨٧) .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج١/ ص١٦٣-١٦٥) باختصار وتصرف.

الفرع الثالث: أهمية القدوة والأخلاق وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله:

من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام؛ السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية، مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره، ويكون كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام، فيقبلون عليها، وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط[١].

فالناس في حاجة إلى الداعية القدوة الذي يسبق فعله قوله، وأسرع الناس إلى ترك المنكرات وفعل الخيرات، لذا ينبغي "أن يكون الداعي على جانب كبير من الدين والأخلاق؛ ليكون قدوة صالحة في العلم والعمل؛ فيقوم بما يأمر به من طاعة أو فضيلة، ويبتعد عما ينهى عنه من معصية أو رذيلة، فليس من الدين أن يأمر بشيء ولا يأتيه، وأن ينهى عن شيء ثم يقع فيه"[٢] .

"فطالب العلم يعد قدوة في جميع تصرفاته، ولذا كان لزاماً عليه أن يجعل ذلك دائماً نصب عينيه، وأن يسأل الله التوفيق في الأمور كلها، وأن يجعل له القبول؛ لأن نعمة قبول الناس للعبد من عاجل بشرى المؤمن، وفيها من المصالح: قبول الناس لعلمه ووعظه، وأهم من ذلك كله أن قبول الناس له مترتب على قبول الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. فالقدوة قد يؤثر بفعله قبل قوله"[٣]

فالقدوة الحسنة والأخلاق العالية أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وخير من يقتدى بهم ويتأسى بأفعالهم ومنهجهم في الدعوة هم الأنبياء والرسل عليهم السلام وآخرهم وخاتمهم: نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ثم الأمثل فالأمثل.

فمن كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة.

يقول ابن قيّم الجوزيّة، بعد أن بيّن أنّ مشهد الأسوة هو مشهد شريف ولطيف جداً: "فإن العاقل اللبيب يرضى أن يكون له أسوة برسل الله وأنبيائه وأوليائه وخاصته من خلقه فإنهم

---

(١) انظر: أصول الدعوة، ص٤٨٥.

(٢) الدعوة إلى الله، ص٢١

(٣) معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن محمد السدحان، ص١٥٩. باختصار.

أشد الخلق امتحاناً بالناس وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور، ويكفي تدبّر قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم وشأن نبينا وأذى أعدائه له بما لم يؤذه من قبله"[١]

إلى أن قال رحمه الله: "أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله وخواص عباده؟"[٢].

ومن مظاهر القدوة الحسنة، والأخلاق العالية:

١. الالتزام بمنهج الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح.

٢. المبادرة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات.

٣. موافقة الظاهر للباطن، والقول للفعل.

٤. التحلي بمكارم الأخلاق وطيب العادات، وحسن العشرة.

٥. الزهد والتقوى في هذه الحياة الدنيا الفانية.

٦. الإحسان إلى الضعفاء والأرامل وزيارة المرضى وصلة الأرحام.

الفرع الرابع: أمثلة للقدوة الحسنة في دعوة الشيخ بكر رحمه الله:

نبّه الشيخ بكر رحمه الله إلى اتخاذ أسلوب القدوة الحسنة ودعا إلى التحلي بها، وامتثلها واقعاً ملموساً، فكثيراً ما يؤكد على أهمية هذا الأسلوب في الجوانب كلها، وفي جانب الدعوة على وجه الخصوص، ثم إنّ الشيخ بكراً كان قدوة في علمه ودعوته وأخلاقه وسلوكه وتعامله، ومن عايشه عن قرب يشهد له بذلك.

يقول الشيخ غفر الله له داعياً العلماء إلى أن يكونوا قدوة لغيرهم وأسوة لمن بعدهم: "إنه العالم الرباني، المتربي بالعلم والإيمان، الذي يعايش الإسلام واقعاً، ودعوة، يدعو إلى الله بعلمه وهديه وحسن سمته على رسم الشرع قبل أن يدعو بلسانه"[٣].

---

(١) مدارج السالكين، (ج ٢ / ص ٣٣٦)

(٢) المصدر السابق، (ج ٢ / ص ٣٣٦)

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٨٦ . بتصرف يسير.

ويقول فضيلته:" فلا بد أن يرى الناس ثمار الإسلام متمثلة من واقع التطبيق في جوانب الحياة، ليخاطب لسان الواقع العملي شعور الناس بدليل مادي قائم على حياة فيها النضوج والانضباط، أما قول مجرد ليس له من قائله نصيب في التطبيق سوى قصبات صوته، وطلاقة لسانه، وانطلاقه بأسلوب أَخّاذ وضروب من القول فارغ من العمل لا يمس الواقع والتطبيق، فهذا من مواطن النهي في الشرع الشريف، قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1]"[2].

ويحثّ طلاب العلم إلى القدوة الحسنة والتحلي بصالح الأخلاق، وكريم الشمائل، قائلاً: " القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أما التلقي والتلقين، فهو ربح زائد"[3] .

ومن مظاهر القدوة العمليّة عند الشيخ بكر رحمه الله أنه عند ما حذّر من تغريب الألقاب العلمية، واستبدال الألقاب العربية والإسلامية بألقاب وافدة، قال رحمه الله " وكدت أن أساير في عيب الاجترار[4] في بعض المحررات غبّ[5] الحصول على الإجازة بالعالمية العالية"[6] فكان أثابه الله لا يحب أن يُسبق اسمه بحرف (د) رمزاً لما يحمل من شهادة، باعتبار أن كلمة (دكتور) غربية محدثة لا تمت إلى اللسان العربي بصلة.[7]

فالشيخ بكر رحمة الله عليه دعا إلى الله بأسلوب القدوة الحسنة قولاً وتطبيقاً، فكان بحق خير مثال للداعية المسلم الحريص على القبول والتأثير في المدعوين، فالتطابق بين القول والعمل دليل خير، وعلامة إخلاص، وإشارة صدق، لبلوغ الهدف المنشود، والربح المقصود.

---

(١) سورة الصف، آية (٢ ،٣)

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٩٠، ٩١ .

(٣) حلية طالب العلم، ص٣٧ .

(٤) الاجترار: التتبع والانقياد والانسياق، انظر: المحيط في اللغة، باب الجيم والراء، مادة: (جرّ) ، (ج ٦ / ص٤٠٠)

(٥) غِبُّ الأمر ومغبته: عاقبته وآخره، وغبّ الأمر: صار إلى آخره، وجئته غِبَّ الأمر أي بعده. انظر: لسان العرب، حرف الباء، فصل الغين، مادة (غبب) ،(ج ١ / ص ٦٣٤)

(٦) تغريب الألقاب العلمية، بكر أبو زيد، هامش ص١٦.

(٧) انظر:المصدر السابق، ص٢٨

فالداعي إلى الله عز وجل من الأولويات في حقه أن يكون ذا أخلاق فاضلة وسيرة حسنة وأعمال صالحة حتى يُقتدى بفعاله وأقواله وسيرته.

* * * *

المطلب الرابع: أسلوب الجدال والحوار:

ويشتمل على أربعة فروع:

الفرع الأول: تعريف الجدال والحوار في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الجدال والحوار.

الفرع الثالث: أهمية الجدال والحوار، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله.

الفرع الرابع: أمثلة للجدال والحوار في دعوة الشيخ بكر رحمه الله.

الفرع الأول: تعريف الجدال والحوار في اللغة والاصطلاح:

الجدل في اللغة: الجَدَلُ بالفتح: شدّة الخصومة. يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلاً إذا غلبته، والجَدْلُ بالسكون: شدة الفتل وإحكام الشيء [١] .

فالجدال في اللغة: إحكام الكلام للخصم على وجه الشدة والغلبة.

وفي الاصطلاح: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة [٢] .

وقيل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة.[٣]

والحوار في اللغة: الحَوْرُ الرجوع عن الشيء إلى غيره. وكل شيءٍ يتغير من حال إلى حال فإنك تقول حارَ يحورُ. والمحاوَرَةُ: مراجعة الكلامِ في المخاطبة.[٤]

والحوار في الاصطلاح: "مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين"[٥] .

---

(١) انظر: الصحاح، باب اللام، فصل الجيم، مادة (جدل) ،(ج٤ / ص٤٤٩) ، وتهذيب اللغة، باب الجيم والدال مع اللام، مادة (جدل) ، (ج١٠ / ص٦٤٩) .

(٢) مفردات غريب القرآن، (ج ١ / ص ١١٧) .

(٣) التعريفات، ص ٧٩.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، باب الحاء والراء، مادة (حار يحور) ، (ج٥ / ص٢٢٧).

(٥) الحوار، آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحي بن محمد زمزمي، ص ٢٢.

وقيل: "ضرب من المناقشة المنظمة التي تتم بين طرفين، في موضوع محدد، في ضوء ضوابط وقواعد وآداب متعارف عليها"(١) .

والفرق بين الجدال والحوار: قيل: إن الحوار والجدال ذو دلالة واحدة، وقد اجتمع اللفظان في قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(٢) .

والملاحِظ للتعريف اللغوي والاصطلاحي للجدال والحوار يلمس الفرق بينهما: حيث إنّ الجدال فيه منازعة وخصومة وشدة، والحوار لا يستلزم وجود ذلك.

ثمّ إنّ الجدال أكثرُ وروده في القرآن الكريم بالمعنى المذموم، وإن كان بعض وروده في القرآن بمعنى محمود.

وتوجد ألفاظ قريبة من الحوار والجدال، منها: المحاجّة والمناظرة والمناقشة والمباحثة.(٣)

ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي(٤).

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الجدال والحوار:

أدلة الجدال في القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾(٥) .

---

(١) تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية، د. مقداد يالجن، ص ١١.

(٢) سورة المجادلة، آية رقم (١)

(٣) للاستزادة، انظر: آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي،ص٣ــ ١٣٦، وأدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشة، وفقه الحوار مع المخالف في ضوء الكتاب والسنة، رقية طه جابر العلواني، ص٤٩ــ ٢٩٤.

(٤) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ص٦.

(٥) سورة النساء، آية (١٠٧)

وقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (١) .

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ..﴾ (٢)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان المراد من هذه الآية:

"فهو أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم، وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله، وتقوم به الحجة على المخالفين، فإنّ هذا من الجدال بالتي هي أحسن، وهو إن تقول كلاماً حقاً يلزمك، ويلزم المنازع لك أن يقوله فإن وافقك وإلا ظهر عناده وظلمه"(٣) .

ومن السنة النبوية: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**" ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ (٤) (٥).

---

(١) سورة النحل، آية (١٢٥)

(٢) سورة العنكبوت، آية (٤٦)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (ج ٢ / ص ٤٤)

(٤) سورة الزخرف، آية (٥٨)

(٥) الحديث في مسند أحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، باب: حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (٢١١٤٣، ٢١١٧٩) ، وسنن الترمذي، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزخرف، حديث رقم (٣١٧٦) ، وابن ماجه، كتاب: المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، حديث رقم (٤٧)، وحسنه الألباني، انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، ص٢٢، حديث رقم (٤٨) .

وأدلة الحوار في القرآن الكريم: قال الله جل جلاله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [١].

وقال جل شأنه: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [٢].

ومن السنة النبوية: ما صح عنه عليه الصلاة والسلام في محاورة الشاب الذي يريد الزنا وكيفية دعوته بالحوار الهادئ البناء، مما جعل الشاب يستجيب لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يلتفت إلى هذا الذنب العظيم. فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: إنّ فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه، مه، فقال:" **ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه"**. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.[٣]

ويستفاد من أدلة الجدال والحوار أن منهما ما هو مذموم ومنهما ما هو محمود: فالمذموم: من يجادل أو يحاور في المسلّمات أو آيات الله عز وجل الباهرات، يقول سبحانه: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ..﴾ [٤] .

---

(١) سورة الكهف، آية (٣٤)

(٢) سورة المجادلة، آية رقم (١)

(٣) مسند أحمد، كتاب: باقي مسند الأنصار، باب: حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (٢١١٨٥) ، صححه الألباني، انظر: مختصر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، مشهور آل سلمان، رقم الحديث (٢٨١٩) ص٥١٤.

(٤) سورة غافر، آية (٤)

ومن المذموم: ما كان لرد الحق ونصر الباطل فهذا لا يجوز شرعاً، بل هو منهج الكفار، يقول الله جل جلاله: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ.. ﴾ (١) .

ومن المذموم أيضاً: من يجادل أو يحاور بغير علم ولا هدى، يقول جلّ شأنه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ (٢) .

والمحمود منهما: "هو ما كان بنيّة صالحة، وجرى بطريقة سليمة، وأدى إلى خير"(٣)

وقد بيّن الشيخ بكر رحمه الله أنواع الجدال والحوار، وخاصة عند الرد على المخالفين للحق، وفي هذا البيان الشافي الكافي من الشيخ أثابه الله دعوة لترك الجدال المذموم والحوار العقيم، وليتنبه الدعاة إلى ذلك في دعوتهم إلى الله تعالى، وتعاملهم مع مخالفيهم، يقول الشيخ بكر رحمه الله:

" إذا كان القلم أحد اللسانين، فإن الرد بأنواعه اللسانية من: المجادلة، والمناظرة، والمحاورة، والمباحثة، مشافهة أو كتابة في: الكتب والرسائل والأبحاث، والمقالات، والمراسلة: تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الرد المحمود: واجب أو مستحب وهو الذي يحق الحق ويبطل الباطل، ويهدف إلى الرشد، وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والبواعث والمقامات، والنفوذ إلى ديار الإسلام.

النوع الثاني: رد مذموم: محرم أو مكروه، وهو ما يكون لدفع الحق أو تحقيق العناد، وعلى هذا النوع: (الرد المذموم) تتزل ردود المخالفين – كأهل البدع والأهواء – على أهل السنة والجماعة ومجادلتهم، وإيذائهم، وهضم ما هم عليه من الحق والهدي.

النوع الثالث: الرد الجائز: ويقال السائغ، مثل ما يحصل من الردود في محيط الخلاف السائغ في الفروعات، التي تجاذبتها الأدلة وتكافأت في نظر المجتهد "(٤)

---

(١) سورة غافر، آية (٥)

(٢) سورة الحج، آية (٨)

(٣) وسائل الدعوة، ص٨٩

(٤) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٤٧-٥١ باختصار .

الفرع الثالث: أهمية الجدال والحوار، وضرورة تطبيقهما في مجال الدعوة إلى الله:

يكتسب الحوار أهمية بالغة في منظومة الدعوة الإسلامية، فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة، ومعلم بارز في منهجها الرشيد.

وللحوار دوره الكبير في تأصيل الموضوعية، وردّ الفكرة المغرضة عن الدين الإسلامي.

والإنسان بطبيعته يحب الحوار والجدال مع القريب والبعيد، وقد قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[٢] ، فالإنسان يجادل كثيراً حتى في الباطل؛ فكيف لا يُجادَل معه ويحاور بالحق وللحق.

وقد أمرنا ربنا بمجادلة أهل الكتاب، فضلاً عن غيرهم، بشرط ألا يكونوا قد ظلموا وبغوا وتعدّوا فهنا لم نؤمر بالجدال معهم؛ لأنه لا يجدي مع مَنْ هذه صفته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فالظالم لم يؤمر بجداله بالتي هي أحسن فمن كان ظالماً غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لا يجادلون بالتي هي أحسن بخلاف من طلب العلم والدين و لم يظهر منه ظلم سواء كان قصده الاسترشاد أو كان يظن أنه على حق يقصد نصر ما يظنه حقاً ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل عليه فهذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق أخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاء له بموجب عمله"[٣]

وقال في موضع آخر: "وأما الجدل فلا يدعى به بل هو من باب دفع الصائل فإذا عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن ولهذا قال وجادلهم فجعله فعلاً مأموراً به مع قوله ادعهم فأمره بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن وقال في الجدال بالتي هي أحسن و لم يقل بالحسنة كما قال في الموعظة لان الجدال فيه

---

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٤٧-٥١ باختصار .

(٢) سورة الكهف، آية (٥٤)

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (ج١/ ص٧٤) باختصار.

مدافعة ومغاضبة فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة والموعظة لا تدافع كما يدافع المجادل فما دام الرجل قابلاً للحكمة أو الموعظة الحسنة أو لهما جميعاً لم يحتج إلى مجادلة فإذا مانع جودل بالتي هي أحسن"(١) .

ونجد في الوحيين الشريفين مواقف عدة للأنبياء مع أممهم، والمصلحين مع أقوامهم. نماذج من الحِجَاج والمجادلة، والرد على كل ضلالة ومخالفة، ومحاورة المنكرين والمتكبرين، يقول الله سبحانه: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ (٢)

وكثيراً ما يكرر القرآن العظيم مجادلات الأنبياء والرسل لأممهم: {قال..}، و{قالوا..}، الخ.

فالقرآن والسنة معين لا ينضب وزاد لا ينفد للداعية إلى الله في كيفية استخدام هذا الأسلوب المؤثر مع المدعوين ومراعاة الفوارق البشرية والتدرج في الحوار والمجادلة.

الفرع الرابع: أمثلة للجدال والحوار في دعوة الشيخ بكر رحمه الله:

ذكر الشيخ بكر رحمه الله عدة آداب للمجادل والمحاور منها ما يتعلق بالمتحاورين من إخلاص النية لله وسلامة القصد وكذلك المتابعة للشريعة لا غير، فلا يدفع الباطل بمثله وإنما يبطل بالحق، وفي الحق غنى عن الباطل، وأيضاً أهلية القائم بالرد في معرفة الحق وإبرام أدلته، ونصبها دليلاً عليه.

وإلا فقد ذم الله من يحاجُّ بلا علم فقال سبحانه: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ .. ﴾ (٣)

---

(١) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص ٥١٢.

(٢) سورة الأعراف، آية (٧١)

(٣) سورة آل عمران، آية (٦٦) .

وقد ذكر الشيخ بكر أثابه الله أن الاستقامة من صفات أهل الحوار فلا يكون القائم بهذا الواجب متلبساً ببدعة أو فجور، فإن التلبس بشيء من ذلك يصرف القلوب عن قبول أقواله أو تفتح للخصم هضم الحق بواسطته.(١)

ثم ذكر الشيخ بكر غفر الله له جملة من الآداب المرعية عند الجدال والحوار وهي:

" ١- توثيق الكلام المردود عليه من كتبهم ذاتها، لا من الكتب التي ترد عليهم، أو تحكي عنهم، أو فيما يقال عنهم.

٢- تحديد مآخذ المخالفة: إحكام الإدراك لمأخذ المخالفة ومدركها، أساس في ترتيب النقض.

٣- إنصاف الخصم: فالله يحب العدل والإنصاف على الموافق والمخالف، وما يضر المتعصب بغير حق إلا نفسه.

٤- فتح باب العودة للخصم واحتوائه، لاسيما إذا كان كلامه يحتمل وجهين، فيحمل على أحسنهما.

٥- الأصل هو الستر، والعمل على دفع دواعي الفرقة وعدم الموافقة، فالرد ينصب على المقالة المذمومة لا على قائلها "(٢)

ومن جملة الآداب فيما يتعلق بالرد ذاته وذكرها الشيخ بكر، ما يلي:

" - الإقناع بالدليل والحجة والبرهان لا بمجرد الكلام.

-مجانبة التشهي والتحكم بالدليل والحكم.

فدأب المبطلين، هو المحاجة تحكماً بالتشهي، ولهذا فتبطل عليهم مقالاتهم بهذا، ولا يعاملون بالمثل فماذا بعد الحق إلا الضلال.

-حسن الصياغة والتزام لسان العرب في الصياغة من غير إغراب ولا تعقيد، والأصل في صياغة الرد أن يكون بالتي هي أحسن.

---

(١) انظر: الرد على المخالف من أصول الإسلام، ص٥٤-٥٧ .

(٢) المصدر السابق، ص٥٨-٦٠ باختصار .

-الحذر من تكثير العبارة بالتطويل والكلام المكرر، المشتمل على الغث والسمين.
ومجانبة كلمة (أنا) و (نحن) لما في ذلك من التعاظم والتعالي "(١)

وأوضح الشيخ بكر رحمه الله أدباً جمّاً من آداب الجدال أو الحوار، وبيّن مقاصده، فقال فضيلته: " فبيان الخلاف بإظهار الحق من الباطل: مقصد عظيم من مقاصد بعثة الرسل، لتزول عن الأمة غشاوة الخلاف الطائش، والاختلاف الجائر. ولهذا نجد مجموعة وافرة من الآيات في الجدل والمحاجة وإقامة الحجة والبرهان، لإقامة الدين وظهوره وحراسته "(٢).

وقال الشيخ رحمه الله: "وإن أعلن بالبدعة، ولم يعلم هل كان منافقاً أو مؤمناً مخطئاً ذكر بما يعلم منه، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يحل له أن يتكلم في هذا الباب إلا قاصداً بذلك وجه الله تعالى، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، فمن تكلم في ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه كان آثماً"(٣)

وفرّق الشيخ بكر غفر الله له بين المناظرة والمماراة، فحذّر من المماراة، وحث على المناظرة الحقّة، فقال فضيلته:

" إياك والمماراة، فإنها نقمة، أما المناظرة في الحق فإنها نعمة، إذ المناظرة الحقّة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنية على المناصحة، والحلم، ونشر العلم، أما المماراة في المحاورات، والمناظرات فإنها تحجج ورياء، ولغط وكبرياء، ومغالبة ومراء، واختيال وشحناء، ومجاراة للسفهاء، فاحذرها واحذر فاعلها "(٤) .

وكان الشيخ بكر جعل الله الجنة مثواه ينكر على أصحاب الطرق والأحزاب تلك البيعة البدعية لبعض مشايخهم وزعمائهم، فما كان منه رحمه الله إلا أن حاورهم بهدوء وروية لإحقاق الحق وإبطال الباطل، ونقض معتقدهم في هذه البيعة المحدثة، فقال محاوراً لهم:

---

(١) المصدر السابق، ص٦٤-٦٨ باختصار.
(٢) المصدر السابق، ص٢٢ .
(٣) المصدر السابق، ص٤٢ .
(٤) حلية طالب العلم، ص٦٨ .

"وهكذا تقطع جسم الأمة الإسلامية بين بيعات طرقية في أجواف الزوايا إلى بيعات حزبية في المواجهة، وصار الشباب في حيرة إلى أي حزب ينتمي، ولأي رئيس تنظيم يبايع، والبيعة عهد وعقد يقتضي الولاء والبراء، فهل إذا أتم بيعته يذهب إلى الجماعات الإسلامية يدعوها إلى (مثل ما هو عليه وحزبه)، أم ماذا؟!

فإن قيل: لا، الكل أخوة، ولا تقتضي التفريق؛ سقط مقصود البيعة، وصارت عهداً تقليدياً لا معنى له؟

وإن قيل: نعم؛ صار هذا نهاية تشقيق الأمة، وتفريقها شيعاً وأحزاباً يضرب بعضهم رقاب بعض، وهذا عين ما نهى الله عنه ورسوله، وتوعد فاعله، ونص على من أحدثه"[(١)]

فموضوع الاعتناء بالخطاب مع الآخرين وخصوصاً في القضايا الدينية من الأهمية بمكان، فكلما كان الحوار بنّاءً، والجدال بالتي هي أحسن، يصبح الآخر مضطراً للاستماع والإنصات ومسايرة الداعي في كل كلمة يقولها وكل عبارة يسوقها، وكان أحرى بالقبول والاستجابة.

فعلى المسلمين عموماً، والدعاة على وجه الخصوص التقيّد بآداب الحوار والجدال، وأن يكون المقصد هو إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ ابتغاء وجه الله تعالى، وهو أسلوب دعوي يُلجأ إليه عندما لا يجدي القول الحكيم، والموعظة الحسنة، فعندئذٍ يصار إلى المجادلة بالتي هي أحسن.

وهذا منهج القرآن الكريم وسنة رسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه في استخدام هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى.

* * * *

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٣٩

المطلب الخامس: أسلوب ضرب الأمثال والقصص:

ويشتمل على أربعة فروع:

الفرع الأول: تعريف الأمثال والقصص في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الأمثال والقصص.

الفرع الثالث: أهمية الأمثال والقصص، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله.

الفرع الرابع: أمثلة لما جاء في دعوة الشيخ بكر رحمه الله من ضرب الأمثال وإيراد القصص.

الفرع الأول: تعريف الأمثال والقصص في اللغة والاصطلاح:

١. الأمثال معناها في اللغة:

جمع مثل، والمَثَلُ: الشيءُ يُضرَبُ للشيء فيُجْعَل مِثْلَه. والمِثلُ: شِبْهُ الشيءِ في المثال والقَدْر ونحوِه حتى في المعنى، والمَثَلُ: ما يُضرب به من الأمثال. ومَثَلُ الشيءِ أيضاً: صفتُه. ومَثَّلْتُ له كذا تمثيلاً، إذا صوَّرت له مِثالَه بالكتابَةِ وغيرها.[١]

٢. ومعنى الأمثال في الاصطلاح:

عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبيّن أحدهما الآخر ويصوره.[٢]

فضرب الأمثال على نوعين: تشبيه شيء بشيء لتقريب الصورة للفهم والتأثير على العقل.

والنوع الثاني: الاستعانة بالأمثال العربية التي قيلت في زمن مضى لتقوية الحجة، والدلالة على المعنى المراد.

---

(١) انظر: العين،باب الثاء واللام والميم، مادة (مثل) ، (ج٨ / ص٢٢٨) ، والصحاح في اللغة، باب اللام، فصل الميم،(ج٥ / ص١٠١)

(٢) المفردات في غريب القرآن، (ج٢ / ص ٥٩٦) .

٣. والقصص معناه في اللغة:

جمع قصة. والقصُّ معناه: قَصَّ أثرَه، أي تَتَبَّعه. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [(١)] .

وكذلك اقْتَصَّ أثرَه، وتَقَصَّصَ أثرَه. ومنه قوله تعالى: (وقالت لأُختِه قُصيِّه)[(٢)] ، أي: اتبعي أثره.

والقِصَّةُ: الأمرُ والحديث والخبر. وقد اقْتَصَصْتُ الحديث: رويته على وجهه. وقد قَصَّ عليه الخبرَ " قَصّاً" و " قَصَصاً": أَعْلَمَه به وأَخْبَرَه، ومنه: قَصَّ الرُّؤْيَا.

يقال: قَصَصْتُ الرُّؤْيَا أَقُصُّها قَصّاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ .. ﴾ [(٣)].

والقاصُّ: وجمعه قُصَّاص: مَن يأتي بالقِصَّة. وقيل للقاص يقص القصص: لإتباعه خبراً بعد خبرٍ وسوقه الكلام سوقاً.[(٤)]

٤. ومعنى القصص في الاصطلاح:

هو" مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة "[(٥)] .

وقيل القصة: " تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد مواقفهم، وأعمالهم، وبخاصة مع رسل الله إليهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل، مع التركيز على مواطن العبرة والعظة"[(٦)]

---

(١) سورة الكهف، آية (٦٤)
(٢) سورة القصص، آية (١١)
(٣) سورة يوسف، آية (٥) .
(٤) انظر: تهذيب اللغة باب القاف والصاد، مادة (قصّ) ، (ج٨ / ص٢٥٤) ، والصحاح في اللغة، باب الصاد، فصل القاف، مادة (قصص) ، (ج٣ / ص٢٥٧) ، والقاموس المحيط، باب الصاد، فصل القاف، مادة (قصَّ) ، (ج٢ / ص٤٧٩) ، وتاج العروس، باب الصاد، فصل القاف، مادة (ق ص ص) ، (ج١٨ / ص٩٨ وما بعدها) .
(٥) التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ج٨/ ص٧٤) .
(٦) القصة في القرآن الكريم، مريم عبد القادر السباعي، ص٣٠.

وأحسن القَصَصِ: القرآن الكريم: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ .. ﴾[(١)].

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في الأمثال والقصص:

١. الأدلة الواردة في أسلوب ضرب الأمثال:

من الكتاب الكريم: قال الله تعالى: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[(٢)] .

أي: "يتفكرون أحوال المبدأ والمعاد، وبدائع صنعه سبحانه الدالة على وجوده ووحدانيته، وفي ضرب الأمثال زيادة تذكير وتفهيم وتصوير للمعاني"[(٣)] .

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ .. ﴾[(٤)].

وقال جل جلاله: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[(٥)].

فقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾، أي: "هذا المثل، وغيره من الأمثال التي في القرآن نضربها للناس تنبيها لهم، وتقريباً لما بَعُدَ من أفهامهم.

{ وَمَا يَعْقِلُهَا }، أي: يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله ﴿ إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ بالله، الراسخون في العلم، المتدبرون، المتفكرون؛ لما يتلى عليهم وما يشاهدونه"[(٦)].

---

(١) سورة يوسف، آية (٣)

(٢) سورة إبراهيم، آية (٢٥)

(٣) فتح القدير، (ج ٣ / ص ١٣٢)

(٤) سورة الحج، آية (٧٣) .

(٥) سورة العنكبوت، آية (٤٣) .

(٦) فتح القدير ،(ج٤/ ص ٢٥٣)

ومن السنة النبوية: ما ثبت عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**"(١).

(**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها**)، معناه: الناهي عن المعصية والواقع فيها. وقوله: (**استهموا على سفينة**)، أي اقترعوها، فأخذ كل واحد منهم سهماً أي نصيبا من السفينة بالقرعة .(٢)

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة**" متفق عليه (٣) .

فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير. ومعنى: (**يحذيك**) أي يعطيك (٤). و(**نافخ الكير**): حقيقته البناء الذي يركب عليه الزق. والزق هو الذي ينفخ فيه فأطلق على الزق اسم الكير مجازاً لمجاورته له، وقيل الكير هو الزق نفسه وأما البناء فاسمه الكور (٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيها. حديث رقم (٢٣١٣) .

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ج ٨ / ص ٢١٣)

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: العطار وبيع المسك، حديث رقم (١٩٥٩) وكتاب: الذبائح والصيد، باب: المسك، حديث رقم (٥١٠٨) ، ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم (٤٧٦٢) .

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم،(ج ٨ / ص ٤٦٨)

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، (ج ٦ / ص ٤٢١)

٢. الأدلة الواردة في أسلوب القصص:

من الكتاب العزيز: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(١)] ، وقال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[(٢)] ، وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)] .

وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٤)] .

يقول الشوكاني[(٥)] رحمه الله في تفسير هذه الآية: { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ } أي: قصص الرسل ومن بعثوا إليه من الأمم، أو في قصص يوسف وإخوته وأبيه {عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ} والعبرة: الفكرة والبصيرة المخلصة من الجهل والحيرة، وقيل: هي نوع من الاعتبار، وهي العبور من الطرف المعلوم إلى الطرف المجهول. وأولو الألباب: هم ذوو العقول السليمة الذين يعتبرون بعقولهم فيدرون ما فيه مصالح دينهم، وإنما كان هذا القصص عبرة لما اشتمل عليه من الاخبارات المطابقة للواقع مع بعد المدّة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الرسل الذين قص حديثهم[(٦)].

ومن السنة المطهرة: قصة الساحر والراهب والغلام: فعن صهيب[(٧)] رضي الله عنه

---

(١) سورة آل عمران آية (٦٢)
(٢) سورة الأنعام، آية (٥٧) .
(٣) سورة الأعراف، آية (١٧٦) .
(٤) سورة يوسف، (١١١) .
(٥) محمد بن علي الشوكاني ثم الصنعاني ولد ونشأ وتوفي باليمن، ولد عام ١١٧٣هـ، قام بالتدريس وتولى القضاء وأفتى وألّف، توفي عام ١٢٥٠هـ، أبرز مؤلفاته: البدر الطالع، إرشاد الفحول، شرح الصدور في تحريم رفع القبور، فتح القدير. انظر: الإمام الشوكاني: حياته وفكره، د. عبد الغني قاسم الشُرجي، ص١٥٠ وما بعدها، وانظر: الإمام الشوكاني مفسراً، د. محمد حسن الغماري، ص٥٩ وما بعدها.
(٦) انظر: فتح القدير، (ج ٤ / ص ٨١)
(٧) صهيب بن سنان بن مالك، وهو الرومي قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيرا، أسلم هو وعمّار ورسول الله صلى الله عليه و سلم في دار الأرقم، هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً والمشاهد بعدها،

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه** ....الحديث"[١]

وقصة الأبرص والأقرع والأعمى: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**إنَّ ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً**...الحديث"[٢] .

الفرع الثالث: أهمية الأمثال والقصص، وضرورة تطبيقها في مجال الدعوة إلى الله:

القصة في هذا العصر - كما هي في كل عصر - أفضل وسيلة للتربية والتهذيب، فعن طريق العرض القصصي لحوادث القصة وأشخاصها تتفتح أشواق النفس إلى متابعة هذا العرض، وإلى المشاركة الوجدانية في مواقف القصة وأحداثها وأزمانها حتى لكأنَّ القارئ أو المستمع أو المشاهد جزء منها وواحد من أشخاصها.[٣]

فإيراد القصص فيه حكم ودروس للأفراد والمجتمعات: تربوية، ودعوية، واقتصادية واجتماعية، وغير ذلك.

فالداعية يحتاج في دعوته إلى إيراد القصص الصحيحة المعبّرة التي حصلت للماضين في شتى العصور، وخصوصاً قصص القرآن لما فيه من الفوائد والحقائق والعبر، من ذلك: أن نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق ومعاني وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل وأن نعتبر به. فمن ذلك ما حصل للأنبياء وما أصابهم من الأذى في سبيل

=مات صهيب سنة ثمان وثلاثين وقيل سنة تسع وثلاثين. الإصابة في تمييز الصحابة، (ج٣/ ص٤٤٩ــ ٤٥١) باختصار.

(١) صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم (٥٣٢٧)

(٢) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل، حديث رقم (٣٢٠٥) ، وصحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، حديث رقم (٥٢٦٥) .

(٣) انظر: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، عبد الكريم الخطيب، ص٥٤.

الله، ثم إن الله نصرهم وجعل العاقبة الحسنى لهم، وفي ذلك عبرة للمؤمنين.

وفي القصص القرآنية فائدة عظيمة للكفار والمشركين والعصاة والظلمة والمتكبرين، لكي يروا ما حصل بأمثالهم من الأمم السابقة ليتعظوا قال تعالى: ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وفي القصص القرآني فائدة كبيرة لأهل الدعوة والدعاة لا غنى لهم عن معرفتها، فهي تُعرّفهم بمناهج الأنبياء - عليهم السَّلام - في دعوة أقوامهم إلى الله، وكيف أن الله أظهرهم على عدوهم رغم قلة عددهم . فعلى اللاحقين من المؤمنين عدم اليأس، وليعلموا أن ما أصابهم من أذى قد أصاب من قبلهم، ولكن العاقبة أبداً للمتقين.

وهناك فائدة أخرى للدعاة، وهي ما اشتملت عليه القصص القرآنية من بيان لما جبلت عليه النفس الإنسانية من غرائز وميول ورغبات وكيف عالج الأنبياء ــ عليهم السَّلام ــ أحوال الناس وفقاً لهذه الميول والرغبات[2].

وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3].

الفرع الرابع: أمثلة لما جاء في دعوة الشيخ بكر رحمه الله من ضرب الأمثال وإيراد القصص:

لقد أكْثَرَ الشيخ بكر غفر الله له من ضرب الأمثال وإيراد القصص الواقعية في كثير من مؤلفاته، لإيمانه رحمه الله بحاجة الناس لمثل ذلك، وهذا أسلوب دعوي مقتبس من هدي الكتاب ومشكاة النبوة.

---

(١) سورة الأعراف، آية (١٧٦) .

(٢) انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة . د عبد الكريم زيدان. ص٦- ٨.

(٣) سورة يوسف، آية (١١١) .

يقول فضيلته: " إنّ ضرب الأمثال في القرآن قد تنوعت فضرب المثل بالأعمى والأصم، وبالعنكبوت، ورؤوس الشياطين، والكلب، والحمار، والأنعام، والعبد المملوك، وهكذا "[(١)].

وهذه نماذج مما سطره يراع الشيخ بكر، من ضرب الأمثال، ومما استعان به من الأمثال العربية المقولة.

ففي كيفية طلب العلم ومراتبه، يقول رحمه الله:

" ((من لم يتقن الأصول حرم الوصول))، و ((من رام العلم جملة ذهب عنه جملة))، و ((ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم))"[(٢)]

وقال رحمه الله: "((تأمّل تُدْرِك))، ((فإن من ثبت نبت))"[(٣)] قالها في الحث على التحلي بالتأمل، والتحلي بالثبات والتثبت لاسيما في الملمات والمهمات.

كما أورد مثلاً على الانتقاء في طلب العلم، فقال: "((اجن الثمار وألق الخشبة في النار))"[(٤)] ، أي خذ ما صفا ودع ما تَكدَّر.

وفي الحذر من قرين السوء، أورد مثلاً وتمثيلاً [تشبيهاً]، فقال فضيلته:

"إذ الطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب[(٥)] القطا[(٦)] مجبولون على تشبّه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك، فإنه العطب، (والدفع أسهل من الرفع)"[(٧)]

فشبَّه الناس في تقليدهم لبعضهم كأسراب القطا، وأورد مثلاً معروفاً ((الدفع أسهل من الرفع)) بمعنى أن دفع الشر قبل وقوعه أيسر وأسهل من رفعه بعد وقوعه، وهذا

---

(١) التمثيل حقيقته، وتاريخه، وحكمه ص٥١ .

(٢) حلية طالب العلم، ص٢٥ .

(٣) المصدر السابق، ص٢٣

(٤) المصدر السابق، ص٤٢

(٥) أسراب: جمع سرب وهو القطيع من القطا والظباء والوحش والخيل والحمر والنساء. انظر: مختار الصحاح، باب السين، مادة (سرب) ، ص ٢٥٧.

(٦) القطا: طير معروف، الواحدة قطاة، ويثنى قطوان وقطيان. المحيط في اللغة، باب القاف والطاء، مادة (قطو)، (ج٥ / ص٤٨٠)

(٧) حلية طالب العلم، ص٤٧

لتقريب الفهم وترسيخ المعنى في النفوس.

وشبّه الكتاب والسنّة بالجناحين للطائر، فقال رحمه الله حاثاً طلاب العلم على التمسك بالكتاب والسنة: "طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة فهما كالجناحين للطائر ..الخ"[١]

وفي التحذير من تتبع العثرات وتلمس الزلات والهفوات المغتفرة بجانب ما عليه الشخص من الحق والهدى والخير الكثير، يقول فضيلة الشيخ:

"ولو أخذ كل إنسان بهذا [أي بالخطأ والزلة] لما بقي معنا أحد، ولصرنا مثل دودة القز، تطوي على نفسها بنفسها حتى تموت "[٢]

وهذا تشبيه بليغ، ومثال رائع، يدل على سعة علم الشيخ وعلو معرفته، وحسن أسلوبه الدعوي المؤثر.[٣]

ويحسن بالداعية تضمين دعوته بعض الأمثال المناسبة للمقام والمقال، فهي مساعدة لتقريب الأفهام، وتسهيل الوصول للعقول.

وبخصوص القصص، بيّن الشيخ بكر أجزل الله مثوبته أن القصص منه ما هو مذموم، ومنه ما هو محمود وهو القصص القرآني، والعبرة بما يتضمن القصص من معاني وحقائق وعبر، قائلاً:

" ولما نشأت ظاهرة (القصص الكاذب) في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بغية الوعظ والتذكير، وضع ذلك عمر رضي الله عنه وشدد النكير على القصاص والمذكّرين. وقد توالت كلمة العلماء على إنكار ذلك، وأنه دجل وتلاعب بالعقول، وكذب مختلق لا يجوز، وتشويه لصورة الإسلام وشيوع للموضوعات، والمختلقات. وإنه

---

(١) المصدر السابق، ص٦٩

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين ص٢١ .

(٣) للشيخ بكر رسالة قيّمة بعنوان: (لطائف الكلم في العلم) تضمنت الكثير من الحكم والأمثال الواردة في كتب السابقين وجاءت على ألسنة الأولين، وقد وثّق الشيخ مصادرها وعلّق عليها رحمة الله عليه. انظر: النظائر، ص٢٨٣ــ ٣٠٣.

وإن ظهر بمظهر الوعظ وإيقاظ النفوس، فهو مرض شهوة، حب المال والجاه والظهور. وقد أغنانا الله بقرآن يتلى فيه أنواع القصص، والعبر، بل فيه أحسن القصص"(١) .

وكان من عجيب صنعه رحمه الله أنه إذا أراد أن يبيّن حكم مسألة أو لفظة أتى بقصة من القصص النبوي الشريف، يقول الشيخ بكر - في سياق حديثه عن لفظ:(ويحك)-: "عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: مرَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - برجل يسوق بدنةً، فقال: (اركبها)، فقال: يا رسول الله: إنَّها بدنة، فقال: (اركبها)، قال: إنَّها بدنة، قال في الثالثة، أو في الرابعة:(ويحك اركبها)(٢) "(٣) . [وفي لفظ: (ويلك)، وفي لفظ: (ويلك أو ويحك) شك من الراوي].

وكذا أورد قصة المرأتين اللتين تحاكمتا إلى داود عليه السلام، فقال رحمه الله:"وفي قصة تحاكم المرأتين إلى داود عليه السلام لما قال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله ... الحديث (٤) "(٥).

---

(١) التمثيل: حقيقته، وتاريخه، وحكمه، ص٤٢ .

(٢) روي الحديث عن أبي هريرة وعن أنس رضي الله عنهما بألفاظ متقاربة، فقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: ركوب البدن، حديث رقم (١٥٧٦، ١٥٧٧) ، وباب: تقليد النعل، حديث رقم (١٥٩١) ، وكتاب: الوصايا: باب: هل ينتفع الواقف بوقفه، حديث رقم (٢٥٤٩، ٢٥٥٠) ، وكتاب الأدب، باب: ما جاء في قول الرجل ويلك، حديث رقم (٥٦٩٣، ٥٦٩٤) ، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب: الحج، باب: جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها، حديث رقم (٢٣٤٢، ٢٣٤٣، ٢٣٤٤) .

(٣) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد - ص ٦٩٣، ٦٩٤.

(٤) نص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى) ، قال أبو هريرة: والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية. رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ووهبنا لداود سليمان، حديث رقم (٣١٧٣) ، وكتاب الفرائض، باب: إذا ادَّعت المرأة ابناً، حديث رقم (٦٢٧١) ، ومسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية، باب: بيان اختلاف المجتهدين، حديث رقم (٣٢٤٥) .

(٥) معجم المناهي اللفظية، ص ٦٩٧.

وأيضاً استعان بهذه القصة العجيبة في سياق كلامه أثابه الله عن الحجاب وأهميته، وبيان المطالبات المنحرفة بدعوى تحرير المرأة، فقال فضيلته:

"قصة نزع الحجاب، قصة تتقطع منها النفس حَسَرات، ذلك أنه سُخِّر خطيب جمعة بالنداء في خطبته إلى نزع الحجاب، ففعل المبتلى، وبعدها قامت فتاة جزائرية فنادت بمكبر الصوت بخلع الحجاب، فخلعت حجابها ورمت به، وتبعها فتيات - منظمات لهذا الغرض- نزعن الحجاب، فصفق المسَخَّرون، والصحافة من وراء هذا إشاعة، وتأييداً"[1].

فالأسلوب الجذاب والمؤثر له وقع في النفس البشرية، وله دور في تغيير المفاهيم، وتعديل السلوك، وتقويم الأخلاق، فكلما كان الأسلوب مثالياً، وموافقاً للشرع الحنيف كلما كان تأثيره أقوى ونتيجته أسرع.

وأسلوب الأمثال، والقصص الحق؛ أسلوب قرآني حكيم، ومنهج نبوي كريم، زخرت به كتب السلف الصالح، وهذا ما دعا الشيخ بكراً أن يسلك هذا المسلك الرشد في دعوته للأمة ونصيحته لها ليعذر أمام الله جل جلاله في بلاغ هذا الدين وتبليغه لكل من كتب الله له أن ينتفع بمواعظه وخطبه ومؤلفاته.

* * * *

(١) حراسة الفضيلة، ص ١٦٩، ١٧٠. باختصار.

المطلب السادس: أسلوب البلاغة:

ويشتمل على فروع أربعة:

الفرع الأول: تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في ما يتعلق بهذا الأسلوب.

الفرع الثالث: أهمية استخدام الأسلوب البلاغي في الدعوة إلى الله تعالى.

الفرع الرابع: أمثلة ونماذج للأساليب البلاغية في دعوة الشيخ بكر رحمه الله.

الفرع الأول: تعريف البلاغة في اللغة والاصطلاح:

البَلاغَة في اللغة: الفصاحةُ. وبَلُغَ الرجلُ بالضم، أي صار بَليغاً[(١)].

والإنسان الفَصِيح: المنطلق اللِّسَان في القول الذي يعرفُ جيِّدَ الكلام من رديئة[(٢)].

والفصاحة قد يستعملونها مُرَادِفةً للبلاغة كما دلَّ عليه الاستعمال[(٣)].

والبلاغة في الاصطلاح: هي عرض المعنى عرضاً واضحاً بصورة لفظية صحيحة فصيحة، مؤثرة في النفس، ملائمة للمقام الذي تقال فيه[(٤)].

الفرع الثاني: الأدلة الواردة من الكتاب والسنة في ما يتعلق بهذا الأسلوب:

قد جاء الأمر الإلهي الكريم بأن نقول للناس قولاً بليغاً وخصوصاً عند دعوهم ونصحهم، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[(٥)]، أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم[(٦)].

---

(١) الصحاح، باب الغين، فصل الباء، مادة (بلغ)، (ج٤/ ص٤، ٥) .
(٢) تاج العروس، باب الحاء، فصل الفاء، مادة (ف ص ح) ، (ج٧ / ص١٨)
(٣) نفس المصدر، باب الحاء، فصل الفاء، مادة (ف ص ح) ، (ج٧ / ص١٩)
(٤) المنهل العذب في الدراسات الأدبية، د محمد علي الهاشمي، ص٣١٣.
(٥) سورة النساء، آية (٦٣) .
(٦) تفسير القرآن العظيم، (ج ٢ / ص ٣٤٧) .

وجاء في تفسير الآية الكريمة أيضاً: [قل لهم قولاً] بالغاً في وعظهم إلى المقصود مؤثراً فيهم[(١)].

وقال عز من قائل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾[(٢)]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**إنّ من البيان لسحراً**"[(٣)].

والبيان نوعان: الأول ما يبين به المراد، والثاني تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين.

والنوع الثاني هو الذي يشبه بالسحر. والمذموم منه ما يقصد به الباطل؛ وشبهه بالسحر لأن السحر صرف الشيء عن حقيقته[(٤)].

الفرع الثالث: أهمية استخدام الأسلوب البلاغي في الدعوة إلى الله تعالى:

بيّنت الأدلة السابقة أن القول البليغ، والبيان الفصيح له تأثير في قلوب المدعوين حتى إنّ النبي عليه الصلاة والسلام شبهه بالسحر لما يحدثه من تغيير وتبديل للمفاهيم. ومن هنا كانت الحاجة ماسة وضرورية لأن يكون الداعية ذا فصاحة وبلاغة ليؤثر في الغير، ويُقبل وعظه وتذكيره.

فالألفاظ وحدها لا تفيد في التغيير من غير الاهتمام بالمعنى وحسن الصياغة، فـ" كيف ينبغي أن يحكم في تفاضل الأقوال إذا أراد أن يقسم بينها حظوظها من الاستحسان، ويعدل القسمة بصائب القسطاس والميزان، ومن البيّن الجلي أن التباين في هذه الفضيلة، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرد اللفظ، كيف والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً

---

(١) فتح القدير، (ج ٢ / ص ١٦٨)

(٢) سورة الرحمن، الآيات (١ – ٤)

(٣) متفق عليه: في صحيح البخاري كتاب: النكاح، باب: الخطبة، حديث رقم (٤٧٤٩) ، وصحيح مسلم، كتاب: الجمعة باب: تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (١٤٣٧) .

(٤) فتح الباري، (ج ٩ / ص ٢٠٢) .

من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"[(١)]

وفصيح اللسان يستميل قلوب الناس إليه بحسن فصاحته ونظم كلامه فالأنفس تكون إليه تائقة، والأعين إليه رامقه. وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة: أهل العلم؛ لكثرة قراءتهم الأحاديث وخوضهم في أنواع العلوم.[(٢)]

وطالب العلم إذا لم يعرف النحو ومعاني اللغة وأساليب البلاغة يخشى عليه من التقوّل على الله بغير علم؛ لأنه قد يلحن في كلامه فيغيّر المعنى، ويحرف المراد، فيسيء وهو قد يريد الإحسان.

الفرع الثالث: أمثلة ونماذج للأساليب البلاغية في دعوة الشيخ بكر رحمه الله:

وإذا أمعنا النظر في مؤلفات الشيخ بكر رحمه الله نجده قد أُعطيَ بلاغة وفصاحة، ومعرفة في أصول الكلمات، وحسن الصياغة من غير إغراب ولا تعقيد.

وعرف عن الشيخ عليه رحمة الله أسلوبه العربي الناصع الذي يحتضن لغة القرآن. بإشراقها وجمالها وسلامتها وبلاغتها[(٣)] .

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يَعْجَب كثيراً من أساليب الشيخ بكر رحمهما الله، وكان يقول متعجباً: من أين يأتي الشيخ بكر بهذه الأساليب، والتراكيب ؟![(٤)].

وقال عنه صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: إنّ كلامه في غالب كتبه كلام يدل على تضلعه في اللغة العربية، والذي يظهر أنه لا يتكلف ذلك لأن الكلام سلس ومستقيم، وهذا يدل على أن الله تعالى أعطاه غريزة في اللغة العربية لم ينلها

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ص١٣، ١٤.

(٢) انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٢١٩،٢٢٣.

(٣) انظر: صحيفة الجزيرة العدد (١٢٩٥٥) تاريخ ١٠ ربيع الأول ١٤٢٩هـ، مقالة: د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي، ص٦.

(٤) جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٦٣.

كثير من العلماء في وقتنا.(١)

ويمتثل الباحث ما قاله الشيخ بكر: "في الإشارة ما يغني عن طول العبارة"(٢).

فأُورِدُ بحول الله نماذج لمقالات الشيخ بكر رحمه الله في هذا الشأن. يقول بليغ زمانه، وفصيح أقرانه فضيلة الشيخ بكر أبو زيد:

"احذر ((الفتانين)) دعاة ((الفتنة)) الذين يتصيدون العثرات وسيماهم: جعل الدعاة تحت مطارق النقد، وقوارع التصنيف، موظفين لذلك: الحرصَ على تصيد الخطأ، وحمل المحتملات على المؤاخذات، والفرحَ بالزلات والعثرات؛ ليمسكوا بها بالحسد والثلب واتخاذها ديدناً.

وهذا من أعظم التجني على أعراض المسلمين عامة، وعلى الدعاة منهم خاصة"(٣).

وفي هذا النص أيضاً من البلاغة والفصاحة ما يميز أسلوب الشيخ بكر بالألفاظ العربية الفصيحة، وانتقاء الكلمات المناسبة، مع البعد عن الوحشي من اللغة والمهمل، ومع أنّ ألفاظه غريبة على أهل عصره فهي فصيحة سليمة، وعربية مستعملة، يقول فضيلته:

" امتدت من المبتدعة الأعناق، وظهر الزيغ، وعاثوا في الأرض الفساد، وتجارت الأهواء بأقوام بعد أقوام؛ فكم سمعنا لآلاف من المسلمين، وبالبلد من ديار الإسلام يعتقدون طرقاً ونحلاً محاها الإسلام.

---

(١) شرح كتاب حلية طالب العلم، مادة مسجلة.

(٢) الردود، رسالة في براءة أهل السنة عن الوقيعة في علماء الأمة، ص٢٧٥.

(٣) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٦

إلى آخر، ما هنالك من الويلات، التي يتقلب المسلمون في حرارتها، ويتجرعون مرارتها، وإن كان أهل الأهواء في بعض الولايات الإسلامية هم: مغمورون، مقموعون، وبدعهم مغمورة، بل منهم كثير يؤوبون[١] لرشدهم، لكن من ورائهم سرب، يحاولون اقتحام العقبة لكسر الحاجز النفسي وتكثيف الأمية الدينية في ظواهر لا تخفى ظهور بصماتها في ساحة المعاصرة وأمام العين الباصرة[٢]"[٣].

فتلك النصوص اشتملت على فنون بلاغية ومحسنات بيانية وبديعية تعطي الكلام نوعاً من البهجة والبهاء والرونق.

وكما هو معلوم أن علوم البلاغة ثلاثة هي: البيان، والبديع، والمعاني.

وهنا إشارات ونماذج لبلاغة الشيخ بكر وفصاحته وتطويع ذلك في مجال الدعوة إلى الله تعالى، مما كان له الأثر الفعّال في نفوس القراء في حياته وبعد وفاته رحمه الله.

أولاً: علم البيان:

كثيراً ما يستخدم الشيخ بكر علم البيان من تشبيه[٤]، واستعارة[٥]، ومجاز[٦]، وكناية[٧].

---

(١) الأوب: الرجوع. آب إلى الشيء رجع. لسان العرب، حرف الباء، فصل الهمزة، مادة (أوب) ، (ج١/ص٢١٧) .

(٢) يلاحظ استخدام الشيخ بكر لكثير من الصيغ البلاغية مثل استعماله للسجع في قوله: "المعاصرة"، "الباصرة". (الباحث) .

(٣) هجر المبتدع، ص٥

(٤) التشبيه: بيان أن شيئاً شارك شيئاً آخر في صفة مشتركة بينهما. انظر: المنهل العذب في الدراسات الأدبية ، ص٣١٤.

(٥) الاستعارة: هي الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له، لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي لهذه الكلمة والمعنى المجازي المستعملة فيه. انظر: المصدر السابق، ص ٣١٧.

(٦) المجاز: هي الكلمة إذا استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي. انظر: المصدر السابق، ص٣١٩.

(٧) الكناية: هي أن تتكلم بالشيء وتريد غيره. انظر: المصدر السابق، ص٣٢١.

فالتشبيه واضح في هذا النص، يقول فضيلته" التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن؛ سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر "(١) فشبه الخوف والرجاء للمسلم بالجناحين للطائر.

وكذلك في قوله يرحمه الله:" لا تجعل قلبك كالسفنجة تتلقى ما يرد عليها، فاجتنب إثارة الشبه، وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة ...الخ"(٢) فشبه القلب الخاوي بالسفنجة تتشرب كل ما يرد عليها.

وجاء الشيخ باستعارة في هذا المقطع:" الحجاب حصانة ضد الزنا والإباحية، فلا تكون المرأة إناءً لكل والغ (٣) "(٤)

فقد شبه الحجاب بالحصن المنيع، وشبه المرأة المتبرجة بالإناء الذي يلغ فيه كل والغ. فالاستعارة إذاً تشبيه حذف أحد طرفيه: المشبه أو المشبه به.

وبدت الاستعارة جليّة في النص التالي:" الغيرة هي السياج المعنوي لحماية الحجاب"(٥)

وأما الكناية فقد بانت في نص الشيخ الآتي: " احذر (الإجهاض(٦) الفكري) بإخراج الفكرة قبل نضوجها..الخ "(٧)

---

(١) حلية طالب العلم، ص١٤ .
(٢) المصدر السابق، ص٨١ .
(٣) الوَلْغُ شُرْبُ السِّباع بأَلْسِنتها. ولَغَ السبُعُ والكلبُ وكلُّ خَطْمٍ وولِغَ يَلَغُ فيهما وَلْغاً شَرِبَ ماءً أَو دماً. لسان العرب، حرف الغين فصل الواو، مادة (ولغ) ، (ج٨ / ص٤٦٠) .
(٤) حراسة الفضيلة، ص٨٧ .
(٥) المصدر السابق، ص١٣١ .
(٦) الإجهاض: يقال: أَجْهَضَت الناقةُ إِجْهاضاً وهي مُجْهِضٌ إذا أَلقت ولدها لغير تمام . وقيل الجَهِيض السِّقْط الذي قد تمَّ خلقه ونفخ فيه الروح من غير أَن يعيش. والإِجْهاضُ الإِزْلاق . لسان العرب، حرف الضاد، فصل الجيم، مادة (جهض) ، (ج٧ / ص١٣١) .
(٧) حلية طالب العلم، ص٨٣ .

ثانياً: علم البديع:

ومن باب تزيين الأسلوب وتدبيجه، وإضفاء مسحة من الجمال بدون تكلف أو تصنع، نجد أنّ الشيخ بكراً تضمنت نصوصه استخدام المحسنات البديعية من جناس[١]، وطباق[٢] ، ومقابلة[٣] ، وسجع[٤]، وغيرها.

فالجناس في لفظي: ((السَّنَن، السُّنَن)) من قوله رحمه الله:"أما عزة المسلم؛ فهي محمودة مطلوبة فكيف نفرط فيها ونتحول إلى أتباع لأعدائنا؛ نتبع السَّنَن [٥] ، ونهجر السُّنَن [٦] ؟!"[٧]

وأما قوله رحمه الله:" فنعوذ بالله من الحور[٨] بعد الكور[٩]، ومن العماية بعد الهداية، ومن الضلالة بعد الرشد"[١٠].

---

(١) الجناس: هو أن تتفق الكلمتان في اللفظ وتختلفا في المعنى. انظر: المنهل العذب في الدراسات الأدبية ، ص٣٢٢.
(٢) الطباق: وهو الجمع بين الشيء وضده في الكلام. انظر: المصدر السابق، ص٣٢٤.
(٣) المقابلة: وهي أن يؤتى بكلمتين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب. انظر: المصدر السابق، ص٣٢٤.
(٤) السجع: أن تتفق الفقرتان في الحرف الأخير. انظر: المصدر السابق، ص٣٢٦.
(٥) السَّنَن: الطريق، وامْضِ على سَنَنك أي وَجْهك وقَصْدك، وسَنَنُ الطريق وسُنَنُه وسِنَنُه وسُنُنُه نَهْجُه، وطريقٌ سَنَّه أوائل الناس فصارَ مَسْلَكاً لمن بعدهم، وسَنَّ فلانٌ طريقاً من الخير يَسُنُّه إذا ابتدأ أمراً من البرِّ لم يعرفه قومُه فاستَسَنُّوا به وسَلَكُوه . والسَّنَنُ القصد والهِمَّة، والسير الشديد، والذي يُلِحُّ في عَدْوِه وإقْباله وإدْباره. انظر: لسان العرب حرف النون، فصل السين، مادة (سنن) ، (ج١٣ / ص٢٢٠)
(٦) السُّنَن: بضم أو له وفتح ثانيه: جمع سُنَّة، وهي الطريقة والطبيعة. والسُّنَّة السيرة حسنة كانت أو قبيحة، والسُّنَّة إذا أُطْلِقَت في الشرع فإنما يراد بها ما أَمَرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم ونَهى عنه ونَدَب إليه قولاً وفعلاً مما لم يَنْطق به الكتابُ العزيز أي (القرآن) . انظر: لسان العرب، حرف النون، فصل السين، مادة (سنن) ، (ج١٣ / ص٢٢٠) ومعجم لغة الفقهاء، ص٢٥٠.
(٧) تسمية المولود، ص٩
(٨) الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، لسان العرب، حرف الراء، فصل الحاء، مادة (حور) ، (ج٤ /ص٢١٧)
(٩) الكور: لوث العمامة يعني إدارتها على الرأس، وكل دور كور. وقولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور. قيل الحور النقصان والرجوع، والكور الزيادة؛ أخذ من كور العمامة. يقول: قد تغيرت حاله وانتقضت كما ينتقض كور العمامة بعد الشد، وقيل الكور: تكوير العمامة والحور نقضها. وقيل: معناه نعوذ بالله من الرجوع بعد الاستقامة، والنقصان بعد الزيادة. لسان العرب، حرف الراء، فصل الكاف، (ج٥ / ص١٥٤)
(١٠) التمثيل: حقيقته، وتاريخه، وحكمه، ص٣٠ .

وقوله أيضاً: " اشتماله [أي التمثيل] على أي ناقض للعبادة من الخوف والرجاء، والحب والبغض، والولاء والبراء..الخ"[١] قد اشتمل على محسن بديعي وهو الطباق، في قوله أثابه الله: الحور والكور، والعماية والهداية، والضلالة والرشد، والخوف الرجاء والحب والبغض، والولاء والبراء.

ونلاحظ في قوله غفر الله له:"ومفهوم هذه القاعدة الشريفة لدى أهل السنة والجماعة هو الحب في الله والبغض في الله، فهم يوالون أولياء الرحمن ويعادون أولياء الشيطان، وكل بحسب ما فيه من الخير والشر"[٢] .

فجملة: ((يوالون أولياء الرحمن ويعادون أولياء الشيطان)) فيها نوع من أنواع البديع وهو المقابلة وهو أسلوب بلاغي بديع جاء هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا .. ﴾[٣] ، وغيرها من الآيات.

وأما السجع غير المتكلف فلا يكاد يحصى، وهو مبثوث في مؤلفاته العديدة، وقد كساها جمالاً وبهاءً تسرّ الناظرين.

ثالثاً: علم المعاني:

التكرار نوع من أنواع علم المعاني في علوم البلاغة، وقد جاء هذا الأسلوب في عدة آيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾[٥] .

وكقول الشيخ أثابه الله في هذه النصوص التي يحذر فيها من بعض المخالفات الشرعية:" الحذر الحذر من أسباب الفتنة والفساد، والزيغ والانحراف والردة والإلحاد، وأعظمها الفتنة في الدين "[٦]

---

(١) المصدر السابق، ص٤٧ ،٤٨ .
(٢) هجر المبتدع، بكر أبو زيد، ص٢٠.
(٣) سورة التوبة، آية (٨٢) .
(٤) سورة المؤمنون، آية (٣٦)
(٥) سورة القيامة، آية (٣٥)
(٦) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٩ .

و"إياك ثم إياك أن تجعل أياً من مسائل العقيدة الإسلامية (عقيدة أهل السنة والجماعة) مجالاً للقبول والرد، والحذف والتصحيح "[١] .

والاستفهام والتعجب يؤتى به للتشويق والإنكار، وقد ورد في الكتاب العزيز آيات فيها استفهام أو تعجب أو هما معاً.

كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [٢]، وقوله سبحانه: ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ .. ﴾ [٣] .

والآيات في هذا الشأن كثيرة معلومة.

يقول الشيخ بكر غفر الله له ولجميع المسلمين: "وسبحان الله: كم وقع في حبائلها من أناس يشار إليهم..الخ"[٤] ، في سياق تحذيره رحمه الله من التشبه بأعداء الله في الأسماء والمسميات والشعارات.

ويقول الشيخ أثابه الله:" فما موقع هذه التبعية الغربية من كل وجه من هاتين المترلتين؟؟؟ وهل يحق للمقلد الافتخار؟؟؟ "[٥]

قال الشيخ هذه العبارة في سياق تحذيره من التبعية للغرب وتقليد الكفار خاصة في ما يتعلق بالألقاب العلمية.

ثم قوله رحمه الله:"هل وسيلة الإنقاذ في عقد الأحزاب، أم ماذا بعد؟! وأي حزب تسمح الشريعة بالانتساب والانتماء إليه؟! وما هي جماعة المسلمين التي انشقت عنها هذه الجماعات ؟ وأين هي ؟ وما هي سماها ورسومها ؟

وهل يمكن تهذيب هذه الجماعات لتؤول[٦] إلى جماعة واحدة، فيؤالُ إليها؟

---

(١) المصدر السابق، ص٢١ .
(٢) سورة المؤمنون، آية (٦٨) .
(٣) سورة النور، آية ٥٠
(٤) تسمية المولود، ص٥
(٥) تغريب الألقاب العلمية، ص٢٧ .
(٦) الأَوْلُ: الرجوع. آل الشيءُ يؤُول أَولاً ومآلاً: رَجَع. وأَوَّل إليه الشيءَ رَجَعَه وأُلْتُ عن الشيء ارتددتْ. لسان العرب، حرف اللام، فصل الألف، مادة (أول) ، (ج١١ / ص٣٢)

أو إلى هجرها؟ أو إلى سابلةٍ[1] رفع الإسلامُ سمكها فسواها، ورفعتْ ما سواها، يدين المسلم بها ربه، ويلقاه عليها؟؟. هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه، ويبحث المسلم عن الجواب عليه "[2].

فهذه شواهد من بلاغة وفصاحة ووفرة اطلاع الشيخ بكر أبو زيد يرحمه الله تدل على حسن اختياره لهذا الأسلوب الدعوي المؤثر في النفوس والعقول، وقد اقتدى في ذلك بخاتم المرسلين وسيد الفصحاء وخير البلغاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث بجوامع الكلم، فهو أفصح من نطق بالضاد؛ وكان أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ولعل تميّز أسلوب الشيخ بكر بهذه الأنماط البلاغية التي مرت الإشارة إليها هو السر الذي كتب الله به القبول لمؤلفاته، وجعله من أبرز مؤلفي هذا العصر من علماء أهل السنة والجماعة، بالإضافة إلى إخلاص النية وإرادة وجه الله تبارك وتعالى، كما كان يدعو إلى ذلك في مؤلفاته وبحوثه.

* * * *

---

(١) سابلة: السَّبيلُ الطريقُ وما وَضَحَ منه، والجمع سُبُلٌ. وسَبيلٌ سابلةٌ مَسْلوكة. والسابلَة: أَبناء السَّبيل: المختلفون على الطُّرُقات في حوائجهم، والجمع السوابل. لسان العرب، حرف اللام، فصل السين، مادة (سبل) ، (ج١١ / ص٣١٩)

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٥ ،١٦ .

الفصل الثالث: الآثار الدعوية والدروس المستفادة من منهج الشيخ بكر أبو زيد في مجال الدعوة الإسلامية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الآثار الدعوية والمنهجيّة للشيخ بكر على طلابه ومجتمعه وأمته.

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من جهود الشيخ بكر ومنهجه في الدعوة.

المبحث الأول: الآثار الدعوية والمنهجيّة للشيخ بكر على طلابه، ومجتمعه، وأمته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آثار دعوة الشيخ على طلابه.

المطلب الثاني: أثار دعوة الشيخ على مجتمعه.

المطلب الثالث: آثار دعوة الشيخ على الأمة.

المبحث الأول: الآثار الدعوية والمنهجيّة للشيخ بكر على طلابه، ومجتمعه، وأمته:

لم تكن دعوة الشيخ بكر - رحمه الله - لتصل إلى ما وصلت إليه من نجاح، ولا إلى ما بلغته من انتشار؛ لو لم يكن الشيخ مثالاً يحتذى به في الدعوة، حيث أثّر بأخلاقه، وسلوكه في كل من وصلت إليه دعوته، وتمكن من قلوب الناس بما وهبه الله إياه من خلق كريم، وأسلوب حكيم، مع عذوبة في اللسان، واعتدال في المنطق، وقوة في الحق، جعلت كل من سمعه، أو شاهده يقتنع بصدق دعوته، وأهمية وعظمة ما يدعو إليه.

ولم يكن للشيخ بكر تغمده الله برحمته دعوة خاصة، بل كان يدعو إلى ما دعا إليه علماء ودعاة السلف الصالح رضي الله عنهم ورحمهم الله جميعاً.

ومن أهم الأسباب التي ميّزت الشيخ رحمه الله، هي اقتداؤه بالداعية الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لكل داعية يبتغي بدعوته هداية الناس إلى الحق والرشاد.

ولأن الدعوة إلى الله لا يمكن أن تثمر إلا إذا وافقت هدي النبي عليه الصلاة والسلام.

فالشيخ بكر - رفع الله درجته - كان يدعو بأقواله وأفعاله، وبالبيان والقدوة، فرأى فيه الناس المثال الحي لما يدعو إليه، كما رأوا فيه الحلم، والبر، والحكمة، والرفق، والتواضع، والصدق، وهي صفات اتصف بها الأنبياء والرسل والصالحون من عباد الله.

وقد أثرت جهود الشيخ بكر أثابه الله وتأثر بها طلابه ومجتمعه بل والأمة في كثير من البلدان الإسلامية فقد وصلت مؤلفاته إلى المسلمين في شتى أنحاء العالم.

ومما يؤثّر في الناس تلك البيانات والفتاوى العلمية الموثقة الصادرة من هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية من قبل ثلة من العلماء الأجلاء، وذلك الإقبال الشديد وتزايد الطلب عليها وثقة الأمة بها. ومن ضمن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ بكر رحمه الله الذي ساهم في تنوير الأمة المسلمة، وإعطائها القدر الكافي من الفقه في الدين عبر تلك الفتاوى والبيانات.

كما أن الشيخ بكر بذل جهده وعصارة فكره خلال ترؤسه لمجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضويته في المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي،

وهذا يؤثر تأثيراً لا يستهان به في العالم من خلال إصدار البيانات والبحوث العلمية والقرارات الحكيمة مع مجموعة منتخبة من شتى دول العالم الإسلامي لخدمة الأمة وتوحيد كلمة المسلمين ورفع راية التوحيد عالية على كل راية.

والدليل الواقع الحي على مدى اهتمام الأمة بتراث الشيخ بكر ومدى استفادتهم من جهوده وفكره ومنهجه، أنّ محاضرة ألقيت عن أدب الهاتف[1]، بجمهورية مصر العربية، قد شرح فيها المحاضر الشيخ: محمد سعيد رسلان[2] كتاب: ((أدب الهاتف)) وهو المؤلف القيّم الذي ألفه الشيخ بكر أثابه الله، ألقيت المحاضرة بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٢٩هـ الموافق ٦ / ٢ / ٢٠٠٨م وسجلت على موقع في الشبكة العنكبوتية ((الأنترنت)) زار المحاضرة على الموقع أكثر من (١٢٠٠٠) زائر. وقد تضمنت مشاركات الزوار العديد من التعليقات والإشادة بالموضوع وبكتب الشيخ وغزارة علمه وعلوّ مكانته[3].

ودليل آخر يعطي دلالة واضحة على قوة تأثيره في العالم أجمع أنّ صلاة الغائب أديت على فضيلته عقب وفاته في عدة بلدان إسلامية، وغير إسلامية، مثل: مصر وسوريا واليمن والهند وأمريكا.

لذا كان جديراً أن تكون الدراسة والبحث عن مدى آثار[4] دعوة الشيخ رحمه الله على طلابه ومجتمعه وأمته، على المدى القريب والبعيد، كما سيأتي في المطالب القادمة:

---

(١) ألقيت المحاضرة بمسجد صلاح الدين، بمدينة أشمون، محافظة المنوفية، جمهورية مصر العربية. راجع: موقع WWW.RSLAN.COM.

(٢) هو محمد سعيد أحمد رسلان، مصري الجنسية، ولد بمحافظة المنوفية (مصر) في عام ١٩٥٥م، حاصل على درجة الدكتوراه العالمية في علم الحديث. من مؤلفاته: فضل العلم وآداب طلبته، حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ذم الجهل وبيان قبيح أثره، وغيرها. راجع: المصدر السابق.

(٣) راجع: المصدر السابق.

(٤) جمع أثر، والأثر: ما بقي من رسم الشيء، وضرب السيف، وسنن النبي صلى الله عليه وسلم: آثاره، والتأثير: بقاء الأثر في الشيء . انظر: مختار الصحاح، باب الألف، مادة (أثر)، ص٥.

المطلب الأول: آثار دعوة الشيخ على طلابه:

لم يكن للشيخ بكر رحمة الله عليه طلاب بالمعنى المتعارف عليه لميل الشيخ إلى التأليف والتحقيق والرد على المخالفين، إلا أنّ له مجالسين في بعض الأحيان، ومحبين وقارئين لمؤلفاته؛ فهؤلاء طلابه حكماً.

يقول الشيخ جديع بن محمد الجديع[(١)]: كان الشيخ بكر يتعامل مع طلاب العلم تعامل المفيد والمستفيد، فكان يحب أن يستفيد من غيره حتى ولو كان من الصغير أو الأقل علماً، وكان يقدم الاستشارة للطلاب بكل تواضع وحكمة، وكان يوجه طلاب العلم بعدم الدخول أو الاشتراك مع الناس في الأمور المالية أو في مسائل التجارات؛ حتى لا يفقد الطالب ديانته، أو مكانته العلمية، أو هيبته [(٢)] .

وهذه التوجيهات من الشيخ لمحبيه؛ دليل على محبة الخير لهم، وحرصه على ما ينفعهم ويرفعهم.

ويقول الدكتور يحي بن عبد الله الثمالي[(٣)]: "كنت إماماً للمسجد المجاور لبيته بحي الفيصلية بمدينة الطائف، ومن ذلك الوقت كنت ألتقي بالشيخ في فترة صيف كل عام، كل يوم غالباً، ولا أقطع الاتصال به هاتفياً وقت وجوده خلال العام بمدينة الرياض حتى أقعده المرض، وقد استفدت من الشيخ فوائد جمة لا أحصيها في: الطلب والتحصيل، وضرورة التأصيل، وإدمان النظر في المطولات، ومراجعة المحفوظات، وغير ذلك من الفوائد والفرائد والشوارد، التي يصعب حصرها وتفصيلها وأسرارها. فقد كان الشيخ أستاذاً ماهراً في هذا الباب.

---

(١) مدير مكتب الشيخ بكر في دار الإفتاء باللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء لمدة خمس سنوات من عام ١٤١٧هـ حتى عام ١٤٢٢هـ، ولا يزال يعمل باحثاً باللجنة المذكورة. (الباحث) .

(٢) ذكر ذلك الشيخ جديع الجديع حفظه الله في مقابلة للباحث معه بمكتبه بدار الإفتاء بالرياض، بتاريخ ١٤٣٠/٥/١٧هـ. (الباحث)

(٣) الأستاذ المشارك بجامعة الطائف، كلية المعلمين، رئيس قسم الدراسات القرآنية والإسلامية. انظر: صحيفة المدينة، العدد (١٦٤٠٣)، وتاريخ١٤٢٩/٣/١٣هـ، ملحق الرسالة، ص٦.

وفائدة مهمة يستفيدها الطلاب ومن يجالس العلماء العاملين، ألا وهي: التحلي بالأدب، والسمت الحسن، والحرص على الوقت،و[يتأثر الطالب عند] مطالعة سيرة الشيخ؛ من حيث الورع والزهد وخلافه، من الفوائد التربوية التي قلّ أن يحصلها في هذا الزمن نظراً لقلة من يُتأسى به، ويُقتدى بفعاله"(١) .

فرؤية الشيخ والجلوس عنده فضلاً عن الأجر وسماع العلم؛ ترى فيه أخلاق العالم: كيف يتعامل؟، كيف يربي؟، كيف يأمر؟، كيف يعلم؟(٢) .

فقد كان يجتمع في مجلس أحمد بن حنبل(٣) زهاء على خمسة آلاف ويزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقي يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت (٤) .

ويقول الشيخ محمد بن أحمد سيّد أحمد(٥) :

"لقد عرفت فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد أوّل ما عرفته عام ١٤١٧ هـ عندما التقيت به في مكتبه بمقر هيئة كبار العلماء بالطائف، فرأيت فيه الأدب الجمّ، والخلق الرفيع، والسمت الصالح، وأشهد أنه قد بلغ من العلم والورع والكرم وأصالة الرأي ورسوخ القدم والزهد مبلغاً عظيماً يلحقه بالعلماء العاملين والدعاة المصلحين والأئمة الربانيين. لقد أوتي الشيخ – رحمه الله –علماً ثرّاً وخلقاً كريماً وفصاحة قلّ نظيرها حتى وسم بأنه إذا تكلم أسمع وإذا جادل أقنع، وكان- رحمه الله عفيفاً عيوفاً

---

(١) المصدر السابق، العدد (١٦٤٠٣)، وتاريخ١٣/٣/١٤٢٩هـ، ملحق الرسالة، ص٦، مقالة د. يحي بن عبد الله الثمالي. بتصرف.

(٢) راجع: دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، مادة مسجلة.

(٣) هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام. صاحب: ((المسند)) و((الزهد)) ، ولد سنة أربع وستين ومئة، مات أبوه شاباً، فوليته أمه، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، توفي سنة واحد وأربعين ومئتين. انظر: سير أعلام النبلاء، (ج١١ / ص١٧٧، وما بعدها)

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، (ج١/ ص٢٣٤) .

(٥) عضو هيئة التدريس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، وأحد الذين جالسوا الشيخ بكراً رحمه الله. انظر: صحيفة عكاظ، العدد (١٥١٣٨)، وتاريخ ٢٨ /١/١٤٢٩هـ، ص٣٨.

زاهداً في زخارف الدنيا وزينتها. لقد تجلت لي هذه الصفات وتلك السجايا من خلال أعماله العلمية العظيمة التي تنمُّ عن ملكة علمية راسخة" [١] .

فطالب العلم والداعية عموماً عندما يعلم بتلك المزايا، وهذه الأخلاق العالية، المتمثلة في شخصية الشيخ بكر، ويرى تطبيقها في الواقع؛ فإن ذلك سيؤدي إلى التأثر إيجاباً بتلك السخايا، ويسهم في اكتساب الفرد بما يتناسب مع مقدرته وجبلّته، ولكي يكون عضواً فاعلاً، وشخصاً صالحاً في مجتمعه ونافعاً لدينه ولأمته.

وكان الشيخ بكر رحمه الله تعالى ناصحاً أميناً لطلبة العلم، الذين هم على جادّة الكتاب والسنة، وكان يفرح بإنتاجهم العلمي، ويشجعهم على الاستمرار في المزيد منه، ولهذا فإن أغلب طلبة العلم في مجال التأليف والتصنيف، والبحث والتحقيق في العالم الإسلامي كانوا على صلة به من طريق أو بأخرى [٢] .

وتبرز آثار دعوة الشيخ بكر رحمه الله على طلاب العلم من خلال كتبه وردوده ورسائله وأبحاثه وإشرافه العلمي على بعض الرسائل العلمية.

وخير دليل على مدى تأثير كتب الشيخ بكر على طلاب العلم أن تصدى لشرح كتاب حلية طالب العلم فضيلة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى لعظم فوائده: العلمية، والمنهجية، واللغوية، والتربوية، وطيلة شرح الشيخ محمد غفر الله له للكتاب وهو يبين للطلاب ميزة هذا الكتاب ويثني على الشيخ بكر بما يستحقه [٣].

ولما رأى الشيخ بكر طيب الله ثراه فتنة تَفَرُّق بعض طلبة العلم وتراشق بعضهم مع

---

(١) مجلة الدعوة، العدد (٢١٣٠) ، المصادف ٧ صفر ١٤٢٩هـ، ص٧٢. باختصار.

(٢) راجع: www.ahlalhdeeth.com: موقع ملتقى أهل الحديث، منتدى تراجم بعض أهل العلم المعاصرين، مقالة بعنوان: من أعلام العصر الحاضر فضيلة الشيخ بكر أبو زيد، بقلم صلاح الدين مقبول أحمد، وهذا الأخير ممن شجعه الشيخ بكر وقدّم لبعض مؤلفاته. (الباحث) .

(٣) راجع: شرح كتاب حلية طالب العلم، مادة مسجلة.

بعض وجرأة البعض في الحكم على الآخرين بالتبديع والتفسيق؛ ألّف كتابه: ((تصنيف الناس بين الظن واليقين))[١] .

وبذل الشيخ بكر غفر الله له جهداً في نصيحة طلاب العلم، وخصهم بمزيد تحذير من الأفكار المضلة والطائفية الضيقة، لعلم الشيخ أن تأثير ذلك يعود على الدعوة والدعاة، فيقول ناصحاً:" ولا تكن خراجاً ولاجاً في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادةً ومنهجاً والمسلمون جميعهم هم الجماعة[٢] وإن يد الله مع الجماعة فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام "[٣]

وكرر الشيخ بكر أثابه الله وصيته لطلبة العلم قائلاً: "وأعيذك بالله أن تتصدع، فتكون نهاباً بين الفرق والطوائف والمذاهب الباطلة والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها "[٤]

وهذه مقولة للشيخ بكر ــ جعل الله الجنة مأواه ــ يتجلى فيها عمق المعرفة، وقوة الإرادة، وصدق العزيمة، وصفاء المنهج، يقول فضيلته ــ موجهاً طلاب العلم عموماً والدعاة منهم خصوصاً ــ: "ما علموا أنّ الدعوة الإسلامية على منهج النبوة لها غاية تتميز عن أية غاية لأي دعوة: تحقيق الدعوة إلى التوحيد وترسيخ الإيمان، ولهذا اتحدت حقيقتها ونظامها، ووسيلتها وغايتها، فلا يسوغ لنا بحال أن نلبس الدعوة إلى الله لباس تنظيم أجنبي عنها، واستفراغ الجهد فيه، مما يؤول بالهدم والإسقاط لأصول الدعوة وبنيتها الأساسية وتفريق الكلمة"[٥] .

وهذه الفوائد القيّمة تؤثر تأثيراً بالغاً في كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

* * * *

---

(١) رحيل الشيخ بكر، مادة مسجلة.
[٢] جماعة المسلمين هم المتمسكين بالكتاب والسنة ، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة. (الباحث)
(٣) حلية طالب العلم، ص٨٤.
(٤) المصدر السابق، ص٨٤ .
(٥) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٣٤

المطلب الثاني: أثار دعوة الشيخ على مجتمعه:

كان الشيخ بكر غفر الله له يتمتع بمزايا ومناقب قلَّ أن يوجد لها نظير، فلقد جمع الله له من حميد الخلال، وكريم الخصال، ما لم يجمع لغيره إلا في القليل النادر على مر الأزمان.

ومع أن الشيخ أثابه الله لم يكن يخالط الناس كثيراً، بالرغم من ذلك كان للشيخ تأثير على مجتمعه، وأبناء حيه؛ بحسن خلقه، وطيب معاشرته، وجميل معاملته، لمن حوله من أقاربه وأحبائه.

فكان تعامل الشيخ بكر يغلب عليه البساطة والتواضع، ويعامل العالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، بالمحبة والصدق والوفاء والإيثار، ولم يؤثر عنه أنه كان يحقد على أحد، أو يعمل ضد أحد، فلم يُسِءْ إلى أحد، أو يُسِءْ إليه أحد؛ ممن حوله في حيه ومجتمعه. بل على العكس كانوا ينظرون إليه على أنه قدوة لهم، ويضرب به المثل في الأخلاق والثبات على الحق؛ مما أثر فيهم أيُّما تأثير، وألقى هذا التعامل بظلاله على تماسك أفراد المجتمع الواحد، مما حدا ببعض جيرانه السابقين عندما سمعوا عن انتقال الشيخ إلى منزله الجديد أن يعزموا على شراء منازل بجوار منزل الشيخ حباً له، ووفاءً لحسن جيرته، وطمعاً في الاستفادة من علمه وأخلاقه. كما كان الشيخ يشارك جيرانه وأقاربه في بعض مناسباتهم العامة والخاصة وفق ظروف الشيخ ووجوده بينهم. وكان لا يتدخل في أمور الإمام والمسجد الذي يصلي فيه، إلا إذا رأى منكراً؛ عند ذلك ينصح الإمام أو المؤذن بكل رفق، وفي سرية تامة [1] .

---

(١) ذكر ذلك الشيخ عبد الله بن بكر في مقابلة للباحث معه بتاريخ ١٦/٥/١٤٣٠هـ في منزله بالرياض.(الباحث) .

ومن مظاهر آثار دعوة الشيخ بكر على مجتمعه، ما يلي:

١. التكافل والترابط والتوادد:

جاء الحث على التوادّ والتراحم بين أفراد المجتمع المسلم في الكتاب والسنة، فقال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ .. ﴾(١) ، ويقول الله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ .. ﴾(٢) .

وفي الحديث المتفق على صحته عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"**(٣) .

والشيخ بكر يعرف عنه حرصه الشديد على ترابط المجتمع المسلم والتكافل بين فئاته وطبقاته، وحثه الدائم على تجنب كل ما من شأنه التفريق والخلاف بين المجتمعات، والعمل على تفعيل التواصل وحسن التعامل، ورعاية المصالح المشتركة، ودرء المفاسد المتوقعة؛ لكي تستقيم الحياة ويسود الوئام.

فقد حثَّ الشيخ بكر على سلامة العقيدة، ودعا إلى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وتطبيق بقية أركان الإسلام، فإذا طبقت ستسهم في ترابط المجتمع وتماسكه وتكافله، وفي حثّه للمجتمع المسلم بالتحلي بالآداب الفاضلة، وتحقيق مقاصد الإسلام الخالدة، وهذه الدعوة النبيلة من الشيخ سيُرى أثرها في المجتمع ولو في بعيد المدى، يقول فضيلته:

"التحلّي بالآداب عمارة للمدينة الفاضلة في الإسلام وهي مبنية على نشر الإخاء والتوادد وحسن التعامل وحفظ العهد ورعاية الأمانة وتنمية المصالح ودرء المفاسد فحقاً صارت هذه الآداب من مقاصد الإسلام"(٤).

---

(١) سورة الفتح، آية (٢٩)

(٢) سورة الحجرات، آية (١٠)

(٣) روه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٥٥٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم (٤٦٨٥) .

(٤) أدب الهاتف، ص٦ باختصار وتصرف.

وكان رحمه الله يكثر من الحثّ على صلة الرحم ومشاركة المجتمع في الأفراح والأتراح واحتساب نقل الخطى إلى هذه الفضائل، وبيّن عظم نفع وسائل الاتصال الحديثة التي تعين على التواصل والتقارب، وأنّ الاتصال الأمثل"هو الذي تصل به الرحم لاسيما من قطعك، وتسقي به شجرة الإخاء بينك وبين من شاء ممن تعرفه من المسلمين، في التهاني الشرعية والبشارة بالخير وقضاء حوائج إخوانك. وفي السلام على المريض والدعاء له والسؤال عن حاله دون إملال، واحذر سؤال المريض مفصلاً عن مرضه. وفي مواساة مصاب بقريب أو مال أو نحوه، فكم في المواساة من تسلية المصاب. ولا تحجبك المهاتفة عن سنة نقل الخطى إلى هذه الفضائل، ولكن حيث تقصر بك الحال عن الزيارة"[١].

وبيّن الشيخ بكر أثابه الله آداب اتصال الأخ بأخيه وأثر ذلك على ترابط المجتمع الواحد، قائلاً:"إذا كان لك حاجةٌ في الاتصال فاذكر أن للناس أشغالاً وحاجات ولهم أوقات طعام وأوقات نوم وراحة فهم والحال ما ذكر أولى بالعذر منك لضرورة أو حاجة"[٢].

إلى أن قال فضيلته:" فعليك تحري الوقت المناسب مراعياً ظروف وارتباطات أخيك، وما عليه من واجبات ومسؤوليات، ومراعياً ما لدى أهل البيت من أوقات نوم وراحة وطعام"[٣] .

ومشاركة المجتمع في تخفيف المآسي من آداب الإسلام، واتباع الجنائز ومواساة الأيتام مما شرعه لنا ديننا الحنيف، وقد نبّه الشيخ بكر إلى هذه المعاني السامية، فبعد أن تعرّض للأدعية التي تقال عند المحتضر ومشاركة المسلمين في تجهيز الميت والصلاة عليه ومن ثم دفنه، قال عن تعزية أهل الميّت:" تعزية أهل الميّت بما يسليهم ويكف من حزنهم ويحملهم على التصبر والصبر والرضا. منها: (إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شيء

---

(١) المصدر السابق، ص٢٦، ٢٧.
(٢) المصدر السابق، ص٨، ٩
(٣) المصدر السابق، ص٩

عنده إلى أجل مسمى، فاصبر واحتسب)[١] "[٢] ، إلى أن قال فضيلته:

" مسح رأس اليتيم ثلاثاً، وإكرامه، بالدعاء له، ولِمَيّته"[٣] .

فهذه الآداب تحافظ على ترابط المجتمع وتماسكه وسبيل إلى التواصل والتوادّ، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الفردية في المجتمع المسلم.

٢. التسامح والتشاور:

المجتمع المسلم في أمَسِّ الحاجة إلى التسامح وترك الجفوة وطلب الاستشارة من أهل الرأي والمشورة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ .. ﴾[٤].

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٥]

ويتضح التسامح والدعوة إليه جلياً في مقولة الشيخ بكر التالية: "إذا كلّمك صاحبك فوجدت حفاوته أقلّ من المعتاد فلا يؤثر ذلك عليك فَتَجْفُوَه، والتمس له في نفسك العذر، فلعل لديه اهتمامات أخرى هي أهمّ، أو ما غيّر مزاجه، وكدّر صفو

---

(١) الأصل في ذلك حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه قال: أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه إنّ ابناً لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى. فلتصبر ولتحتسب)، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع قال حسبته أنه قال كأنها شن ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: (هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) . الحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: يُعذَّبُ الميت ببعض بكاء أهله عليه، حديث رقم (١٢٠٤) ، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: البكاء على الميت، حديث رقم (١٥٣١) . وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة في هذا الحديث، هي زينب رضي الله عنها. انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ج ٣/ ص١٥٦)

(٢) تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، ص٤٩١.

(٣) المصدر السابق، ص٤٩٢.

(٤) سورة آل عمران، آية (١٥٩) .

(٥) سورة الأعراف، آية (١٩٩)

حياته، فعليك بحسن الظن - رعاك الله - وإن تكوّنَ لديك بالقرائن لا بالوسواس، أنها جفوة لأجلك؛ فكن خفيف الظل - رعاك الله - ثانية"[١] .

وقد كان الشيخ بكر طيب الله ثراه سمحاً، طيباً، خلوقاً، يعفو عن من ظلمه، ويسامح من تعدّى عليه، ولا يحمل حقداً لأحد، وقيل إنه لا يقرأ كثيراً من الردود عليه، حتى لا يكون في النفس شيئ على أحد [٢] .

وهذه قمَّة في التسامح، والعفو عند المقدرة، ولا يصدر هذا إلا من كبرت همّته، وعلت إرادته، وزكت نفسه، وسمت أخلاقه.

وأما المشورة فقد أخذت من دعوته نصيباً، من ذلك قوله رحمه الله: " على أهل الرأي والمشورة من علماء البلاد ومفكريهم أن يسلكوا بجماعة المسلمين ما يعود عليهم بالخير والأصل لحالهم، وامتداد دعوتهم وكسبهم المتواصل لصالح الإسلام وجماعة المسلمين، وأن يكون تصرفهم محفوفاً بأدلة الشرع لا غير"[٣]

وقال طيب الله ثراه:" على الأب عرض المشورة في التسمية على عالم بالسنّة أو من أهل السنّة يثق بدينه وعلمه؛ ليدله على الاسم الحسن لمولوده"[٤] .

فرحم الله الشيخ بكراً رحمة واسعة وجعل ما قدمه للناس في موازين حسناته.

---

(١) أدب الهاتف، ص١٩، ٢٠.

(٢) استفدتُ ذلك من كلام الشيخ عبد الله بن بكر حفظه الله، في مقابلة معه في منزله بالرياض، بتاريخ ١٧/٥/١٤٣٠هـ (الباحث) .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٥٧.

(٤) تسمية المولود، ص١٩.

٣- انحسار الأعراف[١] والعادات[٢] القبلية المخالفة للشرع المطهر:

المقصود بالأعراف القبلية: هو ما تعارفت عليه القبيلة، واعترفت به، والتزمته، من مبادئ وقِيَم تخصها. وقد تكون موافقة للشرع وقد تكون مخالفة له.

وإذا اعتادته القبيلة وتعوَّدت عليه؛ بالمواظبة والتكرار. كان ذلك عادة، وجمعها عادات.

والعادات والأعراف والتقاليد كلمات متقاربة تجتمع في أن منها ما هو خير وموافق للشريعة الإسلامية، أو على الأقل لا تخالفها، فهذه مقبولة، وغير محظورة، فـ"الأصل في العادات: أن لا يحظر منها إلاّ ما حظره الله"[٣] .

وأما إذا خالفت الكتاب والسنة فلا عبرة بها ولا يجوز العمل بها. فالعمل إذاً على إحياء العادات الإسلامية، وإماتة العادات والأعراف المخالفة في كل مظاهر الحياة.

"فإن العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله وفيما يكرهه، فلهذا أيضاً جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين الأولين، في أقوالهم وأعمالهم، وكراهة الخروج عنها إلى غيرها من

---

(١) العُرْف، بالضم معناه: الجود، واسم ما تبذله وتعطيه، وموج البحر، واسم من الاعتراف، تقول له: عليَّ ألف عُرْفاً، أي: اعترافاً، والعُرْف: شَعَر عُنُقِ الفرَس، والعَلَم، والرَّمْل، والمكان المرتفع، والعُرْف والعارفة والمعروف: ضد النُكْر، وهو كلُّ ما تَعْرفه النفس من الخير وتَطمئنّ إليه. انظر: القاموس المحيط، باب الفاء، فصل العين، مادة (عرفه) ، (ج٣/ ص٢٣٣ وما بعدها) ، ولسان العرب، باب الفاء، فصل العين، مادة(عرف) ، (ج٩/ ص٢٣٦- ٢٤٣) .

والعرف في الاصطلاح:: ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول،وتلقته الطبائع بالقبول، وهو حجة أيضاً. انظر: التعريفات، ص ٤٧.

(٢) العادة معناها: الدَّيدن. واعتاده وأعاده واستعاده: جعله من عادته. وعَوَّدَه إيَّاه: جعله يعتاده. والمعاود: المواظب، والبطل. واستعاده: سأله أن يفعله ثانياً، وأن يعود. وأعاده إلى مكانه: رَجَعَه، والكَلامَ: كَرَّرَه. انظر: القاموس المحيط، باب الدال، فصل العين، مادة (العود)، (ج١/ ص ٤٤٢) .

والعادة في الاصطلاح: هي ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى. انظر: التعريفات، ص١٨٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، (ج ٢ / ص ٥٨٥) .

غير حاجة"[١] .

والتحاكم إلى غير شرع الله من عادات وتقاليد وأعراف وضعية؛ هو في الحقيقة تحاكم إلى الطاغوت الذي أُمِرْنا أن نكفر به، كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣]

ومخالف لقول الله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ .. ﴾[٤]

فإذاً "يجب على المسلمين أن يتحاكموا إلى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل شيء لا إلى القوانين الوضعية والأعراف والعادات القبلية. فيجب على كل مسلم أن لا يقدم حكم غير الله على حكم الله ورسوله كائنا من كان، فكما أن العبادة لله وحده، فكذلك الحكم له وحده، كما قال سبحانه: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[٥] فالتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أعظم المنكرات وأقبح السيئات. وعلى هذا يجب على مشايخ القبائل، ألا يحكموا بين الناس بالأعراف التي لا أساس لها في الدين، وما أنزل الله بها من سلطان. بل يجب عليهم أن يردوا ما تنازع فيه قبائلهم إلى المحاكم الشرعية، ولا مانع من الإصلاح بين المتنازعين بما لا يخالف الشرع المطهر بشرط الرضا وعدم الإجبار. كما يجب على القبائل جميعاً ألا يرضوا إلا بحكم الله ورسوله"[٦].

---

(١) المصدر السابق، (ج ١ / ص ٣٥١) .
(٢) سورة النساء، آية (٦٠) .
(٣) سورة المائدة، آية (٥٠) .
(٤) سورة الشورى، آية (١٠) .
(٥) سورة الأنعام، آية (٥٧)
(٦) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز، (ج ٥ / ص ١٣٨) باختصار.

ومن هذا المنطلق كان للشيخ بكر رحمه الله كلمة ــ في هذا الموضوع ــ بل كلمات، وجمل، وفوائد؛ حذّر فيها من ترك التحاكم إلى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى عادات قبلية وأعراف وضعية.

فمن كلام الشيخ بكر - رحمه الله - في هذا الشأن قوله - أثابه الله -:

" عادات وأعراف منكرة، لبعض القبائل والمجتمعات القبلية، أحدثوها من عند أنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان، استحكمت على كثير منهم، فصارت من قوانينهم التي يسيرون عليها، ويتحاكمون إليها "[١] .

إلى أن قال: " وهذا منكر عظيم، بل بلغ الأمر في بعض القبائل، عقد ميثاق للقبيلة يسمونه: (المذهب) يسنون فيه أحكاماً لكل واقعة، مخالفة لحكم الله تعالى، ويسندون النظر في هذه الوقائع وإنزال الأحكام والأعراف عليها إلى شيخ القبيلة، أو حكّام ينتخبون من بينهم، ويلومون ويقاطعون كل من خرج عن هذا الميثاق الباطل، أو ذهب إلى المحاكم الشرعية، ويصفونه بأنه خارج عن (المذهب) أو (قاطع مذهب) زاعمين أن هذا من الحفاظ على مجتمع القبيلة، وتسوية خلافاتها في محيطها، وفي هذا حماية للقبيلة وسمعتها، ووصل من الأبناء والأحفاد لموروث الآباء والأجداد "[٢] .

وليس بمبرر أنّ الناس اعتادوا على بعض العادات وألفوها، أو أنّ كثيراً من العلماء وغيرهم لا ينكرونها، فالعبرة بقول الله جل شأنه، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما عادة بعض البلاد أو أكثرها، أو قول كثير من العلماء أو العباد أو أكثرهم، ونحو ذلك، فليس مما يصلح أن يكون معارضاً لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يعارض به. ومن اعتقد أن أكثر هذه العادات المخالفة للسنن مجمع عليها، بناء على أنّ الأمة أقرتها، ولم تنكرها، فهو مخطئ في هذا الاعتقاد، فإنه لم يزل ولا يزال في كل وقت من ينهى عن عامة العادات المحدثة المخالفة للسنة"[٣].

---

(١)فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر ، ص٣ .
(٢) المصدر السابق، ص٥ ،٦.
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، (ج ٢ / ص ٥٨٧) .

ومن هؤلاء العلماء الذين ينهون عن العادات والأعراف المخالفة للكتاب والسنة، الشيخ بكر رحمه الله تعالى فقد خصها بالدعوة، ونبّه فيها على جملة من عادات القبائل وأعرافهم التي يحكّموها ويلتزمون بها دون الرجوع للشريعة المطهرة، وأنّ هذا حكم بغير ما أنزل الله، يقول فضيلته:

" وهذا من تلبيس إبليس عليهم، وإغوائه لهم وتلاعبه بعقولهم، إذ أوقعهم في هذا المنكر العظيم، وهو ترك حكم الله تعالى، والاعتياض عنه بهذه العادات والأعراف الجاهلية، فاستبدلوا بذلك الذي هو أدنى بالذي هو خير، والباطل بالحق، والظلم بالعدل "(١) .

ووصل الحال عند بعض القبائل إلى عدم التبليغ عن أي منكر فعلوه، والسكوت عليه، بل ومقاطعة ومجازات من يبلّغ عنهم. يقول الشيخ بكر رحمه الله في ذلك:

" اتفاق بعض القبائل بينهم على عدم التبليغ عن أي منهم، والسكوت على منكرات بعضهم، ومقاطعة ومجازاة من يفعل ذلك. ولا يخفى ما في هذا العمل من الشر العظيم، إذ فيه التواصي بالسكوت عن المنكر، وهذا يجر بلاء وبيلاً على الأمة، وفيه إهمال لقاعدة عظيمة من قواعد هذا الدين، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "(٢) .

فكان لجهود الشيخ بكر أثرها الحميد في زوال أو انحسار كثير من العادات والتقاليد المخالفة للشرع الحنيف، فلمّا لاحظ رحمه الله وفرة المنكرات عند بعض المجتمعات قام داعياً وناصحاً إلى ترك كل ما يخالف الكتاب والسنة، وتحكيم شرع الله في كل شؤون الحياة.

وقد ألف عدة رسائل قيمة في معالجة المنكرات والمحدثات في المجتمع بدءاً برسالة: ((أدب الهاتف)) ومروراً برسالة: ((فتوى جامعة في آداب العزاء الشرعية)) ووصولاً إلى رسالته:((فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر)). الذي يقول في مقدمتها:

---

(١) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٦ .

(٢) المصدر السابق، ص١٢ .

"فإن الداعي لهذا هو الإجابة عن أمور سأل عنها بعض الإخوة تتعلق بعادات وأعراف منكرة لبعض القبائل والمجتمعات القبلية أحدثوها من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان استحكمت على كثير منهم فصارت من قوانينهم التي يسيرون عليها ويتحاكمون إليها. ولخطورة هذا الأمر وأثره السيء على الدين والمعتقد وجب النصح والتذكير"[١].

ويقول فضيلته: " كما يجب على القبائل جميعاً ألا يرضوا إلا بحكم الله ورسوله"[٢]

وقد عالج الشيخ بكر رحمه الله كثيراً من المحدثات المنكرة في المجتمع مثل [٣] :

-التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنها التحاكم إلى الأعراف والتقاليد.

-اتفاق بعض القبائل على عدم التبليغ عن أي منهم والسكوت على المنكرات المنتشرة بينهم.

-إيواء الجاني وحمايته سواء كان ذلك مطلقاً أم لمدة محدودة.

-الاجتماع لأهل الميت بالجلوس عندهم للتعزية، وقيام أهل الميت بصنع الطعام لهؤلاء المجتمعين.

-غلاء المهور حتى بلغت في بعض القبائل والمجتمعات حدّاً لا يطاق.

-منع تزويج الفتيات بحجج واهية وأعذار غير مقبولة.

-الذبح لغير الله مثل الذبح على عتبة باب الدار الجديدة.

ومن ذلك أيضاً:

حثه رحمه الله للأسر على اختيار أحسن الأسماء للمواليد، والبعد عن الأسماء المحرمة أو المستقبحة، أو غير العربية [٤] .

حثه الدائم والمستمر على تجنب الاختلاط بين النساء والرجال، وحث النساء

---

(١) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٣

(٢) المصدر السابق، ص٩

(٣) للاستزادة انظر: المصدر السابق، ص١٢، ١٥، ١٩، ٢١، ٢٥، ٣٠.

(٤) للاستزادة انظر: تسمية المولود، ص٥، وما بعدها.

خاصة على التزام الحياء والحشمة والستر [١] .

وغيرها من العادات المشينة في المجتمعات، وما نشاهده من المخالفات هي في الحقيقة إفرازات لبعد الناس عن دينهم وقيمه الطيبة المحمودة.

وقد زالت كثير من هذه المحدثات بفضل الله وحده ثم بفضل جهود العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين، ومنهم الشيخ العلامة بكر أبو زيد غفر الله لهم وأثابهم ثواباً جزيلاً، وهذه الآثار لا تتأتى بين عشية وضحاها، بل هو جهد الأيام، ودعوة على مدى الأعوام، والسير على خطى السلف الكرام .

٤- حرص الشيخ بكر على حماية المجتمع من المناهج الوافدة المخالفة للمنهج القويم للدعوة، وخصوصاً مجتمع الجزيرة العربية:

المنهج الحق لا يتجزأ أو يتعدد ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [٢] .

والميزان العدل هو النقل الصحيح ثم العقل السليم. ومتى قُدِّم العقل على النقل اختلت الموازين، واضطربت المفاهيم، وعندما يستعاض عن مصادر التلقي الأصيلة، بمصادر بشرية قاصرة، أو أفكار وضعية منحرفة، عليها يعكفون، وإليها يتحاكمون، بل من أجلها يعادون وفي سبيلها يوالون؛ عندها تتفرق الأمة المسلمة إلى طوائف وفرق وأحزاب كلٌّ بما لديهم فرحون.

"وليس لأحد أن يُنصِّب للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يُنصِّب لهم كلاماً يوالي عليه يعادي غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة. بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة؛ يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"[٣]

"إن الإسلام دين يقوم على الحق ولا يرضى إلا به في كل مجالات الحياة"[٤]

---

(١) للاستزادة انظر: حراسة الفضيلة، ص ١٥، وما بعدها.

(٢) سورة يونس، آية (٣٢) .

(٣) مجموع الفتاوى، (ج ٢٠ / ص ١٦٤)

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي، ص٢٠.

هكذا كان الإسلام في الصدر الأول، ولكنه مع مرور الزمن، وبُعْد الناس عن منهج الكتاب والسنة " لم يستمر صافياً كأول عهده، رائقاً كيوم بدأ، وإنما أخذت تتسلل إليه غيوم كدرت صفاءه، وعددت مساربه، وأخذت تميل به يمنة ويسرة، وذلك عندما أخذ الفكر الأجنبي يقتحم ساحته"[١] ، ويلقي بظلاله على مقدرات الأمة، وأهم مرتكزاتها، ألا وهو الفكر، والعقل.

وتفريق الأمة الإسلامية أمنية كل عدو، ومطلب كل مريض. وتمزيق جسد الأمة بالخلافات والاتجاهات والعصبيات البغيضة تهيء الطريق وتخدم الأعداء للولوج داخل أسوار المجتمع المسلم، لذلك"وجد العدو الجو مهيأً لتنفيذ خطته الماكرة في العالم الإسلامي، وكانت هذه الخطة تعتمد على تربية الجيل الذي سيقود بمناهجه وفلسفته المجتمعات الإسلامية في المستقبل وتغذيته بفكره وثقافته حتى تضمن ولاءه وخضوعه له في نهاية الأمر"[٢] .

لهذا وذاك كان لعلماء الإسلام ودعاته الغيورين جهد مثالي واحتساب عملي في بيان خطر الأفكار الوافدة والمناهج المستحدثة، والتحذير من الاغترار برموزها والاقتداء بدعاتها.

فمن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -الذي طالما حذّر وأنذر وبيّن وأنكر على مثل هذه الوافدات، التي تؤثر بلا أدنى شك على منهج الدعوة في العالم الإسلامي ككل، وفي قلب الجزيرة على وجه الخصوص.

فقد تصدى - رحمه الله -لأهل الأهواء والبدع، وحارب الانتماء للأحزاب والجماعات والحركات المخالفة، وحذر من موجات التغريب، ودعاة التغيير المزعوم.

وقد سبق بيان شيء من هذا في موضعه، عند إبراز جهود الشيخ في التصدي للتيارات الفكرية المعاصرة، وبيان خطرها على الأمة.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠ باختصار وتصرف يسير.

وقد حذّر الشيخ رحمه الله من التحزب وأهله، والمناهج المستحدثة وأسبابها، فقال فضيلته:" إن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الغواشي[١].

فاحذر – رحمك الله – أحزاباً وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميازيب[٢] ، تجمع الماء كدراً، وتفرقه هدراً، إلا من رحم ربك، فصار على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم "[٣].

و تحدث الشيخ بكر – أثابه الله – عن الدعوات التي تدعو إلى الإسلام، لكن تحت شعارات الحزبية والطائفية التي بلغت في الانتشار والتعدد مبلغاً، حتى تفرّقت الجماعة الواحدة إلى جماعات، وصارت شيعاً، وأسرت نفسها في ربقة (الرمز) وضيق (الشعار) [٤].

وأوضح رحمه الله أن شعار الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، هو مفارقة الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، فيقول فضيلته:

"وأما الفرق الباقية [غير أهل السنة والجماعة]، فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريباً من الفرقة الناجية فضلاً عن أن تكون بقدرها، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع، كان من أهل السنة والجماعة"[٥].

---

(١) الغواشي: جمع غاشية، والغشاء: الغطاء، وغاشية السرج: غطاؤه، والرجل يستغشى وبه كي لا يسمع ولا يرى، والغاشية: السُّؤّال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك، والغاشية: إسم من أسماء القيامة في القرآن، والغشيان كناية عن إتيان الرجل المرأة، والفعل غشيها يغشاها غشياناً. انظر: تهذيب اللغة، مادة (غشي) ، (ج ٣ / ص ٨٨)

(٢) الميازيب جمع ميزاب، والميزاب: بكسر الميم، لفظ معرب، ومعناه: قناة أو أنبوب من معدن أو غيره يسيل به الماء من السطح ونحوه إلى الارض. انظر:معجم لغة الفقهاء، ص ٤٧٠.

(٣) حلية طالب العلم، ص٨٥ باختصار.

(٤) انظر: حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٣

وقال أثابه الله:"فإن الحق واحد لا يتعدد، فالتزمه في الكتاب والسنة. والزم جماعة المسلمين، فهي بحق الجسم الذي لا يمكن التجمع الإسلامي في العالم على صعيد واحد إلا على أساسه"[١] .

فــ"أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام "[٢] هو شعارهم، وعليه ولاؤهم، وإليه تكون دعوهم، ومقصدهم.

وكان الشيخ عادلاً في نظرته للفرق المنتسبة للإسلام، فليست كلها بمنظور واحد، فإن " أي فرقة أو حزب أو جماعة تعيش تحت مظلة الإسلام باسم معين أو رسم خاص، فهي من جماعة المسلمين وتقترب وتبتعد من الصراط المستقيم الذي عليه جماعة المسلمين بقدر ما لديها من مناهج وخطط وتصورات يقرها الإسلام أو ينفيها"[٣] .

ومع ذلك لا تهم الشعارات والادعاءات بقدر ما يهم المنهج، ومدى موائمته للمنهج السلفي النقي، لذا يجب" منابذة كل جماعة منحرفة عن الإسلام وإن أعلنته شعاراً لها"[٤].

وحذّر رحمه الله من الابتعاث للخارج سواء للدراسة أو لغيرها وبيّن مردود ذلك على المجتمع في قيمه ومفاهيمه وأفكاره، فقال ـــ طيب الله ثراه ـــ:" ما يعود به عدد من المبتعثين من شباب هذه الأمة إلى ديار الكفر، إذ يعودون وهم يحملون تحللاً عقدياً رهيباً، منضوين تحت لواء حزبي مارق، وفي لحظات يمسكون بأعمال قيادية، عن طريقها ينفذون مخططاتهم، ويدعون بعضهم بعضاً، فيتداعون على صالحي الأمة وعلى صالح أعمالها، وهذا أضر داء استشرى في هذه الجزيرة، فهل من متيقظ؟! وهل من مستبصر؟!"[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٩

(٢) حلية طالب العلم، ص٨٤

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٩٩

(٤) المصدر السابق، ص١٥٥

(٥) خصائص جزيرة العرب، ص٨٢

ولا يختص الخطر بالابتعاث الخارجي، بل يحيط الشر ببعض من يسافر إلى الدول التي تعاني من اضطراب أمني وفكري فيلتقي بالزعامات المشبوهة، والقيادات المنحرفة، فيتأثر بتلك المناهج والأفكار المخالفة.

كما أن الخطر قائم مع بعض الوافدين إلى هذه الجزيرة وهم يحملون توجهات وانحرافات عقدية مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، فنجد أنّ الشيخ بكراً حريص على بقاء الجزيرة العربية على وجه الخصوص نقيّة من شوائب الدواخل ومحدثات الأفكار، لأنها محور الإسلام، وقبلة المسلمين، والدين منها بدأ وإليها يعود. يقول فضيلته:

" إذا كانت الجزيرة، وبخاصة قلبها، تثير حساسية المسلمين عند أي هجمة شرسة عليها؛ من استيلاء استعماري، أو فرض منهج عقدي، أو سلوك علنيّ؛ فإن العدا والمبطنين لها؛ سلكوا مسلك الوأد الخفي لعصب الحياة في العالم الإسلامي في قلب الجزيرة: الإسلام صافياً على منهج النبوة، وذلك بتسرّب موجات الغزو؛ تحت شعار الحضارة، وقناع العلم، وتكثيف اجتماعات ولقاءات تكسر حاجز النفرة من الأهواء المضلة، وتذوّب صفاء الحياة، وتكدر صفوها، وتقودها إلى تراقي الاحتضار.

فيجب أن يحسب لهذا كلُّ حساب، فليرفض كل سابلة تؤدي إلى هذا المضمار"[1].

" فواجبٌ والله تنظيف هذه الجزيرة من تلكم المناهج الفكرية المبتدعة، والأهواء الضالة، وأن تبقى عنوان نصرة للكتاب، والسنة، والسير على هدي سلف الأمة؛ حرباً للبدع والأهواء المضلة"[2].

فــ"جزيرة العرب هي بارقة الأمل في نشر عقيدة التوحيد؛ لأنها موئل[3] جماعة المسلمين الأول، وهي السور الحافظ حول الحرمين الشريفين، فينبغي أن تكون كذلك أبداً، فلا يسمح فيها بحال بقيام أي نشاط عقدي أو دعوي - مهما كان - تحت مظلة الإسلام؛ مخالفاً منهاج النبوة الذي قامت به جماعة المسلمين الأولى: صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدده، وأعلى مناره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق، ص٨٢

(٢) المصدر السابق، ص٨٢ .

(٣) الموئل: الملجأ. لسان العرب، حرف اللام، فصل الواو، مادة (وأل)، (ج١١/ص ٧١٥).

فالجماعة واحدة: جماعة المسلمين. تحت علم التوحيد. على طريق النبوة. لا تتوازعهم الفرق والأهواء، ولا الجماعات والأحزاب. وإن قبول أي دعوة تحت مظلة الإسلام تخالف ذلك هي وسيلة إجهاز على دعوة التوحيد، وتفتيت لجماعة المسلمين، وإسقاط لامتياز الدعوة، وسقوط لجماعتها"[١].

فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يتمسكوا بعقيدة أهل السنة والجماعة، وأصولهم في الاعتقاد والعمل والسلوك والدعوة، وأن يتركوا كل ما خالف هذا المنهج القويم، والصراط المستقيم، من البدع المضلة، والمناهج الفاسدة، والأفكار السيئة، التي ضللت المسلمين، وجعلتهم فرقاً وأحزاباً؛ كلٌّ يدعي العصمة لمنهجه وطريقته، زاعماً أنَّ الحق معه.

وإنَّ المنهج الحق والمسلك العدل هو منهج السلف، الذين جاءت الأدلة بفضلهم، والثناء عليهم، فإنه طريق الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.[٢]

وهذه الجهود وتلك التوجيهات من الشيخ بكر أثابه الله سوف تغيّر إن لم تكن غيّرت بالفعل وأثّرت في العبادة والسلوك والأخلاق والتعامل.

وإنّ الأفراد والمجتمعات المسلمة على حد سواء في حاجة إلى مثل هذه الجهود المباركة، وهذه الدعوة النافعة الحريصة كل الحرص على النفع والإصلاح والتغيير.

* * * *

---

(١) المصدر السابق، ص٨٣، ٨٤

(٢) انظر: المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، ص١٨

المطلب الثالث: آثار دعوة الشيخ على الأمة:

فضيلة الشيخ بكر رحمه الله صاحب مدرسة فريدة في التصنيف والإبداع، ومن الذين أنعم الله عليهم بالبيان الرفيع الذي يفوق به كثيراً من معاصريه، ولفضيلته منهج خاص في التأليف والتأصيل، والنظر في قضايا الأمة المعاصرة بمنظور شرعي شامل، وينحو في مسلكه في حياته العملية منحى التجديد والإصلاح لما عليه أوضاع الأمة، ودائماً يتلمس أمراضها الفكرية، وانحرافاتها العقدية، ويشخّصها ويصف العلاج لها. ولقد اهتم اهتماماً كبيراً بالنوازل العصرية ومشكلاتها، ووضعها تحت المجهر الشرعي.[١]

وهذا المنهج السليم، والجهد المبارك في دعوة الشيخ بكر غفر الله له كان له التأثير العجيب على جميع الأصعدة، وفي كثير من الدول الإسلامية فضلاً عن داخل المملكة العربية السعودية.

يقول الشيخ بكر رحمه الله في بيان أثر تأليفه لكتابه القيّم ((لا جديد في أحكام الصلاة)) ومدى استجابة الأمة لما حواه هذا المؤلَف من توجيهات وأحكام مستمدة من الكتاب والسنة، يقول فضيلته:

" والحمد لله إذ ظهر أثر هذه الرسالة، فتخلص مناشدوا الحق من هذه الشارات[٢] التي لا دليل عليها، واختفت فتنة التشنيع على من لم يفعلها من مساجدنا، وانتشر في الناس التثبت عند الاتباع من صحة الدليل، والأخذ بغرز العلماء المتثبتين الموثوقين، والتوقي من شارات التفريق بين المؤمنين والحمد لله رب العالمين"[٣].

---

(١) انظر: مجلة المستقبل الإسلامي، العدد (١٢١) جمادى الأولى١٤٢٢هـ، مقالة بعنوان: "العلامة بكر أبو زيد بين القضاء والإمامة والعلم"، هشام عطية، ص٤٠.

(٢) لعل مقصد الشيخ بكر بالشارات، هي: أعمال وحركات وهيئات وصفات في الصلاة فيها تكلف من بعض الناس في تطبيق السنة، أو فهم مغلوط أدى إلى البعد عن الوسطية والاعتدال. انظر: لا جديد في أحكام الصلاة، ص٩.

(٣) مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب لا جديد في أحكام الصلاة، ص٥،٦ .

وكان لكتابه الموسوم بـــ((درء الفتنة عن أهل السنة)) التأثير المنقطع النظير مما استوجب إعادة طبعة عدة مرات لحاجة الأمة لمثل هذه المؤلفات التي تدافع عن مكتسبات الشريعة وعن علماء الإسلام وتبين خطر الفتن ما ظهر منها وما بطن، يقول الشيخ بكر جعل الله الجنة مأواه:

" نظراً لنفاد هذه الطبعة، فقد رأيت إعادة طبعها مع زيادات مهمّة "(١) .

وفي مقدمة رسالته المعنونة بـــ((بطاقة الائتمان))، يقول فضيلته:

"وقد نفدت هذه الرسالة في طبعتها الأولى، فرأينا من الخير إعادة طباعتها، وتسويقها، بياناً للناس، وتحذيراً من التعامل بها، وبالله التوفيق"(٢)

وهناك كتابان عظيمان تم إعادة طباعتهما أكثر من خمس مرات لعموم نفعهما، وملامستهما لهموم الأمة، ولتشخيصهما لأمراض الأمة المنتشرة بين أفرادها، وهما كتاب: ((حراسة الفضيلة)) وكتاب:((حلية طالب العلم)).

وقال الشيخ بكر رحمه الله في توضيح انتشار بعض كتبه خارج هذه البلاد:

" لما ألّفْت كتابي ((طبقات النسابين)) انتشر في العراق انتشاراً عجيباً لم ينتشر في بلد مثلُهُ في بلد آخر"(٣).

مما يدل دلالة واضحة على مدى عناية الأمة بمؤلفات الشيخ ودعوته السلفية الواضحة التي كتب الله لها القبول والانتشار؛ وبالتالي التأثير على الفكر والسلوك معاً.

وهنا نجد أن سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ حفظه الله وسدده، لاحظ النفع الكثير والفائدة الكبيرة التي يجنيها المسلم عند قراءته لكتب الشيخ بكر رحمه الله، فقال سماحته في تقديمه لكتاب: ((درء الفتنة عن أهل السنة))، ما نصه: " إنّ هذا الكتاب لعظيم النفع كثير الفوائد وجدير

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية من كتاب درء الفتنة عن أهل السنة، ص٥ .

(٢) بطاقة الائتمان، ص١ .

(٣) مقالة للأخ: عبد الله بن عبد العزيز الهدلق. المرجع: www.ahlalhdeeth.com: موقع ملتقى أهل الحديث.

بالاهتمام وأن يحرص عليه كل مسلم "[١] .

وكأنَّ الشيخ بكراً - غفر الله له - عَنَى نفسه بتلك الكلمات التي تعبّر عن مدى استفادة المسلمين بالمؤلفات النافعة، وهذا يدل كما قال الشيخ - أثابه الله وأعظم أجره - على حسن النية وصدقها.

يقول فضيلته:"كم رأينا من تأليف مبارك نفع الله به أقواماً وهدى به آخرين، فانتشر بين المسلمين انتشار الشمس، ونرى طبعاته تصل إلى عشرين أو ثلاثين طبعة أو أكثر ومنها ما طبع منه ما لا يحصى من الطبعات، وهذا يدل مع جزالة ما فيه من علم على حسن نية مؤلفه وصدقها ولهذا كتب الله لها القبول والانتشار"[٢] .

ولمعرفة آثار دعوة الشيخ بكر على الأمة الإسلامية ومدى حرصه رحمه على نفع أمته؛ سيذكر الباحث، ويبيّن جهود الشيخ في توجيه دعوته المباركة إلى فئات خالفت النهج السليم، وحادت عن الصواب، وتخطت الحدود الشرعية، فكان من الشيخ أن كشف عن الحقيقة ولو كانت مُرَّة، وأوضح السبيل القويم وإن كان صعب المسلك، وهذه الجهود كان لها تأثيرها لدى الأمة على كافة مستوياتها وأطيافها. فمن هذه التوجيهات النافعة:

أولاً: توجيه الشيخ بكر دعوته إلى وسائل الإعلام:

الإعلام [٣] سلاح ذو حدين، إن استعمل في الخير وتبصير الناس في دينهم ومصالح دنياهم، كان من أفضل وسائل الإخبار والاتصال وأنفعها، وإن استعمل في ضد ذلك كان من أضرّ الوسائل وأفسدها على البشرية جمعاء.

---

(١) درء الفتنة عن أهل السنة، ص١٠

(٢) فقه النوازل، جزء في حق التأليف، ص١٦٣. باختصار

(٣) الإعلام في اللغة: مصدر لأعلم، مأخوذ من فعل: (علم) والعين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أَثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره. وعَلِمْتُ الشيءَ أعلَمُهُ عِلْماً: عرفته. والعلم: إدراك الشئ بحقيقته، وأعلمته وعلمته في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم. انظر:

والمسلمون يواجهون في هذا العصر أعظم خطر فكري، وأكبر تلويث عقلي؛ عبر وسائل الإعلام الحديثة والمتنوعة. لذلك كانت محاربة الغزو الفكري، وتحصين الأمة الإسلامية. من أهم الواجبات على ولاة الأمر من الحكام والعلماء، بل ومن عامة الأمة، خاصة في هذا الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الشرسة، التي أثّرت في أفكار المسلمين وسلوكهم.

فـ"وسائل النشر والإعلام تؤثر تأثيراً خطيراً على نفوس الناس وأعمالهم ولا جدال في أن هذه الوسائل لها خطرها في تكوين الاتجاهات والمعتقدات. وأنّ غياب الدعوة الإسلامية عن مجالات هذه الوسائل أو قلة مشاركة الثقافة الإسلامية خسارة كبيرة للبشرية نظراً لما تعترض هذه المجتمعات من أفكار هدامّة وموضوعات مخلّة ولما كانت الرسالة الإسلامية هي البناء المتكامل لكل ما ينشده المرء في حياته لذلك ينبغي استغلال كل وسيلة إعلامية ممكنة لتبليغ هذه الدعوة والاجتهاد في معرفة خصائصها، وأسلوب الدعوة الناجح من خلالها حتى تصل إلى عقل كل إنسان وتنفذ إلى كل جارحة منه فيعلم الصحيح من السقيم"[(١)] .

وهذا الجانب حظي من الشيخ بكر ــ رحمة الله عليه ــ بالعناية الكاملة، والرعاية المتواصلة، ولقد أثبت فضيلته من خلال جهوده الموفقة، أنّ الدعوة ليست متوقفة على مجال واحد، أو مرتبطة بفئة معينة، وينبغي أن تكون شاملة لكل نواحي الحياة،

=مقاييس اللغة، كتاب العين، مادة (علم)، (ج ٤ / ص ١٠٩) ، والصحاح في اللغة، حرف العين، مادة (علم) ،(ج ٥/ ص ٣٥٦) ، والمفردات في غريب القران، الحسين بن محمد المعروف بـــ (الراغب الأصفهاني)، كتاب العين، (ج ٢/ ص ٤٤٦) .

والإعلام في الاصطلاح: هو التعريف بقضايا العصر وبمشاكله وكيفية معالجة هذه القضايا في ضوء النظريات والمبادئ لدى كل نظام وكل دولة من خلال وسائل الإعلام المتاحة داخلياً وخارجياً، بالأساليب المشروعة لدى كل نظام وكل دولة. انظر: الإعلام في ضوء الإسلام، عمارة نجيب، ص١٦.

وقيل: هو عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم في الآراء فيما بينهم. انظر: مائة سؤال عن الإعلام، طلعت همام، ص٧.

(١) الدعوة في عهد الملك عبد العزيز، محمد بن ناصر الشثري، ص ٤٦٧، ٤٦٨. باختصار

وهاهو الشيخ – رحمه الله – يحتسب على وسائل الإعلام المختلفة لإحساسه أثابه الله بأهمية وسائل الإعلام في وقتنا الحاضر.

لذا كان الشيخ – جعل الله الجنة مأواه – يصدع بالحق، جسوراً في قوله، جامعاً بين بلاغة اللسان، وقوة البيان، وكان رائده الحق، ومطلبه مرضاة الله – نحسبه كذلك – فيقول محتسباً على بعض وسائل الإعلام المغرضة، ومبيناً أهدافها، يقول فضيلته:

" تلك السموم التي تقذف بها بعض القنوات الإعلامية في بعض البلاد !! وعلى وجه الخصوص ذلك التركيز الخبيث على تغريب المجتمعات المسلمة في أخلاقهم ولباسهم وغدوهم ورواحهم، وبخاصة إخراج المرأة من عفتها وطهارتها وحجابها، إلى أحط دركات السفالة[١] والتبذل والحيوانية، في شتى وجوه (الإباحية). وتعمل تلك القنوات جاهدة على التشكيك في الاعتقاد الإسلامي الحق، والاعتراض على أحكام الله المحكمة، والسخرية بالله وآياته ورسوله، والدعوة للإباحية والانسلاخ من الدين، وتمكين المنافقين بإعلان ما يحيك في صدورهم، ومجاهدة المضلين بمقالات الكفر والتشكيك، والردة عن الدين. كل ذلك باسم: حرية الفكر!! المناظرات المحايدة!! معرفة الرأي الآخر!! قاتلهم الله أنى يؤفكون "[٢].

وعند ما شاهد – رحمه الله – الصحافة وهي تنشر بعض الألفاظ الوضيعة، والكلمات الرخيصة، بأقلام أناس لا يحملون من الإسلام إلا اسمه ولا يعرفون من القرآن إلا رسمه، همّهم إشاعة الرذيلة، والقضاء على الفضيلة. عندها وقف الشيخ بكر وقفة الغيور على الدين والأخلاق والقيم، فكان يعترض على كل ما من شأنه أن يمسّ المبادئ الإسلامية الأصيلة، فقال منكراً:

---

(١) التَّسَفُّل: نقيض التَّعلّي، وسِفْلَة الناس: أسافلهم وغوغاؤهم وأراذلهم وسقّاطهم. والسَفالة: النذالة. انظر: تاج العروس، باب اللام، مادة: (سفل) ، (ج١٩/ ص٢٠٤) .

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٣٩ ،٤٠.

" إنّ الصحافة تسفّلت في النقيصة، فنشرت كلمات بعض المقبوحين بإعلان هواية مقدمات البقاء، مثل: المعاكسة، وقول بعض الوضيعين: إنه يهوى معاكسة بنات ذوي النسب، وهكذا من صيحات التشرد النفسي، والانفلات الأخلاقي "(١).

وقد وضّح الشيخ بكر - رحمه الله - عظم جرأهم على اختراق السد المنيع للمجتمع المسلم، ومحاولة تقويض بنيانه المتماسك، فقال ـــ طيب الله ثراه ـــ:

" وهؤلاء الرماة الغاشون لأمتهم، المشؤومون على أهليهم، وبني جنسهم، بل على أنفسهم، قد عظمت جراءهم، وتلون فكرهم، بكلمات تخرج من أفمامهم، وتجري بها أقلامهم، إذ أخذوا يهدمون في الوسائل، ويخترقون سد الذرائع إلى الرذائل، ويتقحمون الفضائل، ويهونون من شأنها، ويسخرون منها ومن أهلها .

نعم قد كتب أولئك المستغربون في كل شؤون المرأة الحياتية، وخاضوا في كل المجالات العلمية، إلا في أمومتها، وفطرتها، وحراسة فضيلتها "(٢).

وكان فضيلته يتحسّر على واقع الأمة، وما أصاب بعض وسائل إعلامها من عجز وسقوط، حتى أصبح معول هدم في الإسلام - مع الأسف الشديد -، فقال رحمه الله:" فإذا نظرت إلى كُتَّابها وجدهم يحملون أسماء إسلامية وإذا نظرت إلى المضمون والإعداد، وجدته معول هدم في الإسلام، لا يحمله إلا مستغرب مسير، أشرب قلبه بالهوى والتفرنج(٣)، ومعلوم أن القول والفعل دليل على ما في القلب ومن إيمان ونفاق ؟! وإذا نظرت إلى الصياغة وجدت الألفاظ المولدة، والتراكيب الركيكة واللحن الفاحش، وتصيد عبارات صحفية تقمش(٤) من هنا وهناك على جادّة: (القَصّ واللزق)، طريقة العجزة الذين قعدت بهم قدراهم عن أن يكونوا كُتَّاباً، وقد آذوا من له في لسان العرب

---

(١) حراسة الفضيلة، ص١٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٠، ١٤١.

(٣) التفرنج: تقليد الفرنج، والفرنج، والفرنجة: بسكون النون لفظ معرب، والافرنج: اسم يطلق على الكفار من القارتين الأوروبية والأمريكية. انظر: معجم لغة الفقهاء، (ج ١ / ص ٣٤٤).

(٤) القمش: جمع الشيء من ههنا وههنا، وكذلك التقميش، والقمش أيضاً: جمع القماش وهو ما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء، وقماش كل شيء وقماشته: فتاته، لسان العرب، حرف الشين، فصل القاف، مادة (قمش)، (ج٦/ص٣٣٨).

والذوق البياني أدنى نصيب. أفمثل هذا الفريق الفاشل يجوز أن تنصب له منابر الصحافة، ويوجه الفكر في الأمة ؟ ألا إن هذا مما يملأ النفس ألماً وحزناً وأسفاً على أمّة يكون أمثال هؤلاء كتبة فيها وهذه كتابتهم!.

عار – والله – أن يصبح توجيه الأخلاق في هذا العصر بأقلام هذه الفئة المضللة المسيرة، التي خالفت جماعة المسلمين، وفارقت سبيلهم، واشتغلت بتطميس الحق، ونصرة الهوى"(١).

وقال الشيخ بكر – رفع الله منزلته –:" كل هذا البلاء المتناسل، واللغو الفاجر، وسقط القول المتآكل، تفيض به الصحف، وغيرها، باسم التباكي والانتصار للمرأة في حقوقها، وحريتها، ومساواتها بالرجل في كل الأحكام، حتى يصل ذوو الفسالة(٢) المستغربون إلى هذه الغاية الآثمة: إنزال المرأة إلى جميع ميادين الحياة، والاختلاط وخلع الحجاب، بل لتمد المرأة يدها بطوعها إلى وجهها فتسفع(٣) عنه خمارها مع ما يتبعه من فضائل"(٤).

هذا حال كثير من وسائل الإعلام المختلفة، نعم! عالمين بأمور الدنيا، جاهلين بأمور الآخرة!! فيرى المرء فيها العجب العجاب!!، وخاصة القنوات الفضائية، التي تقوم على "نشر العري والخلاعة، وتهييج الشهوات؛ بغية الوصول إلى انحلال المشاهدين، وهدم أخلاقهم، ودكّ عفتهم، وذهاب حيائهم، وتحويل هؤلاء المنحلين إلى عباد شهوات، وطلاب متع رخيصة، فيسهل بعد ذلك دعوتهم إلى أي شيء، حتى لو كان إلى الردّة والكفر بالله والعياذ بالله، وذلك بعد أن خبت جذوة الإيمان في القلوب، وانهار حاجز الوازع الديني في النفوس إلا من رحم الله"(٥).

---

(١) حراسة الفضيلة، ص١٥٢، ١٥٣.

(٢) الفَسْلُ من الرجال: الرَذْلُ. انظر: الصحاح في اللغة، باب اللام، فصل الفاء، مادة: (فسل) ، (ج ٥ / ص ٦٤) .

(٣) سَفَعْتُ: أي أخذتُ. فالسفع: الأخذ، ومنه قول الله عز وجل: { لنسفعاً بالناصية} سورة العلق، آية (١٥) ، انظر: الصحاح في اللغة، باب العين، فصل السين، مادة: (سفع) ، (ج٣/ ص٥٠٢) .

(٤) حراسة الفضيلة، ص١٤١ .

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، (ج ١٤ / ص ٤٥٣)

ودور أهل العلم من العلماء والدعاة بل دور كل مسلم كلٌّ حسب موقعه وطاقته؛ هو التصدي لهذا الغزو الفكري الإعلامي المسلط، وحماية المجتمعات الإسلامية من أخطاره وآثاره؛ بكل الوسائل المشروعة والأساليب المناسبة.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "أما عن مجاهة الغزو المتمثل في الإذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التي ابتليت بها المجتمعات الإسلامية في هذا العصر، وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمرأة المسلمة رغم ما تشتمل عليه في أكثر الأحيان من السم الزعاف، والدعاية المضللة فهي من أهم المهمات لحماية الإسلام والثقافة الإسلامية من مكائده وشره مع التأكيد على دعاة الإسلام وحماته للتفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة، والدعوة إلى الإسلام، والردّ على أصناف الغزو الثقافي، وكشف عواره، وتبيين زيفه؛ حيث إن الأعداء قد جنّدوا كافّة إمكاناتهم وقدراتهم، وأوجدوا المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين والتلبيس عليهم، فلا بد من تفنيد هذه الشبهات وكشفها، وعرض الإسلام عقيدة وتشريعاً وأحكاماً وأخلاقاً عرضاً شيقاً صافياً جذاباً بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة، وعن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن. من طريق جميع وسائل الإعلام حسب الطاقة والإمكان؛ لأن دين الإسلام هو الدين الكامل الجامع لكل خير، الكفيل بسعادة البشر، وتحقيق الرقي الصالح، والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة، والفوز في الدنيا والآخرة" [1].

هذا ما قام به الشيخ بكر جاهداً مجاهداً في سبيل الحق والصدق والفضيلة، فكان شديد الغيرة، قوي الشكيمة، واضح المنهج، عديم المداهنة؛ ومع ذلك فالنصيحة المشفقة في كتابات الشيخ وردوده لها مكانتها، فقد كان الشيخ يحرص على إبداء النصيحة والإرشاد مع كلِّ مخالف، وهذا ليس بمستغرب على عالم فقيه كالشيخ بكر – رحمه الله تعالى رحمة واسعة –، فقد نصح الكتّاب والإعلاميين المخالفين لمنهج الكتاب والسنة

---

(١) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز، (ج ١ / ص ٤٠٧) .

وسلف الأمة، بالتوبة النصوح، والرجوع عن الخطأ، والاعتراف بالحق، فقال أثابه الله:

"من الأمانة الرجوع إلى الحق، وهو كمال لا تحرص عليه إلاّ نفوس ذللت لها سبل المكارم تذليلاً، ومن الأمانة أن تنقد الآراء ولا تغمض فيما تراه باطلاً، وإن كان بينك وبين صاحبها صلة الصداقة أو القربى"(١).

وقال فضيلته:" ننصح هؤلاء الكتاب بالتوبة النصوح، وأن لا يكونوا باب سوء على أهليهم، وأمتهم، وليتوقوا سخط الله ومقته وأليم عقابه "(٢).

فهذه النصائح والتوجيهات ستؤثر إن لم تكن أثرت بالفعل في كتّاب الأمة وأرباب القلم وصناع الكلمة.

فينبغي على جميع المسلمين، وكل الغيورين، الوقوف صفاً واحداً، وسداً منيعاً ضد معاول الهدم، وصُنَّاع الفحش، ومصدري الرذيلة. لتسلم عقول الأمة وأفكارها، وقيمها، ومبادئها، وقبل ذلك دينها الذي هو عصمة أمرها.

ثانياً: توجيهات الشيخ بكر ودعوته في مجال التعليم:

التعليم له غاية سامية، وهدف نبيل، فـــالهدف من التعليم: هو فهم الإسلام بطريقة صحيحة، وغرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة، وتزويد الطلاب بالمثل العليا والقيم النبيلة، وإكسابهم المعارف والمهارات المختلفة التي تخدم الأمة وتجعل الفرد عضواً صالحاً لنفسه ومجتمعه.

وبيان فضل تعلّم العلم وتعليمه والرد على بعض الأفكار المنحرفة، سمةٌ لعلماء الإسلام قديما وحديثاً، ونهجٌ عند أئمة الدعوة الذين استقوها صافية المنبع، عذبة المورد، من كتاب الله وسنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وسيرة السلف الصالح.

ومن ضمن هؤلاء العلماء الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله الذي ما فتئ ينصح ويوجه رعاة التعليم ورعيته، بمراعاة ضوابط الدين الإسلامي في هذا المجال، والأخذ على يد السفهاء

---

(١) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص٣٢ .

(٢) حراسة الفضيلة، ص١٧٧ .

والمغرضين، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، بأفكارهم، وآرائهم الباطلة.

وحِرْصُ الشيخ بكر رحمه الله في هذا المجال كان واضحاً وجلياً مما يدل على غيرته، وخدمته لدينه وأمته، فيقول فضيلته:" وما روح التعليم وجوهره إلا ظلٌّ لعقائد واضعيه وأخلاقهم فلا بد أن ينتج الأهداف والغايات التي تعكس آثار هذا التعليم بكليته على العقائد، والأخلاق، والثقافة، والسياسة، والاجتماع. فإذا تبنّت أمّة نظام التعليم في عقيدها وأخلاقها، أنتج أهدافه منعكسة على شد الأمة إلى عقيدها وأخلاقها وسياستها وآدابها الاجتماعية، والثقافية، ووحدها في ذلك، وتضييق مساحة الصراع والتبدد والانقسام.

أما إذا تبنّت أمّة نظام تعليم وافد في ظل عقيدة غير عقيدها وأخلاق غير أخلاقها فإنه ينتج أهدافه منعكسة عليها في الاعتقاد والأخلاق والسياسة والاجتماع، لما تنطوي عليه نفوس ناشئتها من أفكار وانحرافات مغايرة لما عليه إيمانها وعقيدها وسلوكها، مفضياً ذلك إلى زعزعة العقيدة، ثم الردة الفكرية، فالعقدية، وبه تؤول حياة الأمة إلى تبدد وانقسام، وتصدع وصراع، وتعيش في ظله بين البناء والهدم، والتصديق والتكذيب والاحترام والازدراء، والتشقق في تزايد وامتداد، والصراع في تصاعد واتساع، ولا تسأل حينئذ عن فشو الفوضى واضطراب الأحوال. والحاصل أن نظام التعليم الوافد ينفذ إلى صخرة الوحدة والاجتماع، ويفككها إلى الفوضى والصراع، حتى تصل إلى حال يصعب التغلب عليها، فتكون بداية النهاية فلا حول ولا قوة إلى بالله العزيز الحكيم "(١) .

وقال فضيلته: " يجب الاهتمام بمناهج التعليم السليمة في جميع أطواره على منهج الكتاب والسنة، وما عليه صالح سلف هذه الأمة، وإلزام الرعية بتعلم العقيدة الإسلامية الصافية من شوائب الانحراف، وتعلم سائر أحكام الدين، وتقوية مناهجها في جميع مراحل التعليم"(٢).

---

(١)المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها، ص٣٢ .

(٢) درأ الفتنة عن أهل السنة، ص٤١.

ويقول رحمه الله:" يبذل الناصحون منا النصيحة تلو الأخرى بحماية مناهج التعليم من نفثات[1] السوء، ونفوذ الضلال إليها؛ بتقوية المواد الدينية الإسلامية، وغرس العقيدة في قلوب ذراري المسلمين، وانتقاء المدرسين الموثوق بدينهم وسلامة معتقدهم، والجاري سلوكهم على السلامة والسداد، والحذر من جلب المدرسين، الذين مرجت عهودهم، وداخلت أمراض الشبهات والشهوات، لما لاحتضانهم أولاد المسلمين من مخاطر لا تخفى"[2].

وحذّر الشيخ بكر - رحمه الله - من وجود مدرسين غير مؤمنين بأهداف الأمة الإسلامية، وبيّن خطرهم على تربية الأجيال، فقال فضيلته:" وجود مدرسين لا يؤمنون بأهداف الأمة ونظرتها إلى الحياة، وكيف يصحّ أن يكون أمثال هؤلاء أساتذة مربين وقادة موجهين، وهذا شيء لا يقبله عقل ولا منطق"[3].

وبما أن الصغير في العمر يسهل تشكيله وتوجيهه إلى الخير أو الشر، كان لزاماً الاهتمام به، والاعتناء بتربيته وتعليمه، فحاز هذا الجانب على توجيه الشيخ بكر رحمه الله واحتسابه حيزاً كبيراً، فقال فضيلته:

"ولذا صار حقاً أن احتضان الصغار وتعليمهم قبل تشكلهم بالإسلام علماً وعملاً، هو البيئة الخصبة للقاح الأول في توجيههم نحو الخير أو الشر"[4].

وحثّ الحكام المسلمين على تهيئة المدارس الصالحة، والمعلمين الأكفاء، والالتزام بالمناهج الدراسية الخيرة، فقال رحمه الله: " يجب على من بسط الله يده أن يهيء لأولاده المسلمين ذكوراً وإناثاً المدارس الصالحة النقية الخالية من الكفر والإلحاد والفحش

---

(١) النفث: يدل على خروج شيء من فم أو غيره. ومنه نفث الراقي ريقه، وهو أقل من التفل. انظر: مقاييس اللغة: باب النون والفاء، مادة (نفث)، (ج٥ / ص٤٥٤). ولعل المقصود من سياق النص: هو ما يخرج من أفواه أهل السوء من كلمات خبيثة ودعايات مضللة تتعلق بالتعليم ومناهجه ومطالبتهم الدائمة بتغيير مناهج التعليم والتقليل من المواد الدينية ومسايرة المناهج الغربية أو الشرقية على حساب القيم والمبادئ والأسس الشرعية. (الباحث).

(٢) المدارس العالمية، الأجنبية، الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها ، ص٧ ،٨ .

(٣) المصدر السابق، ص٥١ .

(٤) المصدر نفسه، ص٣٤ .

والفجور والاختلاط بين الجنسين، وأن يختار لها من المعلمين: الأكفاء، الناصحين لدينهم وأمتهم، المشفقين على أولاد المسلمين ومصالحهم. كما يجب العناية بالمناهج والكتب الدراسية شكلاً ومضموناً وأن تنطلق من الاعتقاد الصحيح بالإسلام وإرادة الخير للأمة أفراداً وجماعات. كما لا يجوز لأهل الإسلام تعطيل المناهج والمقررات الدراسية من تعلم أصول الإسلام ونواقضه وفرائضه، ومن ذلك التوحيد والإيمان، وما يضاده من الكفر والشرك، وكذلك تعليم فرائض الإسلام وآدابه وسننه ومعاملاته، وأحكامه "[١].

وهنا يبيّن – أجزل الله له المثوبة – النظام الصالح للتربية والتعليم، والتوافق التام بين العلم والدين، وأنْ يستفيد الإنسان من تجارب الآخرين واكتشافاقم، قائلاً رحمه الله: " إن المنقذ الوحيد للعالم من النهاية الأليمة التي ترتقبه هو وجود نظام للتربية يقوم على التوفيق بين العقيدة والثقافة، بين قوة العاطفة والتهاب جذوة الإيمان، وبين العلم الواسع والفكر النيّر، ومعرفة أحدث ما وصلت إليه الأجيال البشرية من تجربة واكتشاف"[٢].

والمدارس الأجنبية في بلاد الإسلام هي بلا شك تخدم أهداف واضعيها، وأهم هدف لأعداء الدين، هو التنصير، فعندما فشلوا في تحويل المسلمين إلى النصرانية عن طرق القوة العسكرية، سخَّروا إمكاناقم المادية والمعنوية في سبيل تشكيك المسلمين في عقيدقم، ومن ثم إدخالهم في دين النصارى المحرف المنسوخ.

وخير وسيلة لنشر التنصير، هو"التنصير عن طريق التعليم، وذلك إمّا بإنشاء المدارس والجامعات النصرانية صراحة، أو بفتح مدارس ذات صبغة تعليمية بحتة في الظاهر، وكيد نصراني في الباطن؛ مما جعل فئات من المسلمين يلقون بأبنائهم في تلك المدارس رغبة في تعلم لغة أجنبية، أو مواد خاصة أخرى، ولا تسل بعد ذلك عن حجم الفرصة التي يمنحها المسلمون للنصارى حين يهدون فلذات أكبادهم في سن الطفولة والمراهقة، حيث الفراغ

---

(١) المصدر السابق، ص٧٥ ،٧٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص٥١ .

العقلي والقابلية للتلقي، أيّاً كان المُلْقِي!! وأيّاً كان المُلْقَى!!"[١].

وعندما أدرك الشيخ بكر – رحمة الله عليه – خطورة التعليم الأجنبي في ديار المسلمين حمل على عاتقه الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وعن مكتسبات الأمة المسلمة، وبيّن ما يحاك ضدها من مكايد وخطط لإبعادها عن أخلاقها وآدابها ولغتها، ليسهل تفريقها وتشطيرها، ومن ثم الاستيلاء عليها وعلى مقدراتها.

وما كتاب الشيخ بكر الموسوم بـــ (المدارس العالمية، الأجنبية، الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها) وصدّره بقول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ..﴾[٢].

إلاّ خير شاهد على مدى شفقته على أمته، وعلى اهتمامه بمجال التعليم، والتحذير من التعليم الأجنبي في ديار الإسلام على وجه الخصوص.

يقول الشيخ بكر رحمه الله في بيان أخطار التعليم الأجنبي على الأمة:

" امتدّ نفوذ مدارس أعداء الله – عباد الصليب – وغيرهم من الكفرة والملاحدة إلى قلب جزيرة العرب ففتحوا فيها مدارسهم، وجثت فيها هذا الفتنة الكبيرة، والخطيئة الخطيرة، التي ظاهرها تعليم الأجنبيين وباطنها الدعوة إلى غير سبيل المؤمنين، فأثارت استياء المسلمين فيها، وجرحت إحساسهم، ورأوا أنها أعظم ضربة وجهت إلى جزيرتهم ولا عهد لقلب الجزيرة بها، وحذروا المسارعين إليها من سوء عاقبتها"[٣]

وقال فضيلته رحمه الله: "ولا شك أن هذا غريب على جسد الأمة الإسلامية يخترق قواعدها ومسلماتها من الأساس، فرفضته شكلاً ومضموناً، وتعالت الصيحات، والنداءات من الناصحين من العلماء الغيورين، وغيرهم بالتحذير من هذه المدارس، ومن

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (ج ١٢ / ص ٣٧٧) .

(٢) سورة البقرة، آية (٢٢١) .

(٣)المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها ، ص٤ .

افتتاحها وإدخال أولاد المسلمين فيها "[١]

ويقول الشيخ بكر أيضاً: "إن الأمة الإسلامية هي الأسوة الحسنة لأهل الأرض، فإذا ما داخلها التعليم الأجنبي عنها، فإنه سيصيبها في غربة في دينها، وغياب في أخلاقها، ولغتها، وآدابها، واحتقار لتاريخها في ماضيها وحاضرها، وانشطار في وحدتها وآليات حياتها، وفرقة بعد اجتماع، وخلاف بعد وفاق. وتسلّم قيادتها من جيل جديد، هو على الأقل: إسلامي في الاسم وعقد النكاح، وتسجيل المواليد، أجنبي في اللسان، والذوق، والرأي، والتفكير، يسهم في قتل روح أمته، وطمس جوهرها"[٢].

وبيّن الحكم الشرعي لفتح المدارس غير الإسلامية في بلاد الإسلام، فقال:

"لا يجوز فتح مدرسة من هذه المدارس في بلدان المسلمين حتى ولو لم يسمح لأولاد المسلمين بالدخول فيها، لأنها بيوت كفر، يلقن فيها دين غير دين الإسلام، فيكفر بالله تعالى"[٣].

وحذّر من الإعانة والمساعدة بأي شكل من الأشكال على فتحها، فقال:

" لا يحل لمسلم أن يعين المدارس الهادمة للإسلام والأمة بأي نوع من أنواع الإعانة أو المشاركة فيها أو التشجيع عليها، لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ..﴾[٤]"[٥].

وقال الشيخ بكر رحمه الله ناصحاً أولياء الأمور بعدم إدخال أبنائهم في أحضان تلك المدارس:" لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلقي بأولاده إلى التهلكة في أحضان المدارس الأجنبية، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يعلمون من الإسلام شيئاً قليلاً ولا كثيراً فيتلقون الكفر والإلحاد والشر والفساد .. "[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص١٢ .

(٢) المصدر السابق، ص٧٧ .

(٣) المصدر السابق، ص٧٧ .

(٤) سورة المائدة، آية: (٢)

(٥)المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها ، ص٧٧ .

(٦) المصدر السابق، ص٧٧ .

ووجه غفر الله له نصيحته لحكام المسلمين وولاة أمرهم بمنع دخول المدارس الأجنبية ومناهجها إلى المسلمين لما تحويه من بذور التنصير والتغريب، فقال فضيلته:

"يجب على رعاة المسلمين منع تسلل المدارس الإفرنجية ومناهجها إلى بلاد المسلمين، سواء كانت تحت أسماء عربية أو أجنبية، فقد ثبت بشهادة القرآن – وكفى به شهادة – وبشهادة التاريخ والواقع: أن أعداء الإسلام لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمّة، فلا يزالون يلقنونه زيفاً، ويبذرون في نفسه شراً، ﴿ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ [(١)]؟! وإنها مكامن للتنصير والتغريب، ولا يجوز لمسلم أن يلقي بأولاده فيها. فالحذر الحذر من هذه المدارس ومناهجها، طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وحماية لناشئة المسلمين من انسلاخهم من دينهم، وإفساد أخلاقهم، وقطع رابطتهم بأمتهم..."[(٢)]

ولخبرته أيقن الشيخ بكر رحمه الله بمخاطر الابتعاث الخارجي للشباب إلى الدول غير المسلمة، للتعليم والتدريب، فخطره لا يقل عن خطورة التعليم الوافد، بل قد يكون أشد خطراً وأكبر فتنة، فيقول غفر الله له:" يبذل الناصحون منا النصح والتحذير من مخاطر ابتعاث شبية [شبيبة] المسلمين في هذه الديار إلى بلاد الكفر، اتقاءً للمخاطر على عقيدتهم، وسلوكهم، وتلويث أفكارهم "[(٣)] .

وقد كان لهذه الدعوات الناصحة والتوجيهات المشفقة والتحذيرات الصادقة

أثرها في مجال التربية والتعليم، والواقع يشهد لهذا، فمناهج التعليم في بلادنا الحبيبة تعتمد في مضمونها على الكتاب والسنة لا غير، وحسن اختيار المعلمين الفضلاء هو هدف الحكومة السعودية، كما وضعت الدولة وفّقها الله ضوابط وأنظمة للمدارس الأجنبية القائمة في المملكة العربية السعودية ومراقبة المناهج التي تدرّس فيها قدر الإمكان.

---

(١) جزء من آية رقم (٥٨) من سورة الأعراف.

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة، ص٤١، ٤٢ .

(٣)المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها، ص٧ .باختصار.

ثالثاً: توجيهات الشيخ بكر وردوده على الكتّاب والمؤلفين:

لقد هيأ الله لهذه الأمة في هذا العصر من ينافح عن الكتاب والسنة، ويدافع عن سلف الأمة، وتراثها المجيد، بالرد على من طعن وحرَّف وبدل؛ من أهل الزيغ والضلال، ومن انحرف عن النهج القويم، والصراط المستقيم، إحقاقاً للحق، وإبطالاً للباطل. فليصدع العلماء بالحق من غير هيبة ولا مجاملة، وليبلّغوا ما أمروا بتبليغه من غير تقصير ولا مواناة.

وقد جدّد الشيخ بكر - رحمه الله - منهج السلف، ودعا إلى التحرر من التبعية المفرطة، والانسياق وراء الشبه والشهوات المذمومة، والبعد عن التعصب الأعمى المقيت.

فجاءت توجيهاته وردوده، في نصوص رائعة، وفريدة، وفي جرأة واضحة، وقوة ناصحة، بقلم شجاع، ولسان فصيح، يبيّن الطرائق، ويكشف الحقائق، فأبدع وأجاد، وأثّر وأفاد.

فألف الشيخ أثابه الله كتباً في الرد على الكتّاب والمؤلفين، الذين يحرفون الكلِمَ عن مواضعه بزيادة، أو نقص، أو تبديل، أو تأويل، للنصوص التي لا تتوافق مع أهوائهم وتوجهاتهم المخالفة لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف الصالح رحمهم الله أجمعين، فسطَّرت أنامل الشيخ بكر رحمه الله أجمل الدرر من الآداب والتوجيهات للكتاب والمؤلفين والمحققين، حفاظاً على كرامة علماء السنة السابقين، وردّاً عن عرضهم، وإبرازاً لمحاسنهم، وفي ذلك كشف لعوار أهل الأهواء والبدع، وبيان للحقيقة المنشودة، فجاء كتاب: (الردود) دواء للداء الغليل، وشفاء لكل عليل.

والمحافظة على كتب السلف، والدفاع عن علماء الملة؛ هو حفاظ على الدين وصيانة له. وعندما حصل تجنّي من بعض الغلاة، وأهل الأهواء، على كتب السلف قديماً، وحديثاً، بتأويل، أو تحريف، احتسب العلماء والدعاة، وردّوا عليهم بما يمليه عليهم دينهم، والأمانة العلمية التي يحملونها، يقول الشيخ بكر - طيب الله ثراه - مبيناً ذلك:" شَهَرَ العلماءُ - من المفسرين والمحدثين، والفقهاء، والأدباء، والمؤرخين، وغيرهم - قولةَ الحق في كتبهم الكاشفة عن خلائق أقوام في السطو، والانتحال، والكذب، والتلبيس،

والاختلاق: في نقل، أو مسألة، أو رسالة، أو كتاب، وهكذا، ومن تتبع الإنتاج العلمي عَلِمْ. وليعلم كل مسرف على نفسه أن عليه من ألسنة الخلق حسيباً، ومن أعينهم رقيباً، ومن أقلامهم متابعاً "(١).

وللمحرفين طرق وشعارات يبدونها للناس، للتغرير والتستر خلفها في نشر معتقداتهم وأفكارهم المخالفة، يقول الشيخ بكر في فضح تصرفاتهم، وأنّ من طرقهم:" طريق التمسح بنصرة السنة، والتحكك بالانتساب إليها والإغراء بما يسوقونه من مطايبات شتى، ومتع للقرّاء، لكن في المواطن التي يعطفون على عصبية فيها، تجد العبث، واللعب بالنصوص، والتصرف فيها، وانتهاب الأقوال وتنتيفها مع التغرير بسياقتها، على مقتضى الأمانة العلمية والبحث العلمي، ودقة المنهج، والتزام المنهجية"(٢).

وبعد أن استشهد الشيخ بكر غفر الله له بقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ .. ﴾ (٣).

قال - رحمه الله - ""فالتحريف، والتغيير، والتبديل، والتحوير بزيادة أو نقص، أو بتر، أو تقديم أو تأخير، كل ذلك مما يرمي إلى التزوير، ويهدف للتضليل، وإيجاد المخارج من الحقائق إلى داعي الهوى: كله محرم، وفاعله مكشوف مع ما يلحقه من الإثم والجناح "(٤) .

وفي الردّ على أرباب القلم ممن حاد عن الجادّة: تبصير للناس كافة، لأخذ الحيطة والحذر مِمَّا يكتبون أو يحققون، فينصرفوا عنهم ويولوهم الأدبار، وهذا مقتضى الأمانة، وعين الاحتساب، نجد ذلك واضحاً في قول الشيخ بكر طيب الله ثراه:" مطلوب من أهل السنة كشف من كان سبيله كذلك، مِمَّنْ غلب على رشده، فاستخف بالأمانة العلمية، ليتضح أمره، ويصير الناس على بصيرة ومعرفة تامتين، لينحّوه عن الذكر، والحكم، ويبتعدوا عن كتبه عند الاستشهاد والعزو "(٥) .

---

(١) الردود، رسالة في التحذير من مختصرات الصابوني، ص٣٠٦، باختصار .
(٢) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص٧٦ .
(٣) سورة البقرة، آية (١٨١)
(٤) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص٦٨ باختصار .
(٥) المصدر السابق، ص١٠ .

وقول فضيلته:" ليتنبَّه أهل السنة، فيتنكَّبوا الدعاة إلى البدعة وما كتبوا، وينصرفوا عنهم، ويولّوهم الأدبار، ويَعدُّوهم في حيّز العوام، فلا يلتفت إلى أقوالهم بالقبول، ولا يُعتنى بتحصيل كتبهم، ولا يُدلّ عليها، ولا عليهم"(١).

فالردّ على الكتّاب والمؤلفين عدّه الشيخ بكر - رحمه الله -جهاد في سبيل الله، يقول فضيلته:" فكشف عورات هؤلاء، وبيان فضائحهم، وفساد قواعدهم؛ من أفضل الجهاد في سبيل الله "(٢).

وكشْفُ الكتَّاب المخالفين، والمحققين المحرفين، له أهداف كثيرة، منها نشر المذهب السلفي القويم، وصيانة التراث من العبث والتحريف، ورسالة تحذير للذين يخلون بالأمانة العلمية، أو يفكرون في الإقدام على مثل هذا الاعتداء السافر على كتب السلف، يقول الشيخ بكر:

"وكم تمنيت لو أنّ الكاتب طوى بساط القيل، وترك التراع الضئيل، وصد عن التشفي باللغو والتجديع. أما وقد جال، وكتب، ونشر، وطبع، فلا يسع إلا البيان، دفاعاً عن كتاب الله تعالى، وصيانة لدينه عن الشبهات، إذ الذبّ عن ذلك، وعن العلم وحملته من أهم المهمات، ومن وراء ذلك المساهمة في صد الهجمات الشرسة ضد عقيدة السلف ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٣) " (٤).

وهذا هو منهج السلف - رحمهم الله - في مَنْ جانب الصواب، وحاد عن السنة والكتاب. يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمه الله -:

"وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الردّ عليه"(٥) .

وسيذكر الباحث نماذج من ردّ الشيخ بكر ــ أثابه الله ــ واحتسابه على بعض الكتاب والمحققين:

---

(١) المصدر السابق، ص١٣ .
(٢) المصدر السابق، ص٨٥ .
(٣) سورة الأنفال، آية (٥٧)
(٤) الردود، رسالة في التحذير من مختصرات الصابوني، ص٣٣٩ . باختصار.
(٥) فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، ص٣٨٥.

أولاً: ردُّ الشيخ بكر - رحمه الله -على محمد زاهد الكوثري[١] ، في تحريفه لكتب السلف، وغمزه لأئمة الهدى، وتنقصه لعلماء الشريعة، وعدم وفائه بالأمانة العلمية، المطلوبة لكل طالب علم فضلاً عن العلماء والمحققين.[٢]

والشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه خاطب الشيخ بكراً رحمه الله وأيده على رده على الكاتب والمحقق محمد زاهد الكوثري، فيقول سماحته:" فقد اطلعت على الرسالة التي كتبتم بعنوان:(براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة)، وفضحتم فيها المجرم الآثم محمد زاهد الكوثري بنقل ما كتبه من السب والشتم والقذف لأهل العلم والإيمان واستطالته في أعراضهم وانتقاده لكتبهم إلى آخر ما فاه به ذلك الأفاك الأثيم؛ عليه من الله ما يستحق"[٣]

يقول الشيخ بكر رحمه الله عن الكوثري: " إن القرن الرابع عشر الهجري لم يشهد مسلماً، تعلق بأهداب العلم الشرعي، فنسج على بصيرته عناكب التعصب الذميم، وسعى ركضاً وراء داعية الغلو فيه، مثل هذا المخلوق.

تراه واقفاً بالمرصاد لأي نص يخالف داعية تعصبه الذميم، فكلما أوجس من نص خيفة على مشاربه، جمع له نفسه، وأقبل عليه بسطو عظيم، من التحريف، والتبديل، والميل، وهذا غاية في ضياع الأمانة "[٤].

---

(١) محمد زاهد الكوثري الحنفي الماتريدي ولد عام ١٢٩٦هـ، عرف عنه شدة الطعن في أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، وجعلِ كتب السلف كتب وثنية، وتجسيم وتشبيه، كما يظهر في مؤلفاته أيضاً شدة الدعوة إلى البدع الشركية وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل. توفي عام١٣٧١هـ. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (ج١/ ص١٠٣) .

(٢) من أبرز العلماء الذين ردّوا على محمد الكوثري: الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي، المتوفى سنة ١٣٨٦هـ، في كتابه: (التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل) .، (ج١/ ص٣ وما بعدها) ، (ج٢/ ص٧ وما بعدها) ، والشيخ أحمد بن محمد الصديق الغماري، في كتابه: (بيان تلبيس المفتري محمد زاهد الكوثري) ، ص١٠ــ ٣٥٧، والشيخ محمد بن بهجة البيطار، في كتابه: (الكوثري وتعليقاته) ، ص٣ــ ٢٦، ومما قال البيطار في الكوثري: "إنّ هذا الرجل لا يعتد بعقله ولا بنقله ولا بعلمه ولا بدينه" انظر: ص٢٦ من الكتاب المذكور.

(٣) انظر: الردود، رسالة: براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، ص٢٦٩.

(٤) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص١٠٣باختصار .

وقال الشيخ بكر غفر الله له:" لقد تفنَّنَ هذا المخلوق بالتحريف، وضرب من أجله وجوهاً كثيرة، وقد كشفه علماء العصر ــ ولله الحمد ــ من شتى الأقطار"[١]

ومحمد زاهد الكوثري له سقطات وانحرافات: فتارة يطعن في علماء الأمة الأجلاء، ويغمزهم، ويتنقص منهم، وتارة أخرى يتعدى على أي نص يعارض هواه ومعتقده فيبذل المساعي الذميمة بسخاء مغلف بالمخاتلة، مدفوعة بفجور وهوى ومغاضبة بالتحريف والتبديل[٢].

وقد أورد الشيخ بكر رحمه الله نصوصاً من كتاب الكوثري: (المقالات)، ورسالته الموسومة بـــ(تبديد الظلام المخيّم من نونية ابن القيّم)، فردَّ الشيخ بكر عليه رداً علمياً متقناً، وبين تحريفه بياناً شافياً كافياً، وأورد فضيلته أثابه الله مقولات الكوثري في عدوانه على شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى، وغيرهم من العلماء الأجلاء.[٣]

ثانياً: ردُّ الشيخ بكر على عبد الفتاح أبي غدة [٤] في تحقيقه لبعض كتب ومؤلفات السلف، وبيّن أخطاءه وتجنيه على عقيدة أهل السنة والجماعة، بتحريف أو تبديل، مثله مثل شيخه الكوثري [٥].

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى في تأييد الشيخ بكر رحمه الله لردّه

---

(١) المصدر السابق، ص١٩١-١٩٣ . باختصار .

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٠٤.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٠٣ – ١١٤، وبراءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، ص٢٧١ وما بعدها.

(٤) عبد الفتاح بن محمد بشير بن حسن أبو غدة، ولد في مدينة حلب بسورية سنة ١٩١٧م، انتقل إلى الدراسة في الأزهر بمصر، ثم عاد إلى سورية ودرّس فيها، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية، متعاقداً مع جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض حيث عمل مدرّساً فيها، وفي المعهد العالي للقضاء، توفي سنة ١٤١٧هـــ الموافق ١٩٩٧م. ودفن في المدينة المنورة. راجع: www.aboghodda.com موقع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

(٥) من العلماء الذين ردّوا على عبد الفتاح أبي غدة: الشيخ حمود بن عبد الله التويجري برسالة سماها: ((تنبيه الإخوان على الأخطاء في مسألة خلق القرآن)) ، ص٥ ـــ ٦١، والشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه: "تقسيم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بين واقع المحدثين ومغالطات المتعصبين " ردّ فيه على عبد الفتاح أبو غدة ومحمد عوامه.

على عبد الفتاح أبي غدة: "كما أوضحتم أثابكم الله تعالى تعلُّق تلميذه الشيخ عبد الفتاح أبي غدة به وولاءه له وتبجحه باستطالة شيخه المذكور في أعراض أهل العلم والتقى ومشاركته له في الهمز واللمز وقد سبق أن نصحناه بالتبرئ منه وإعلان عدم موافقته له على ما صدر منه وألحنا عليه في ذلك لكنه أصر على موالاته له هداه الله للرجوع إلى الحق وكفى المسلمين شره وأمثاله"(١).

يقول الشيخ بكر في إنكاره واحتسابه على عبد الفتاح أبي غدة في تأييده لأستاذه الكوثري:" فهذا التلميذ الوفي لتلكم المشارب الكدرة: يزنه بميزان علماء السلف، مع ما رأته عينك الباصرة في هذه النماذج من فحش القول وقبحه. وهذا التلميذ لم نعلمه يتعقبه فيما كتب ولو مرة واحدة في دفع هذه الخبائث من صريح كذبه وعدوانه ؟ "(٢).

وقال الشيخ بكر طيب الله ثراه: "دأب تلميذه أبو غدة على غمس لسانه بإطراء شيخه واتخاذه عضداً، ومنحه من الألقاب ما لم يمنحه لأي إمام ولم نر ولم نسمع عن هذا التلميذ الحفي بشيخه كلمة إحسان ترد هذا العدوان، وتنكر هذه العظائم، وتبرئ أعلام الإسلام من هذه الأقوال الفاجرة. بل نرى منه الفرح الشديد بهذا المفتون، وبكتبه التي تحمل هذا الفتون، والتنويه بها، ومشاركته بالتحطط على ابن تيمية وابن القيم بالغمز أحياناً وبنقل أقوال الخصوم دون تعقيب حيناً آخر"(٣) .

وقال فضيلة الشيخ بكر رحمه الله:" إنه من التلميذ: الصمت الطويل، والإعراض العريض عن هذا الموقف الأثيم من الكوثري في حق أئمة الهدى والدين، أين النصفة والعدل، وحماية أعراض العلماء، وحفظ مقاماتهم، والذبّ عنهم، وأخذ الثأر لهم ممن ظلمهم وآذاهم، بما يمليه على المسلم أدبه وخلقه ودينه ؟؟ وقد أعذر إليه أهل العلم فنصحوه، وذكّروه بالله، ليتبرأ من شيخه هذا في فتونه، وبذلوا له النصيحة مشافهة، وكتابة، ولكن بدون جدوى"(٤).

---

(١) انظر: الردود، رسالة: براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، ص٢٦٩.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٨٩ باختصار.
(٣) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص١٠٧باختصار .
(٤) المصدر السابق، ص١٠٨، ١٠٩.

وقد ذكر الشيخ بكر رحمة الله عليه أدلة واضحة مقنعة على تحريف أبي غدة للنصوص، وتأثره البالغ بشيخه الكوثري[١].

حتى إنّ الشيخ بكراً أثابه الله قال في آخر ردوده عليه:" قد سئمت من تتبع مخازي هذا المبتلى بالتحريف، والتصرف في النقول، فاكتفيت بالإشارة إلى ما وقع لي أنه حرّف وتصرف فيه، ليرجع إليه من شاء. والنتيجة: أن هذا التلميذ، لا يوثق بعلمه، ولا بنقله. والتحريف انقطاع في نسب العلم الموروث فلا تجعل بينك وبين العلم وسائط محرفين"[٢].

ثالثاً: ردُّ الشيخ بكر رحمه الله على محمد علي الصابوني [٣]:

محمد علي الصابوني له عدة كتب، منها: (صفوة التفاسير)، و(مختصر تفسير ابن كثير)، و(النبوة والأنبياء)، و(الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح)، وقد ردَّ عليه كثير من العلماء، ونبّهوا الأمة على أخطائه وسقطاته، وحذّروا القرَّاء من كتبه ومختصراته[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١١٥ - ١٦١. وبراءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، ص٢٨٩-٣٠٢

(٢) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال ص١٦١ .

(٣) محمد بن علي الصابوني، ولد بسوريا في مدينة حلب عام ١٩٣٠م، درس في سوريا ثم أكمل دراسته الجامعية في الأزهر بمصر، ثم رجع ودرّس في بلده سوريا، ثم انتدب إلى المملكة العربية السعودية مدرساً في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية التربية بمكة المكرمة، ثم انتقل للعمل في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، له عدة مؤلفات. انظر: جريد الشرق الأوسط، عدد (١٠٥٣٤)، في١٩/٩/١٤٢٨هـ الموافق ١/١٠/ ٢٠٠٧م ص١٢.

(٤) من العلماء الذين ردّوا على محمد علي الصابوني: الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط في تقريضٍ له على كتاب: (الرد على أخطاء محمد علي الصابوني في كتابيه: صفوة التفاسير، ومختصر تفسير ابن جرير) للشيخ محمد جميل زينو، ومما قاله الشيخ عبد الله خياط: " الصابوني قد أخلّ بما التزمه: من حيث أمانة النقل، ومن حيث تفسير بعض الآيات بما يختلف عن مذهب السلف"، انظر: ص٦١ من الكتاب المذكور، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن باز، في رسالته: (تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل) ، ص٧ـ ٥٥، والشيخ محمد جميل زينو، بعنوان: (مخالفات هامة في مختصر تفسير ابن جرير الطبري) ، ص٤١ـ ٥٩، و(تنبيهات هامة على كتاب صفوة التفاسير) ، ص٥ ـ ٣٥، وغيرهم من العلماء الأجلاء.

ومن ضمن المحتسبين في الردّ على الصابوني الشيخ بكر رحمه الله، يقول فضيلته: "انبرى لصنيعه أهل السنة دفاعاً عن كتاب الله تعالى، وصيانة لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، من عبث العابثين وتأويل الجاهلين، موضحين ذلك في قالبين: الأول: أنه استجرَّ تفسيري ابن جرير، وابن كثير في اختصاره لهما، لكنه شرق بمنهجهما السلفي في عقيدة التوحيد فأفرز مختصريه. وابن جرير، وابن كثير بريئان مما يخالف تفسيرهما. الثاني: (صفوة التفاسير) اسم فيه تغرير وتلبيس، فأنّى له الصفاء وهو مبني على الخلط بين التبر والتبن[1]؟" إلى أن قال رحمه الله: "وهذا المزج على يد من لا يعرف الصنعة ولا يتقنها كهذا الذي تسوَّر هذا الصرح بلا سلم. وإلا فإن أهل العلم يستفيدون من المفسرين المتميزين بما لا يخرج عن الجادة: مسلك السلف، وضوابط التفسير، وسَنَن لسان العرب"[2].

ويقول الشيخ بكر في بيان شيء من مآخذ الصابوني:

" أ- الإخلال بالأمانة في النقل. ب- التصرف في عبارات السلف لتوافق مذهب الخلف، في ((باب الأسماء والصفات)). جـ - حذف أحاديث صحيحة. د- كثرة إيراده الأحاديث الضعيفة محذوفة الإسناد. هـ - إقحام آراء خلفية قد برَّأ الله منها عمدة التفاسير، كابن جرير، وابن كثير. و- إيراد قراءات شاذة، والسكوت عليها.

فأنصح كل مسلم بعدم اقتناء هذين الكتابين: ((صفوة التفاسير))، و((مختصر تفسير ابن كثير))، أو العزو إليهما؛ لفقد الثقة من كاتبهما"[3] .

---

(١) التبر: ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضرب دنانير فهو عين. الصحاح في اللغة، باب الراء، فصل التاء، مادة (تبر)، (ج٢ / ص٢٤٠ــ ٢٤١).

والتِّبْن: عصيفة الزرع من البر ونحوه، واحدته تبنة، والتَّبْن بالفتح مصدر تبن الدابة يتبنها تبنا عَلَفَها التبن. انظر: لسان العرب، حرف النون، فصل التاء، مادة (تبن)، (ج١٣ / ص٧١) ، والعصيف والعصف: هو دقاق التبن الذي يطير مع الريح عند التذرية. المحيط في اللغة، باب العين والصاد، مادة (عصف)، (ج١ / ص٣٣٩).

(٢) الردود، رسالة في التحذير من مختصرات الصابوني، ص٣١١.

(٣) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٤٤. باختصار.

ودعا فضيلة الشيخ بكر رحمه الله الكتّاب والمؤلفين إلى التوبة والرجوع إلى الحق، والالتزام بالأمانة العلمية، قائلاً: " أرجو أن يكون هذا داعياً إلى أوبة هذا الرهط إلى كلمة سواء: التزام الأمانة العلمية، وأن ينفضوا أيديهم من الخزي والسوء: الجناية على النصوص بتحريفها فيصححوا ما أفسدوا، ويأخذوا عهداً على أنفسهم أن لا يكذبوا ولا يحرفوا. وينتظمهم عموم قوله تعالى:﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[(١)]"[(٢)].

وقال فضيلة الشيخ بكر، أيضاً: "يتعيّن على كل مسلم، أن يتقي الله سبحانه وتعالى، فيما يأتي ويذر، وفيما يعلم وما لا يعلم، وأن يقف حيث انتهى علمه، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه. وليعلم أن من ورائه مواقف صعاباً، ولو لم يكن إلا تلكم الساعة الرهيبة المذهلة، وهي سويعة التساؤل عنه قبل دفنه، وعند شيوع خبر انقضاء أجله، وإصغاء الآذان إلى الجواب، لو لم يكن إلا ذلك لكان كافياً "[(٣)] .

وقد اتّسمت ردود الشيخ بكر طيب الله ثراه بالقوة والجرأة، والصدق والصراحة النادرة، والعبارة الجزلة البليغة، لإيمانه بأن الرد على المخالف من أصول الإسلام، خصوصاً والأمر يتعلق بمسائل العقيدة.

ومع هذه الجهود المضنية التي كان يبذلها الشيخ بكر أثابه الله في الكتابة والتأليف، لم تكن تؤخره يوماً عن متابعة الكتَّاب وما يكتبون، ومناصحة المحققين والقائمين على إحياء التراث الإسلامي.

وحريّ أن يصدق عليه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال عليه الصلاة والسلام: "**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**" وفي لفظ "**يحمل هذا العلم**"[(٤)] .

---

(١) سورة النور، آية (١٧).

(٢) تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال، ص١٠٤، ١٠٥. باختصار .

(٣) الردود، التحذير من مختصرات الصابوني، ص٣٣٧ .

(٤) رواه البيهقي في سننه، كتاب: الشهادات، باب: الرجل من أهل الفقه يُسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع، (ج ١٠ / ص ٢٠٩) ،

فكان هدف الشيخ بكر هو جمع الأمة واتحادها على منهج الكتاب والسنة والحيلولة دون تفرّقها وتمزّقها لتقوم بواجبها لتحقيق المقصود، يقول فضيلته:" لا يمكن للأمة أن تقوم بالواجب إلا إذا كانت متحدة متعاضدة متماسكة، أمة واحدة، وجسداً واحداً، أما إذا تفرقت الأمة وتوازعتها النِّحَل والأهواء والفرق؛ فهي عاجزة بنفسها فلا يمكن لها القيام بالواجب عليها نحو غيرها"(١).

وعندما تطبّق الأمة الإسلامية مثل هذه التوجيهات وتلك الرغبات الصادرة من قبل علمائها المعروفين، ودعاة الإصلاح فيها المستمدة من الوحيين الشريفين فعندئذٍ ترى التغيير المطلوب، والتأثير المرغوب، والصلاح المنشود في كل مجالات الحياة.

فرحم الله الشيخ بكراً وجعل سيرته الطيبة، وأعماله الصالحة في موازين حسناته.

* * * *

=واختلف في صحته، لكن صححه الشيخ الألباني. انظر: مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الألباني، رقم الحديث (٢٤٨)، (ج١/ ص٨٢) .

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١١٣. بتصرف

المبحث الثاني: الدروس المستفادة من جهود الشيخ بكر ومنهجه في الدعوة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: فوائد علمية منهجية.

المطلب الثاني: فوائد عملية سلوكية.

المطلب الثالث: فوائد دعوية.

المطلب الرابع: فوائد تربوية.

المطلب الخامس: فوائد اجتماعية.

المطلب السادس: فوائد اقتصادية.

المطلب الأول: فوائد علمية منهجية:

تنوّعت توجيهات الشيخ بكر غفر الله له وتعددت نصائحه، ومن هذه التوجيهات السديدة والتعليمات الرشيدة، كان الدعاة وطلبة العلم، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يعتمدون عليها ـــ بعد كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ـــ في عملهم وعلمهم ودعوتهم، فالشيخ رحمه الله يؤكد على الصبر في الدعوة، والثبات على الحق، والاستمرار في البلاغ من غير كلل أو ملل، وأن الدعوة ليست مرحلة مؤقتة تنتهي، بل هي منهج محكم ودقيق، وفق خطة منهجية صحيحة تتوغل في حياة المجتمع، وتسبر أغواره، وتنفذ في حياة الناس فتصلح ما تعطل فيها، وترأب الصدع، وتعيد شحذ الهمم، وتبعث الإيمان والهداية في قلوب الناس.

فالعلم الصحيح والمنهج السليم يسيران بالإنسان - وخاصة الداعية - إلى بر الأمان بإذن الله وتوفيقه. وقد نادى الشيخ بكر إلى تصحيح المفاهيم، وتدارك الأخطاء، حتى لا يقع المسلم في المحظور من حيث يدري أو لا يدري.

والمتأمل في حياة الشيخ بكر ـــ تغمده الله برحمته ـــ يجد أنّ حياته مليئة بالعمل الجاد المثمر، ابتداءً من طلبه للعلم، وانتهاءً ببذل العلم من خلال تآليفه وفتاواه وتدريسه، التي استفاد منها طلاب العلم في أماكن عدة من العالم الإسلامي. فقد كان حريصاً على إيصال الحق، وتبليغ العلم، ونفع الأمة بكل الطرق وشتى الوسائل.

فهناك فوائد علمية منهجية مستوحاة من منهج الشيخ بكر رحمة الله عليه، منها ما يلي:

الفائدة الأولى: تصحيح النيّة:

تصحيح النيّة لكل عمل أو قول أو إرادة يجب أن يكون في الحسبان حتى لا يكون ذلك وبالاً عليه، وتنقلب عليه الموازين.

يقول الشيخ ناصحاً ومذكراً : " إنّ النيّة مصححة العمل في قبوله والإثابة عليه، لا في حِلِّ المال المكتسب أو حرمته، فمن طلب العلم ثم أراد أن ينفع به الأمة، وقد يتقوى

على ذلك بما يكسبه بعلمه، فنيّته ليست فاسدة، والمال طيّب، وأصل هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس في الرقية: "**إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله** .."(١).

وفي يوم القيامة أول من تسجّر به النار ثلاثة: ومنهم قارئ القرآن فاسد النية (٢) . فالنية مفسدة للثواب إذا قارنت العمل من أصله، محبطة له، لكن الكسب مع صلاح النية كيف يقال أنه خبيث ؟"(٣)

وفي هذه النصيحة من الفوائد والثمرات ما يقصر عن وصفها الكلام، فتصحيح النية يترتب عليه قبول كل عبادة لله عز وجل في جميع الأعمال و الأقوال الظاهرة والباطنة.

الفائدة الثانية: استغلال الوقت:

حثّ الشيخ بكر رحمه الله على اغتنام الأوقات بما يعود على الإنسان بالنفع والفائدة حاضراً ومستقبلاً، فيقول فضيلته:" الوقت، الوقت للتحصيل، فكن حلف(٤)

---

(١) جزء من حديث اللديغ الذي رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، حديث رقم (٥٢٩٦) .

(٢) لعل الشيخ بكراً رحمه الله يقصد حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم وغيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ...الحديث) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة، استحق النار، حديث رقم (٣٥٢٧) .

(٣) فقه النوازل، جزء في حق التأليف تاريخاً وحكماً، (ج٢/ ص١٧٢) .

(٤) الحِلْف: العهد، والمؤاخاة، واللزوم، وكل شيء لزم شيئاً فلم يفارقه فهو حليفه حتى يقال: فلان حليف الجود، وفلان حليف الإكثار وحليف الإقلال. انظر: تهذيب اللغة، باب الحاء والراء مع الميم، مادة (حلف) ، (ج ٥ / ص ٦٦ وما بعدها) والصحاح في اللغة، باب الفاء فصل الحاء، مادة (حلف) ، (ج ٤ / ص ٤٤) .

عمل لا حلف بطالة وبطر، وحلس[1] معمل لا حلس تله وسمر، فالحفظ على الوقت بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءة وإقراء، ومطالعة وتدبراً، وحفظاً وبحثاً، لا سيما في أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب العلم العالية، فإنها وقت جمع القلب واجتماع الفكر لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال"[2].

وهذه فيها فوائد علمية ومنهجية لا تختص بطلاب العلم، بل هي لكل أحد ممن يريد الخير والهداية والسعادة، ولكنّ الشيخ عندما يُؤثِر طلاب العلم بنصائحه وتوجيهاته، لحرصه رحمه الله على تكوين القدوة للناس، وهو ما يكاد يفقد في هذه الأزمنة.

الفائدة الثالثة: تميّزُ طالب العلم عن غيره، في أموره كلها:

فالشيخ بكر أثابه الله يوجّه طلاب العلم لمثل هذه الصفات بقوله غفر الله له:

" وينبغي لطالب الحديث أن يميّز في عامة أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .. ﴾[3]"[4].

الفائدة الرابعة: عدم اليأس في طلب العلم:

من الفوائد العلمية التي تجتنى من ثمار جهود الشيخ رحمة الله عليه في الدعوة: المصابرة والمثابرة وعدم اليأس، كما في قول فضيلته:" لا تفزع إذا لم يفتح لك في علم من

---

(١) الحِلْسُ والحَلَسُ: كلُّ شيء وَلِيَ ظَهْرَ البعير والدابة تحت الرحل والقَتَب والسَّرْج، ويقال: فلان حِلْسٌ من أحلاس البيت: للذي لايبرح البيت، وفلانٌ من أحْلاس البلاد: للذي لايزايلها من حُبِّه إياها، انظر: تهذيب اللغة، باب الحاء والسين، مادة (حلس)، (ج ٤ / ص ٣١١ وما بعدها) ولسان العرب، حرف السين، فصل الحاء، مادة (حلس)، (ج ٦ / ص ٥٤) .

(٢) حلية طالب العلم، ص٦٢، ٦٣ .

(٣) سورة الأحزاب، آية (٢١) .

(٤) حلية طالب العلم، ص٥٤.

العلوم، فقد تعامت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك كما يعلم من تراجمهم. فيا أيها الطالب: ضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه"[(١)].

الفائدة الخامسة: الإعراض عن مجالس اللغو:

قال الشيخ بكر رحمه الله تعالى في التحذير من مجالس اللغو والإعراض عنها:" لا تطأ بساط من يغشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغابياً عن ذلك، فإن فعلت ذلك، فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة"[(٢)] .

الفائدة السادسة: التأصيل في طلب العلم:

حثّ الشيخ بكر طلاب العلم على الالتزام بالمنهجية في طلب العلم والتأصيل الصحيح لكل علم، قائلاً رحمه الله: "فلا بد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وآخذاً الطلب بالتدرج، قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ .. ﴾[(٣)]"[(٤)].

وكذلك ينبغي للطالب البعد عن ترادف الفنون وخلطها وعدم إتقان كل فن على حده. كما قال الناظم:

وفي ترادف الفنون المنع جا   إذ توأمان استويا لم يخرجا

---

(١) حلية طالب العلم، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٢.

(٣) سورة الإسراء، آية (١٠٦) .

(٤) حلية طالب العلم، ص٢٥ .

فوائد أخرى:

ومن أعظم الفوائد العلمية التي برزت في حياة الشيخ بكر جعل الله الجنة مثواه وكان لها تأثير في الأمة المسلمة، يمكن تلخيصها في ما يلي:

أ- تأليف الكتب والرسائل.

ب- إحياء التراث الإسلامي.

ت- جلوسه للتدريس.

ث- إشرافه على الرسائل العلمية.

وهكذا أفاد رحمه الله طلبة العلم والعلماء على السواء طول حياته، وفتح أمامهم آفاقاً جديدة؛ لتبيين المسائل، وتوفير الدلائل، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل؛ حتى جاءه الأجل المحتوم(١). تاركاً وراءه إرثاً نفيساً، وثروة عظيمة، يستفيد منها الطالبون، ويستقي منها العارفون أزمنة مديدة في أماكن عديدة.

وقد عظمت وصية السلف بالعلم، وحذروا من السلوك بلا علم، وأمروا بهجر من هجر العلم وأعرض عنه وعدم القبول منه، ومع العلم يلزم العمل به، فلابد من التلاقي والتلاقح بين القوة العلمية، والقوة العملية؛ في السير إلى الدار الآخرة.

يقول الإمام ابن القيم:

"السائر إلى الله والدار الآخرة بل كل سائر إلى مقصد لا يتم سيره ولا يصل إلى مقصوده إلا بقوتين: قوة علمية، وقوة عملية، فبالقوة العلمية يبصر منازل الطريق، ومواضع السلوك فيقصدها سائراً فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواضع العطب، وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصل. فقوته العلمية كنور عظيم بيده يمشي في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة، فهو يبصر بذلك النور ما يقع الماشي في الظلمة في مثله من الوهاد والمتالف،

---

(١) راجع: www.ahlalhdeeth.com موقع ملتقى أهل الحديث، منتدى تراجم أهل العلم المعاصرين، مقالة بعنوان: "من أعلام العصر الحاضر: فضيلة الشيخ بكر أبو زيد"، بقلم: صلاح الدين مقبول أحمد.

ويعثر به من الأحجار والشوك وغيره، ويبصر بذلك النور أيضا أعلام الطريق وأدلتها المنصوبة عليها، فلا يضل عنها فيكشف له النور عن الأمرين أعلام الطريق ومعاطبها.

وبالقوة العملية يسير حقيقة بل السير هو حقيقة القوة العملية، فإن السير هو عمل المسافر، وكذلك السائر إلى ربه إذا أبصر الطريق وأعلامها وأبصر المعاثر والوهاد والطرق الناكبة عنها"[١].

فهذا ما يتعلق بالفوائد العلمية المنهجية، وهي كثيرة جداً، لكن أردت أن أشير إشارات فقط إلى شيء منها، وأما ما يخص القوة العملية والسلوكية وما يستفاد من منهج الشيخ بكر رحمه الله في ذلك فهو في المطلب الآتي:

* * * *

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيّم الجوزية، (ج ١ / ص ٣٩٧) .

المطلب الثاني: فوائد عملية سلوكية:

من عايش الشيخ بكراً رحمه الله أو لازمه، أو تتبع فكره وجهده؛ في مؤلفاته وفتاواه وكافة أعماله الجليلة، وهو ممن يقصد الحق، ويهدف إلى الرشاد، وضالته الحكمة؛ فهو جدير بأن يستفيد من الشيخ بكر من خلال نصائحه وتوجيهاته وسائر دعوته المباركة. ومن المعلوم أنَّ الهمّة العالية ترفع مقام صاحبها، وتورثه النجاح ولا أدلّ على ذلك من الأعمال الموفقة التي قدمها الشيخ رحمه الله وسلوكه مسلك السلف الصالح في ذلك.

وقد استفادت الأمة من علم الشيخ بكر وعمله فوائد عملية جليلة، ومن أهم الفوائد العملية السلوكية في منهج الشيخ بكر والمستنبطة من حياته وسيرته ما يلي:

الفائدة الأولى: العمل بالعلم:

كان للشيخ بكر طيب الله ثراه عزيمة ذاتية صادقة في تغيير الواقع المرير إلى الأحسن المشرق، وكان يحمل المرهم الشافي للداء الخافي، وأعماله الوفيرة ـــ أثابه الله ـــ من زكاة علمه، وثمرة صبره،"فإنّ العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً. وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها وراعى واجباتها. فلينظر امرؤ لنفسه وليغتنم وقته، فإن الرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"[١] .

ومن كلام بعض السلف: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه حلَّ، وإلا ارتحلَ [٢] .

"فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم؛ فقد ضلّ. وأضلّ منهما من سلك فى العلم والمعرفة طريق أهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا العمل بموجب العلم، أو سلك

(١) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، (ج ١ / ص ١٤ـــ ١٦) باختصار.
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيّم الجوزية، (ج ١ / ص ٣٤٣) .

في العمل والزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا اعتبار العمل بالعلم؛ فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع، وأعرض أولئك عن العمل والشرع، فضلّ كل منهما من هذين الوجهين، وتباينوا تبايناً عظيماً حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم، وأشبه هؤلاء النصارى الضالين، بل صار منهما من هو شر من اليهود والنصارى"(١)

فالشيخ بكر حرص على تتويج العلم بالعمل، وبذل جهده في التغيير إلى الأفضل، ونَصَحَ الأمة إلى العمل النافع، والمسلك الرشد.

يقول الشيخ غفر الله له:

" فيا طالب العلم: بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف "(٢)

فالعمل بالعلم يعتبر من زكاة العلم وسبيل إلى حفظه ونموه وبركته. سوى ما يحصل للمسلم من الأجر والدرجات العلى يوم يلقى ربه تبارك وتعالى.

الفائدة الثانية: التحلي بمكارم الأخلاق، ومحامد الصفات:

التحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن خوارم المروءة؛ في الأقوال والأفعال والطباع، وعندما تُطبّق هذه التوجيهات فسوف يستفاد منها فوائد جمّة في العمل والسلوك، يقول فضيلته:

" التحلي بالمروءة، وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل الناس، والأنفة من غير كبرياء، والعزة من غير جبروت، والشهامة من غير عصبية، والحمية من غير جاهلية.

وعليه فتنكب خوارم المروءة، في طبع أو قول، أو عمل، من حرفة مهنية، أو خلة رديئة، كالعجب، والرياء، والبطر، والخيلاء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب "(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى، (ج ١٣ / ص ٢٤٧) .
(٢) حلية طالب العلم، ٨٤.
(٣) المصدر السابق، ص١٩ .

ومن السلوك الحسن الذي ينبغي الحرص عليه ومجانبة ضده ما ذكره الشيخ بكر بقوله:

" فالزم ـــ رحمك الله ـــ اللصوق إلى الأرض، والإزراء على نفسك وهضمها، ومراغمتها عند الاستشراف لكبرياء أو غطرسة أو حب ظهور أو عجب، ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهبة لهيبته، المطفئة لنوره، وكلما ازددت علماً، أو رفعة في ولاية، فالزم ذلك تحرز سعادة عظمى، ومقاماً يغبطك عليه الناس "[١].

فهذه صفات تنعكس على السلوك سلباً أو إيجاباً، وقد حرص الشيخ طيب الله ثراه على دعوة الخلق إلى الاتصاف بمحاسنها ومكارمها، وقد اتصف بها رحمه الله وطبقها قبل دعوة الناس إليها.

ومن الصفات التي اتصف بها الشيخ بكر وحث عليها ما تضمنه قوله يرحمه الله:" التحلي برونق العلم وحسن السمت، والهدى الصالح من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المحبة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلي عن نواقضها "[٢].

فقد عُرف عن الشيخ التحلي بتلك المزايا في حياته العلمية والعملية، فيغلب على الشيخ السمت الحسن والصمت الحكيم والخشوع والتواضع، وأحسب ـــ والله حسيبه ـــ أنه عمر الظاهر والباطن على حد سواء.

ويقول الشيخ بكر جزاه الله خيراً:" ليكن في سيرتك وسريرتك من النقاء والصفاء والشفقة على الخلق ما يحملك على استيعاب الآخرين وكظم الغيظ والإعراض عن عرض من وقع فيك ولا تشغل نفسك بذكره.

فهذا غاية في نبل النفس وصفاء المعدن وخلق المسلم"[٣] .

والشيخ بكر عندما يحث على نقاء السيرة وصفاء السريرة وكظم الغيظ والإعراض عن الوقوع في الأعراض كان يتمثل ذلك واقعاً ملموساً وسلوكاً محسوساً في حياته حتى توفاه الله متصفاً بتلك الصفات فقد كان لا يحقد على أحد ولا يحمل في قلبه غِلّاً

---

(١) المصدر السابق، ص١٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٧ .

(٣) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٤٣٤، باختصار.

لشخص حتى مع من يخالفه أو يقع في عرضه بل لا يقرأ ردود من ينال منه حتى لا يقع في قلبه شيء لأحد.

فرحم الله الشيخ بكراً على ما قدم وأفاد الأمة علماً وعملاً قولاً وتطبيقاً وجزاه خير ما جزى عالماً عن علمه وداعياً عن دعوته.

الفائدة الثالثة: البعد عن الشهرة وحب الظهور:

يقدم الشيخ دروساً وفوائد قلّ ما يوجد مثلها في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، وتعددت فيه أسباب المحن، فـ"مع سعة علمه، وعظم فضله، رحمه الله فإنه لم يكن محباً للظهور في وسائل الإعلام، ولا راغباً في مخالطة الأنام، بل كان بعيداً عن الأضواء، منصرفاً عن الشهرة، وهي تركض وراءه، وهو يفر منها مترجلاً وراكباً، لدرجة أنه أوصى أن يصلى عليه بعد وفاته دون أن يعلم به أحد، لكن دون جدوى!! فقد تقاطر الناس من كل ناحية إلى مسجده الذي يجهله أكثر من شهد جنازته، وفي ليلة ظلماء، باردة!! فسبحان من غرس محبته في قلوب الناس. وبهذا قدّم للناس دروساً عملية في التواضع والإخلاص بعد وفاته، كما كان يقدمها أثناء حياته"(١) .

فوائد أخر:

كانت لمطالبة الشيخ بكر رحمه الله بتغيير بعض الأخطاء التي شاهدها في بعض الأماكن أو في سلوك بعض الأشخاص أن حدث تغيير أو تحسّن أو بداية تأثر واستجابة لما دعا إليه الشيخ أثابه الله وغيره من الدعاة الغيورين وحرصهم على تقويم السلوك الخاطئ قدر المستطاع.

فمن ذلك:

---

(١) صحيفة الجزيرة، العدد (١٢٩٢١) ، وتاريخ ٦ صفر ١٤٢٩هـ، مقالة: د. يوسف بن أحمد القاسم، ص١٣.

- مطالبة الشيخ بكر رحمه الله بإزالة الخط المحدث في صحن المطاف، للعلامة على بداية الطواف ونهايته، وقد أزيل مؤخراً ولله الحمد.
- بيانه رحمه الله لحد الثوب والأزرة، وتحريم الإسبال ولباس الشهرة.
- بيانه أثابه الله لهدي النبي صلى الله عليه وسلم في التسبيح والعد بالأنامل.

وغير ذلك من الأمور التي تدخل في السلوك العملي فقد استفيدت من منهج الشيخ بكر وجهوده المباركة. فحمداً لله على توفيقه.

* * * *

المطلب الثالث: فوائد دعوية:

المتتبع لجهود الشيخ بكر تغمده الله برحمته يلحظ الفوائد الجمّة والدروس المستفادة من منهجه في مجال الدعوة خاصة. ناهيك عن المجالات الأخرى في حياته المباركة.

فالشيخ بكر – رحمه الله – له إسهامات كثيرة، وجهود موفقة في بيان مفهوم الدعوة الإسلامية، وتوضيح المنهج القويم لها، وإبراز المقاصد السامية لدعوة الحق، وحذّر الشيخ من مجانبة منهج أهل السنة في رسم أو اسم، وأوصى بتتبع سيرة السلف الصالح، في مفهومهم للدعوة، وفي شأنهم كله.

فممّا يستفاد من منهجه الدعوي، الفوائد التالية:

الفائدة الأولى: مفهوم الدعوة الإسلامية:

مفهوم الدعوة عند الشيخ بكر يتضح من كلامه – رحمه الله – عند تعليقه على معنى آية ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ .. ﴾[(١)]، حيث يقول:

"وما في معنى هذه الآية الكريمة من نصوص الكتاب والسنة يشير إلى واجب التحمل، فالأداء، والدعوة، والبلاغ، والاستنفار لطائفة من الأمة ليتفقهوا في الدين، طائفة تكون هي الأمة التي يحيي الله بها عموم الأمة. والدين النصيحة: لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، إذ لا يجوز أن يكون ما نحن فيه من أمور المعاش مستفحلاً غلاباً لديننا، شاغلاً لنا عن أساس مهمتنا: الدعوة إلى الله، والإنذار، والتبشير، والشهادة على الناس، والإصلاح والنصح والتذكير، والتبليغ، والجهاد في سبيل الله، وإظهار الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحوها من الحقائق الشرعية التي تجمعها غاية واحدة. ظهور الدين وصيانته "[(٢)]

فالشيخ – رحمه الله – بيّن مفهوم الدعوة، ومهمة الداعية، والغاية من دعوة الخلق.

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٤) .

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١١

ثم أوضح الشيخ مجالات الدعوة، وأنها لا تقتصر على مجال واحد، بل كلٌّ شخص يدعو إلى الله تعالى حسب قدرته، وفي أي مجال من المجالات النافعة، يقول - رحمه الله -:

"مفهوم الدعوة لا يتحدد بالكلمة من الوعظ والإرشاد، لكن كلٌّ واحد من القادرين عليها فهو داعية إلى الله في مجال عمله؛ فالقاضي والمفتي والمدرس هم دعاة متى ما أدوا الأمانة على وجهها، وأبرزوا صفحة الإسلام بيضاء نقية، فيظهر العدل، وتقام الشريعة وينشر العلم. وهكذا قد جعل الله لكل شيء قدراً، فكلٌّ بما كتب الله له، وما فتح عليه فيه، وما يلتقي مع قدرته: فهذا في الوعظ والإرشاد، وهذا في البحث العلمي، وهذا في الرد على أهل الأهواء وكشف شبههم، وهذا في الدرس والتعليم، وهذا في باب من أبواب البر والتعاون عليه كبناء المساجد، وهكذا جماعة وفرادى. وإذا تأملت طريقة السلف وفقههم للدعوة رأيتها لا تخرج عن هذا المفهوم، وينتج منه سعة مفهوم الدعوة بكثرة مجالاتها، واختلافها باختلاف الأحوال والأزمان والأمكنة والأشخاص، والقدرة والتمكن قوة وضعفاً "[١].

واشترط الشيخ بكر أن تكون الدعوة على منهج الكتاب والسنة، والسير على رسم الإسلام وضوابطه، اتضح ذلك من قوله - رحمه الله - في بيانه لهذا المفهوم:" ومعاذ الله أن تكون الدعوة على سُنّة الإسلام مظلّة يدخل تحتها أي من أهل البدع والأهواء، فيغض النظر عن بدعتهم وأهوائهم على حساب الدعوة. وليس أمامنا إلاّ الإسلام في صفائه وسيرته الأولى على منهاج النبوة: الكتاب والسنّة، نؤمن به، وندعو إليه، ونعمل به، ولا نخالفه باسم ولا رسم ولا وسيلة ولا غاية، وهو المرد عن التنازع والاختلاف وبالجملة فالدعوة بجميع مراحلها مضبوطة برسم الشرع، بمقاييسه وموازينه العادلة"[٢] .

ونبّه الشيخ على مفهوم آخر للدعوة لا يقل أهمية عن غيره، وهو التطبيق العملي للدعوة في واقع حياتنا، وأن يطابق القول العمل، وقد نهى الشارع الحكيم: من يأمر غيره

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص١٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص١٣١.

بالخير و لم يفعله، أو ينهى عن الشر فلم يتركه. كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١) فقال – غفر الله له –:

" فلا بد أن يرى الناس ثمار الإسلام متمثلة من واقع التطبيق في جوانب الحياة، ليخاطب لسان الواقع العملي شعور الناس بدليل مادي قائم على حياة فيها النضوج والانضباط، أما قول مجرد ليس له من قائله نصيب في التطبيق سوى قصبات صوته، وطلاقة لسانه، وانطلاقه بأسلوب أخاذ وضروب من القول فارغ من العمل لا يمس الواقع والتطبيق، فهذا من مواطن النهي في الشرع الشريف، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢)" (٣) .

الفائدة الثانية: أهداف الدعوة الإسلامية:

بيّن الشيخ بكر – رحمه الله – أهداف الدعوة، في كلمات يسيرة لكنّها أوضحت المقصود، وبيّنت المراد، نستخلص منها ما يلي:

أولاً: " أن الدعوة الإسلامية على منهج النبوة لها غاية تتميز عن أية غاية لأي دعوة: تحقيق التوحيد وترسيخ الإيمان، ولهذا اتحدت حقيقتها ونظامها، وسبيلها وغايتها، فلا يسوغ لنا بحال أن نلبس الدعوة إلى الله لباس تنظيم أجنبي عنها، واستفراغ الجهد فيه، مما يؤول بالهدم والإسقاط لأصول الدعوة وبنيتها الأساسية وتفريق الكلمة "(٤) .

وقال رحمة الله عليه، مؤكداً على هذا الهدف الأسمى:

" تحقيق كلمة التوحيد، وتعميق وغرس مقتضاها في النفوس، فهي قاعدة الانطلاق وأساس التنظيم، وهي البداية، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم في افتتاح دعوته:

---

(١) سورة البقرة، آية (٤٤) .

(٢) سورة الصف، آية (٢،٣) .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٩٠، ٩١.

(٤) المصدر السابق، ص١٣٤.

" **قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا** "[١]، وهي النهاية كما في قول النبي عليه الصلاة والسلام: " **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**... الحديث".[٢]

وفي هذا إشعار بأن حياة المسلم مبنية على التوحيد "[٣] .

ثانياً: " محو ظلمات الجاهلية بأفواه النبوة في تحقيق توحيد الاتباع: شهادة أن محمداً رسول الله، وذلك من معاقد الإسلام ومعاقل الإيمان، في أركان الإسلام الخمسة، وأركان الإيمان الستة، وفي السلوك، الاجتماع، والأخلاق"[٤].

ثالثاً: "محو ظلمة الجهل بنور العلم الشرعي الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم"[٥].

رابعاً: "شغل الأمة لوظيفتها المفروضة عليها التي أنزل الله بها كتبه وأرسل رسله: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مؤسسة القيام بها على العلم، وضبط النفس"[٦] .

خامساً: "العناية بمفتاح تبليغ الدعوة الإسلامية: اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ونشرها، إذ هي الذريعة إلى مدارك الشريعة، فلا وصول كاملاً إلى الإسلام إلا بمعرفة لغته التي بها نزل القرآن، ودونت السنة وسطرت دواوين الإسلام كافة، ولهذا كان الهجوم على اللغة العربية هجمة على الدين، وعجمة اللسان تعقب عجمة في القلب والفكر، ووأدها وأد لحمتها وقوامها "[٧].

---

(١) مسند الإمام أحمد، كتاب: المكيين، باب: حديث ربيعة بن عباد الديلي، حديث رقم (١٥٤٤٨) . قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد: صحيح لغيره، انظر:(ج٣ / ص٤٩٢) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب:الجنائز، باب: تلقين الموتى لا إله إلا الله، حديث رقم (١٥٢٣، ١٥٢٤)

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية،ص٦٩.

(٤) المصدر السابق، ص٨٠.

(٥) المصدر نفسه، ص٨٠.

(٦) المصدر نفسه، ص٨١ باختصار.

(٧) المصدر نفسه، ص٨١.

سادساً: " الثبات في مواقع الحراسة لدين الله، لأن تخلي الداعية عن موقعه من مواطن الإثم، بل هذا من التولي يوم الزحف"[١].

سابعاً: " التصدي لدعوى فصل الدين عن الدولة، أو الدين عن السياسة عصب الدين، ولا يمكن له القيام والانتشار وحفظ بيضته إلا بقوة تدين به، وأن هذه الدعوة الآثمة – فصل الدين عن السياسة – هي في حقيقتها عزل للدين عن الحياة، ووأد الناس وهم أحياء "[٢].

ثامناً: " تلمس مواطن الضعف في الأمة، وذلك برصد عمليات إعلال الأمة وإضعافها لتخلفها وانحسارها عن الحياة الجادة، والمبادرة إلى إسعافها وانتشارها من أي منهج معتل يريد التسرب إليها "[٣] .

تاسعاً : " شد آصرة التآخي بين المسلمين في وحدة جامعة، تضم ما تناثر من أفراده تحت سلطان الإخاء في الإيمان، إذ الأصل في الإسلام وجوب الوحدة والائتلاف، وحرمة الفرقة والاختلاف "[٤] .

الفائدة الثالثة: مصادر الدعوة الإسلامية:

بيّن الشيخ – غفر الله له – مصادر الدعوة الإسلامية، وأنها تستمد من كتاب الله تعالى – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـــ، ومن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى –، وعلى منهج وفهم السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، فقال – رحمه الله –:

---

(١) المصدر نفسه، ص٨٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٨٣.
(٣) المصدر نفسه، ص٨٣.
(٤) المصدر نفسه، ص٩١.

" وأهل الإسلام ليس لهم رسم سوى الكتاب والسنة، والسير في الدعوة إليهما على مدارج النبوة، وهم كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **"من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي** "[١] "[٢] .

ثم قال – رحمة الله عليه – موضّحاً ومشدّداً على هذا المفهوم الدعوي القويم، والمنهج الإسلامي السليم:" ومنهاج الداعي في هذه الأمور الاستقرائية هو على منهاج النبوة لا غير، ذلك أن الدعوة إلى الله تعالى هي دعوة فطرية، سهلة ميسورة، واضحة المعالم في الكتاب والسنة، لا تحتاج إلى أمر خارج عن منهجها: منهاج النبوة في صورة أو حقيقة في كل زمان ومكان .

والدعوة إلى الله على هذا المنهاج، والعمل الداعي لتعميق مقتضاه في النفوس هو وظيفة كل متأهل في الإسلام "[٣] .

ثم قال – رحمه الله – مؤكّداً على ذلك المفهوم للدعوة الصحيحة:

" وعلى هذا نشأت الدعوات الإصلاحية في نواحي الأرض، ليس لها اسم ولا رسم، لا يقتضيه منهج الشرع، في الجزيرة، ومصر، والشام، والهند، والجزائر، وبغداد، وغيرها: دعوة إلى الكتاب والسنة، فعلى نورهما يدعون عباد الله إلى الله، إلى صفاء الاعتقاد، ونشر راية التوحيد، والحكم بما أنزل الله، والقيادة على منهاج النبوة، والخلافة الراشدة، ومناصحة الولاة، وتحطيم الشرك والوثنية والأهواء والبدع، وتصحيح مسار الناس إلى ربهم في أعمالهم وأقوالهم، وتخليصها من الآراء والأهواء المضلة تحت سلطان

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٥٦٥) من حديث: عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمّه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة) قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي). صححه الألباني، انظر: سنن الترمذي بتحقيق الألباني، ص ٥٩٦.

(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ص٩٨.

(٣) المصدر السابق، ص٦٨.

الكتاب والسنة. وجماعة المسلمين واحدة، لا تتعدد فوق أي أرض، وتحت أي سماء، ليس لها رسم معين سوى النص الشرعي وموجبه، فهي الدعوة إلى الله بيسرها وسهولة تبليغها، كما كانت في الصدر الأول" (١) .

فمفهوم الدعوة عند الشيخ بكر كان واضحاً ومتميزاً، حيث نجد في جهوده بياناً لمفهوم الدعوة الشامل من حيث الأهمية، وأنها مهمة الرسل، وبياناً لمقاصدها وأهدافها، وحثاً على السير وفق رسم الكتاب والسنة، فهما مصدرا الدعوة الإسلامية والتشريع كله، وتحذيراً من المفاهيم المغلوطة، والمناهج الدعوية المضلة، التي تدعو إلى الحزبية أكثر من دعوتها للحق وأهله.

وألقى - رحمه الله - الضوء على شمولية الدعوة، وأنها ليست قاصرة على فئة بعينها، بل تشمل جميع الفئات وكل المجتمعات، ويقوم بها كلٌّ حسبَ علمه واستطاعته.

* * * *

(١) المصدر السابق، ص٩٩.

المطلب الرابع: فوائد تربوية:

لجهود الشيخ بكر الدعوية في شتى المجالات فوائد عديدة من أهمها الفوائد التربوية. سواء كان ذلك في التربية على العقيدة، أو الأخلاق، أو الجانب الأسري، أو الجوانب العلمية، وغيرها من الجوانب التربوية الوافرة في منهج الشيخ. وسأقتصر على ذكر أربعة منها:

الفائدة الأولى: التربية على العقيدة الصحيحة:

تربية الأمة على الاعتزاز بدينها، وقبول شريعة ربها، والالتزام بالمنهج الكامل الشامل المتصف باليسر والسماحة، وله صفة البقاء والدوام، هو المنهج الذي ربّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته رضوان الله عليهم أجمعين وسار على نهجهم السلف الصالح رحمهم الله. وحول هذا الموضوع يقول الشيخ بكر في مدح الشريعة الإسلامية وبيان خصائصها:

" فإن شريعة الإسلام وهي آخر الشرائع، باينت جميع الشرائع في عامة الأحكام: العملية والقولية، والأوامر والنواهي، لما لها من صفة الدوام والبقاء، وأنها آخر شريعة نزلت من عند الله ناسخة لما قبلها من شرائع الأنبياء "[١].

ثم قال غفر الله له وأجزل مثوبته: " ودين الإسلام بهذا الاعتبار: هو دين جميع الأنبياء والمرسلين وملتهم. بل إنّ إسلام كل نبي ورسول يكون سابقاً لأمته، وهو محل بعثته إلى أمته، وما يتبع ذلك من شريعته. كما قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ .. ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[٣]"[٤].

فالعبادة لا ينبغي أن تكون إلا لله وحده دون سواه.

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٥٨، ٥٩ .

(٢) سورة النحل، آية (٣٦) .

(٣) سورة الأنبياء، آية (٢٥) .

(٤) الإبطال لنظرية الخط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٥١،٥٢.

ثم قال – رحمه الله –:" اعلم أنّ الطرق كلها إلى الله مسدودة، إلا طريق واحد: الصراط المستقيم، طريق الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١]"[٢].

كما يوضح الشيخ بكر رحمه الله منهج المسلم تجاه أعداء الله وأعداء دينه، ووجوب بغضهم وعدم محبتهم، وبذلك يتربى المسلم على عدم مودهم وتوليهم أو الركون إليهم، أو مشابهتهم، يقول فضيلته: "يجب على كل مسلم، أن يدين الله ببغض الكفار، من اليهود والنصارى، وغيرهم، ومعاداهم في الله تعالى، وعدم محبتهم، ومودهم، وتوليهم، حتى يؤمنوا بالله وحده رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً"[٣] .

ودعا الشيخ بكر – رحمة الله عليه – إلى تميّز المسلم عن غيره من أهل الملل والنحل، فيقول: " التميّز في عامة الهدي، عملاً وقدوة، ودعوة، على رسم الكتاب والسنة، بلا مضاهاة، ولا مشابهة، ولا تغرّب، فإن الشريعة تنهى عن المضاهاة والتشبه بالمشركين والمنافقين، وبالشياطين، وبالأعاجم والمبتدعة وأهل الأهواء "[٤].

ودعا أيضاً إلى اعتزاز المسلمين بتاريخهم الهجري، لأنه شعار إسلامهم، فقال – رحمه الله –: " الزموا التاريخ الإسلامي: (التاريخ الهجري) في جميع مواقيت عباداتكم، ومعاملاتكم وشؤون حياتكم، فهو شعار إسلامي ينادي على إسلامكم، ولا ترضوا به بديلاً ولا مساوياً "[٥].

---

(١) سورة الأنعام، آية (١٥٣)
(٢) حكم الانتماء إلى الفرق والمذاهب والجماعات الإسلامية، ص١٠٣.
(٣) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ص٩٣.
(٤) خصائص جزيرة العرب، ص٨٨ .
(٥) المصدر السابق، ص٩١

فيلاحظ في منهج الشيخ بكر رحمه الله حرصه التام وتذكيره الدائم بتربية الأمة كباراً وشباناً، دعاة وعامة، إلى عدم تجاوز مسألة تقرير العقيدة والتوحيد إلى أي شيء البتة حتى يتم الفراغ من تقرير الأساس العقدي.

وهذه حلية تربوية أخرى غاية في الأهمية، يقول رحمه الله: " التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن، سائراً إلىٰ ربك بين الخوف والرجاء، فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر. فأقبل على الله بكليتك، وليمتلئ قلبك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحكمه "(١) .

فالتربية على العلم بقدرة الله وعلمه المُحِيطَيْن بكل شيء، تكسب الفرد تقوى الله وخشيته، فلا يقدم على ما لا يرضاه، وتكسبه كذلك الثقة في إثابته على فعل الخير فيسعى للعمل بما يرضيه وترك ما يسخطه.

الفائدة الثانية: التربية الأخلاقية:

كان الشيخ بكر – أثابه الله – يحث على التربية الأخلاقية والتمتع بخصال الخير، ومكارم الأخلاق، ومحذراً في الوقت نفسه من نواقضها، قائلاً:

" تمتع بخصال الرجولة، من الشجاعة، وشدة البأس في الحق ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف حتى تنقطع دونك آمال الرجال. وعليه، فاحذر نواقضها، من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم، فإنها تهضم العلم، وتقطع اللسان عن قولة الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه، في حالة تلفح بسمومها في وجوه الصالحين من عباده "(٢) .

فالتربية على الأخلاق الحميدة، والآداب المرعية؛ تورث العمل الجاد المثمر، والقول البالغ المؤثر، والسلوك المهذب الرشيد.

---

(١) حلية طالب العلم، ص١٤ .

(٢) المصدر السابق، ص١٩

وسبق للباحث بيان شيء من جهود الشيخ بكر في مجال الدعوة إلى الأخلاق والآداب في موضعه(١) مما يغني عن الإعادة.

الفائدة الثالثة: التربية الأسرية:

دور التربية الأسرية في المجتمعات المسلمة ينقصها العناية والاهتمام، وهناك ضعف في الأدوار التربوية لبعض الأسر. لذا فإن الشيخ أثابه الله ركّز على الوصيّة بتربية الأولاد، وأنهم أمانة في أعناق أولياء أمورهم، قائلاً: " هم أمانة عند من ولي أمرهم من الوالدين أو غيرهما، فواجب شرعاً أداء هذه الأمانة بتربية الأولاد على هدي الإسلام وتعليمهم ما يلزمهم في أمور دينهم ودنياهم، وأول واجب غرس عقيدة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وتعميق التوحيد الخالص في نفوسهم، حتى يخالط بشاشة قلوبهم، وإشاعة أركان الإسلام في نفوسهم، والوصية بالصلاة؛ الصلاة، وتعاهدهم بصقل مواهبهم، وتنمية غرائزهم بفضائل الأخلاق ومحاسن الآداب، وحفظهم عن قرناء السوء وأخلاط الردى . وهذه المعالم التربوية معلومة من الدين بالضرورة. وهذه التربية من سنن الأنبياء وأخلاق الأصفياء "(٢)

وقد كان الشيخ بكر رحمه الله شديد الحرص على متابعة أولاده وحثهم على المحافظة على الصلاة في المسجد مع الجماعة، وكثيراً ما يتصل بالمترل لإيقاظهم للصلاة وهو في مكتبه وعلى رأس عمله، حرصاً منه غفر الله له على استقامتهم وصلاحهم(٣).

وهذه كلمة توجيهية للشيخ بكر موجهة للنساء، يقول فضيلته:

"وعلى نساء المسلمين أن يتقين الله، وأن يسلمن الوجه لله، والقيادة لمحمد بن عبد

---

(١) انظر: ص ١٧١ من هذا البحث. (الباحث).

(٢) حراسة الفضيلة، ص١٢٢، ١٢٣، باختصار

(٣) قال ذلك الشيخ جديع الجديع في مقابلة للباحث معه بمكتبه بتاريخ ١٧/٥/١٤٣٠هـ. (الباحث) .

الله صلى الله عليه وسلم، ولا يلتفتن إلى الهمل، دعاة الفواحش والأفن[١]. ومن كان صادق الإيمان قوي اليقين تحصن بالله، واستقام على شرعه "[٢] .

وفي غرس تعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، والقيم المعتدلة لحماية الأبناء، يقول رحمه الله: " يُعلم ما للخادمة والمربية في البيت من أثر كبير على الأطفال سلباً وإيجاباً. ولهذا قرر العلماء أنه لا حضانة لكافر، ولا لفاسق، لخطر تلك المحاضن على الأولاد في إسلامهم وأخلاقهم واستقامتهم"[٣] .

وقال أيضاً: "بداية الاختلاط داخل البيوت إذا بلغ الأولاد عشر سنين، فواجب على الأولياء التفريق بين أولادهم في مضاجعهم، وعدم اختلاطهم لغرس العفة والاحتشام في نفوسهم، وخوفاً من غوائل الشهوة التي تؤدي إليها هذه البداية في الاختلاط، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه "[٤].

وقال رحمه الله:"الاختلاط في رياض الأطفال: هذه أولى بدايات الاختلاط خارج البيوت، وإذا كان الاختلاط في المضاجع - وهم أخوة - داخل البيوت بإشراف آبائهم مما نهى عنه الشرع، فكيف به خارج البيوت مع غياب رقابة الوالدين؟! فليتق الله الوالدان من الزج بأولادهم في هذه المحاضن المختلطة"[٥] .

يستفاد مما سبق إيراده وجوب الغيرة على المحارم، وعلى أعراض نساء المؤمنين، والقيام بتربية الأبناء خير قيام.

---

(١) الأَفَنُ بالتحريك: ضعف الرأي. والأَفْنُ: النَقْص. انظر: الصحاح في اللغة، باب النون، فصل الألف، مادة (أفن) ، (ج ٥ / ص ٤٧٧) .
(٢) حراسة الفضيلة، ص١٠ .
(٣) المصدر السابق، ص ١٢٨
(٤) المصدر السابق، ص١٢٩،١٢٨ .
(٥) المصدر السابق، ص١٢٩.

الفائدة الرابعة: في التربية العلمية:

أولاً: تربية طلاب العلم على صيانة العلم وحمايته وتشريفه، يقول الشيخ بكر : " التحلي بـــ(عزة العلماء): صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جناب عزّه وشرفه، وبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تهدره يكون الفوت، وعليه فاحذر أن يمنْدِّل بك الكبرياء، أو يمتطيك السفهاء، فتلاين لهم في فتوى أو قضاء أو بحث، أو خطاب. ولا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره "(١) .

ثانياً: تربية النشء – من طلاب العلم وغيرهم – على توقير العلماء وعدم النيل منهم والتوقي من الغلط على الأئمة في أقوالهم ومذاهبهم. وأن العالم لا يتبع بزلته ولا يؤخذ بهفوته (٢) .

وأنه ما زال العلماء ينبهون على خطأ الأئمة مع الاستفادة من علمهم وفضلهم(٣)

فوائد أخر:

وهذه فوائد وتوجيهات تربوية لطلاب العلم تستفاد من مقولة الشيخ بكر رحمه الله الآتية:

" تساءل مع نفسك عن حظك من علامات العلم النافع، وهي :

١. العمل به.
٢. كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.
٣. تكاثر تواضعك كلما ازددت علماً.
٤. الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.

---

(١) حلية طالب العلم، ص٧٣، باختصار. وللشيخ بكر كتاب باسم: (عزة العلماء) . في طريقه للطبع. (الباحث) .
(٢) انظر: التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٧٩، وللشيخ بكر رسالة باسم: (كشف الأجلّة عن الغلط على الأئمة) في طريقه للطبع . (الباحث) .
(٣) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص٦٨.

٥. هجر دعوى العلم.

٦. إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس؛ تنزهاً عن الوقوع بهم"(١) .

ونبّه الشيخ بكر غفر الله له إلى أن بعض العلماء يَقصُر في دوره التربوي خاصة الذين في مقام القدوة لغيرهم، فيقول رحمه الله:" غياب العالم القدوة عن القيام بدوره الجهادي التربوي بلا تذبذب كلٌ بما فتح الله عليه حسب وسعه وطاقته...إلى آخر ما قال رحمة الله عليه"(٢) .

فالتربية على العقيدة السليمة، وعلى الأخلاق الحسنة، والآداب الحميدة، ثم تربية الأسرة المؤمنة على الالتزام بالشرع المطهر، وحثّ النساء على الطهر والعفاف والستر، وأيضاً توجيه طلاب العلم وتربيتهم على تقدير العلماء وحسن الطلب والتأدب بآداب العلم؛ مسلك حميد ونصح سديد في منهج الشيخ بكر أبو زيد متى ما طبق واقعاً ملموساً في الحياة كلها.

فهذه الفوائد التربوية المستوحاة من جهود الشيخ؛ دليل على حسن تربيته، وفضل دعوته؛ وحرصه على نفع أمته. فنقول جزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء وأوفاه.

* * * *

(١) حلية طالب العلم، ص٧١

(٢) انظر: تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص٢٧.

المطلب الخامس: فوائد اجتماعية:

يُعَدُّ منهج الشيخ بكر رحمه الله منهجاً يُلمس منه الجد والاجتهاد في نفع الأمة في شتى مناحي الحياة قولاً وتطبيقاً، فيلاحظ التطابق التام بين الدعوة والسلوك، وهذا منهج العلماء الربانيين؛ الذين يقولون ويفعلون، ويدعون ويطبقون.

لذا فإنّ الشيخ بكراً أثابه الله يُجنى من جهده ومنهجه الفوائد والدرر، وقد سبق بيان شيء منها، وما أحوج الإنسان إلى قطفٍ لفوائد عدة في هذا المنهج القويم، والمسلك الرشيد؛ الذي قد يتحسّر العاقل على فواته.

وقد حظي الجانب الاجتماعي على مساحة لا يستهان بها في جهود الشيخ بكر رحمة الله عليه لأهميته ومسيس الحاجة إليه.

لذا فقد استنبط الباحث فوائد اجتماعية جمّة من خلال دراسته لمنهج الشيخ بكر وجهوده المباركة. من أهمها، ما سيأتي بيانه:

الفائدة الأولى: الحثّ على بر الوالدين، وصلة الأرحام، وزيارة المرضى:

فقد كان الشيخ بكر شديد الحرص على بر الوالدين وصلة الأرحام فقد عرف عنه رحمه الله حبه لوالدته وبره بها وكان دائم الزيارة لها في المدينة المنورة، وإذا لم يتمكن من ذلك يتصل بها بشكل شبه يومي، حتى توفيت رحمة الله عليها[(١)].

وكان يكثر من الحثّ على صلة الرحم ويعدها من فضائل الأعمال وكريم الخصال [(٢)].

ويشارك المجتمع في بعض المناسبات بالرغم من كثرة مشاغله وانعزاله عن الناس.

وهذا دليل على عظم فوائد البر والصلة وقد جاء الحث عليهما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول الله عز وجل:﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا .. ﴾ [(٣)] .

---

(١) ذكر ذلك الشيخ جديع الجديع حفظه الله في مقابلة مع الباحث بتاريخ ٥/١٧ /١٤٣٠هـ، في دار الإفتاء بالرياض. (الباحث) .

(٢) انظر: أدب الهاتف، ص٦.

(٣) سورة النساء، آية (٣٦) ، وسورة الأنعام، آية (١٥١)

وقال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١)، وهما من أسباب دخول الجنة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم:

"يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام". (٢)

فالعالم العامل لا يبعد كثيراً عن مجتمعه: يواسيهم، ويصلهم، ويتفقد أحوالهم، ويشاركهم في آلامهم وآمالهم، ليتحقق التعاون، والمشاركة الحسية والمعنوية.

يقول الشيخ بكر أثابه الله: " تصل الرحم - لاسيما من قطعك - وتسقي شجرة الإخاء بينك وبين من شاء الله ممن تعرفه من المسلمين، في التهاني الشرعية، والبشارة بالخير، وقضاء حوائج إخوانك. وفي السلام على المريض، والدعاء له، والسؤال عن حاله بلا إملال، واحذر سؤال المريض مفصلاً عن مرضه. وفي مواساة مصاب بقريب، أو مال، أو نحوه، فكم في المواساة من تسلية المصاب. ولا تحجبك المهاتفة عن سنة نقل الخطى إلى هذه الفضائل، ولكن حيث تقصر بك الحال عن الزيارة. وإذا كانت زيارة المريض والمصاب خفيفة، مقدّرة بجلسة الخطيب بين الخطبتين فلتكن المكالمة الهاتفية كذلك. هذا هو الأصل، ومن يأنس بك فله حالٌ لا تخفى"(٣) .

وفي هذا دليل على حرص الشيخ بكر طيب الله ثراه على التواصل والترابط الاجتماعي، والتلاحم الأخوي بين أفراد المجتمع المسلم. ويحصل من ذلك فوائد دنيوية

---

(١) سورة محمد، آية (١٢٢)

(٢) رواه أحمد في مسنده، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، كتاب: مسند الأنصار، باب: حديث عبد الله بن سلام، حديث رقم (٢٢٦٦٨) ، ورواه ابن ماجه، كتاب: الأطعمة، باب: إطعام الطعام، حديث رقم (٣٢٤٢) ، وسنن الدارمي، كتاب: الصلاة، باب: فضل صلاة الليل، حديث رقم (١٤٢٤) ، وكتاب: الاستئذان، باب: إفشاء السلام، حديث رقم (٢٥١٨) ، والحديث صححه الألباني، انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق الألباني، حديث رقم (٣٢٥١) ، ص٥٤٨.

(٣) أدب الهاتف، ص ٢٦، ٢٧.

وأخروية، من الأجر والصلاح والبركة والتوادد [١] .

وهذا حثّ على زيارة الأهل والأقارب والأصدقاء والمرضى.

فزيارة الأهل والأقارب والأصدقاء والمرضى لها آداب وأحكام ينبغي مراعاتها. وللاتصال بهم عن طريق الهاتف أو غيره أيضاً آداب وأصول يحسن التنبه لها، لكي يبقى المجتمع المسلم متماسكاً متعاوناً ويبعد عن أسباب التفكك والبغض والكراهية، فقد ألّف الشيخ بكر رسالة بعنوان: ((أدب الهاتف)) ضمّنها رحمه الله توجيهات سديدة ونصائح فريدة في آداب الزيارة وأحكامها.[٢]

الفائدة الثانية: المحافظة على سلامة منهج الأسرة المسلمة:

تعتبر الأسرة النواة لأي مجتمع؛ فبصلاحها يصلح المجتمع، وبالتالي تصلح الأمة، والعكس بالعكس.

ومن العلماء الذين أسهموا في بيان الفضيلة والحرص على سلامة الأسرة والتحذير من التبرج والسفور والرد على دعاة الرذيلة ودعاة التغريب الشيخ بكر أبو زيد حتى أطلق عليه لقب: ((حارس الفضيلة)) وهو جدير به رحمه الله، بل أقل ما يلقب به فضيلته.

وقد تم إعادة طباعة كتابه القيم والنافع: ((حراسة الفضيلة)) مراراً، وهذا دليل ظاهر على مدى استفادة المجتمع من دعوة الشيخ في هذا الجانب.

يقول الشيخ بكر، ناصحاً وموجهاً الأمة إلى المحافظة على كيان الأسرة:

" فليتق الله أهل الإسلام في مواليهم، وليحسبوا خطوات السير في حياتهم،

---

(١) في الحديث المتفق على صحته، عن أبي هريرة وأنس بن مالك رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) وفي رواية: (من سرّه) . رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: من أحب البسط في الرزق، حديث رقم (١٩٢٥) ، وكتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، حديث رقم (٥٥٢٦، ٥٥٢٧) ، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم (٤٦٣٩) .

(٢) للاستزادة انظر: كتاب أدب الهاتف، ص٥، وما بعدها.

وليحفظوا ما استرعاهم الله من رعاياهم، والحذر من التفريط والاستجابة لفتنة: الاستدراج إلى مدارج الضلالة، وكل امرئٍ حسيب نفسه "[١] .

وقال أيضاً:"الواجب هو ستر المرأة بدنها وما عليه من زينة مكتسبة، لا يجوز لها تعمد إخراج شيء من ذلك لأجنبي عنها، استجابةً لأمر الله سبحانه وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وهدي الصحابة مع نسائهم، وعمل المسلمين عليه في قرون الإسلام المتطاولة"[٢].

وعدّد الشيخ رحمه الله فضائل الحجاب، حتى أوصلها إلى عشرة فضائل. فمن فضائل الحجاب التي ذكرها الشيخ: حفظ العرض، طهارة القلوب، مكارم الأخلاق، علامة على العفيفات، قطع الأطماع والخواطر الشيطانية، حفظ الحياء، يمنع نفوذ التبرج والسفور والاختلاط إلى مجتمعات أهل الإسلام، حصانة ضد الزنا والإباحية، ستر للعورة، حفظ للغيرة [٣] .

الفائدة الثالثة: البعد عن العادات والتقاليد المخالفة للشرع المطهر:

يقول الشيخ بكر أثابه الله في التحذير من بعض العادات في المجتمعات المسلمة: "عادات وأعراف منكرة، لبعض القبائل والمجتمعات القبلية، أحدثوها من عند أنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان، استحكمت على كثير منهم، فصارت من قوانينهم التي يسيرون عليها، ويتحاكمون إليها "[٤] .

ومن هذه العادات الاجتماعية التي نبّه عليها الشيخ بكر ودعا إلى مجانبتها، وبذَلَ النصح لمن هو متلبس بها:

---

(١) حراسة الفضيلة، ص١٠١ .

(٢) المصدر السابق، ص٨٣

(٣) انظر: المصدر السابق، ٨٤- ٨٦

(٤) فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ص٣ .

- ترك التحاكم إلى العادات والتقاليد وأعراف المجتمع إذا كان ذلك مخالفاً للكتاب والسنة[١].

- إيواء الجناة وحمايتهم وعدم التبليغ عنهم [٢] .

- أخذ الثأر من غير الجاني [٣] .

- فرض بعض المال على المخطئ [٤] .

- إقامة المآتم والاجتماع وقراءة القرآن في العزاء [٥] .

- رفع اليدين في التعزية، وقراءة الفاتحة [٦] .

- الإحداد على الزوج سنة كاملة [٧] .

- معالجة مشكلة العنوسة، برفع مهور الفتيات اللاتي في سن الزواج من قبل أولياء الأمور[٨].

- تأخير الختان حتى البلوغ [٩] .

وغيرها كثير، فهذه نماذج وإشارات لذلك الجهد المتواصل من الشيخ بكر رحمه الله لإفادة مجتمعه وأمته. فما أحوجنا إلى تلقي مثل هذه الدروس البالغة الغاية في النفع والفائدة. وتأثيرها مشاهد في غالب أحوال المجتمعات التي ترجو الخير، وتبحث عن الحق، وتتمسك بالثوابت، وترغب في التغيير إلى الأفضل؛ مهما واجهت من عقبات وصعوبات.

* * * *

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٥ وما بعدها.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٢

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٤

(٤) انظر: المصدر السابق، ص١٥

(٥) انظر: المصدر السابق، ص١٩

(٦) انظر: المصدر السابق، ص٢٠

(٧) انظر: المصدر السابق، ص٢١

(٨) انظر: المصدر السابق، ص٢١

(٩) انظر: المصدر السابق، ص٢٨

المطلب السادس: فوائد اقتصادية:

يعتبر الشيخ العلامة بكر أبو زيد رحمه الله من الدعاة العاملين، والعلماء الناصحين، الذين يدعون إلى الله على علم وبصيرة، قولاً وعملاً، تأليفاً وتدريساً، إمامة وخطابة وقضاءً.

ونجد أن حياة الشيخ ـــ غفر الله له ـــ قد أفناها في خدمة الدعوة إلى هذا الدين في شتى مجالاته، وبكل سبيل، حتى أضحت جهوده، ومؤلفاته تزخر بالعلم النافع، والدعوة الصادقة الناصحة. مما كان له الأثر في تغيير كثير من المفاهيم والتوجهات المخالفة.

وقد اشتهر الشيخ بكر بأبحاثه الاقتصادية ودراساته المالية والتجارية وخصوصاً المعاصرة منها، لما لاحظه رحمه الله من جهل كثير من المسلمين بأمور التعامل المالي والتجاري؛ وبالتالي الوقوع في المحظور الشرعي فيضر الشخص نفسه والمجتمع والأمة على حد سواء.

فمن المعلوم أن من الضرورات الخمس الحفاظ على المال. فالمال عصب الحياة وشريان الاقتصاد وسبيل النمو. ونشاهد التنافس المشروع وغير المشروع بين الدول في العالم أجمع في محاولة اللحاق بالدول المتطورة وذلك بالتقدم الاقتصادي ومسايرة التجارة العالمية.

وإذا أمعنّا النظر في جهود الشيخ أثابه الله في هذا المجال نلمس عظيم نفعها وجزيل أثرها، وأن الأمة استفادت من بحوثه ومؤلفاته وفتاواه، فالأمة اليوم أحوج ما تكون لمثل هذا الجهد الفقهي المميز، وهذه البحوث العلمية المفيدة.

ففي الحث على اغتناء المال الحلال، والبعد كل البعد عن المال الحرام يقول الشيخ بكر غفر الله له:" وفي الحلال غنية عن الحرام، وقليل حلال خير من كثير حرام"[1] .

---

(١) بطاقة التخفيض، ص٢١ .

وبيّن ــ أثابه الله ــ ما استحدث من معاملات محرمة وسبل ملتوية وطرق لم تعهد، في البيوع والتعاملات المالية، فقال:" من خلال السعي لطلب المكاسب، والاستزادة من المال، وتملكه بأي طريق: استحدثت معاملات وسلكت سبل، ونزلت في الناس طرائق لا عهد لهم بها ...الخ "(١).

فهناك بيوع محرمة نص الشارع على حرمتها. وسيقتصر الباحث على بعض ما ذكره الشيخ بكر ــ رحمة الله عليه ــ من البيوع المحرمة.

فمن صور البيوع المحرمة، التي نبّه عليها الشيخ بكر رحمه الله :

١. بيع ما لم يُقبض:

مَنْ اشترى سلعة، أو نحوها، فلا يصح تصرفه فيها ببيع، أو هبة، أو إجارة، أو رهن، أو حوالة، حتى يقبضها (٢) . لحديث ابن عمر الآتي في الصحيحين.

ويحصل قبض ما بيع بكيل بالكيل، أو بيع بوزن بالوزن، أو بيع بعد بالعد، أو بيع بذرع بالذرع، ويحصل القبض في ما ينقل بنقله من مكانه كالثياب والحيوان والسيارات ونحوها، ويحصل القبض في ما يتناول كالجواهر والأثمان بتناوله، ويحصل في العقار والثمر على الشجر بتخليه بلا حائل بأن يفتح له الباب أو يسلمه مفتاحها ونحو ذلك.(٣)

يقول الشيخ بكر:" عموم الأحاديث النبوية التي نصت على نهي الإنسان عن بيع ما اشتراه ما لم يقبضه. منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من ابتاع طعاماً فلا يبعه حتى يستوفيه"**(٤) .

---

(١) المصدر السابق، ص٥ .
(٢) انظر: الروض المربع، ص٢٦٦.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص٢٦٧، ٢٦٨.
(٤) وفي رواية: (حتى يقبضه) وفي رواية أخرى: (حتى يكتاله) . وحديث ابن عمر رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: الكيل على البائع والمعطي، حديث رقم (١٩٨٢) ، وباب: ما يذكر في بيع الطعام والحكرة، حديث رقم (١٩٨٩) ، وباب: بيع الطعام قبل أن يقبض، حديث رقم (١٩٩٢) ، ومسلم في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع المبيع قبل القبض، أحاديث رقم (٢٨٠٧، ٢٨٠٨، ٢٨٠٩، ٢٨١٠، ٢٨١٤) .

وأنّ العلة عدم تمام الاستيلاء والاستقرار في ملك المشتري"[١].

وحديث ابن عمر ورد في الطعام خاصة، إلاَّ أنَّ جمعاً من العلماء جعل الحكم عاماً في كل مبيع منقول، واستدلوا بحديث زيد بن ثَابِت[٢] رضي الله عنه: **"نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تُباع السلع حيث تبتاع حتى يحوزها التجَّار إلى رحالهم"**[٣].

واستدلوا بقول ابن عباس رضي الله عنه: أحسب كل شيء مثله. وفي رواية: وأحسب كل شيء بِمنزلة الطعام[٤].

واستثني العقار ونحوه. وهذا هو الراجح في نظر الباحث، لعموم حديث زيد بن ثَابِت، وصحة ما روي عن ابن عباس، واشتراك العلة في المبيع المنقول، والله أعلم.

٢. **بيع ما لا يُملك:**

من شروط البيع أن تكون العين المباعة ملكاً للبائع، فإن باع ملك غيره بغير إذنه لم يصح ولو مع حضوره وسكوته. واستثني من ذلك الوكيل أو الوالي لقيامه مقام المالك في التصرف.[٥]

قال الشيخ بكر ـــ رحمه الله ــــ:" عموم الأحاديث النبوية التي نصت على النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده.

---

(١) فقه النوازل، جزء في المرابحة بيع (المواعدة) ، ص٩٢، ٩٣ باختصار .

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري الخزرجي، استصغر يوم بدر ويقال إنه شهد أحداً ويقال أول مشاهده الخندق، كتب الوحي للنبي صلى الله عليه و سلم، وكان زيد من علماء الصحابة، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق، مات زيد سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين وقيل سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (ج٢ / ص٥٩٢ ــ ٥٩٤) باختصار.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الإجارة، باب: في بيع الطعام قبل أن يستوفى، حديث رقم (٣٠٣٦) . وحسنه الشيخ الألباني، انظر: سنن أبي داود، تحقيق الشيخ الألباني، ص٦٢٨ .

(٤) صحيح مسلم، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع المبيع قبل القبض، أحاديث رقم (٢٨٠٧، ٢٨٠٨) .

(٥) انظر: الروض المربع، ص٢٤٨.

منها حديث حكيم بن حزام [١] رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله يأتيني الرجل فيسألني المبيع لما ليس عندي فأبيعه منه ثم ابتاعه من السوق؟، فقال صلى الله عليه وسلم: " **لا تبع ما ليس عندك**"[٢]. فسبب الحديث نص في بيع الإنسان ما لا يملك فحكم صلى الله عليه وسلم بالنهي عنه "[٣].

٣. **بيع الغرر:**

وأما النهي عن بيع الغرر فهو أصل عظيم من أصول كتاب البيوع، ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة: كبيع الآبق، والمعدوم، والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لم يتم ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع بعض الصبرة مبهماً، وبيع ثوب من أثواب، وشاة من شياه، ونظائر ذلك، وكل هذا بيعه باطل لأنه غرر من غير حاجة.[٤]

يقول الشيخ بكر أثابه اللهُ في بيان أن الغرر من العلل في النهي عن البيوع المحرمة: " البيوعات المنهي عنها ترجع إلى قواعد ثلاث :

١- الربا

٢- الغرر

---

(١) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، وهو من مسلمة الفتح وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، وكان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة على اختلاف في ذلك. وعاش مائة وعشرين سنة ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام وتوفي سنة أربع وخمسين أيام معاوية وقيل: سنة ثمان وخمسين. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، (ج١ / ص٥٢٢) .

(٢) سنن الترمذي، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك، حديث رقم (١١٥٣) ، وسنن أبي داود، كتاب: البيوع، باب: في الرجل يبيع ما ليس عنده، حديث رقم (٣٠٤٠) ، وسنن النسائي، كتاب: البيوع، باب: بيع ما ليس عند البائع، حديث رقم (٤٥٣٤) ، وسنن ابن ماجه، كتاب: التجارات، باب: النهي عن بيع ما ليس عندك، حديث رقم (٢١٧٨) ، وصححه الشيخ الألباني، انظر: سنن الترمذي، تحقيق الشيخ الألباني، ص٢٩٣.

(٣) فقه النوازل، جزء في المرابحة بيع (المواعدة) ، ص٩١ .

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي، (ج١٠ / ص ١٥٦) .

٣- أكل أموال الناس بالباطل

وقد روى الجماعة إلا البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: "**نهى عن بيع الغرر**"[(١)] "[(٢)].

ومن صور بيع الغرر: بيع المعدوم: فلا يجوز بيع معدوم كالذي يبيع ما تحمل أمته أو شجرته، ولما تحمل بعد، لأنه مجهول غير مقدور على تسليمه، ولا يجوز بيع المجهول كالحمل لجهالته[(٣)].

يقول الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -في الإنكار على مثل هذا البيع:

"وأن النهي عن بيع المعدوم: هو ما كان المعدوم فيه مجهول الوجود في المستقبل"[(٤)].

ومن صور بيع الغرر الحديثة: بطاقات التخفيض التي تصدرها البنوك المصرفية، ويدفع العميل ــ مقابل امتلاك هذه البطاقة ــ مبلغاً من المال، ويحصل مقابل ذلك على تخفيض بقدر معين من المحلات التجارية و الفنادق، وغيرها، فقال الشيخ بكر- رحمه الله -مبيناً ضرر هذه البطاقات وحكمها في الشرع:" ثم في هذا المبلغ المدفوع غرر، لأنه دفع بلا مقابل حقيقة، إذ قد تنتهي صلاحيتها و لم يستعملها، أو يكون استعماله لها لا يقابل ما دفعه من رسومها، وفي هذا غرر ومخاطرة، والله سبحانه يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ .. ﴾[(٥)] "[(٦)].

٤. **الربا** [(٧)]: الربا محرم بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ .. ﴾[(٨)] .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البيوع، باب: بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر، حديث رقم (٢٧٨٣) .

(٢) فقه النوازل، جزء في المرابحة بيع (المواعدة) ، ص٩٤ .

(٣) انظر: العدة شرح العمدة، بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي، ص ٢١٣.

(٤) فقه النوازل، جزء في المرابحة، بيع (المواعدة) ، ص٩٦ .

(٥) سورة النساء، آية ٢٩ .

(٦) بطاقة التخفيض، ص٢٠ .

(٧) الربا في اللغة: الزِّيادة والنَّماء والعُلُوّ. انظر: تهذيب اللغة، مادة (ربا)، (ج١٥/ ص٢٧٢)، ومقاييس اللغة، كتاب الراء، باب الراء والباء، مادة (ربى)، (ج٢/ ص٤٨٣)، ولسان العرب، باب الواو والياء، فصل الراء، مادة(ربا)، (ج١٤/ ص٣٠٤).
والربا في الاصطلاح: الزيادة في أشياء مخصوصة، انظر: المغني، (ج٤/ ص١٢٢).

(٨) سورة البقرة، آية (٢٧٥)

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [١]

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ .. ﴾ [٢] .

وأما السنة: ففي الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: **"لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه"** وقال: **"هم سواء "**[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: **"اجتنبوا السبع الموبقات"**. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ [فذكر منها] **"أكل الربا"**.[٤]

وأجمعت الأمة على أن الربا محرم.[٥]

والأعيان المنصوصة على الربا فيها ستة، وردت في حديث عبادة بن الصامت ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يداً بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد "** وفي رواية: **"فمن زاد أو استزاد فقد أربى"** [٦] .

فاشترط النبي عليه الصلاة والسلام المماثلة، والمقابضة. إذا بيع شيء من هذه

---

(١) سورة البقرة، (٢٧٨، ٢٧٩)

(٢) سورة آل عمران، آية (١٣٠)

(٣) صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: لعن الله آكل الربا ومؤكله، حديث رقم (٢٩٩٥) .

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً...الآية}، حديث رقم (٢٥٦٠) ، وكتاب الحدود، باب: رمي المحصنات حديث رقم (٦٣٥١) ، وصحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، حديث (١٢٩) .

(٥) انظر: المغني، (ج٤/ ص١٢٢) ، والإجماع، ابن المنذر، ص ١٣٣.

(٦) صحيح مسلم، كتاب: المساقاة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، حديث رقم (٢٩٦٩، ٢٩٧٠) .

الأصناف بجنسه، فلابد فيه من أمرين: المماثلة: بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر. والمقابضة: يداً بيد. فإن زاد أو تأخر في القبض فإنه ربا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(فمن زاد أو استزاد فقد أربى)**.

وإذا اختلفت الأصناف، فلابد من التقابض قبل التفرق. لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يداً بيد)**.

وعلة الربا في الذهب والفضة كونه موزون جنس، وعلة الربا في الأعيان الأربعة مكيل جنس. على خلاف بين العلماء.[1]

وأخبر الله سبحانه أنّه يمحق بركة الربا، فيقول عز شأنه: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ .. ﴾[2]، فمهما كثرت أموال المرابي وتضخّمت فهي ممحوقة البركة لا خير فيها، وأعلن الله الحرب منه ومن رسوله على المرابي لأنه عدو لهما إن لم يترك الربا، ووصفه بأنه ظالم، كما ورد في آية سورة البقرة السابق ذكرها.

فالربا محرم شرعاً، ومستقبح عقلاً وطبعاً.

والحكمة في تحريم الربا: أن فيه أكلاً لأموال الناس بغير حق، لأن المرابي يأخذ منهم الربا من غير أن يستفيدوا شيئا في مقابله، وأن فيه إضراراً بالفقراء والمحتاجين بمضاعفة الديون عليهم عند عجزهم عن تسديدها، وأن فيه قطعاً للمعروف بين الناس، وسداً لباب القرض الحسن، وفتحاً لباب القرض بالفائدة التي تثقل كاهل الفقير، وتزيد من معاناته.

وفي بيان عظم جريمة الربا، وسوء عاقبته، يقول الشيخ بكر:

" الربا أشد إثماً وأعظم جرماً من الزنا ونحوه من الكبائر، إذ الربا توعد الله عليه بالمحاربة في التنزيل دون سواه من الآثام، ولأنه يفعل الأفاعيل في تقويض حياة الأمة وضرب تجارتها ومضاربتها بالكساد، بما لا تدانيه معصية، وهل المعاصي إلا وسائل هدم، لكنها دركات"[3] .

---

(١) المغني، (ج٤/ ص١٢٥) .

(٢) سورة البقرة، آية (٢٧٦) .

(٣) التعالم وأثره على الفكر والكتاب، ص١١١، باختصار.

وردّ – رحمه الله – على من يرى أن الربا ضرورة في الوقت الحالي، لا يمكن تجنبه، فقال – أثابه الله –: " الربا جريمة شرعية، توعّد الله عليها بالمحاربة، ولا يكون الربا ضرورة أبداً، وما قال بذلك أحد من العلماء، فتسليكه باسم الضرورة افتيات على الشرع المطهر"(١)

ويقول – رحمه الله –مبيناً آثار التعامل بالربا ومردوده العكسي على الأمة:

" تئن الديار الإسلامية من المعاملات الربوية الضاربة بجرانها في البنوك والمصارف الربوية، ومن دُور المحاربة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وأكبر مركز يهز الاقتصاد ويخرب الديار، ويمتص روح الحياء والحياة، ويؤول بالأمة إلى جمع فقير غارم. وفي طليعة المعاملات التي يهرع إليها كثيرون (صريح الربا) المحلل بالاسم الكاذب (القرض بالفائدة)"(٢) .

وفي الوقت الحاضر بدأت بعض المصارف الإسلامية خصوصاً في المملكة العربية السعودية ـــ بلد الحرمين الشريفين، والبلد الإسلامي الوحيد الذي يحكم شرع الله في كل شؤونه ـــ بدأت المصارف ـــ ولله الحمد ـــ تعود إلى المعاملات الشرعية الصحيحة، وتنقية تعاملها المصرفي، وفق شريعة الله، وعملاً بسنة رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وهذه بادرة طيبة، وقدوة حسنة، لتسلك بقية المصارف المسلك نفسه.

وهذا التحول، وتلك التغيرات، هي من ثمار دعوة أهل العلم، وجهودهم الخيرة، في مكافحة الربا وجميع وسائله وصوره، ومن أبرز الجهود الدعوية المباركة، ما نجده ظاهراً في نصائح وتوجيهات للشيخ بكر في هذا المجال المعاصر، يقول الشيخ بكر حول هذا الموضوع:

" وإن من مآثر المد الإسلامي المعاصر: حركة المصارف والبنوك الإسلامية، فكان حقيقاً عليها إيجاد المعاملات الإسلامية لرد الأمة في معاملاتها إلى دين الله وشرعه، وكفّ الدخيل عليها"(٣).

---

(١) معجم المناهي اللفظية، ص٢٧٩. بتصرف يسير.
(٢) فقه النوازل، جزء في المرابحة بيع (المواعدة)، ص٨١ .
(٣) المصدر السابق، ص٨١.

فالاقتصاد الإسلامي له من الميزات التي لا توجد في أي نظام اقتصادي عالمي، مما جعله يعتلي المكانة المرموقة، وينفرد بجلب السعادة والرقي والتقدم للبشرية جمعاء، متى ما طبق واقعاً ملموساً في الحياة العامة والخاصة، أما الذين يتعاملون بشتى صنوف المعاملات المحرمة، دون ضابط من كتاب ولا سنة، وتجدهم كحاطب الليل، لا يميزون بين الحلال والحرام، ولا يشعرون أنهم فعلوا محرماً، أو ارتكبوا منكراً، ومن كان هذا شأنه، فلا تسأل عن مدى المعاناة والشقاء والخسارة التي تنتظره، والانتكاسات المالية العالمية خير شهيد، وأكبر دليل.

وأهم ضوابط ومميزات التعامل في الاقتصاد الإسلامي، ما يلي:

١) ينطلق من العقيدة الإسلامية المستمدة من الوحيين الشريفين.

٢) الأصل في المعاملات الحل والإباحة.

٣) رفع الضرر ودفع الظلم عن الجميع بدون استثناء.

٤) سماحة الإسلام ويسر الشريعة، وبعدها عن القهر والاستبداد.

٥) الأخلاق والآداب والسماحة، محور التعامل بين المسلمين أنفسهم ومع غيرهم من غير المسلمين.

٦) في الاقتصاد الإسلامي الغاية لا تبرر الوسيلة، بل الوسيلة لها حكم الغاية. فكل ما يؤدي إلى حرام فهو حرام.

وقد اهتمّ الإسلام اهتماماً بالغاً بتوثيق المعاملات المالية والتجارية التي تجري في بلاد الإسلام، وبهذا يكون الإسلام قد حقق قصب السبق، وقدم أرفع أنواع الحفظ والضبط: حفظ المال، وضبط النفس عن التعدي والظلم.

فمن الفوائد الاقتصادية التي يمكن استنباطها من جهود الشيخ بكر في هذا الجانب، ما يلي:

الفائدة الأولى: الغنية في المال الحلال وإن قلّ، فقليلٌ حلال خيرٌ من كثيرٍ حرام[1].

الفائدة الثانية: النهي عن أكل أموال الناس بالباطل.

---

(١) بطاقة التخفيض، ص٢١.

الفائدة الثالثة: أنّ الربا جريمة شرعية، توعّد الله عليها بالمحاربة، ولا يكون الربا ضرورة أبداً، وأكبر مركز يهز الاقتصاد ويخرب الديار، ويمتص روح الحياء والحياة، ويؤول بالأمة إلى جمع فقير غارم هو الربا.(١)

الفائدة الرابعة: أنّ الضرر في البيع والشراء، وفي غيره؛ منهي عنه، وقد ذكر الشيخ بكر مثالاً لذلك في مجمل حديثه عن بطاقات التخفيض التي تصدرها المصارف وبعض الشركات المالية، فيقول رحمه الله: " وأنّ حاملها بين فكيهما، لامتصاصه وتحويله إلى مستهلك مفلس في المستقبل"(٢) ، إلى أن قال طيّب الله ثراه:" يتضح أن بطاقة التخفيض تحدث ضرراً عاماً بين أصحاب المتاجر، لما يحصل من العداوة والبغضاء بين أصحاب المحلات المشتركين في التخفيض وغير المشتركين، بنفاق السلعة المخفضة، وكساد غيرها من بضائع الذين لم يشتركوا"(٣) .

وقال الشيخ رحمه الله في موضع آخر:" ويجب على من بسط الله يده حماية المسلمين من التلاعب بعقولهم وأكل أموالهم بالباطل، وحماية مكاسبهم مما حرمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم"(٤) .

فالضرر يزال، والقاعدة الفقهية: ((لا ضرر ولا ضرار)) وهي مبنية على قول رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: " **لا ضرر ولا ضرار**"(٥) .

---

(١) انظر: معجم المناهي اللفظية، ص٢٧٩ . وفقه النوازل، جزء في المرابحة بيع (المواعدة) ، (ج٢/ ص٨١) .

(٢) بطاقة التخفيض، ص٧

(٣) المصدر السابق، ص١٨.

(٤) المصدر السابق، ص٢١

(٥) مسند أحمد، كتاب: مسند بني هاشم، باب: مسند عبد الله بن عباس، حديث رقم (٢٧١٩)، وكتاب: الأنصار، باب: أخبار عبادة بن الصامت، حديث رقم (٢١٧١٤)، وسنن ابن ماجه، كتاب: الأحكام، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم (٢٣٣١، ٢٣٣٢) ، وروي بنحوه في موطأ مالك، كتاب: الأقضية، باب: القضاء في المرفق، حديث رقم (١٢٣٤)، وصححه الألباني، انظر: سنن ابن ماجه تحقيق الألباني، حديث رقم (٢٣٤٠، ٢٣٤١)، ص٤٠٠.

الفائدة الخامسة: إبراز محاسن الدين الإسلامي الحنيف، وأنّ المشقة تجلب التيسير، يقول الشيخ بكر غفر الله له:" فإن الحاجة داعية إليه[١] واغتفر ما يعتريه من الغرر تقديراً للحاجة، والحاجة هنا داعية، لاتساع رقعة التعامل وتضخم رؤوس الأموال، وحاجة المنشئات إلى دعمها بالآلات والمباني التي لا قوام لها إلا بها، فإذا لم تتم تلك المعاملة وقع المسلم في حرج ومشقة الفوات لمصالح يريد تحقيقها فإن لم تكن من هذا الباب اضطر إلى القرض بفائدة ودينه يعصمه من الربا المحرم فليقرر هذا التعامل تحت وطأة الحاجة (الضرورة) والانتشال من المحرم وتحقيق مصالح المسلمين"[٢] .

الفائدة السادسة: أنّ للفقراء والمساكين وبقية أهل الزكاة حقاً مشروعاً في الزكاة الواجبة، وإذا دفعت الزكاة لمستحقيها في وقتها كان لذلك الأثر المحمود في إنعاش الاقتصاد الإسلامي.

يقول الشيخ بكر مبيناً مقدار الزكاة ووقت إخراجها:" إخراج الزكاة الواجبة ومقدارها ربع العشر، أي (اثنان ونصف في المائة) ودفعها إلى مستحقيها على الفور وقت الوجوب من الفقراء والمساكين وغيرهم من أهل الزكاة الثمانية"[٣] .

وفي إخراج الزكاة فوائد اقتصادية كثيرة جداً [٤] .

---

(١) الضمير يعود إلى (بيع المواعدة)، انظر: فقه النوازل، جزء في المرابحة بيع (المواعدة)، (ج٢/ ص٩٧).

(٢) المصدر السابق ، (ج٢/ ص٩٦)

(٣) فتوى جامعة في زكاة العقار، ص٩.

(٤) من أهم الفوائد الاقتصادية للزكاة ما يلي:

- تزكية المال وتنقيته وتطهيره، يقول الله عز وجل: { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...الآية} سورة التوبة، آية (١٠٣) .
- سبب في نماء المال، والدليل ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: { يمحق الله الربا ويربي الصدقات ...الآية} سورة البقرة، آية (٢٧٦) . وقول ربنا جل شأنه: { وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون} سورة الروم، آية (٣٩) .
- سبب في استغناء الفقراء والمساكين عن السؤال، ورفع لمستوى المعيشة لديهم، ويؤدي ذلك إلى قدرتهم على مجاراة غيرهم في البيع والشراء، وتبادل المصالح، وقضاء الحوائج، وفي ذلك إنعاش للاقتصاد، ودفع عجلة التقدم والازدهار إلى الأمام.

الفائدة السابعة: اجتناب البيوع المحرمة: فقد نهى الشارع الحكيم عن بيع ما لم يقبضه الإنسان، وكذلك بيع ما لا يملك، وغيرها من البيوع والمعاملات المحرمة.

ومن الحكم في معرفة البيوع والتعاملات المحرمة اجتنابها والاعتياض عنها بالحلال وإن قل. وفي هذا من الفوائد ما يقصر عن الحصر.

الفائدة الثامنة: أنّ مقولة: ((العقد شريعة المتعاقدين)) ليس على إطلاقه بل هو من مصطلحات القانون الوضعي الذي لا يراعي صحة العقود في شريعة الإسلام، فسواء كان العقد ربوياً أو فاسداً، حلالاً، أو حراماً، فهو في قوة القانون ملزم كلزوم أحكام الشرع المطهر، وهذا من أبطل الباطل، ويغني عنه في فقه الإسلام مصطلح: ((العقود الملزمة))[(١)]

الفائدة التاسعة: الأصل في المعاملات الجواز إلا ما حرّمه الشارع، بخلاف العبادات فالأصل فيها المنع إلا ما دلّ الدليل على مشروعيته.

والدليل على أن الأصل في المعاملات الحل، قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا .. ﴾[(٢)] . فاللام في قوله: { لَكُم } للملك .

والدليل على جواز البيع، قوله سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ .. ﴾[(٣)].

وقوله جل جلاله:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً .. ﴾[(٤)] .

وثمة فوائد أخرى في معرفة المعاملات الحديثة ومعرفة ضوابطها وشروطها للاستفادة منها في مصالح الحياة، وحتى لا يقع المسلم في الحرج أو المشقة. وليعلم العالم كله أنّ في ديننا فسحة فهو دين اليسر والسماحة والعدل.

= • سبب في دفع الآفات والنوازل والسنين، وكما هو معلوم أنّ حصول الآفات والكوارث تضعف الاقتصاد، وتؤثر سلباً في التعامل المالي والتجاري. (الباحث) .

(١) انظر: معجم المناهي اللفظية، ص٣٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية (٢٩) .

(٣) سورة البقرة، آية (٢٧٥) .

(٤) سورة النساء، آية(٢٩) .

وعندما تلتزم الأمة الإسلامية بمنهج رسولها وقدوتها محمد صلى الله عليه وسلم الموافق لكتاب الله جلّ في علاه، في جميع الأمور - وفي الأمور الاقتصادية خاصة - فإنها لن تحتاج إلى أحد، أو تخضع لمبدأ من المبادئ، بل سينتعش اقتصادها وتعمر ديارها وتنافس الآخرين إن لم تتفوق عليهم بالتطور والعمل الجاد المثمر. أما إذا التفتت الأمة يمنة ويسرة تبحث عن قارب نجاة غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن مصيرها التأخر والتقهقر والتبعية الدائمة للغير.

ولهذا الأسباب وغيرها جعلت فضيلة الشيخ بكر - رحمه الله - يعطى اهتماماً خاصاً بقضايا البيوع والمعاملات المالية المعاصرة، فقد ألّف وبحث وأفتى؛ في كثير من مسائلها، فأكمل وأوفى.

لما في ذلك من دعوة الأمة إلى التعامل بالحلال في بيعها وشرائها، وكافة تعاملاتها، وتجنب المحرم منها، والمتشابه.

فنسأل الله بمنّه وكرمه أن يجزي الشيخ بكراً على جهوده المباركة، ودعوته الموفقة، وآثاره المفيدة؛ خير ما يجزي عالماً عن علمه، وداعياً عن دعوته، ومصلحاً على صلاحه وإصلاحه. إنه سميع قريب مجيب.

* * * *

الخاتمة

وتشتمل على ما يلي:

أولاً: خلاصة البحث.

ثانياً: نتائج البحث.

ثالثاً: التوصيات الاقتراحات.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فقد كان للباحث شرف قراءة جلّ كتب ورسائل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، ومسايرة جهوده وتوجيهاته، ومعايشة أفكاره وخلاصة علمه؛ من خلال البحث والدراسة لهذا الموضوع المهمّ حتى تم بحمد الله وتوفيقه.

وفي ختام هذا البحث يمكن إيراد العناصر التالية:

أولاً: خلاصة البحث:

إنّ من ردّ العجز على الصدر: أن أُلمح إلى خلاصة هذا البحث فأقول مستعيناً بالله تعالى:

- اشتمل البحث على تعريف بسيرة الشيخ بكر رحمه الله، ومكانته العلمية، وثناء العلماء عليه، مع ذكر مؤلفاته وإشرافه العلمي.
- ألقى البحث الضوء على جهود الشيخ بكر طيب الله ثراه في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وضرورة التمسك بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وبيانه لخطر الابتداع في الدين، وأبرز البحث دعوة الشيخ إلى الوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو في الدين.
- بيّن البحث جهود الشيخ أثابه الله في التصدي للتيارات الفكرية المعاصرة، ومدى خطرها على الأمة، ثم دعوة الشيخ المباركة إلى الاجتماع، وتحذيره من الفرقة والاختلاف، وبيانه لحقوق الراعي والرعية.
- تناول البحث جهود الشيخ بكر في الدعوة إلى أركان الإسلام، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وضرورة التحلي بالأخلاق الحميدة، والآداب المرعية.
- اتضح جلياً في هذا البحث جهود الشيخ بكر المباركة في دعوة الأسرة المسلمة، وتحذير المرأة المؤمنة من التبرج والسفور.
- اشتمل هذا البحث على توجيهات سديدة، ونصائح فريدة، من الشيخ بكر رحمه الله للدعاة وطلبة العلم؛ يحذرهم فيها من النيل من العلماء والدعاة، وتنقصهم، وتحريف كلامهم.

- تضمن البحث ذكر أهمّ وسائل الدعوة عند الشيخ بكر، وأساليب دعوته، مع بيان أهمية استخدام الوسائل المناسبة، والأساليب المثلى في الدعوة.
- احتوى البحث على الآثار الدعوية لجهود الشيخ بكر غفر الله له على طلابه، ومجتمعه، وأمته، وكذلك الدروس المستفادة من منهج الشيخ رحمه الله في مجال الدعوة الإسلامية: فوائد علمية منهجية، وفوائد عملية سلوكية، وفوائد دعوية، وفوائد تربوية، وفوائد اجتماعية، وفوائد اقتصادية.

وبعد ذلك أوردت خاتمة مختصرة للبحث، ثم ذيّلته بمجموعة من الفهارس الفنيّة الموضحة له.

ثانياً: نتائج البحث:

من خلال دراسته لجهود الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في الدعوة إلى الله تعالى توصّلَ الباحث إلى بعض النتائج المهمّة ــ في نظره ــ التي يمكن أن يستفيد منها الداعية إلى الله في طريق دعوته، وتوجيهه للآخرين، ونصحه لهم.

ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها في البحث، ما يلي:

١) الدعوة إلى الله من أهمّ الأمور في حياة الناس، وفضلها جاء مؤكداً في الوحيين الشريفين.

٢) الشيخ بكر رحمه الله يعد أحد العلماء الربانيين، ومن خيرة الخلف المتمسكين بمنهج السلف.

٣) سعة اطلاع الشيخ، وعلو مكانته العلمية والعملية.

٤) وفرة الإنتاج العلمي لدى الشيخ بكر، وشموله لعلوم العصر القديمة والحديثة.

٥) تراث الشيخ بكر يمثل منهجاً دعوياً يمكن أن يستفاد منه في معالجة كثير من القضايا النازلة.

٦) شخصية الشيخ بكر أثابه الله نموذج للداعية الناجح والمؤثر.

٧) له جهود عظيمة في الدعوة إلى الله، والتمسك بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، والتأصيل للمنهج القويم في العقيدة والعبادة والسلوك.

٨) له دور بارز في نشر منهج أهل السنة والجماعة، والرد على من خالف منهجهم وحاد عن الصواب.

٩) يدعم أقواله وآراءه بنصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف.

١٠) اعتناء الشيخ بكر بالجوانب اللغوية، والبلاغية.

١١) المتأمل في سيرة الشيخ بكر تغمده الله بواسع رحمته يلاحظ أن الدعوة أكبر همّه، وأخذت جلّ وقته.

١٢) لا يقتصر الشيخ بكرفي الدعوة على الوعظ وإلقاء المحاضرات والدروس، بل يتعداه إلى تأليف الكتب، ونشر الرسائل العلمية، والرد على المخالفين.

١٣) جَمَعَ الشيخ بكر بين الأصالة والمعاصرة.

١٤) التأثّر الواضح للشيخ بكر بالإمام ابن قيّم الجوزيّة رحمهما الله تعالى.

١٥) وضوح مفاهيم الدعوة عند الشيخ بكر وأهدافها.

١٦) تميّز منهج الشيخ في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والبصيرة وبُعْد النظر.

١٧) وسطية الدعوة الإسلامية، واعتدالها، وسمو مقصدها.

١٨) على الداعية أن يكون على علم بواقعه، ودراية تامة بمشاكل أمته.

١٩) الداعية لابد أن تعتريه بعض الصعوبات والعقبات، فالسير على طريق الرسل والأنبياء ليس بالأمر الهيّن.

٢٠) ينبغي للداعية أن يتحلى بالأخلاق الكريمة والصفات العظيمة والقدوة الحسنة.

٢١) ضرورة استخدام الوسائل المشروعة والأساليب المثلى في الدعوة إلى الله.

٢٢) الاهتمام بالأسرة المسلمة وتربية الناشئة تربية إسلامية وتعويدهم على اكتساب المهارات النافعة للأمة.

٢٣) ضرورة تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة.

٢٤) يُسْر الشريعة الإسلامية، وشمولها، وصلاحها لكل زمان ومكان.

٢٥) فقه التعامل مع الحكام وولاة الأمر؛ بما ينفع الأمة، والسمع والطاعة بالمعروف.

٢٦) لحوم العلماء مسمومة، والوقيعة فيهم بما هم منه براء صفة مذمومة.

٢٧) للعلماء قدرات، وكلٌّ واحد منهم على ثغرة من ثغور الإسلام، يحميه حسب القدرة والتأهيل.

٢٨) يجب احتضان الشباب، والاهتمام بهم، وتوجيههم التوجيه السليم المنضبط الذي يحقق الهدف، ويحصل به المقصود.

٢٩) يلزم طلاب العلم صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جناب عزّه وشرفه، ولا يُسعَ به إلى أهل الدنيا، ولا يوقف به على أعتابهم، ولا يبذل إلى غير أهله وإن عظم قدره.

٣٠) الداعية على وجه الخصوص؛ ينبغي له أن يكون على أحسن حال، وأجمل لباس، متحلياً بالرجولة، والسمت الصالح، وخشية الله تعالى قبل كل شيء.

ثالثاً: التوصيات الاقتراحات:

بعد أن أمضى الباحث وقتاً وجهداً في البحث والدراسة لمنهج الشيخ بكر رحمه الله في الدعوة إلى الله خرج ببعض التوصيات والاقتراحات التي يرجو أن تتحقق ــ بعون الله ــ لينفع الله بها الأمة الإسلامية، وينتشر الخير، ويعمّ النفع.

فيوصي الباحث بما يلي:

❖ أوصي نفسي، وإخواني الباحثين والدعاة، وجميع المسلمين، بتقوى الله عز وجل، والتمسك بالكتاب والسنة، والدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

❖ أوصي طلاب العلم بدراسة سيرة ومناهج العلماء الربانيين؛ المتمسكين بالمنهج السلفي القويم، والاستفادة من جهودهم المباركة في العلم، والعمل، والأخلاق، والآداب، والدعوة إلى الله تعالى.

❖ أوصي المسلمين عامة، وطلاب العلم خاصة؛ بالاهتمام بكتب الشيخ بكر أبو زيد، ودراستها دراسة منهجية علمية، لما تميّزت كتبه رحمه الله بالأصالة، والإتقان، والعمق العلمي، واللغوي الفريد.

❖ الإفادة من مكتبة الشيخ بكر بإخراجها للباحثين، وطلاب العلم والدراسات العليا؛ كمكتبة عامة يستفيد منها الجميع، إما بفتحها في أوقات مناسبة لهم، أو إفرادها بمبنى مستقل لها، أو بإهدائها إلى مكتبات إحدى الجامعات السعودية الكبرى؛ لما حوت من فرائد الكتب، ونفائس المخطوطات، ومئات الرسائل النادرة.

❖ حصر تراث الشيخ بكر العلمي، وإخراجه مصنفاً في موسوعة علمية مميزة.

❖ إنشاء كرسي علمي باسم الشيخ بكر في إحدى الجامعات الإسلامية؛ لبيان تراث الشيخ العلمي، وما يتعلق به من خدمة للإسلام والمسلمين.

❖ إنشاء جائزة باسم الشيخ بكر للبحوث العلمية، والدراسات الدعوية المتميزة.

❖ إنشاء مؤسسة ثقافية علمية تعنى بتراث الشيخ بكر العلمي والفكري، وتقوم هذه المؤسسة بجهد وخدمة المجتمع؛ لتكون امتداداً لعطاء الشيخ رحمة الله عليه.

❖ إنشاء وقف إسلامي باسم الشيخ بكر يخدم الدعوة والدعاة في العالم الإسلامي.

❖ تسمية إحدى القاعات العامة في بعض الجامعات باسم الشيخ بكر أبو زيد.

❖ استخلاص بعض الكتب أو الموضوعات من تراث الشيخ بكر والقيام بترجمتها إلى بعض اللغات العالمية، مثل: الإنجليزية، الفرنسية، الأردية، وغيرها من اللغات المشهورة.

❖ اقتراح إلى بعض الأقسام العلمية في الكليات الجامعية بالعناية بكتب الشيخ بكر، واختيار بعضها لتكون ضمن مراجع ومصادر المواد الدراسية.

❖ الإيعاز لبعض طلاب الدراسات العليا في بعض الأقسام العلمية لاختيار بعض الموضوعات ذات الصلة بتخصصهم من تراث الشيخ بكر، وإعداد رسائل علمية حولها.

❖ عقد ندوة علمية، أو مؤتمر، أو ملتقى علمي؛ يعنى بتراث الشيخ بكر ومحاور اهتمامه ونتاجه وآثاره العلمية.

❖ تسمية بعض الجهود الخيرية ذات الصلة في الداخل أو الخارج باسم الشيخ بكر أبو زيد.

❖ تأسيس موقع على الشبكة العنكبوتية يحمل اسم الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد يتمكن المسلمون في كل أنحاء العالم من الاستفادة من علمه، والاطلاع على جهوده الموفقة في خدمة الإسلام والمسلمين.

❖ الاستفادة من منهج الشيخ بكر غفر الله له في الدعوة إلى الله، ووسائله، وأساليبه الدعوية الناجعة.

❖ كما يوصي الباحث الدعاة وطلاب العلم بالاستفادة من الوسائل الحديثة والمشروعة، وتسخيرها لخدمة الدين الإسلامي والدعوة إليه.

❖ ويوصيهم أيضاً بالاعتماد على منهج السلف الصالح في الدعوة، وفي مناحي الحياة كلها.

❖ كما يوصي الباحث الجهات ذات العلاقة بالاهتمام بتأهيل الدعاة، وإعدادهم الإعداد المميّز؛ لحمل الدعوة وإبلاغها للناس كافة.

وأسأل الله سبحانه أن يتقبل منا أحسن ما عملنا، ويتجاوز عن سيئاتنا، وإسرافنا في أمرنا، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وخشيته في السر والعلن، وقول الحق في الغضب والرضا، إنه سميع قريب مجيب.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين: نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.

* * * *

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبويّة.
- فهرس الآثار والأقوال.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية:

طرف الآية ورقمها — رقم الصفحة

((سورة الفاتحة))

((سورة البقرة))

((سورة آل عمران))

((سورة النساء))

((سورة المائدة))

((سورة الأنعام))

((سورة الأعراف))

((سورة الأنفال))

((سورة التوبة))

((سورة يونس))

((سورة هود))

((سورة يوسف))

((سورة الرعد))

((سورة إبراهيم))

((سورة النحل))

((سورة الإسراء))

((سورة الكهف))

((سورة مريم))

((سورة طه))

((سورة الأنبياء))

((سورة الحج))

((سورة المؤمنون))

((سورة النور))

((سورة الفرقان))

((سورة العنكبوت))

((سورة الروم))

((سورة الأحزاب))

((سورة سبأ))

((سورة فاطر))

((سورة الزمر))

((سورة غافر))

((سورة فصلت))

((سورة الشورى))

((سورة الزخرف))

((سورة الجاثية))

((سورة محمد))

((سورة الفتح))

((سورة الحجرات))

((سورة ق))

((سورة الرحمن))

((سورة الواقعة))

((سورة الصف))

((سورة الجمعة))

فهرس الأحاديث النبويّة

طرف الحديث — رقم الصفحة

((أ))

((ب))

((ت))

((ك))

((ل))

((م))

((ن))

((هـ))

((و))

((ي))

فهرس الآثار والأقوال

فهرس الأشعار

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب المطبوعة:

١. الائتلاف والاختلاف: أسسه، وضوابطه، د. صالح بن غانم السدلان، ط١، (دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ).

٢. أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه، في العهد السعودي، عبد الله بن سعيد الزهراني، ط١، (دار النشر: بدون، ١٤١٩هـ).

٣. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٧هـ).

٤. ابن قيم الجوزية: حياته، وأثاره، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ).

٥. الاتجاهات الفكرية المعاصرة، وموقف الإسلام منها، جمعه الخولي، ط١، (نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ).

٦. الأجزاء الحديثية، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ).

٧. الإجماع، محمد بن إبراهيم بن المنذر، ط بدون، (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ).

٨. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، علي محمد الماوردي، ط٢، (دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤١٥هـ).

٩. أخلاق العلماء، محمد بن حسين الآجري، تحقيق: أمينة الخراط، ط١، (دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ).

١٠. آداب الأكل، أحمد بن عماد بن يوسف الأقفهسي، تحقيق: د. عبد الغفار البنداري ومحمد السعيد زغلول، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ).

١١. الآداب الشرعية، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيّام، ط٣، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ).
١٢. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ، ١٤٠٩ هـ).
١٣. أدب الهاتف، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ).
١٤. الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، محمد عبد الله السبيل، ط١، (دار النشر: بدون، ١٤١٤ هـ) .
١٥. أذكار طرفي النهار، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٢، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ).
١٦. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان ، ط٢، (دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٧هـ).
١٧. أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، حمد العمار ، ط٣ (دار اشبيليا ، الرياض ، ١٤١٨هـ).
١٨. أسد الغابة، عز الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، ط بدون، (دار الفكر، بيروت، سنة النشر: بدون).
١٩. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ).
٢٠. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي ، ط١، (دار الحضارة ، الرياض - ١٤٢٩هـ).
٢١. الأسلوب، أحمد الشايب، ط بدون، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، تاريخ النشر: بدون).
٢٢. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، (دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ).

٢٣. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، ط بدون (إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤٢١هـ).

٢٤. الأصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربع، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط١(دار ابن الأثير، الرياض، ١٤٢٦هـ).

٢٥. أصول الحوار وآدابه في الإسلام، د. صالح بن عبد الله بن حميد، ط١(دار المنارة للنشر والتوزيع ،جدة ،١٤١٥هـ).

٢٦. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط١٠، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ).

٢٧. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، ط١(دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٩هـ).

٢٨. الاعتدال في الدعوة، محمد بن صالح بن عثيمين، ط١، (دار الثريا، الرياض، ١٤١٥هـ).

٢٩. الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ط بدون، (مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، سنة الطبع: بدون) .

٣٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيّم الجوزيّة ، ط١ (دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١هـ).

٣١. الإعلام في ضوء الإسلام ، عمارة نجيب ، ط١ (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠هـ).

٣٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١٥(دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م).

٣٣. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيّم الجوزيّة، ط بدون، (دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: بدون).

٣٤. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيميه الحراني، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط٢(مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١١هـ).
٣٥. اقتضاء العلم العمل، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بـ(الخطيب البغدادي)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ).
٣٦. الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط بدون، (طبع ونشر وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ).
٣٧. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية الحراني، ط٢(دار المدني، جده، ١٤٠٧هـ).
٣٨. الإيمان، ابن تيمية الحراني، ط١(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ).
٣٩. البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن كثير، ط بدون، (دار الرشيد، حلب، تاريخ النشر: بدون).
٤٠. بدع القراء القديمة والمعاصرة، بكر أبو زيد، ط٢، (دار الصميعي، الرياض، ١٤١٦هـ).
٤١. بطاقة التخفيض: حقيقتها التجارية وأحكامها الشرعية، بكر أبو زيد، ط٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ).
٤٢. بهجة القلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، عبد الرحمن بن سعدي ، ط٣، (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ).
٤٣. البيان بالدليل لما في نصيحة الرفاعي والبوطي من الكذب الواضح، صالح بن فوزان الفوزان، ط١(دار العاصمة، الرياض، ١٤٢١هـ).
٤٤. التبرج وخطره، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط٤، (نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض،١٤٢٦هـ).

٤٥. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، علي بن حسن بن عساكر الدمشقي، ط٢، (دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ).

٤٦. التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١، (دار الهجرة، الرياض ـ الثقبة، ١٤١٢هـ).

٤٧. تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال ، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ).

٤٨. تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري، أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي ، ط١، (مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ).

٤٩. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، بدر الدين إبراهيم بن جماعه، ط بدون، (دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ النشر:بدون).

٥٠. تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية، مقداد يالجن، ط١، (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٥هـ).

٥١. ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، جمع وتصنيف: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، ط١، (دار الهجرة، الرياض، ١٤١٢هـ).

٥٢. تسمية المولود، بكر أبو زيد، ط١، (دار ألفا، القاهرة، ١٤٢٧هـ).

٥٣. تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ).

٥٤. تصنيف الناس بين الظن واليقين، بكر أبو زيد، ط٣، (دار ألفا، القاهرة، ١٤٢٨هـ).

٥٥. التعالم وأثره على الفكر والكتاب، بكر أبو زيد، ط٣، (دار الراية، الرياض، ١٤١٢هـ).

٥٦. تغريب الألقاب العلمية، بكر أبو زيد، ط٤، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ).

٥٧. تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير، ط٤، (مؤسسة الريان ، بيروت، ١٤١٨هـ).

٥٨. تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح بن عثيمين، ط١، (دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٣هـ).

٥٩. التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط٢،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٦٠. تفسير جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، (دار هجر، القاهرة، ١٤٢٢هـ).

٦١. التمثيل حقيقته، تاريخه، حكمه، بكر أبو زيد، ط١، (دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ).

٦٢. تهذيب الأخلاق، أحمد بن محمد بن مسكويه، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ).

٦٣. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، ط١، (عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ).

٦٤. تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، ط١، (دار الصميعي، الرياض، ١٤٢٨هـ).

٦٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط بدون، (طباعة وإصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، تاريخ النشر: بدون).

٦٦. جبل إلال بعرفات، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ).

٦٧. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية الحراني، تحقيق: مجدي قاسم، ط١، (توزيع مكتبة البلد الأمين، جدة، ١٤١٤هـ).

٦٨. جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد، ط١، (دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٢٢هـ).
٦٩. حراسة الفضيلة، بكر أبو زيد، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ).
٧٠. الحسبة في الإسلام، ابن تيمية الحراني، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ).
٧١. حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، بكر أبو زيد، ط١، (دار ألفا، القاهرة، ١٤٢٧هـ).
٧٢. الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن علي القحطاني، ط٢،(توزيع مؤسسة الجريسي، ١٤١٣هـ).
٧٣. حلية طالب العلم، بكر أبو زيد، ط٥، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ).
٧٤. الحوار: آدابه، وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد زمزمي، ط١، (دار التربية والتراث ، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ).
٧٥. حياة الألباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه، محمد بن إبراهيم الشيباني، ط٢، (نشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤٢٥هـ).
٧٦. خصائص جزيرة العرب، بكر أبو زيد، ط٢، (دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ).
٧٧. درأ الفتنة عن أهل السنة، بكر أبو زيد، ط١، (دار ألفا، القاهرة، ١٤٢٧هـ).
٧٨. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، (دار النشر: بدون، ١٤١٧هـ).

٧٩. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ضبط وتصحيح: عبد الوارث محمد علي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).

٨٠. دعاء القنوت، بكر أبو زيد، ط٢، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ).

٨١. الدعوة إلى الله، محمد بن صالح بن عثيمين ، ط١، (نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٧هـ).

٨٢. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط٤، (نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض، ١٤٢٣هـ).

٨٣. الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ، محمد بن ناصر الشثري، ط١، (دار النشر: بدون، ١٤١٧هـ).

٨٤. الدعوة وصلتها بالحياة، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ط بدون، (مكتبة الرشد، الرياض، تاريخ النشر: بدون).

٨٥. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط بدون، (مؤسسة الريان، بيروت، ١٤١٩هـ).

٨٦. الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر أبو زيد، ط بدون، (دار الهجرة، الدمام، ١٤١١هـ).

٨٧. الرد على المنطقيين، ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، ط١، (مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٦هـ).

٨٨. الردود، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ).

٨٩. رفع الملام عن الأئمة الأعلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، ط٢، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ).

٩٠. الروض المربع بشرح زاد المستقنع، منصور البهوتي، تحقيق وتعليق: محمد عبد الرحمن عوض، ط٦، (دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤١٧ هـ).

٩١. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق وتصحيح: محمد حامد الفقي، ط بدون، (مكتبة السنة المحمدية، ومكتبة ابن تيمية، القاهرة، سنة النشر: بدون).

٩٢. رياض الصالحين، محي الدين يحيى بن شرف النووي، ط١، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ).

٩٣. زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيّم الجوزيّة، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط١٥، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ).

٩٤. السبحة: تاريخها، حكمها، بكر أبو زيد، ط١، (دار ألفا، القاهرة، ١٤٢٧هـ).

٩٥. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله بن حميد، ط١، (مكتبة الإمام أحمد، دار النشر: بدون، ١٤٠٩هـ).

٩٦. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني الشهير بـ(ابن ماجه)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢، (مكتبة المعارف ، الرياض - ١٤٢٩هـ).

٩٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢، (مكتبة المعارف ، الرياض ،١٤٢٧هـ).

٩٨. سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط بدون، (مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ).

٩٩. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، (مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ).

١٠٠. سنن النسائي، أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، ط٢، (مكتبة المعارف، الرياض ، ١٤٢٩هـ).

١٠١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ).

١٠٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ط١، (دار مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ).

١٠٣. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ط بدون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، تاريخ النشر: بدون) .

١٠٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، ط٢، (دار المسيرة، بيروت، ١٣٩٩هـ).

١٠٥. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق وتعليق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، ط١٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨هـ).

١٠٦. شرح العقيدة الواسطية، خليل هرّاس، ط٣، (دار الهجرة، الرياض،١٤١٥هـ).

١٠٧. شرح النووي على صحيح مسلم، محي الدين يحيى بن شرف النووي، ط١، (المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٣٤٧هـ).

١٠٨. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن عثيمين، ط بدون، (دار مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ) .

١٠٩. شرح مقامات الحريري، يوسف بقاعي، ط١، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م).

١١٠. صيد الخاطر، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، ط١، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

١١١. طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيّم الجوزيّة، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط١، (دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ١٤٢٩هـ).

١١٢. العدة شرح العمدة ، بهاء الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي، ط١، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ).

١١٣. عقيدة السلف، مقدمة ابن أبي زيد القيروان لكتابه:(الرسالة)، تقديم: بكر أبو زيد، ط١،(دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ).

١١٤. العلامة الشرعية لبداية الطواف ونهايته ، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ).

١١٥. العلامة المحدث أحمد محمد شاكر وجهوده في الدعوة والإصلاح، أبو العلاء بن راشد الراشد، ط١، (مكتبة الرشد ، الرياض - ١٤٢٨هـ).

١١٦. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله بن عبد الرحمن البسام، ط٢، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ).

١١٧. عون المعبود بشرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق أبادي، ط١، (دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٠هـ).

١١٨. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ضبط وتصحيح: محمد بن عبد العزيز الخالدي، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ).

١١٩. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد عبد الرزاق الدويش، ط٥، (نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٧هـ).

١٢٠. فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع: د. محمد بن سعد الشويعر، ط١، (دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ).

١٢١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط بدون، (دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: بدون) .

١٢٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد علي الشوكاني، ط١، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٥هـ).

١٢٣. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط بدون، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، تاريخ النشر: بدون).

١٢٤. فتنة التكفير، محمد بن ناصر الدين الألباني، ط٢، (دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٨هـ).
١٢٥. فتوى جامعة في التنبيه على بعض العادات والأعراف القبلية المخالفة للشرع المطهر، ط بدون، (مطبوعات المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالقويعية، سنة النشر: بدون).
١٢٦. فتوى جامعة في زكاة العقار، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢١هـ، ط١.
١٢٧. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ط٥، (دار الآفاق، بيروت، ١٤٠٢هـ).
١٢٨. فقه النوازل، بكر أبو زيد، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ).
١٢٩. الفوائد، ابن قيم الجوزية، ط بدون، (دار الحديث ، القاهرة، سنة النشر: بدون) .
١٣٠. القصة في القرآن الكريم، مريم عبد القادر السباعي، ط١، (نشر مكتبة مكة لتوزيع المطبوعات، جدة، ١٤٠٧هـ).
١٣١. القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور، عبد الكريم الخطيب، ط١، (مؤسسة الرسالة ومؤسسة دار الأصالة ، بيروت، ١٤٠٤هـ).
١٣٢. قضاة المدينة المنورة، عبد الله بن محمد الزاحم، ط١، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ).
١٣٣. القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن سعدي، اعتناء: خالد بن عثمان السبت، ط٢، (دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ).
١٣٤. القول السديد في مقاصد التوحيد، شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن سعدي، ط٥، (منشورات الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٠٤هـ).
١٣٥. كتاب الأذكار، محي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، (مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة – ١٤١٣هـ).

١٣٦. كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، ط بدون، (مكتبة الأثير، الرياض، تاريخ النشر: بدون) .

١٣٧. كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، ط بدون (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ) .

١٣٨. لا جديد في أحكام الصلاة، بكر أبو زيد، ط٣، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ).

١٣٩. مائة سؤال عن الإعلام، طلعت همّام، ط١، (دار الفرقان، عمّان، ١٤٠٣هـ).

١٤٠. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، (دار النشر: بدون، ١٣٩٨هـ).

١٤١. المجموع (شرح المهذب)، محي الدين يحيى بن شرف النووي، ط بدون، (دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ).

١٤٢. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، ط٢، (دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ).

١٤٣. المجموع في ترجمة المحدث الشيخ حماد الأنصاري، عبد الأول بن حماد الأنصاري، ط١(دار النشر بدون، ١٤٢٢ هـ).

١٤٤. المجموعة العلمية، بكر أبو زيد، ط١، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ).

١٤٥. مختصر سلسلة الأحاديث الصحيحة، مشهور بن حسن آل سلمان، ط٢، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٨هـ).

١٤٦. مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، الشيخ محمد عبد الوهاب، تحقيق: محمد حامد الفقي، ،ط بدون، (مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، تاريخ النشر: بدون).

١٤٧. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيّم الجوزيّة، ط بدون، (دار الحديث ، القاهرة ، تاريخ النشر: بدون).
١٤٨. المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية: تاريخها، ومخاطرها، بكر أبو زيد، ط١، (دار ألفا، القاهرة، ١٤٢٧هـ).
١٤٩. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ، ١٤١١ هـ).
١٥٠. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان ، ط١، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ).
١٥١. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ).
١٥٢. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ط٢، (دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٤هـ).
١٥٣. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، (المكتب الإسلامي، بيروت،١٤٠٥هـ).
١٥٤. المصباح المنير، أحمد بن محمد المقري الفيومي، ط٥، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٢٢م).
١٥٥. المصباح المنير، أحمد بن محمد المقري الفيومي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: ط١، (المكتبة العصرية، بيروت)
١٥٦. معالم في طريق طلب العلم، عبد العزيز بن محمد السدحان، ط٣، (دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٠هـ).
١٥٧. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم، ط٣، (دار النشر: بدون، ١٤١٥ هـ).
١٥٨. المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية (معجم اليمامة)، عبد الله بن محمد بن خميس، ، ط٢، (دار النشر: بدون، ١٤٠٠هـ).

١٥٩. معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، ط٣، (دار العاصمة، الرياض، ١٤١٧هـ).

١٦٠. المغني، الموفق عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط بدون (دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة النشر: بدون) .

١٦١. مفتاح دار السعادة، ابن قيّم الجوزيّة، ضبط وتعليق وتخريج: علي بن حسن الحلبي، ط١، (دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ).

١٦٢. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني)، ط١،(مكتبة الباز، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ).

١٦٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ).

١٦٤. المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان، جمع وإعداد: عادل الفريدان، ط٢، (مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ١٤١٧هـ).

١٦٥. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، (دار النشر: بدون، ١٤٠٦هـ).

١٦٦. المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي، ط١، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ).

١٦٧. المنهل العذب في الدراسات الأدبية، د. محمد علي الهاشمي، ط٣، (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٢٦هـ).

١٦٨. موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، إصدار دارة الملك عبد العزيز بالتعاون مع هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ط١، (دار النشر بدون، ١٤٢٤هـ).

١٦٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والذاهب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٣، (نشر الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،الرياض، ١٤١٨هـ).

١٧٠. النظائر، بكر أبو زيد، ط٢، (دار العاصمة ، الرياض، ١٤٢٣هـ).
١٧١. وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط٨، (نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٧هـ).
١٧٢. الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، ط٣، (دار الراية، الرياض، ١٤٢٥هـ).
١٧٣. وسائل الدعوة، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، ط١، (دار اشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ).
١٧٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلّكان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط بدون، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ).

ثالثاً: المعاجم والقواميس:

١٧٥. تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، ط بدون، (إصدار وزارة الإرشاد بالكويت، ١٣٨٥هـ).
١٧٦. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).
١٧٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط بدون، (الدار المصرية، القاهرة، تاريخ النشر: بدون).
١٧٨. الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ).
١٧٩. القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ط١، (دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ).
١٨٠. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، ط١، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ).
١٨١. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ).

١٨٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ط بدون، (دار صادر ، بيروت، تاريخ النشر: بدون) .

١٨٣. المحيط في اللغة، الصاحب بن عبّاد، ط١، (عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ).

١٨٤. مختار الصحاح، محمد بن بكر الرازي، ط بدون، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩م)

١٨٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعهجي، وزميله، ط١، (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٥هـ).

١٨٦. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ط بدون، (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ).

رابعاً: الصحف والمجلات:

١٨٧. صحيفة الرياض، الرياض، العدد(١٤٤٧١) في ١٤٢٩/١/٢٨هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/٦م، والعدد(١٤٤٧٦) في ١٤٢٩/٢/٤هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/١١م .

١٨٨. صحيفة الجزيرة، الرياض، العدد(١٢٩١٤) في ١٤٢٩/١/٢٩هـ[حسب رؤية الهلال]، الموافق٢٠٠٨/٢/٦م، والعدد(١٢٩٢١) في ١٤٢٩/٢/٦هـ، الموافق٢٠٠٨/٢/١٣م، والعدد(١٢٩٥٥)، في١٤٢٩/٣/١٠هـ الموافق٢٠٠٨/٣/١٧م.

١٨٩. صحيفة الشرق الأوسط، لندن، العدد(١٠٥٣٤)، في ١٤٢٨/٩/١٩هـ الموافق٢٠٠٧/١٠/١م، والعدد(١٠٦٧٦) في١٤٢٩/٢/١٣هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/٢٠م.

١٩٠. صحيفة عكاظ، جدة، العدد(١٥١٣٨)، في ١٤٢٩/١/٢٨هـ، الموافق٢٠٠٨/٢/٦م والعدد(١٥١٣٩)، في١٤٢٩/١/٢٩هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/٧م.

١٩١. صحيفة المدينة، جدة، العدد(١٦٣٨٢)، في ١٤٢٩/٢/٢٢هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/٢٩م، والعدد(١٦٣٨٧) في ١٤٢٩/٢/٢٧هـ، الموافق ٢٠٠٨/٣/٥م، والعدد(١٦٤٠٣) في ١٣٢٩/٣/١٣هـ، الموافق ٢٠٠٨/٣/٢٠م.

١٩٢. مجلة الدعوة، الرياض، العدد(٢١٣٠)، في ١٤٢٩/٢/٧هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/١٤م، والعدد(٢١٣١)، في ١٤٢٩/٢/١٤هـ، الموافق ٢٠٠٨/٢/٢١م

١٩٣. مجلة المستقبل الإسلامي، العدد(١٢١)، في جمادى الأولى١٤٢٢هـ، الموافق أغسطس ٢٠٠١م.

١٩٤. مجلة البيان، لندن، العدد(٢٤٧)، في ربيع الأول ١٤٢٩هـ، الموافق مارس٢٠٠٨م.

١٩٥. مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، جدة، العدد(١١) في عام١٤١٩هـ،الموافق ١٩٩٨م، والعدد(١٣) في عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م، والعدد(١٤) في عام ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م، والعدد(١٦) في عام ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م.

خامساً: التسجيلات:

١٩٦. دروس وعبر من حياة الشيخ بكر، عبد العزيز محمد السدحان. مادة مسجلة.

١٩٧. رحيل الشيخ بكر، محمد بن عبد الرحمن العريفي. مادة مسجلة.

١٩٨. شرح حلية طالب العلم، محمد بن صالح العثيمين. مادة مسجلة.

سادساً: المواقع الإلكترونية:

١٩٩. www.ahlalhdeeth.com موقع ملتقى أهل الحديث.

٢٠٠. www.fghacademy.org.sa موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

٢٠١. www.alobeikan.com موقع الشيخ عبد المحسن العبيكان.

٢٠٢. www.gate.gph.gov.sa موقع بوابة الحرمين، الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

٢٠٣. www.aboghodda.com موقع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

٢٠٤. www.rslan.com موقع الشيخ محمد رسلان.

المقابلات والزيارات

أولاً مقابلات الباحث[١]:

١. مقابلة الشيخ عبد الله بن بكر عبد الله أبو زيد، ديوان المظالم، الرياض، يوم الأحد الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٦هـ، الساعة (١٠ص).

٢. مقابلة معالي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي الدكتور عبد السلام بن داود العبادي، مكتب معاليه، محافظة جدة، يوم الأحد الموافق ١٤٣٠/٢/٢٧هـ، الساعة (١ظ).

٣. مقابلة الشيخ عبد الله بن بكر عبد الله أبو زيد، منزل الشيخ، الرياض، يوم الإثنين الموافق ١٤٣٠/٥/١٦هـ، الساعة (٧م).

٤. مقابلة الشيخ جديع بن محمد الجديع مدير مكتب الشيخ بكر أبو زيد سابقاً، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣٠/٥/١٧هـ، الساعة (٨'٣٠ ص).

٥. مقابلة فضيلة رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة المكلف الشيخ فهد بن إبراهيم المحيميد، بمكتب فضيلته، المدينة المنورة، يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٦/١٠هـ، الساعة (١٠ص)، ويوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٦/١٧هـ، الساعة (٩ص).

٦. مقابلة رئيس قسم السجلات بالمحكمة الكبرى بالمدينة المنورة الأستاذ محمد بن سليمان الرفاعي، المحكمة الكبرى، المدينة المنورة، يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٦/١٧هـ، الساعة (١١ص).

---

(١) مرتبة حسب تاريخ المقابلة. (الباحث)

ثانياً: زيارات الباحث[1]:

١. زيارة صحيفة الرياض، الرياض، يوم السبت الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٥هـ، الساعة (٨ م).

٢. زيارة صحيفة الجزيرة، الرياض، يوم الأحد الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٦هـ، الساعة (٩ص).

٣. زيارة مجلة الدعوة، الرياض، يوم الأحد الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٦هـ، الساعة (١٠م).

٤. زيارة صحيفة عكاظ، محافظة جدة، يوم الأربعاء الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٩هـ، الساعة (١٢ظ).

٥. زيارة صحيفة الشرق الأوسط، فرع محافظة جدة، يوم الخميس الموافق ١٤٢٩/١٠/٣٠هـ، الساعة (١١ص).

٦. زيارة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، محافظة جدة، يوم الأربعاء الموافق ١٤٢٩/١٠/٢٩هـ، الساعة (١٠ص)، ويوم الأحد الموافق ١٤٣٠/٢/٢٧هـ، الساعة (١ظ).

٧. زيارة صحيفة المدينة، محافظة جدة، يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٠/٢/٣٠هـ، الساعة (١ظ)، ويوم الخميس الموافق ١٤٣٠/٣/١هـ، الساعة (١ظ).

---

(١) مرتبة حسب تاريخ الزيارة. (الباحث)

فهرس الموضوعات